

# كتاب الحب

عن

حنان الديم

تألیف جاد العلی

تذکرۃ الحب

ابن عاصی





مَكْتَبَةُ  
لِسَانِ الْعَرْبِ

[www.lisanarab.com](http://www.lisanarab.com)

# قصص العرب

تأليف

محمد أحمد جاد المولى      على محمد البجاوى      محمد أبوالفضل إبراهيم

الجزء الرابع

طبعة جديدة  
[بها إضافة قصص، وفيها زيادة ضبط وشرح وتحقيق]

١٩٧٢ - ١٣٩٢ م

مكتبة لسان العرب  
[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

حيسى البابى أحيى لبى وشركاه

الكتاب قصص العرب  
المؤلف محمد أحمد  
على أحمد  
محمد أبو الفضل إبراهيم  
الناشر منشورات الرضي - قم  
القطع وزيري  
المطبعة مطبعة أمير - قم  
المطبوع ١٠٠٠ نسخة  
الطبعة الخامسة  
سنة الطبع ١٣٦٤ هـ ش  
عدد الأجزاء أربعة  
عدد الصفحات ١٨٦٧ صفحة

## مُقْتَدِمة

١ - هذا هو الجزء الرابع من كتاب «قصص العرب» وهو الأخير أيضاً؛ ويمتاز هذا الجزء عملياً بمنتهى طافية كثيرة من القصص التي وضعتها الكتابة من العرب قاصدين بها تصوير المجالس والأشخاص، والقصص التي نسبوها للطير والحيوان، والتي حكوهَا عن شياطين الشعر أو تخيلوها عن الجنان، واخترعوا لها من اللفظ الرشيق ما يفصح عن أغراضهم، ومن القول الجزل ما يبلغ مرادتهم؛ وسيأتيهم في كل مارواوا الوضع والخيال. وبهذه المجموعة وما سبقها يتطرق في كتاب واحد نصيـب حـسنٌ من أروع مـاخـلـقـهـ العربـ من قـصـصـ تـارـيخـيـ وـمـوـضـعـيـ، وـوـاقـعـيـ وـمـتخـيـلـ ، ويـتمـ الغـرضـ الذـىـ قـصـدـنـاـ إـلـيـهـ مـنـ : «عرض شامل لحياة العرب: مدنـيـتهمـ وـحـضـارـتـهـمـ ، وـعـلـومـهـ وـمـعـارـفـهـ ، وـأـدـيـانـهـمـ وـعـقـائـدـهـمـ ، وـذـكـرـ لـعـوـانـدـهـمـ وـشـمـائـلـهـمـ ، وـماـ طـبـعـواـ عـلـيـهـ مـنـ كـرـيمـ الـغـرـائـزـ وـحـدـةـ الـذـكـاءـ ، ثـمـ مـاـ كـانـ لـلـرـأـةـ عـنـدـمـ مـنـ سـامـيـ الـمـكـانـةـ وـعـظـيمـ الـنـزـلـةـ ، وـمـاـ أـثـرـ عـنـهـمـ مـنـ أـخـبـارـ صـوـرـواـ بـهـ جـهـمـ الـعـفـيفـ ، وـغـرـَّلـمـ الرـقـيقـ ، وـعـشـقـهـمـ الشـرـيفـ . . . . وـمـاـ كـانـ لـمـ مـنـ مـحـاـورـاتـ وـمـسـاجـلاتـ ، وـمـطـابـياتـ وـمـنـاقـلاتـ ، وـمـاـ نـقـلـهـ الـرـوـاـةـ مـنـ أـحـوالـ الـعـامـةـ وـالـمـلـوكـ ، وـطـرـفـ الـقـصـةـ وـالـوـلاـةـ ، وـأـخـبـارـ الـأـيـامـ وـالـحـرـوبـ . . . . (١) ».

\* \* \*

(١) مقدمة الكتاب.

٢ - ولقد ظهرت الأجزاء السابقة من الكتاب ، فلقيت من ثناء الكتاب ، وإقبال القراء واحتفال الصحف والمجلات في العالم العربي جميعه ما جعلنا نزداد إيماناً ويقيناً بأن الحاجة إليه كانت ماسة ، وأنه سيسعد في المكتبة العربية فراغاً كبيراً ؛ ولسنا نحاول في هذه الكلمة أن ننقل كل ما تحدثنا به عن الكتاب ؛ ولકتنا نورِدُ قلّاً من كُثر ما ذكره مؤيداً للغاية التي قصدنا إليها :

قالت صحيفة الأهرام الفراء : « ... وما من شك في أن عمل المؤلفين يتجاوز الجم والطبع ، إلى التبويب والضبط والتحقيق ، وهو قبل هذا قائم على حسن الاختيار والدقّة في النقل ، فهم شديدو الحرص على ألا تقع العين في كتابهم إلا على القصص المهدّبة ، والنواود الرفيعة التي تحت على مكارم الأخلاق .

ولقد كان أكثراً بين يدعون إلى تهذيب الكتب القديمة ، وإبراهيم من الأخبار والأشعار التي تذكرها الأخلاق السكريمة ؛ ولكن مؤرخى الأدب وعلماء اللغة لم يؤيدوا هذه الدعوة ؛ لأنهم يشفقون منها على تراثنا الأدبي وفاته لحق التاريخ ، واحتفاظاً للكتب القديمة بمقومات شخصيتها .

وظل الرأى حائراً بين المربين ورجال اللغة والأدب : الأولون يريدون آلا يقرأ الشباب العربي إلا المذهب الرفيع ، والآخرون يحرضون على أن يبقى لكتاب القديمة عناصر شخصيتها ، وتراثها التاريخي .

واليوم يظهر كتاب « قصص العرب » فيوفّق بين الرأيين جميعاً؛ فهو ليس تراثنا الأدبي بالتعديل والتغيير ، ولكنه في الوقت نفسه لا يحرم الشباب العربي فضل الالتفاق به والاتصال بما فيه ؛ فهو يترك الكتاب القديمة كما هي : للعلماء والمؤرخين ، ويختار منها ما يصح للشبيبة أن تقرأ ، فيعرضه عليهم في أسلوب مهذب .

فَالآن نستطيع أَنْ نُوَجِّهُ الدُّعَوةَ إِلَى الشَّابِ ، لِكَيْ يَتَصَلَّوْا بِلِفَتْمِ ، وَيَتَعْرَفُوا إِلَى مَاضِيهَا بِقِرَاءَةِ هَذِهِ الْمُخْتَارَاتِ الْمَهْذَبَةِ ، الَّتِي عَالَجَتْ مَا نَشَكُوهُ مِنْ سَقْمٍ وَخُشُونَةٍ وَاضْطِرَابٍ ، وَأَعْفَتْهُمْ مِنْ بَعْضِ أَخْبَارِهِمُ الَّتِي لَا نَرْضِي لِلشَّابِنَ قِرَاءَتِهَا . . .<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وَقَالَتْ صَحِيفَةُ الْبَلَاغُ فِي كِلْمَهَا عَنِ الْجَزَائِينِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي: « . . . يَشْتَهِلُ الْجَزَءُ اَلْأَدَنِيَّنَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى خَلَاصَةِ مَا فِي نَحْوِ مَائِةِ مُؤْلِفٍ قَدِيمٍ مِنْ أَرْوَعِ أَفَاقِيِّصِ الْعَرَبِ الَّتِي أَخْدَرَتْ عَنْهُمْ مَصْوَرًا جَمِيعَ مَظَاهِرِ حَيَاتِهِمُ الْعَامَةِ .

وَقَدْ رَتَبَتْ هَذِهِ الْأَفَاقِيِّصِ بَعْدَ تَهْذِيَّهَا ، وَتَأْلِيفِ مَا تَنَافَرَ مِنْهَا فِي أَمْهَاتِ الْمَرْاجِعِ - إِلَى أَقْسَامِ وَأَبْوَابِ فِي هَذِينِ الْجَزَائِينِ وَمَاسِفِ يَلِيهِمَا ، حَتَّى صَارَتِ فِي وَضْعِهَا الْجَدِيدُ أَقْرَبَ نَسْقًا وَاتِّصَالًا إِلَى هَيَّةِ الْقَامُوسِ ، وَانتِظَامُ مَوَارِدِهِ .

وَالْحَقُّ أَنَّ هَذِهِ الْطَّرَائِفَ الْمُخْتَارَةُ ، وَالنَّوَادِرُ الْمُنْتَقَاءُ ، وَهِيَ مَادَةٌ مَا عَنْدَ الْعَرَبِ مِنْ قَصَصٍ كَانَتْ أَحْوَجَ شَيْءٍ مِنْذِ زَمْنٍ بَعِيدٍ إِلَى مَثِيلِ هَذَا الْمَعْجمِ الْقَصْصِيِّ الَّذِي اصْطَنَعَهُ الْمُؤْلِفُونَ لِأَرْوَعِ مُخْلَفَاتِ الْعَرَبِ . . .<sup>(٢)</sup> .

وَقَالَتْ صَحِيفَةُ الْهَافَّ<sup>(٣)</sup> .

« . . . صَدَرَ فِي ظَرُوفَ مَلَائِمَةً جَدًّا لِتَوْجِيهِ الْأَفْكَارِ إِلَى نَفْسِيَّةِ الْعَرَبِ الْذَّاتِيَّةِ وَجَبْلِهِمُ الطَّبِيعِيَّةِ ، وَصَفَاتِهِمُ الثَّابِتَةِ ، فَكَانَ كَصُورَةً نَاطِقَةً بِمَا كَانَ يَتَحَلَّ بِهِ الْعَرَبِيُّ مِنَ الصَّفَاتِ النَّادِرَةِ ، وَتَصْوِيرُ مجَمِعِهِ تَصْوِيرًا صَادِقًا فِي كُلِّ حَرَكَاتِهِ وَسُكُونِهِ؛ وَهِيَ صُورَةٌ إِنَّمَا لِمَا إِلَّا فَائِدَةٌ تَبَيَّنُهُ الْأَمَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُحَاضِرَةُ إِلَى مَا كَانَ يَتَصَفُّ

(١) ١٦ آغْسْطِسَ سَنَةِ ١٩٣٩ .

(٢) ٢١ آغْسْطِسَ سَنَةِ ١٩٣٩ (مِنْ مَقَالٍ لِلْأَسْتَاذِ أَمْدَ صَبْرِيِّ) .

(٣) تَصَدَّرَ فِي الْجَفَ، ١٥ جَادِيَ الْآخِرَةِ سَنَةِ ١٣٥٨ .

به العربُ الأقدمون شهامةً وغيره وحقيقةً ، لكن ذلك فعلاً في هذا الوقت الذي تنشد فيه الأمة العربية مجدَها ، وتحاول الاقتداء بما كان يتحلى به العربي قدِيماً من جمال الصفات ، وسمو الغايات ، لتبني من كل ذلك وحدة روحية تحقق لها مطالبها الشروعة . . . .

٣ - هذا وقد لاحظ بعض الكتاب أننا لم نورد في كتابنا شيئاً من القصص التي قامت عليها كتب ألف ليلة وليلة ، وسيرة عترة بن شداد، وذات المهمة، وأخبار ابن ذي يزن ، وغيرها مما يشبهها . . . . وعذرنا في ذلك لأن هذه القصص كتب قاعدةً بذاتها ، معروفة بأعيانها ، وكثير منها - كما أوردنا في مقدمة الكتاب - تافه الغرض ، مُبْهَمَ القصد ، ردِيءُ اللغة والأسلوب . وإنما كان هُنَا أن نختار القصص الحسنة التي زخرت بها كتب الأدب القديمة ، واختفت تحت ركام من رداءة الطبع واضطراب النصوص ؟ ثم ما كان منها نبيل القصد شريف الفایة جيد الأسلوب ، فكان من مجموعها « . . . معرض نمرين ، عرضت فيه أفانين جميلة من رواجع البلاغة العربية ، وبدائع الأساليب ، وطراائف الصور الأدبية من جهة ؛ وعرضت فيه من جهة أخرى : ألواح جليلة مشرقة من حياة العرب في شتى جهاتِها وألوانها وصورها ، فبرز العرب في هذا الكتاب أناساً أحياءَرُّ وحون ويفدون أمام عينيك بأخلاقهم وشمائلهم وسجاياهم ، بعاداتهم وتقاليدهم وشرائعهم ، بألوان معايشهم ومشاربهم ، بأحساسهم ومشاعرهم وأذواقهم ، وبكل ما تحفل به حياة العرب الأولين من بمحالِي الذهن والعقل والشعور . . . . »<sup>(١)</sup> .  
وأخذ بعضهم علينا أيضاً أننا لم نستوعب القصص التي تضمنت أيام العرب

المشهورة ، وملامحهم المأثورة ؛ على كثرتها . والعذر في ذلك أنتاحين عالجنا الاختيار من هذه الأيام وجدناها تضم في أنوائها كثيراً من الشعر ، وتحمل في طياتها كثيراً من الحوادث ، وأنها مضطربة الروايات محرفة النصوص ، فهي لذلك تستأهل أن أنفرد بكتاب خاص . ونحن آخذون بحول الله في وضع هذا الكتاب ، ونأمل أن لا يمضي كبير زمن حتى يكون في يد القراء إن شاء الله<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وفي كل حال نتوجه إلى الله العلي الكبير شاكرين له ما وفقنا إليه من إتمام  
هذا الكتاب ضارعين إليه أن يسبغ عليه حسن القبول ؟

المؤلفون

{ بناء سنة ١٩٤٨  
سفر سنة ١٣٦٧

---

(١) هذا ما كتبناه في مقدمة الطبعة الأولى . ويسرنا أن نقول : إننا وفيينا بوعدنا ، فأخرجنا كتاب « أيام العرب في الجاهلية » ، وكتاب « أيام العرب في الإسلام » . وما بآيدي القراء .

## مقدمة الطبعة الجديدة

---

هذه هي الطبعة الخامسة من كتابنا «قصص العرب» نقدمه بعد أن نفذت طبعته الرابعة . وفي هذه الطبعة أضفنا إلى الكتاب بعض القصص الطريفة التي انتخبناها في أثناء قراءتنا لكتب الأدب والتاريخ . وقد أردنا بذلك أن يكون للكتاب مدد جديد يزيد من روعة ، ويبقى على جدّته .

أما الشرح والضبط فقد زدنا فيه لنقربه إلى القراء جميعا ، ولينهل منه شبابنا وناشئتنا الذين ينشدون المورد الصاف للثقافة العربية ، ويبدون لو عرفوا مصادر هذه الثقافة ، وقراءوا من تراثها ما يشبع رغبتهم ، ويفهمون على حياة أسلافهم وأمجاد عروبتهم .

والله نسأل التوفيق ، إنه سميع مجيب ۹

المؤلفون

الحرم سنة ١٣٩٢  
مارس سنة ١٩٧٢ م

## النَّابُ الْأُولُ

---

في القصص التي تصفُ ما عقدوه من مجالس  
الطرب ، وحفلات الفناء ، وما أثاروه من أسباب  
المنافسة بين المفَنِّينَ ، فاصدين التَّرْفِيه عن النَّفوس ،  
وجلاء الهم ، وتهذيب المشاعر ، وترقيق الوجدان .

## \* ١ — الشعر والفناء \*

كان معاوية يعيّب على عبد الله بن جعفر<sup>(١)</sup> سماع الفناء ، فأقبل معاوية عاماً حاجاً؛ فنزل المدينة ، فرَّ ليلة بدار عبد الله بن جعفر ، فسمع عنده غناء على أوتار ، فوقف ساعة يستمع ، ثم مضى وهو يقول : أستغفر الله ، أستغفر الله !

فلما انصرف من آخر الليل مرّ بداره أيضاً ، فإذا عبد الله قائم يصلّي فوقف ليسمع قراءته ، فقال : الحمد لله ، ثم مضى وهو يقول : « خلطوا عملاً صالحًا وأخرّ سيناماً عسى الله أن ينفعكم »<sup>(٢)</sup> .

فلم بلغ ابن جعفر ذلك أعدّ له طعاماً ، ودعاه إلى منزله ، وأحضر ابن صياد المُغنى ، ثم تقدم إليه وهو يقول : إذا رأيت معاوية واضعاً يده في الطعام ، فحرّك أو تارك وغنّ ؛ فلما وضع معاوية يده في الطعام حرّك ابن صياد أو تاره وغنّ بشر عدي بن زيد - وكان معاوية يعجب به :

يَا لَبِيْنِيْ أَوْ قِدِيْ النَّارَا إِنَّ مَنْ تَهْوِيْنَ قَدْ حَارَا<sup>(٣)</sup>

رَبَّ نَارِ بَيْتِ أَرْمَقْهَا تَقْضِيْ الْمِنْدِيْ وَالْفَارَا<sup>(٤)</sup>

\* المقصد الفريد : ٤ - ٩٨ ، الأغانى : ٢ - ١٧٤

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كان كريعاً جواداً ، يحب البذل ويرتاح للطعام ، وأخباره في الكرم والسماع كثيرة ، توفي سنة ٩٠ هـ . (٢) سورة التوبة ، آية ١٠٢ (٣) حار: ضل.

(٤) الغار : شجر طيب الربيع ، وشجر السوس .

عَنْهَا ظَبَىْ يُوَجِّحُهَا عَاقِدٌ فِي الْخَصْرِ زُنَاراً<sup>(١)</sup>

فأعجب معاوية غناوه حتى قبض بده عن الطعام ، وجعل يضرب برجله الأرض طرّاباً ؛ فقال له عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ؛ إنما هو مختار الشعر يرگب عليه مختار الألحان ، فهل ترى به بأساً ؟ قال : لا بأس بمحكمة الشعر مع حِكْمَةِ الْأَلْهَانِ .

---

(١) الزنار : ماعلي وسط النصارى والمجوس ، وقد روى هذا البيت في الأغاني :  
عَنْهَا ظَبَىْ يُوَرِّشَا عَاقِدٌ فِي الْجَيْدِ تَقْسَارًا  
يُورِّشَا : يوقدها ويكثر حطتها . والتفسار : الفلادة .

## \* ٢ - قل لِّكَرَامِ بَيْانًا يَلْجُوا \*

بَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ فِي أَزْقَةِ الْمَدِينَةِ إِذْ سَمِعَ غَنَاءً، فَأَصْنَفَ إِلَيْهِ، فَإِذَا بِصُوتٍ  
شَجِيْرِيْقِ لَقِيَّنَةِ تَغْنِيْ :

قُلْ لِّكَرَامِ بَيْانًا يَلْجُوا مَا فِي التَّصَابِي عَلَى الْفَتِيْحَ حَرَجُ

فَنَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ عَنْ دَابِيْتِهِ، وَدَخَلَ عَلَى الْقَوْمِ بِلَا إِذْنٍ؛ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامُوا إِلَيْهِ  
إِجْلَالًا، وَرَفَعُوا مَجْلِسَهُ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ، قَالَ : يَا بْنَ عَمِ رَسُولِ اللَّهِ؛  
دَخَلْتَ مَنْزِلَنَا بِلَا إِذْنٍ، وَمَا كُنْتَ هَذَا بِخَلِيقٍ ! قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَمْ أُدْخِلْ إِلَّا بِإِذْنِ.  
قَالَ : وَمَنْ أَذْنَ لَكَ ؟ قَالَ : قَيْنَاتُكَ هَذِهِ، سَمِعْتُهَا تَقُولُ :

\* قُلْ لِّكَرَامِ بَيْانًا يَلْجُوا . . . \*

فَإِنْ كُنَّا كَرَامًا فَقَدْ أَذِنَّ لَنَا وَإِنْ كُنَّا لَثَامَّا خَرَجْنَا مَذْمُومِينَ؛ فَضَحَكَ  
صَاحِبُ الْمَنْزِلِ وَقَالَ : صَدِقْتَ، جُعْلَتِ فِدَاكَ امَا أَنْتَ إِلَامِنْ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ.  
ثُمَّ بَعْثَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى جَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيْهِ، قَالَ لَهَا : غَنِيْ، فَغَنَتْ؛ فَطَرَبَ  
الْقَوْمُ، وَطَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ، فَدَعَا بِثِيَابٍ وَطِيبٍ؛ فَكَسَا الْقَوْمَ وَصَاحِبَ الْمَنْزِلِ،  
وَطَيَّبَهُمْ، وَوَهَبَ لَهِ الْجَارِيَةَ، وَقَالَ لَهُ : هَذِهِ أَحْذَقَ بِالْفَنَاءِ مِنْ جَارِيَتِكَ.

### ٣ — عبد الله بن جعفر ضيف طويس\*

كان عبد الله بن جعفر معه إخوان له في عشية من عشایا الربيع ، فراحت عليهم السماء بمطرِّ جَوْد<sup>(١)</sup> ، فأسأَلَ كلَّ شَيْءٍ ، فقال عبد الله: هل لكم في العقيق<sup>(٢)</sup> ؟ فركبوا دوابهم ، ثم اتَّهُوا إلينه ، فوقفوا على شاطئه ، وهو يرْجِي بالزَّبَد مثل مَدَّ الفُرات . وإنهم لينظرون إذ هاجت السماء ، فقال عبد الله لأصحابه : ليس معنا جنة<sup>(٣)</sup> نستَّرِّحُ بها ، وهذه سماء خلقة أَنْ تَبْلُغَ ثيابنا ، فهل لكم في منزل طويس<sup>(٤)</sup> فإنه قريب منا فستَكِنْ فيه ويحدِّثنا ويُضْحِكَنا - وطويـس في النَّظَارَةِ يسمع كلامَ عبد الله بن جعفر .

قال له عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : جعلت فداكَ ! وما ت يريد من طويس عليه غضب الله ! هو يَشِينُ<sup>(٥)</sup> من عَرَفَه ! فقال له عبد الله: لا تقل ذلك فإنه مليح حَفِيف لنا فيه أنس .

فلا استوف طويسَ كلامَهم نمَجَّلَ إلى منزله فقال لا مرأته : ويحيك ! قد جاءنا عبد الله بن جعفر سيدُ الناس ، فما عندك ؟ قالت : نذبح هذه العناق<sup>(٦)</sup> - وكانت عندها عُنْيَقَة قد رَبَّتْهَا باللبن - وأخْبَرَتْ خُبْزاً رُفَاقًا ؛ فبادر فذَبَحَها ، وعَجَّنتْ هى .

ثم خرج فتلقاء مُقِبِلاً إلينه ؛ فقال له طويس : بأبي أنت وأمي ! هذا المطرُ ،

\* الأغانى : ٣ - ٣٢

(١) الجود : المطر الغزير ، أو مالا مطر فوقه . (٢) العقيق : متزه أهل المدينة في أيام المطر والربيع . (٣) الجنة : ما استترت به . (٤) اسمه عيسى بن عبد الله ، وطويـس لقب غالب عليه ، وهو أول من غنى في الإسلام ، وكان ظريفاً عالماً بأمن المدينة وأنساب أهلها . (٥) يَشِينَ : يصيب . (٦) العناق : الأنثى من ولد المز .

فهل لك في المنزل فتستكِنَ فيه إلى أن تُكْفَ السماء؟ قال : إياك أريد . قال : فامضِ يا سيدِي على بركةِ الله . وجاء يعشى بين يديه حتى نزلوا ، فتحدثُوا حتى أدرك الطعام ، فقال : بأبي أنت وأمي اتُكرمني إذا دخلتَ منزلي بأن تعيشى عندى ؟ قال : هات ما عندك . خاءَ بعناقِ سينيةٍ ورُفاقٍ . فأكل وأكل القوم حتى تملأوا<sup>(١)</sup> ، فأعجبه طيبُ طعامه ؛ فلما غسلوا أيديهم قال : بأبي أنت وأمي ! أتَمَشَّ معك وأغْنِيك ؟ قال : افعل يا طويس ، فأخذ ملحفةً فائز بها ، وأرخي لها ذَبَّين ، ثم أخذ المِرَبَّع<sup>(٢)</sup> فقمشى ، وأنشأ يقني :

يا خليلي نابني سُهْدِي  
لم تَمْ عيْنِي ولم تَكْدِ  
فشرابي ما أسيِّعُ وما  
أشتكى ما بي إلى أحدِ  
كيف تَلْخُونِي<sup>(٣)</sup> على رَجُلٍ  
آنسِ تَلْتَذَهَ كَبِدِي  
ليس بالزميلا النَّكِدِ<sup>(٤)</sup>  
مثل ضوء البَذْرِ طلعته  
من بني آل المغيرة لا  
حامِلِ نَكْسٍ ولا جَحِدٍ<sup>(٥)</sup>  
نظراتِ يوما فلا نظراتٌ  
بمَدَه عيني إلى أحدِ

فطرب القوم ، وقالوا : أحسنتَ والله يا طويس اثم قال : يا سيدى ؛ أندري  
لمَّ هذا الشعر ؟ قال : لا ، والله ما أدرى لمن هو . إلا أني سمعتُ شعرًا حسناً .  
قال : هو لقارعةَ بنت ثابت أخت حسان بن ثابت في عبد الرحمن بن الحارث بن  
هشام المخزوي . فنكس القوم رؤسهم ، وضرب عبد الرحمن برأسه على  
صَدْرِه<sup>(٦)</sup> ، فلو شَقَّتِ الأرض له لدخل فيها .

(١) تملأوا من كثرة الأكل . (٢) المِرَبَّع : آلة من آلات الطرب . (٣) لما  
يالحوه : لامه . (٤) الزميلة : الجبان الضعيف . (٥) النَّكْس : الضعيف لا خير فيه . والجحد:  
القليل الحبر . (٦) ضرب برأسه على صدره : أطرق استحياء وخبلا ، وهو يريد بعد الرحمن  
عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

## ٤ — سَقَوْنِي وَقَالُوا لَا تُفْنِنْ \*

جلس عبد الله بن جعفر يوماً عند عبد الملك بن مروان ، خدته عن إقلال<sup>(١)</sup>  
ابن أبي عتيق وكثرة عياله ؛ فأمره عبد الملك أن يبعث به إليه ، فاتاه ابن جعفر  
فأعلمته بما دار بينه وبين عبد الملك وبعثه إليه .

فدخل ابن عتيق على عبد الملك ، فوجده جالساً بين جاريتين قائمتين  
عليه تمسان<sup>(٢)</sup> كفصى بان ، ييد كل جارية مروحة ، تروح بها عليه ، مكتوب  
بالذهب في المروحة الواحدة :

إني أجلبُ الرياح وبِي يلعبُ اللَّجِلُونَ  
وَحِجَابٌ إِذَا الحَيْدَ بُنْتِ الرَّأْسَ لِلْقَبْلِ  
وَغِيمَاثٌ إِذَا النَّدِيمُ نَفَنِي أَوْ ارْتَجَلَ  
وَفِي الْمَرْوَحَةِ الْأُخْرَى :

أَنَا فِي الْكَفَ لَطِيفَه مَسْكِنِي قَصْرُ الْخَلِيفَه  
أَنَا لَا أَصْلُحُ إِلَّا لَظَرِيفَه أَوْ ظَرِيفَه  
أَوْ وَصِيفٍ<sup>(٣)</sup> حَسَنُ الْقَادِ شَبِيهٌ بِالْوَصِيفَه

قال ابن أبي عتيق : فلما نظرت إلى الجاريتين هوتنا الدنيا على ، وأنستاني  
سوء حالى ، ثم قلت : إنْ كائنا من الإنس فما نساونا إلّا من البهائم ، فلما ذكرت  
بصري فيما تذكرت الجنة ، فإذا تذكرت أمرأى - وكنت لها محباً - تذكرت

\* العقد الفريد : ٤ - ٩١

(١) فقر . (٢) تمسان : تبغضران . (٣) الوصيف : الخادم ، غلاماً كان أو جارية .

النار ، وبدأ عبد الملك يتوجه لـ بما حكى له ابن جعفر عَنْهُ ، ويخبرني بما لي عنده من جيل الرأي ؟ فـ كذبت له كل ما حكاه له ابن جعفر عَنْهُ ، ووصفت له نفسى بـ بِفَاعِلِيَّةِ الْمَلَأِ وَالْجَلَدَةِ<sup>(١)</sup> ؛ فـ امتلا عبد الملك سروراً بما ذكرت له وعمما بتكتذيب ابن جعفر .

فـ لما عاد إلينه ابن جعفر عاتبه عبد الملك على ما حـ كـاه عـ نـ هـ ، وأخبره بما حـ لـ يـ لـ يـ ةـ<sup>(٢)</sup> له نفسـى ، فقال : كـ ذـ بـ ، وـ اللـ هـ يـ أـ مـ يـرـ المـؤـمـنـينـ ، وـ إـنـهـ أـ حـ وجـ أـ هـ لـ الحـ جـازـ إـلـىـ قـ لـ لـ يـ فـ ضـ لـ لـ يـ ، فـ ضـ لـ لـ عنـ كـ شـ يـ رـ .

ثم خـ رـ جـ عـ بـ دـ اللـ هـ فـ لـ قـ يـ نـ ، فقال : ما حـ مـ لـكـ عـ لـ يـ أـنـ كـ ذـ بـ نـ عـ نـ دـ أـ مـ يـرـ المـؤـمـنـينـ ؟ قـ لـ تـ : أـ فـ كـ نـ تـ تـ رـ اـ نـ وـ قـ دـ أـ جـ لـ سـ نـ بـ يـ نـ شـ مـ سـ وـ قـ رـ ، نـ مـ أـ تـ قـ اـ فـ اـ قـ رـ<sup>(٣)</sup> عـ نـ دـهـ ! لـ وـ اللـ هـ ، مـ اـ رـ أـ يـ اـتـ ذـ لـ كـ لـ نـ فـ سـىـ ، وـ إـنـ رـأـيـهـ لـ .

فـ لـ مـاـ أـ عـ لـ بـ ذـ لـ كـ عـ بـ دـ اللـ هـ بـنـ جـ عـ فـرـ عبدـ الملكـ بـنـ مـروـانـ قـالـ : فـ الجـارـيـانـ لـهـ . قـالـ ابنـ أـبـيـ عـتـيقـ : فـ لـ مـاـ صـارـتـ إـلـىـ زـرـتـ عبدـ اللهـ بـنـ جـ عـ فـوـجـدـتـهـ قـ دـ اـ مـ تـ لـ فـرـ حـأـ وـ هـوـ يـشـرـبـ ، وـ بـيـنـ يـدـيـهـ عـسـ<sup>(٤)</sup> فـيـ عـسلـ مـمزـوجـ بـمسـكـ وـ كـافـورـ ، قـالـ : مـهـيمـ<sup>(٥)</sup> ؟ قـ لـ تـ : قـ دـ وـ اللـ هـ قـبـضـتـ الجـارـيـتـينـ ، قـالـ : فـاشـرـبـ ، فـتـناـولـتـ العـسـ ، بـخـرـعـتـ مـنـهـ جـرـعـةـ ، قـالـ لـىـ : زـدـ ، فـأـيـيـتـ عـلـيـهـ ، قـالـ جـارـيـةـ لـهـ عـنـدـهـ تـفـنـيـهـ : إـنـ هـذـاـ قـدـ حـازـ الـيـوـمـ غـزـالـتـيـنـ مـنـ عـنـدـ أـمـيـرـ المـؤـمـنـينـ نـخـذـيـ فـ نـعـمـهـ ، فـرـكـتـ الجـارـيـةـ الـعـودـ ، ثـمـ غـنـتـ :

(١) الملا : سعة الجيش . والجلدة : الفن . (٢) حل نفسه : وصف حلبيه . (٣) تفاقر : أظهر الفقر . (٤) العس : القدر العظيم . (٥) كلمة استفهام : أى ما حالك وما شأنك ؟ أو ما وزاءك ؟ أو أحدث لك شيء ؟

عهدى بها في الحَيِّ قد جردت صفراً مثل المهرة الضامِير  
قد حَجَمَ<sup>(١)</sup> الثَّدْنِي على نحرها في مشرق ذي بَهْجَةٍ ناضر  
لو أُسندت مَيْتاً إلى صدرها قام ولم ينفل إلى قَابِر<sup>(٢)</sup>  
حتى يقول الناس ما رأوا : ياعجباً للميت النماشر  
فلا سمعت الأبيات طربت ، ثم تناولتُ العُسْنَ ، فشربت عَلَالاً<sup>(٣)</sup> بعد  
نَهَلَ ، ورفعت عقيرتي أغنى :  
سَقَوْنِي وقالوا : لَا تُنْفِنْ وَلَوْ سَقَوْا جِبَالْ حَنَينِ ما سَقَوْنِي لَغَنْتِ

— — —

---

(١) حجم الثدي : نهد . (٢) قبره يعبره : دفنه ، أى إلى دافن . (٣) العل : الغربة الثانية ، أو الشرب بعد الشرب تبعاً ، والنهل : الشرب الأول .

## ٥ — عبد الله بن جعفر عند جميلة \*

جلستْ جمِيلَةُ<sup>(١)</sup> يوماً للوِفَادِ عليها ، وجعلتْ على رءوسِ جواريها شُعوراً مُسْدَلَةً كالمناقيد إلى أمحازهنَّ ، وألبستهنَّ أنواع الشياطِ المصبَّغة ، وَوَضَعَتْ فوق الشعور التيجانَ ، وزَيَّنَتْهُنَّ بأنواع الحُلُّ .

ووجهتْ إلى عبد الله بن جعفر تَسْتَزِيرَه ، وقالتْ لـ كاتبِ أملتْ عليه : « بابِي أنتْ وأمي أقدِرُكَ يَجِيلُ عن رسالتي ، وكرمُكَ يَحْتَمِلُ زَلَقِي ، وذِينِي لا تَقْالُ عَثْرَتِهُ ، ولا تَغْفِرُ حَوْبَتِهُ<sup>(٢)</sup> ؛ فإنْ صَفَحتَ الصَّفَحَ لِكُمْ عَشْرَ أهْلِ الْبَيْتِ يُؤْرَ ، وانْفَرِي وَالْفَضْلُ كَاهَ فِيْكُمْ مُدْخَرٌ ، ونَحْنُ العَبْدُ وَأَنْتُ الْمَوَالِي . فَطُوبِي لِمَنْ كَانَ لِكُمْ مُجَاوِرًا ، وَبِعِزِّكَمْ قَاهِرًا ، وبِصَيَّائِكُمْ مُبْصِرًا ! وَالْوَبِيلُ لِمَنْ جَهَلَ قَدْرَكُمْ ، وَلَمْ يَعْرِفْ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْخَلْقِ لِكُمْ ! فَصَفِيرُكَمْ كَبِيرٌ ، بَلْ لَا صَفِيرَ فِيْكُمْ ، وَكَبِيرُكَمْ جَلِيلٌ ، بَلْ الْجَلَالَةُ الَّتِي وَهَبَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْخَلْقِ هِيَ لِكُمْ ، وَمَقْصُورَةُ عَلِيْكُمْ ؛ وَبِالْكِتَابِ نَسْأَلُكُمْ ، وَبِحَقِّ الرَّسُولِ نَدْعُوكُمْ - إِنْ كُنْتُمْ نَشِيطًا - لِجَلْسِي هَيَّاهُنَّ لَكُمْ ، لَا يَحْسُنُ إِلَّا بِكُمْ ، لَا يَتَمَّ إِلَّا مَعَكُمْ ، وَلَا يَصْلُحُ أَنْ يَنْقُلَّ عَنْ مَوْضِعِهِ ، وَلَا يُسْلِكَ بِهِ عَنْ طَرِيقِهِ » .

فَلَمَاقْرَأْ عبدُ اللهِ الْكِتَابَ قَالَ : إِنَا لَنَرْفُ تَعْظِيمِهَا لَنَا ، وَإِكْرَامِهَا لصَفِيرِنَا وَكَبِيرِنَا ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهَا قَدْ آتَتْ أَلِيَّةَ<sup>(٣)</sup> أَلَا تَنْفَنِي أَحَدًا إِلَّا فِي مَنْزِلِهَا . وَقَالَ

\* الأغانِي : ٨ - ٢٢٧

(١) هي جميلة مولاية بني سليم ، كانت أصلاً من أصول الفناء ، وعنها أخذ معبد وابن عائشة وحباية وسلامة وغيرهم من المتنين والمقنيات ، توفيت سنة ١٢٥ هـ تقريباً . (٢) الموبة : الإمام . (٣) آلت : أقسمت يميناً .

الرسول : والله قد كنتُ على الركوب إلى موضع كذا ، وكان في عزمي المرورُ بها ؛ فَأَمَا إِذْ وَاقَ مَرَادُهَا فَإِنِّي جَاعِلٌ بَعْدِ رَجُوعِي طَرْبِقَ عَلَيْهَا .

فَلَمَّا صَارَ إِلَى بَابِهَا أَدْخَلَ بَعْضَ مَنْ كَانَ مَعَهُ إِلَيْهَا وَصَرَفَ بَعْضَهُمْ . فَنَظَرَ إِلَى ذَلِكَ الْحُسْنَ الْبَارِعِ وَالْمَيْتَةِ الْبَادِةِ<sup>(١)</sup> ، فَأَعْجَبَهُ وَوَقَعَ مِنْ نَفْسِهِ ؛ قَالَ : يَا جَيْلَةَ ؛ لَقَدْ أُتْيَتِ خَيْرًا كَثِيرًا ! مَا أَحْسَنَ مَا صَنَعْتِ ! قَالَتْ : سَيِّدِي ؟ إِنَّ الْجَيْلَ لِلْجَيْلِ بَصَلْحٍ ، وَلَكَ هَيَّاتُ هَذَا الْجَلْسِ .

فَلَمَّا عَبَدَ اللَّهُ بْنَ جَعْفَرَ ، وَقَامَتْ عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَامَتْ الْجَوَارِي صَفَّيْنِ ؛ فَأَقْسَمَ عَلَيْهَا فَلَسْتَ غَيْرَ بَعِيدٍ . ثُمَّ قَالَتْ : يَا سَيِّدِي ؟ أَلَا أَغْنِيَكَ ، قَالَ : بَلِي ! فَقَنَّتْ : بَنِي شَيْبَةَ<sup>(٢)</sup> الْمَحْدِ الَّذِي كَانَ وَجْهُهُ يُضْيَ ظَلَامَ اللَّيلِ كَالْقَمَرِ الْبَدْرِ كَمُؤْلُمِهِ خَيْرُ الْكَهْوَلِ وَنَسْلُهُمْ كَنْسِلُ الْمَلُوكِ لَا يَبُورُ وَلَا يَخْرُى<sup>(٣)</sup> أَبُوكَمْ قُصَىٰ كَانَ بَدْعِي مُجَمِّعًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فَهْرَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَحْسَنْتِ يَا جَيْلَةَ ! بِاللَّهِ أَعْيَدْتِهِ عَلَى ، فَأَعْدَادَهُ ؛ فِجَاءَ الصَّوْتُ أَحْسَنَ مِنَ الْأَرْتِحَالِ . ثُمَّ دَعَتْ لِكُلِّ جَارِيَةِ بَعْدِهِ ، وَأَمْرَتْهُنَّ بِالجلوسِ عَلَى كَرَاسِيِّ صَفَارِيَّ قَدْ أَعْدَتْهَا لَهُنَّ ، فَضَرَبَنَ ، وَغَنَتْ عَلَيْهِنَّ هَذَا الصَّوْتُ وَغَنَى جَوَارِهَا عَلَى غَنَاثِهَا .

فَلَمَّا ضَرَبُنَّ جَمِيعًا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : مَا ظَنَنتُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا يَكُونُ ! وَإِنَّهُ لِمَا يَقْنِنَ الْقَلْبَ !

ثُمَّ دَعَا بِيَغْلَتِهِ فَرَكَبَهَا وَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ - وَقَدْ كَانَتْ جَيْلَةً أَعْدَتْ طَعَامًا كَثِيرًا - قَالَ لِأَصْحَابِهِ : تَخَلَّفُوا فَقَدَّوا وَانْصَرَفُوا مَسْرُودِينَ .

(١) الميئنة البادحة : الغالية الفائقة . (٢) شيبة المحد : لقب عبد الطالب بن هاشم ، وهو جد عبد الله ابن جعفر . (٣) ببور : يهلك ، ويعرى : ينقش .

## ٦ - بَيْتَانِ مِنَ الشِّعْرِ \*

قال أبو عباد : أتيت جمila يوماً ، وقد ظننت أني سبقت الناس إليها ، فإذا  
جلسها غاصن ؟ فسألتها أن تعلمني شيئاً ، فقالت لي : إن غيرك قد سبقك ، ولا يحمل  
تقديرك على من سواك . قلت : جعلت فداك ! متى تفرغين من سبقني ؟  
قالت : هو ذاك ، الحق يسمعك ويسمعهم .

فيينا نحن كذلك إذ أقبل عبد الله بن جعفر - وإنه لأول يوم رأيته وآخره ،  
وكنت صغيراً كيساً <sup>(١)</sup> ، وكانت جميلة شديدة الفرح - فقامت وقام الناس ،  
فلقتها وقبلت رجليه ويديه ، وجلس في صدر المجلس على كوم <sup>(٢)</sup> لها ، وتحوق <sup>(٣)</sup>  
 أصحابه حوله ، وأشارت إلى من عندها بالانصراف ، وتفرق الناس ، وغمزتني ألا  
أبرح ، فأقت <sup>أ</sup>. وقالت : يا سيدي وسيد آبائى وموالى ؟ كيف نشطت إلى أن  
تنقل قدميك إلى أمتك ؟ قال : يا جميلة ؟ قد علمت ما آليت على نفسك ألا تفني  
أحداً إلا في منزلك ، وأحببت الاستماع . قالت : جعلت فداك ! فأنا أصير إليك  
وأكمم <sup>أ</sup> . قال : لا أكلفك ذلك ، وبأتفنى أنك تُعنين بيتيين لامري القيس  
تجيدين الفناء فيما ، وكان الله أنقذ بهما جماعة من المسلمين من الموت . قالت :  
يا سيدي ، نعم ! فاندفعت تُعنى ، فلمنت بعودها ؟ فاسمعت منها قبل ذلك ، ولا بعد

\* الأغاني : ٨ - ١٩٨.

(١) كيس : عاقل ... (٢) الكوم : الموضع المشرفة ، واحدتها كومة . (٣) تحوق القوم  
حوله : استداروا وأحاطوا به .

إلى أن ماتت ، مثل ذلك الفتاة ، فسبّح عبد الله بن جعفر والقوم معه ، وما :  
ولما رأيت أن الشريعة همها وأن البياض من فرائصها داعي<sup>(١)</sup>  
تيممت العين التي عند ضاريج بني علية الظل عرمضها طامي<sup>(٢)</sup>  
فلما فرغت قالت جميلة : أى سيدى ؟ أزيدك ؟ قال : حسي . فقال بعض  
من كان معه : بأبى جعلت فداكا وكيف أشد الله من المسلمين جامدة بهذين  
البيتين ؟ قال : نعم ، أقبل قوم من أهل اليمن ، يريدون النبي صلى الله عليه وسلم  
فضلوا الطريق ، وقاموا على غيرها ، ومكثوا ثلاثة لا يقدرون على الماء ، وحمل  
الرجل منهم يستدرى<sup>(٣)</sup> بني السمر والطاح يائسا من الحياة إذ أقبل راكب  
على بعير له ، وأنشد بعض القوم هذين البيتين ، فقال :  
ولما رأيت أن الشريعة همها وأن البياض من فرائصها داعي  
تيممت العين التي عند ضاريج بني علية الظل عرمضها طامي  
قال الراكب : من يقول هذا ؟ قال : أمرؤ القيس . قال : والله ما كذب ،  
هذا ضاريج عندكم ، وأشار لهم إليه ، فحبّوا على الركّب فإذا ماء عذب ،  
وإذا عليه العرمض والظل بني عليه ؟ فشربوا منه ريههم ، وحملوا ما اكتفوا به  
حتى بلغوا الماء .

---

(١) الضمير في رأت لاحمر ، والشريعة : مورد الماء الذي تشرب فيه الدواب ، وهيها : طلبها ،  
والفرضية : الحمر الذي بين الكتف والمصدر . (٢) ضارج : موضع في بلاد بني عبس ، والمرمض :  
الطعم ، وظام : عال مرتفع . يريد أن الحمر لما أرادت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماة  
وأن تدب فرائصها من سهامهم ، فعدلت إلى ضارج لمدم الرماة على العين التي فيها . (٣) يستدرى :  
يستظل

فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا: يا رسول الله، أحياناً الله عزوجل  
ببيتين من شعر امرى القيس ، وأنشدوه الشعر . فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها ، منسى في الآخرة ، خامل  
فيها ، يحيى يوم القيمة معه لواء الشعراء إلى النار . فكل استحسن الحديث .  
ونهض عبد الله بن جعفر ونهض القوم معه ؟ فما رأيت مجلساً كان أحسن  
من مجلسه .

## ٧ - ماذا فعلت بزاهد متَّبعِدْ !\*

قال الأصمعي: قد معرق بعذل<sup>(١)</sup> من حُر العراق إلى المدينة ، فباعها كلها إلا السود؛ فشكى ذلك إلى الدارمي<sup>(٢)</sup> ، وكان قد تنسك وترك الشعر ولزم المسجد ، فقال : ما تجعل لي على أن أحتمال لك بمحيلة حتى تبيعها كلها على حكمك ؟ قال : ما شئت ! فحمد الدارمي إلى ثياب نُسـكـه ، فألقاها عنه، وعاد إلى مثل شأنه الأول ، وقال شعراً رفعه إلى صديق له من الفنانين ، ففني به ، وكان الشعر :

قلْ للمايحة في الخمارِ<sup>(٣)</sup> الأسود ماذا فعلت بزاهدِ متَّبعِدْ

قد كان شَمَرَ للصلـلة نياـهـ حتى خطرتـ لـهـ بـيـابـ المسـجـدـ

رُدُّـيـ عـلـيـهـ صـلـاتـهـ وـصـيـامـهـ لـاـتـقـتـلـيهـ بـحـقـ دـيـنـ مـحـمـدـ

فـشـاعـ هـذـاـ الفـنـاءـ فـالـمـدـيـنـةـ ،ـ وـقـالـواـ قـدـ رـجـعـ الدـارـمـيـ ،ـ وـتعـشـقـ صـاحـبـ الخـمـارـ

الـأـسـوـدـ ،ـ فـلـمـ تـبـقـ مـلـيـحـةـ بـالـمـدـيـنـةـ إـلـاـ شـتـرـتـ خـمـارـأـ سـوـدـ ،ـ وـبـاعـ التـاجـرـ جـمـيعـ مـاـ كـانـ

مـعـهـ ،ـ فـحـلـ إـخـوـانـ الدـارـمـيـ مـنـ النـسـاكـ يـلـقـونـ الدـارـمـيـ فـيـقـولـونـ :ـ مـاـ صـنـعـ ؟ـ

فـيـقـولـ :ـ سـتـعـلـمـونـ نـبـأـ بـعـدـ حـينـ ،ـ فـلـمـ تـفـدـ مـاـ كـانـ مـعـ الـعـرـاقـ رـجـعـ الدـارـمـيـ إـلـىـ

نـسـكـهـ وـلـبـسـ نـيـابـهـ !

\* العقد الفريد : ٤ - ٩٦

(١) العدل : نصف الحمل . (٢) هو ربيعة بن عامر ، ولقبه مسكن ، ويصل نسبة إلى دارم بن مالك ، كان شاعراً شريفاً من سادات قومه ، وقد غلب شعره في مدح معاوية ، توف سنة ٥٩٠ .

(٣) الخمار : النصف ، وما تقطي به المرأة رأسها .

## ٨ - دعابة ابن أبي عتيق\*

لَا دَخَلَ الْمَدِينَةَ عُمَانُ بْنُ حَيَّانَ الرَّى وَالْيَا<sup>(١)</sup> عَلَيْهَا اجْتَمَعَ الْأَشْرَافُ عَلَيْهِ  
مِنْ قَرِيشٍ وَالْأَنْصَارِ؛ فَقَالُوا لَهُ : إِنَّكَ لَا تَعْمَلُ عَمَلاً أَجْدَى وَلَا أَوْلَى مِنْ تَحْرِيمِ  
الْفَنَاءِ وَالرَّثَاءِ<sup>(٢)</sup> ، فَقَعَلَ وَأَجْلَ أَهْلَهَا ثَلَاثَمًا يَخْرُجُونَ فِيهَا مِنَ الْمَدِينَةِ .

فَقَدِمَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ<sup>(٣)</sup> فِي الْلَّيْلَةِ الْثَالِثَةِ ؛ فَفَحَطَ رَحْلَهُ بِبَابِ سَلَامَةَ<sup>(٤)</sup> ؟ وَقَالَ لَهُ :  
بَدَأْتُ بِكِ قَبْلَ أَنْ أَصِيرَ إِلَى مَنْزِلِي ؟ فَقَالَتْ : أَوْ مَا تَدْرِي مَا حَدَثَ ؟ وَأَخْبَرَهُ  
الْخَبَرُ . فَقَالَ : أُقِيمَ إِلَى السَّعْدِ حَتَّى أَلْقَاهُ ! فَقَالَتْ : إِنَّا نَخَافُ أَلَا تُغْنِي شِينَا ،  
وَنُنْكَظَ<sup>(٥)</sup> . فَقَالَ : إِنَّهُ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ !

نَمْ مَضَى إِلَى عُمَانَ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ ، فَأَذِنَ لَهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ لَهُ غَيْبَتَهُ ، وَأَنَّهُ  
جَاءَ لِيَقْضِي حَقَّهُ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ مَنْ أَفْضَلَ مَا عَمِلْتَ تَحْرِيمَ الْفَنَاءِ وَالرَّثَاءِ . قَالَ : إِنَّ  
أَهْلَكَ قَدْ أَشَارُوا عَلَىٰ بِذَلِكَ . قَالَ : إِنَّكَ قَدْ وُفِّقْتَ أَوْ لَكَنِي رَسُولُ امْرَأَ إِلَيْكَ  
تَقُولُ : قَدْ كَانَتْ هَذِهِ صَنَاعَتِي فَتُبَثِّتُ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَيْمَانًا الْأَمِيرَ أَلَا تَحُولُ  
بَيْنِهَا وَبَيْنِ مَجَاوِرَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ عُمَانُ : إِذْنُ أَدَعُوكَ وَلِكَلَامِكَ . قَالَ : لَا يَدْعُكَ النَّاسُ ؛ وَلَكِنْ

\* الأغاني : ٨ - ٣٤١ ؛ الكامل : ١ - ٣٨٠ ، ذيل زهر الآداب : ٤٤

(١) دخل المدينة واليأً لا وليد بن عبد الملك سنة ٦٩٣ . (٢) الرثاء : يزيد النهاية بالرأي ،  
وفى رواية الأغاني غير ذلك . (٣) هو عبد الله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق :  
كان من نساك قريش وظرفائهم ، وله أخبار طويلة طريفة . (٤) سلام الزرقان : من مولدات  
المدينة ، وكانت أحسن الناس وجهاً وأبهن عقلاً ، وأجودهن حديثاً ، فرأت القرآن ، وروت  
الأشعار ، وأخذت الفناء من جيلاً مولاً بني سليم . (٥) نكظ : تناينا شدة .

تدعو بها وتسمع كلامها ، وتنظر إليها ، فإن كانت من يترك تركتها . قال :  
فأدعُ بها .

فأمرها ابن أبي عتيق ؛ فتخشمَتْ ، وأخذت سُبحةً في يدها ، وصارت إليه ،  
وحذثته ؛ فإذا هي من أعلم الناس بالناس ؛ فأعجب بها ، وحذثه عن آياته وأمورهم ،  
فشككَه<sup>(١)</sup> لذلك ، فقال لها ابن أبي عتيق : اقرئي للأمير ؛ فقرأ له . فقال لها :  
أحدى للأمير ، فرَّكَهُ حُداوها<sup>(٢)</sup> . ثم قال لها : غَيْرِي<sup>(٣)</sup> للأمير ؛ فجعل  
يعجبُ بذلك عمان . فقال له ابن أبي عتيق : فكيف لو سمعتها في صناعتها !  
قال : قل لها فلتقل . فأمرها ففتتْ :

سَدَدْنَ خَصَاصَ<sup>(٤)</sup> الْحَمِيمَ<sup>(٥)</sup> لِمَا دَخَلْنَهُ بِكَلَّ لَبَانِ<sup>(٦)</sup> واضْرَحَ وجَبِينَ  
فنزل عمان بن حيّان عن سريره ، حتى جلس بين يديها ، ثم قال : والله  
مامثلك يخرج عن المدينة !

قال له ابن أبي عتيق : يقول الناس : أذن لسلامة في المقام وأخرج غيرها .  
قال له عمان : قد أذنت لهم جميعاً !

---

(١) فشكك لها : طابت نفسه . (٢) الحداء : غناه خلف الإبل تنشط به . (٣) التغبير : ضرب  
من الغناه أخذه التغوفة يتواجهون على أنفاسه . (٤) الخاصاص : خروق واسعة في الثيم قدر الوجه ،  
الواحدة خصاصة ، وهو يصف نساء تعلمن منها . (٥) الْحَمِيم : أعواود تنصب في القبيط ، وتجمعل  
لها عوارض ، وتظلل بالشجر ، فتشكون أبرد من الأخبية . (٦) لَبَان : الصدر .

\* لَهْنَ بِلَجِيلَةَ \*

قال إسحاق بن إبراهيم الوصلي : حدثني عمتي - وكانت أسن من أبي وعمرت بعده - قالت : كان السبب في طلب أبيك الفتاء والواظبة عليه ل هنا سمعه بجميلة في منزل يونس بن محمد الساكت ، فانصرف وهو كثيير حزين مهموم ، ولم يطعِم<sup>(١)</sup> ولم يقبل علينا بوجهه كما كان يفعل . فسألته عن السبب فأمسك ، فالحخت عليه فانتهرت ، وكان لي مذكر ما ؛ فقضبت وقت من ذلك المجلس إلى بيت آخر ؛ فتبينت وترضى ، وقال لي : أحدك ولا كمان منك اعشقت صوتاً لامرأة قد ماتت ، فأنا بها وبصوتها هائم ، إن لم يغدار ربي الله منه برحمته . فقلت : أنظن أن الله يحيي لك ميتاً ! قال : لا . قلت : فما تعليقك قلبك بما لا يطأه أحد وأماماً عشوك الصوت فهو أن تخدق وتعنيه عشر مرات ، فتمله ويدهب عشقك له ! فكانه أرعوى ورجع إلى نفسه ، وقام فقبل رأسه ويدى ورجل ، وقال لي : فرجت عن ما كنت فيه من الكرب والغم ، ثم تمثل :

\* حُبُّك الشيء يُعِي ويُصم \*

ولزم بيت يونس حتى حذق الصوت ، ولم يمكث إلا زماناً يسيراً حتى مات يونس ، وانضم إلى سياط<sup>(٢)</sup> ، وكان من أحذق أهل زمانه بالفناء وأحسنهم أداء معن ماضى .

\* الأغاني : ٨ - ٢٢٠ \*

(١) لم يطعم : لم يتناول الطعام . (٢) اسم عبد الله ، مكي من موالي خزاعة ، وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الوصلي ، وكان مقدمًا في الفتاء ، روایة وصنفة ، مات في أيام المأوي .

قالت عتي : قلت لإبراهيم : وما الصوت ؟ فأشدني الشعر ولم يحسن

أداء الغناء :

مِنَ الْبَكَرَاتِ عِرَاقِيَّةً نُسَيْ سُبْيَيَّةَ أَطْرَبَتُهَا  
 وَمِنْ آلَ أَبِي بَكْرَةَ الْأَكْرَمِينَ خَصَّصْتُ بِوَدَّيْ فَأَصْفَيَتُهَا  
 وَمِنْ حُبَّهَا زَرَّتُ أَهْلَ الْعَرَاقَ وَأَسْخَطْتُ أَهْلَيْ وَأَرْضَيَتُهَا  
 أَمْوَاتُ إِذَا شَحَّطْتُ دَارَهَا وَأَحْيَاهَا إِذَا أَنَا لَا قَيْتُهَا  
 فَأَقْسَمُ لَوْ أَنَّ مَابِي بِهَا وَكُنْتُ الطَّيِّبَ لَدَاوِيَتُهَا

قالت عتي : هذا شعر حسن ، فكيف به إذا ما قطع ومددا ! فما مضت الأيام والليالي حتى سمعت اللحن مؤدي ؟ فاخرق مسامعي شى ؛ فقط أحسن منه ؛ ولقد أذكّرني بما يؤثر من حسن صوت داود وجال يوسف .

فيينا أنا يوماً جالسة ، إذ طلع على إبراهيم ضاحكا مستبشرأ ؛ فقال لي :  
 ألا أحدثك بعجب ؟ قلت : وما هو ؟ قال : إن لي شريكًا في عشق صوت جميلة  
 قلت : وكيف ذلك ؟ قال : كنت عند سياط في يومنا هذا ، وأنا أغنىه الصوت ،  
 وقد وقف في على شى لم أكن أحكمه عن يوئس ، وحضر عند سياط شيخ  
 نبيل ، فسبّح<sup>(١)</sup> على الصوت تسبّحا طويلا ؛ فظننت أنه فعل ذلك لاستحسانه  
 الصوت . فلما فرغت أنا وسياط من اللحن قال الشيخ : ما أعجب أمر هذا الشعر ،  
 وأحسن ما غنى به ، وأحسن ما قال قائله  
 قلت له دون القوم : وما بلغ من العجب به ؟ قال : نعم ! حجّت سبيعة

(١) سبّح : قال : سبحان الله !

من ولد عبد الرحمن بن أبي بَكْرَةَ ، وكانت من أَجْلِ النَّسَاءِ ، فَأَبْصَرَهَا عُمَرُ بْنُ أَبِي رِيَّةَ<sup>(١)</sup> ، فَلَمَّا انْحَدَرَتْ إِلَى الْعَرَاقِ اتَّبَعَهَا يُشَيِّعُهَا حَتَّى يَلْغُ مَعَهَا مَوْضِعًا يَقَالُ لَهُ :  
الْخَلْوَرَنَقُ . قَالَتْ لَهُ : لَوْ بَلَغْتَ إِلَى أَهْلِي ، وَخَطَبْتَنِي لِزَوْجِكَ . قَالَ لَهَا :  
مَا كُنْتُ لِأَخْلِطَ شَيْئِي إِيَّاكَ بِخِطْبَةِ ، وَلَكِنْ أَرْجُعُ ثُمَّ آتِيَكَ خَاطِبًا ؛ فَرَجَعَ  
وَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ ، فِيَّالَّذِي فِيهَا :

مِنَ الْبَكَرَاتِ عِرَافِيَّةٌ سُمِّيَ سُبْيَيَّةٌ أَطْرَبَتْهَا  
ثُمَّ أَتَيَ هَيْتَ جَيْلَةً ، فَسَأَلَهَا أَنْ تَغْنِيَ بِهَذَا الشِّعْرِ فَفَعَلَتْ . فَأَنْجَبَهُ مَاسِعٌ مِنْ  
حُسْنٍ غَنَمَهَا وَجُودَةٍ تَأْلِيفَهَا ؛ فَخَسِنَ مَوْقِعُ ذَلِكَ مِنْهُ ؛ فَوَجَهَ إِلَى جَارِيَةٍ لَهُ كَانَتْ  
تَطْلُبُ الْفَنَاءَ أَنْ تَأْتِيَ جَيْلَةً ، وَتَأْخُذَ الصَّوْتَ مِنْهَا ، فَطَارَتْهَا إِيَّاهَا أَيَامًا حَتَّى حَذَقَتْ  
وَمَهَرَتْ بِهِ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عُمَرُ قَالَ : أَرَى أَنْ تَخْرُجِي إِلَى سُبْيَيَّةٍ وَتَغْنِيَهَا هَذَا  
الصَّوْتَ وَتَبْلِغَهَا رَسَالَتِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ؛ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ .  
فَأَتَهَا فَرَحَّبَتْ بِهَا ، وَأَعْلَمَهَا الرَّسَالَةَ ، فَغَيَّتْ وَأَكْرَمَتْ ، ثُمَّ غَنَمَتْ  
فَكَادَتْ تَمُوتُ فَرَحًا وَسُرورًا لِحَسْنِ الْفَنَاءِ وَالشِّعْرِ .  
ثُمَّ عَادَتْ رَسُولُ عَمَرٍ ، فَأَعْلَمَهُ مَا كَانَ ؛ وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهَا خَارِجَةٌ فِي  
هَذِهِ السَّنَةِ .

فَلَمَّا كَانَ أَوَانُ الْحِجَّةِ اسْتَأْذَنَتْ سُبْيَيَّةٌ أَبَاهَا فِي الْحِجَّةِ فَأَبَى عَلَيْهَا ، وَقَالَ لَهَا :  
فَدَحْجَجْتِ حِجَّةَ الإِسْلَامِ . قَالَتْ لَهُ : تَلِكَ الْحِجَّةُ هِيَ الَّتِي أَسْهَرَتْنِي لِلِّيلِ ،  
وَأَطَالَتْ نَهَارِي ، وَتَوَقَّنَتِي إِلَى أَنْ أَعُودَ وَأَزُورَ الْبَيْتَ وَالْقَبْرَ ؛ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْذِنْ  
لِي مِنْ كَمْدَأً وَغَمَّاً .

(١) عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رِيَّةَ ، شَاعِرٌ مُشْهُورٌ ، كَانَ يَقْدِمُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْوَانَ فِي كِرْمِهِ ،  
وَتَوَقَّى سَنَةَ ٩٣ م.

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُوهَا رَقَّ هَا، وَقَالَ : لَيْسَ يَسْعُنِي مَنْعُهَا لِمَا أَرَى بِهَا ؟ فَأَذْنَهَا  
وَوَافَ عُمَرُ الْمَدِينَةَ لِيَعْرِفَ خَبَرَهَا ؛ فَلَمَّا قَدِمَتْ عِلْمَ بِذَلِكَ ، وَسَأَلَهَا أَنَّ تَأْتِي  
مَنْزِلَ جَمِيلَةَ ، وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهَا عُمَرُ ، فَأَكْرَمَهَا جَمِيلَةَ ، وَسُرَّتْ بِهِ كَانَهَا . فَقَالَتْ هَا  
سُبْعَيْةَ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكِي ! أَفْلَغْتِي وَأَسْهَرْتِي صَوْتُكِ بِشِعْرِ عَمَرِ فِي ، فَأَسْعَنِي إِلَيْاهُ .  
قَالَتْ جَمِيلَةَ : وَعَزَّازَةَ لَوْجَهُكِ الْجَمِيلَ ! فَعَنَّتْهَا الصَّوْتُ ؟ فَأَغْمَى عَلَيْهَا سَاعَةً  
حَتَّى رُشَّ عَلَى وُجُوهِهَا الْمَاءَ ، وَثَابَ إِلَيْهَا عَقْلُهَا . ثُمَّ قَالَتْ : أَعِيدِي عَلَىَّ ، فَأَعَادَتْ  
الصَّوْتَ مَرَارًا فِي كُلِّ مَرَّةٍ يُفْشِي عَلَيْهَا .

ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى مَكَّةَ وَخَرَجَ مَعْهَا . فَلَمَّا رَجَعَتْ مَرَّتْ بِالْمَدِينَةِ وَعُمَرُ مَعْهَا ؛  
فَأَتَتْ جَمِيلَةَ فَقَالَتْ لَهَا : أَعِيدِي عَلَىَّ الصَّوْتَ . فَفَعَلَتْ ؛ وَأَفَاقَتْ عَلَيْهَا نَلَاتَنَا تَسْأَلُهَا  
أَنْ تَعِيدَ الصَّوْتَ ، فَقَالَتْ لَهَا جَمِيلَةَ : إِنِّي أَرِيدُ أَنْ أُغْنِيَكَ صَوْتَنَا فَأَسْعِيهِ . قَالَتْ :  
هَاتِنِيهِ يَاسِيدِتِي فَعَنَّتْهَا :

أَبْتِ الْمَلِيقَةَ أَنْ تُوَاصِلَنِي وَأَطْلُنْ أَنْ زَانِرَ رَمِيسِي (١)

لَا خَيْرَ فِي الدِّنِيَا وَزِينَتِهَا مَالِمُ تُوَافِقَ نَفْسَهَا نَفْسِي

لَا صَبَرَ لِعَنْهَا إِذَا حَسَرَتْ (٢) كَالْبَذْرُ أَوْ قَرْنِيْنِ مِنَ الشَّمْسِ

قَالَتْ سُبْعَيْةَ : لَوْلَا أَنَّ الْأَوَّلَ شَعْرُ عَمَرٍ لَتَدَمَّتْ هَذَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ سَعْقَهُ .

قَالَ عُمَرُ : فَإِنَّهُ وَاللَّهِ أَحْسَنُ مَنْ ذَلِكَ ؟ فَأَمَّا الشَّعْرُ فَلَا . قَالَتْ جَمِيلَةَ :

صَدِقَتْ وَاللهُ أَ

(١) الرَّمِيسُ : التَّبَرِ . (٢) يَرِيدُ ظَهَرَتْ .

## ١٠ - في أيام الحج\*

حجّ عَمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فِي عَامٍ مِنَ الْأَعْوَامِ عَلَى تَجَيِّبِهِ لَهُ، تَخْضُوبُ الْحِلَّاتَ  
مَشْهُورُ الرَّاحِلَةِ بِقِرَابٍ<sup>(١)</sup>، مَذْهَبٌ<sup>(٢)</sup>، وَمَعَهُ عَبْدُهُ بْنُ سُرَيْجٍ عَلَى بَغْلَتِهِ  
شَقَرَاءَ، وَمَعَهُ غَلَامُهُ جَنَادٌ<sup>(٣)</sup>، وَبِقُودُ فَرْسَاً لِهِ أَدْهَمٌ أَغْرِيَ مُحَجَّلًا وَكَانَ عَمَرُ بْنُ  
أَبِي رَبِيعَةَ يُسَمِّيهُ «الْكَوْكَبُ» فِي عَنْقِهِ طَوقٌ ذَهَبٌ . وَمَعَ عَمَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ حَشَمِيَّةَ  
وَغَلْمَانَهُ وَمَوَالِيهِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ مَوْشِيَّةٌ يَمَانِيَّةٌ وَعَلَى ابْنِ سُرَيْجٍ ثُوبَانَ هَرَوِيَّانَ<sup>(٤)</sup>  
مِنْ قَعْدَانَ، فَلَمْ يَمْرُوا بِأَحَدٍ إِلَّا عَجِبَ مِنْ حَسْنِ هَيْتَهُمْ، وَكَانَ عَمَرُ مِنْ أَعْطَرِ النَّاسِ  
وَأَحْسَنِهِمْ هَيْثَةً، فَخَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ التَّرْوِيَّةِ<sup>(٥)</sup> بَعْدِ الْعَصْرِ يَرِيدُونَ مِنَّيْ.  
فَرُوا بِمَنْزِلِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافِ بَنِيَّ، قَدْ ضَرِبَتْ عَلَيْهِ فَسَاطِيَّطَهُ<sup>(٦)</sup>  
وَخِيمَهُ، وَوَافَ المَوْضِعَ عَمَرُ فَأَبْصَرَ بَنَّتَالَ لِلرَّجُلِ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ قُبَّتِهَا، وَسَرَّ جَوَارِيهَا  
دُونَ الْقُبَّةِ لَثَلَاثَةِ رِبَّاهَا مِنْ مَرَّ، فَأَشْرَفَ عَمَرُ عَلَى إِلَيْنَجِيبِ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، وَكَانَتْ مِنْ  
أَحْسَنِ النَّاسِ وَأَجْلَهِنَّ، قَالَ لَهَا جَوَارِيهَا : هَذَا عَمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، فَرَفَتْ رَأْهَا

\* الأغانى: ٢٥٩ - ١

(١) القراب : جراب السيف يصنع من الملد . (٢) الإذهاب : الطلاء بالذهب . (٣) في جناد يقول عمر :

فَقَلَتْ لِجَنَادِ خَذِ السَّيْفِ وَاشْتَهَلَ  
عَلَيْهِ بِرْفَقِ وَارْقَبِ الشَّمْسِ تَغْرِبُ  
وَأَسْرَجَ لِ الدَّهَاءِ وَأَبْعَلَ عَمْطَرِيَّ  
وَلَا تَعْلَمُ خَلْقَأَ مِنَ النَّاسِ مَذْهَبِيَّ  
(٤) ثوب هروى : منسوب إلى هرآة . (٥) يوم التروية : الثامن من ذي الحجة لأن الماء كان  
قليلًا بمعنى فسكونا يرتوون من الماء لما بدء . (٦) الفساط : ضرب من الأبنية ، وجده فساطيط .

فنظرت إليه ، ثم سرّتها جواريها وولائدها<sup>(١)</sup> عنه ، حتى دخلت ، ومضى عمر  
إلى منزله وفساططه بمنى ، وقد نظر من الجارية إلى ماتيمه ، ومن جمالها إلى ما حيره ؛  
قال فيها :

نظرتُ إلَيْهَا بِالْحَصْبِ<sup>(٢)</sup> مِنْ مِنْيَ  
ولِي نَظَرٌ - لولا التعرُّج - عَارِمُ<sup>(٣)</sup>  
بَدَأْتُ لَيْ خَافَ السَّجْفَ أَمْ أَنْتَ حَالِمُ<sup>(٤)</sup>  
بَعِيدَةً مَهْوَى<sup>(٥)</sup> الْقُرْطِ إِلَيْهَا لِنَوْفَلٍ  
وَمَدَّ عَلَيْهَا السَّجْفَ يَوْمَ لَقِيَتْهَا  
فَمُأْسَطَعْنَاهَا غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدَأَ لَنَا  
مَعَاصِيمُ لَمْ تَفْرِبْ عَلَى الْبَهْمِ<sup>(٦)</sup> بِالضَّحْنِي  
نَضِيرٌ تَرَى فِيهِ أَسَارِيعَ مَائِهِ<sup>(٧)</sup>  
إِذَا مَا دَعَتْ أَتَرَاهَا فَكَثِيرَنَاهَا  
طَلْبِنَ الصَّبَّا حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَنَهَا  
ثُمَّ قَالَ لَا بْنُ سُرَيْحٍ : يَا أَبَا يَحْيَى ؛ إِنِّي تَفَكَّرْتُ فِي رَجُوعِنَا مَعَ الشَّيْشِيَّةِ إِلَى  
مَكَّةَ مَعَ كَثْرَةِ الزَّحَامِ وَالْتَّبَارِ وَجَلَبَةِ الْحَاجَّ ، فَشَقَّلَ عَلَيْهِ ؛ فَهَلْ لَكَ أَنْ تَرُوحَ  
رَوَاحًا طَيْبًا مَعْزِلًا ، فَنَرِي فِيمَنْ رَاحَ صَادِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ أَهْلِهَا ، وَنَرِي أَهْلَ الدَّرَاقِ

(١) الوليدة : الأمة وجمها ولائده. (٢) الحصب : موضع روى الجباري. . (٣) عارم : حاد  
(٤) البيعة : كنيسة النصارى . . (٥) بعيدة مهوى القرط : كثانية عن طول العنق . . (٦) البهم :  
جمع بهمة ، الصغير من أولاد الصان . . (٧) أساريع الماء : طرائقه ، والمراد أنه يتفرق فيه  
ماء الشاب . . (٨) المآكم : جمع مآكلة وهي العجيبة .

والشام ، ونتعلّل<sup>(١)</sup> في عشيتنا وليلتنا ونستريح ؟ قال : وأئَ ذلك يا أبا الخطاب ؟  
قال : على كثيّب أبي شحْوَة<sup>(٢)</sup> ، المشرف على بَطْنِ يَاجِجَ<sup>(٣)</sup> بين مَيَّ وسَرِفَ ،  
فُبَصِرَ مروراً الحاجَ بنا وزرام ولا يَرَونَا . قال ابن سُرِيجَ : طَيِّبْ وَاللهِ يَاسِيدِي .  
فدعوا بعضَ خَدِيمِه فقال : اذهبوا إلى الدار بِسْكَةَ ، فاعملوا لَنَا سُفْرَةَ<sup>(٤)</sup> ،  
واحملوها مع شراب إلى الكثيّب ، حتى إذا أَبْرَدْنَا<sup>(٥)</sup> ، ورَمَيْنَا الجُمُرَةَ<sup>(٦)</sup>  
صِرْنَا إِلَيْكُمْ .

فصارا إِلَيْهِ فَأَكْلَا وَشَرَبَا ، فلما انتشيا أَخْذَابن سُرِيجَ الدُّفَّ فتقه ، وجعل  
يَغْنِي ، وهم ينظرون إلى الحاجَ ، فلما أَمْسِيَ رفع ابن سُرِيجَ صوَتَه ففني في الشمر الذي  
قاله عمر ، فسمعه الرَّؤْبَكَان فجعلوا يَصِيحُونَ به : ياصاحِبَ الصوت ؟ أَمَا تتقى اللَّهُ  
قد حَبَسْتَ النَّاسَ عَنِ مَنَاسِكِهِمْ ! فَيُسْكِتُ قَلِيلًا ؛ حتَّى إِذَا مَضَوْا رفع صوته، وقد  
أَخْذَ فِيهِ الشَّرَاب ؛ فيقف آخرون ، إلى أن مَرَّت قطعة من الليل ؛ فوقف عليه  
في الظَّلَلِ رجلٌ على فرس عَتِيقَة<sup>(٧)</sup> عربي مَرَحْ مُسْتَقَنَّ<sup>(٨)</sup> ، فهو كأنه تَمِيلَ ، حتَّى  
وقف بأَصْلِ الكثيّب ، وثَنَى رجلَه على قَرَبُوسٍ<sup>(٩)</sup> مَرْجِهِ ، ثم نادى : ياصاحِبَ  
الصوت ؟ أَبْسِلْ عَلَيْكَ أَنْ تَرَدَّ شَيْئًا مَا سَمِعْتُهُ ؟ قال : نَعَمْ ، وَنَعْمَةُ عَيْنِ<sup>(١٠)</sup> ،  
فَأَيْهَا تَرِيدَ ؟ قال . تَعِيدُ عَلَيْهِ<sup>(١١)</sup> :

---

(١) تَعَلَّل : نَاهَى وَنَسْلَى . (٢) موضع على خمسة أميال من مكة . (٣) يَاجِجَ : موضع قرب  
مكة . (٤) السُّفْرَة : طعام يَتَّخِذُ للمسافر . (٥) أَبْرَدْنَا : دخلنا في آخر النهار . (٦) الجُمُرَة :  
واحدة جرات الناسك وهي ثلاثة جرات . (٧) العَتِيقَة : الفرس الراشِنُ السَّكْرِيمُ . (٨) يقال  
استن الفرس : جرى في نشاطه على سنته في جهة واحدة . (٩) القرَبُوس : مقدم السرج ومؤخره .  
(١٠) أَفْعَلَ ذَلِكَ إِنَّمَا لَعْبِكَ وَلَا كِرَاماً . (١١) الشِّعْرُ لِعَيْنِ بْنِ ذَرِيعَ .

أَلَا يَا غُرَابُ الْبَيْنِ مَالِكُ كُلَّهُ  
نَعْبَتَ بِفَقْدَانِ عَلَىٰ تَحْوُمُ  
أَبِي الْبَيْنِ مِنْ عَفْرَاءَ أَنْتَ مُخَبِّرِي  
عَدْمُكَ مِنْ طَيْرٍ فَإِنْتَ مَشْوُمُ  
فَاعْادَهُ ، ثُمَّ قَالَ لِهِ ابْنُ سُرَيْجٍ : ازدَدَ إِنْ شِئْتَ ، قَالَ : غَنَّتِي :  
أَمْسِلُ<sup>(١)</sup> إِمَى - يَا بَنَّ كُلَّ خَلِيفَةٍ  
وَيَا فَارِسَ الْمِنْجَاهَا وَيَا قَرَّ الْأَرْضِ  
شَكَرْتُكَ إِنَّ الشَّكَرَ حَمِيلٌ مِنَ التَّقَّىٰ  
وَمَا كُلَّ مِنْ أَفْرَضْتَهُ نَعْمَةً يَقْضِي  
وَنَوَّهْتَ لِي بِاسْمِي وَمَا كَانَ خَامِلًا  
وَلَكِنَّ بَعْضَ الدَّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضٍ  
فَنَاهَ ، قَالَ لِهِ : الْثَالِثُ ، وَلَا أَسْتَرِيدُكَ . فَقَالَ : قُلْ مَا شِئْتَ ، قَالَ :

تَغْنِيفِي<sup>(٢)</sup> :

يَادَارُ أَثْوَتُ<sup>(٣)</sup> بِالْجَزْعِ فَالْكَتَبُ<sup>(٤)</sup> بَيْنَ مَسِيلِ الْعَذَابِ<sup>(٥)</sup> فَالْحَبُ<sup>(٦)</sup>  
لَمْ تَتَقْمَعْ بِفَضْلِ مِنْزِرِهَا دَعْدُ وَلَمْ تُسْقَ دَعْدُ فِي الْمَلَبِ  
فَنَاهَ ، قَالَ لِهِ ابْنُ سُرَيْجٍ : أَبَقِيَتْ لَكَ حَاجَةً ؟ قَالَ : نَعَمْ ، تَنْزَلُ إِلَيْ  
لَا خَاطِبَكَ شَفَاهَا بِمَا أُرِيدُ . قَالَ لِهِ عَمْ : انْزَلْ إِلَيْهِ ، فَنَزَلَ ، قَالَ لِهِ : لَوْلَا أَنِ  
أُرِيدُ وَدَاعَ الْكَعْبَةَ وَقَدْ تَقدَّمْتَ فَقَلَ<sup>(٧)</sup> وَغَلَمَنِي لِأَطْلَاتُ الْقَامِ مَعَكَ ، وَلَنْزَلتَ

(١) يزيد مسلمة بن عبد الملك . والشعر لأبي نخيلا الحمانى . (٢) نسب هذا الشعر في المسان - مادة (عد) - لجririr، وورد فيه كما يأتي:

<p>يَادَارُ أَثْوَتُ بِجَابِ الْبَبِ بَيْنَ تَلَاعِ الْعَقِيقِ فَالْكَتَبُ صَوْبَ غَمَامَ بِجَلْجَلِ لَبِ لَمْ تَتَلَفَعْ بِفَضْلِ مِنْزِرِهَا دَعْدُ وَلَمْ تَنْذَدْ دَعْدُ بِالْمَلَبِ</p>	<p>وَالظَّفَرُ : الْاِشْتَالُ بِالْتَّوْبِ كَلْبَةُ نَاءُ الْأَعْرَابِ . وَالْمَلَبُ : أَقْدَاحُ مِنْ جَلَودِ ، الْوَاحِدُ عَلَيْهِ يَحْلِبُ فِيهِ الْبَنْ وَيَشْرِبُ ، أَىٰ : لَيْسَ دَعْدَ هَذِهِ مِنْ تَشْتَمِلُ بِتَوْهِمِها وَتَنْتَرِبُ الْبَنْ بِالْعَلْبَةِ كَنْسَاءُ الْأَعْرَابِ الشَّقِيقَاتِ وَلَكِنَّهَا مِنْ نَثَأَ فِي نَعْمَةٍ ، وَكَسِي أَحْسَنَ كَسْوَةٍ . (٣) أَثْوَتُ الدَّارُ : خَلَتْ . وَالْمَلَبُ : مَنْطَفُ الْوَادِيِ . (٤) الْكَتَبُ : مَوْضِعُ بِدِيَارِ طَائِيٍّ . (٥) الْعَذَابُ - كَبِيرٌ : مَاءٌ ، أَرْبَعةُ مَوَاضِعٍ (٦) مَوْضِعٌ . (٧) الْقَلُّ : مَنَعُ السَّافِرِ .</p>
--	--

عندكم؛ ولكنني أخاف أن يُفْضِّلَي الصبح، ولو كان نقلَ معي لما رضيتُ ذلك  
بالمُوْبِنِ<sup>(١)</sup>، ولكن خذْ حُلُّتَي هذه وخاتمي ولا تُخْدِعُ عنْهُما ، فإن شراءها  
ألف وخمسمائة دينار .

نم قال له : باقه أنتَ ابن سُرَيْج ؟ قال : نعم ، قال : حياك الله . وهذا عمرُ  
ابن أبي ربيعة ؟ قال : نعم ؛ قال : حياك الله يا أبو الخطاب !

قال له : وأنتَ فيَاكَ الله ! قد عرْفْتَنَا فَعَرَفْنَا نَفْسَكَ ، قال : لا يُكْفِنِي  
ذلك ، ففَضَّبَ ابن سُرَيْج وقال : والله لو كنتَ يزيد بن عبد الملك لما زاد ، قال  
له : أنا يزيد بن عبد الملك !

فونبِإِلَيْهِ عُمَرُ فَاعْظَمَهُ ، وابن سُرَيْجَ قَبْلَ رَكَابِهِ ، ثُمَّ مَضَى يَزِيدُ إِلَى قَلْمَهِ  
ودفع ابن سُرَيْجَ الْحَلَةَ وَالخَاتَمَ إِلَى عَمِرَ فَأَعْطَاهُ إِيمَانًا ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذَيْنِ بِكِ  
أَشْبَهُ مِنْهُمَا بِي ، فَأَعْطَاهُ عَمِرُ ثَلَاثَمِائَةً دِينَارٍ وَغَدَّا فِيهِمَا إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَعَرَفُوهُمَا النَّاسُ ،  
وَجَعَلُوا يَقْعِدُّونَ وَيَقُولُونَ : كَأَنَّهُمَا وَاللهِ حَلَّةً يَزِيدُ بْنُ عبدِ الْمَلِكِ وَخَاتَمَهُ ، ثُمَّ يَسْأَلُونَ  
عَمِرَ فَيَخْبِرُهُمْ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عبدِ الْمَلِكَ كَسَاهَ ذَلِكَ !

---

(١) المُوْبِنِ : الأَهْوَنُ وَالْأَيْسَرُ .

## ١١ - في وادي العقيق\*

كان ابن عائشة<sup>(١)</sup> من أحسن الناس غناه، وأنفهم فيه، وأضيقهم خلقاً :  
إذا قيل له غنّ ، يقول : ألمثل يقال هذا ؟ على عتق ربة إن غنيت يومي هذا  
فإن غنى وقيل له : أحسنت ، قال : المثل يقال أحسنت ؟ على عتق ربة إن غنيت  
سأر يومي هذا .

فطما كان في بعض الأيام سال وادي العقيق ، بخاء بالعجب ، فلم يبق بالمدينة  
مخبأة ولا شابة ولا شاب ولا كهل إلا خرج يبصره ، وكان فيمن خرج ابن عائشة  
المفني ، وهو متعجر<sup>(٢)</sup> بفضل ردائه ، فنظر إليه الحسن بن الحسن بن علي بن  
أبي طالب - وكان فيمن خرج إلى العقيق - وبين يديه أسودان كأنهما ساريتان يمشيان  
بين يديه أمام دابته ، فقال لهما : اذهبا إلى الرجل المتعجر بفضل ردائه فخذدا  
بضعيه<sup>(٣)</sup> ، فإن فعل ما أمره به ، وإن لا فاذدوا به في العقيق .  
فغضبا والحسن يقفواها ، فلم يشعر ابن عائشة إلا وما آخذان بضعيه ، فقال :  
من هذا ؟ فقال له الحسن : أنا هذا يا ابن عائشة ، قال : لبيك وسعدتك ! وبأبي  
أنت وأمي ! قال : اسمع مني ما أقول ، واعلم أنك مأسور في أيديهما ، فلن مائة  
صوت أو يطر حاك في العقيق ، وإن لم يفعل ذلك لأقطعن أيديهما !

\* العقد الفريد : ٤ - ١١٠

(١) هو محمد بن عائشة : من المقدمين في صناعة الغناء ، ووضع الألحان في المسر الأموي ، توفي  
نحو سنة ١٠٠ هـ . (٢) الاعتجار : لغ الماء . (٣) أخذ بضعيه : أى بضديه .

فصاح ابنُ عائشة : يا ويلَاه ! واعظيم مُصيّبتك ! قال : دعْ صيَاحَك ، وخذْ فِيهَا ينفعنا .

قال : اقترح ، وأقم منْ يحصى ؛ وأقبل يغنى ، فترك الناسُ العقيق ؛ وأقبلوا عليه ؟ فلما تَمَّتْ أصواته مائةَ كَبَرَ النَّاسُ بِلسان واحد تكبيرة واحدة ، ارتجَتْ لها أقطارُ المدينة ، وقالوا للحسن : صلى الله على روحك حيًّا وميتاً ! فما اجتمع لأهل المدينة سرورٌ قط إِلا بَكَمْ أهل البيت .

فقال له الحسن . إنما فعلتُ هذا بكَ يابنَ عائشة لأخلاقك الشِّكْسَة ، قال له ابن عائشة : والله ما مررت على مصيبة أعظم منها .  
فكان ابنُ عائشة بمد ذلك إذا قيل له : ما أَشَدُّ مَا مرَّ عليك ؟ قال : يوم العقيق .

## ١٢ — من أين صبك الله على \*<sup>\*</sup>

خرج ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد غناه :  
 أبدك مغلاً أرجو وحصناً قد آعنتي المعاقل والمحضون  
 فأطربَه ؛ فامر له بثلاثين ألف درهم وبمثل كارة القصار<sup>(١)</sup> كسوة .

فيينا ابن عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القرى كان يشتهي  
 الغناء ويشرب النبيذ ؟ فدنا من غلامه وقال : من هذا الراكب ؟ قال : ابن عائشة  
 اللغى ، فدنا منه وقال : جعلت فداءك ! أنت ابن عائشة أم المؤمنين ؟ قال : لا ،  
 أنا موالي لقريش ، وعائشة أمى ، وحسبك هذا ، فلا عليك أن تُكثر ؛ قال : وما  
 هذا الذي أرأه بين يديك من المال والكسوة ؟ قال : غنيمت أمير المؤمنين صوتاً  
 فأطربته فأمر لي بهذا المال وهذه الكسوة . قال : جعلت فداءك ؛ فهل تمن على  
 بأن تُسمى ما أسمنته إياه ؟ فقال له : ويلك أمثلي يتكلّم بمثل هذا في الطريق !  
 قال : فاصنع ؟ قال : الحقني بالباب .

وحرّك ابن عائشة بغلة شقراء كانت تحته لينقطع عنه ، فدأمه حتى  
 وافياً الباب كفرسي رهان ، ودخل ابن عائشة فشك طوبلا طمعاً في أن يضرج  
 فينصرف ؛ فلم يفعل ؛ فلما أعياه قال لغلامه : أدخله ، فلما دخل ، قال له : ويلك !  
 من أين صبك الله على ؟ قال : أنا رجل من أهل وادي القرى ، أشتتهي هذا

الفناء ؟ فقال له : هل لك فيما هو أفعع لك منه ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة أنواع تصرف بها إلى أهلك ؟ فقال له : جعلت فدامك ؛ والله إن لي لبنة ما في أدتها - علم الله - حلقه من الورق فضلا عن الذهب ، وإن لي لزوجة ، ما عليها - يشهد الله - قيس ؟ ولو أعطيني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الأئلة<sup>(١)</sup> والقر اللذين عرّفتكما ؛ وأضفت لي ذلك ، لكان الصوت أعمج إلى - وكان ابن عائشة تأثراً<sup>(٢)</sup> لا يغتلي إلا الخليفة أو الذي قدر جليل من إخوانه - فتعجب ابن عائشة منه ورحه ودعا بالأداة<sup>(٣)</sup> - وكان يغنى مرتجلان فنناه الصوت ؛ فطرب له طرباً شديداً ، وجعل يحرك رأسه حتى ظن أن عنقه سينقصف . ثم خرج من عنده .

وبلغ الخبر الوليد بن يزيد ، فسأل ابن عائشة عنه ، فجمل يغيب عن الحديث ؟ ثم جد الوليد به فصدقه عنه . وأمر بطلب الرجل فطلب حتى أحضر ؛ ووصله صلة سنية ، وجعله في ندائه ، ووكله بالستقى ، فلم يزل معه حتى مات .

---

(١) الحلة : الحاجة والخصامة . (٢) من التيه ، وهو الصلف والكبر . (٣) الأداة : آلة من آلات الفناء .

### \* ١٣ - ارجع إلى عملك راشداً

أتى رجلٌ من العراق للدِّيْنَةِ في طلبِ جارِيَةٍ - وُصِّفَتْ لَهُ - قارئَةٌ قوَّالَةٌ ؛  
فَسَأَلَ عَنْهَا فَوَجَدَهَا عَنْدَ قاضِي الدِّيْنَةِ ، فَأَتَاهُ وَسَأَلَهُ أَنْ يَعْرِضَهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ :  
يَا عَبْدَ اللَّهِ ، لَقَدْ بَعْدَتِ الشَّهَةُ فِي طَلَبِ هَذِهِ الْجَارِيَةِ فَإِنَّ رَغْبَتِكَ فِيهَا ؟ قَالَ : إِنَّهَا  
تُنْفَى فَجَيِّدٌ . قَالَ القاضِي : مَا عَلِمْتُ بِهَذَا ، فَأَلْمَحَ عَلَيْهِ فِي عَرْضِهَا ، فُعِرِّضَتْ  
بِحُضْرَةِ مُولَاهَا القاضِي . قَالَ لَهُ الْفَتِيْحُ : هَاتِي ، فَفَتَّ :

إِلَى خَالِدٍ حَتَّى أَنْخَنَ بِخَالِدٍ فَقَعَمَ الْفَتِيْحُ يُرْجِحُ وَنَعْلَمُ الْمُؤْمَلَ !  
فَفَرَحَ الْقاضِي بِجَارِيَتِهِ ، وَسَرَّ بِفَنَائِهَا ، وَغَشِّيَهُ مِنَ الْطَّرَبِ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَقَالَ :  
هَاتِي شَيْئًا بَأْبَى أَنْتَ ؟ فَفَتَّ :

أَرْوَحْ إِلَى الْقُصَاصِ<sup>(١)</sup> كُلَّ عَشِيهِ أَرْجِيْ نَوَابَ اللَّهِ فِي عَدَدِ الْخُطَاطِ  
فَزَادَ الْطَّرَبُ عَلَى الْقاضِي ، وَلَمْ يَدْرِ مَاذَا يَصْنَعُ ، فَأَخْذَ نَعْلَهُ فَعَلَقَهَا فِي أَذْنِهِ ، وَجَنَّا  
عَلَى رَكْبَتِهِ ، وَجَعَلَ يَأْخُذُ بِطَرْفِ أَذْنِهِ ، وَالنَّعْلُ مَعْلَةٌ فِيهَا وَيَقُولُ : اهْدُونِي إِلَى  
الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، فَإِنِّي بَدَنَةٌ<sup>(٢)</sup> ! حَتَّى أَدْمَى أَذْنِهِ !

فَلَمَّا أَمْسَكَتْ أَقْبَلَ عَلَى الْفَتِيْحِ قَالَ : انْصِرْفْ ! قَدْ كَنَّا فِيهَا رَاغِبِينَ قَبْلَ أَنْ  
نَلْمَ أَنْهَا تَقُولَ ، فَنَحْنُ الْآنَ فِيهَا أَرْغَبُ . فَانْصِرْفْ الْفَتِيْحُ .

\* المسعودي : ٢ - ١٧٠

(١) القصاص : جمع قاص ، وكانوا يجلسون في صدر الإسلام في المساجد يفصلون ما في كتاب الله  
من قصص الأنبياء ، ابقاء العبرة . (٢) البدنة : من الإبل والبقر ماتهدي إلى مكة .

وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : قاتله الله ! لقد استرقَّه الطرب ، وأمر بصرْفِه عن عمله .

فَلَمَا صُرِفَ قَالَ : لَوْ سَمِعَهَا عَمْرٌ قَالَ : إِنْ كَبُونِي فَإِنِّي مُطْبِةٌ

فبلغ ذلك عمر ، فأشْخَصَ<sup>(١)</sup> القاضي والجارية ؟ فلما دخلَاه عليه قال : أعد ما قلت أقال : نعم ! فأعاد ما قال ، فقال للجارية : قولى ؟ ففتت<sup>(٢)</sup> :  
كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَّوْنِ<sup>(٣)</sup> إِلَى الصَّفَّا أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ  
بَلِي ! نَحْنُ كَنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صَرْفُ الْبَيْسَالِي وَالْجَدُودُ الْعَوَاثُورُ  
فَافْرَغْتُ مِنَ الشِّعْرِ حَتَّى طَرَبَ عُمَرُ طَرَبًا يَبْنَا ، وَأَقْبَلَ يَسْتَعِيدُهَا ثَلَاثًا ،  
وَقَدْ بَلَّتْ دَمْوَعُهُ لَحِيَتِهِ ، نَعَمْ أَقْبَلَ عَلَى القاضي ، فقال : ارْجِعْ إِلَى عَمَّلَكَ رَاشِدًا !

---

(١) أَشْخَصُ : الشَّخُوصُ : السِّيرُ مِنْ بَلْدِهِ إِلَى بَلْدِهِ : (٢) قَاتِلُ الْبَيْتَيْنِ : عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ بْنُ مَضَانِ  
ابْنِ عَمْرُو بْنَ أَنَسٍ عَلَى الْبَيْتِ . (٣) الْمَعْوُنُ : جَبَلٌ بِمَكَّةِ .

## ١٤ - الأحوص يحتال حتى تسمع سلامة غناء الغريض \*

وَجَهْ يَزِيدُ<sup>(١)</sup> بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْأَحْوَصِ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ  
الْغَرَيْضُ<sup>(٢)</sup> مَعَهُ ، قَالَ لَهُ : اخْرُجْ مَعِي حَتَّى أَخْذَ لَكَ جَائِزَةً أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَتُغْنِيَهُ  
فَإِنِّي لَا أَحْمِلُ إِلَيْهِ شَيْئًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْكَ ، نَفْرَاجًا .

فَلَمَّا قَدِمَ الْأَحْوَصُ عَلَى يَزِيدَ جَلَسَ لَهُ وَدَعَاهُ ؛ فَأَنْشَدَهُ مَدْأَعِيَ فَاسْتَحْسَنَهَا ،  
وَخَرَجَ مِنْ عَنْدِهِ ؛ فَبَعْثَتْ إِلَيْهِ سَلَامَةً جَارِيَةً يَزِيدَ بِالظَّافِرِ<sup>(٣)</sup> ؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : إِنَّ  
الْغَرَيْضَ عَنْدِي قَدِمْتُ بِهِ هَدِيَةً إِلَيْكَ . فَلَمَّا جَاءَهَا الجَوابُ اشْتَاقَتْ إِلَى الْغَرَيْضِ  
وَإِلَى الْاسْمَاعِ مِنْهُ .

فَلَمَّا دَعَاهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَمَارَضَتْ وَبَعْثَتْ إِلَى الْأَحْوَصَ : إِذَا دَعَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ  
فَاحْتَلْ لَهُ فِي أَنْ تَذَكِّرَ لَهُ الْغَرَيْضَ .

فَلَمَّا دَعَا يَزِيدَ الْأَحْوَصَ قَالَ لَهُ يَزِيدُ : وَيَحْكُ يَا أَحْوَصَ ! هَلْ سَمِعْتَ شَيْئًا فِي  
طَرِيقِكَ نُطْرِفُنَا بِهِ ! قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ مَرَرْتُ فِي بَعْضِ الْطَّرِيقِ فَسَمِعْتُ  
صَوْتًا أَعْجَبَنِي حُسْنُهُ وَجُودَهُ شِعْرَهُ ؛ فَوَقَفْتُ حَتَّى اسْتَقْصَيْتُ خَبَرَهُ ، فَإِذَا هُوَ  
الْغَرَيْضُ ، وَإِذَا هُوَ يَغْنِي بِأَحْسَنِ صَوْتٍ وَأَشْجَابَهِ .

أَلَا هاجَ الشَّذَّكُرُ لِسَقَاماً وَنُكْسَـ<sup>(١)</sup> الْدَاءُ وَالوَجَعُ الْفَرَاماً<sup>(٢)</sup>  
 سَلَامَةُ إِنْـ<sup>(٣)</sup> اهْتَى وَدَائِي وَشَرُّ الدَاءِ مَا بَطَنَ الظِّيَاماً<sup>(٤)</sup>  
 فَلَتُلْهِـ<sup>(٥)</sup> لَهُ - وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَجْرِي عَلَى الْخَدَيْنِ أَرْبَعَةَ سِجَامَـ<sup>(٦)</sup>:  
 عَلَيْكَ هَــا السَّلَامُ فَنِــ لِصَبَرَ بَيْتُ الْيَــلِ يَهْذِي مُسْتَهَماً  
 قَالَ يَزِيدُ: وَبِكَ يَا أَحْوَصَ أَنَا ذَاكَ فِي هَوَى خَلِيلِي ، وَمَا كُنْتُ أَحْسَبَ  
 مِثْلَ هَــا يَتَقْفِقُ ، وَإِنَّ ذَاكَ لَمَا يَزِيدَ طَافَ قَابِي . فَمَا صَنَعْتَ يَا أَحْوَصَ حِينَ سَمِعْتَ  
 ذَاكَ ! قَالَ : سَمِعْتُ مَا لَمْ أَسْمِعْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْسَنَ مِنْهُ ، فَمَا صَبَرْتُ حَتَّى  
 أَخْرَجْتُ الْفَرِيْضَ مَعِي وَأَخْفَيْتُ أُمْرَهُ ، وَعَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُنِي عَمَارَأْتُ  
 فِي طَرِيقٍ .

قَالَ لَهُ يَزِيدُ: ائْتَنِي بِالْفَرِيْضِ لِيَلَــا وَأَخْفِــ أُمْرَهُ ؟ فَرَجَعَ الْأَحْوَصُ إِلَى مَنْزِلِهِ،  
 وَبَعْثَ إِلَى سَلَامَةَ بِالْخَبَرِ . قَالَتْ لِلرَّسُولِ: جُزِيْتَ خَيْرًا . قَدْ اتَّهَى إِلَى كُلِّ  
 مَا قَلْتَ ، وَقَدْ تَلَطَّفْتَ وَأَحْسَنْتَ .

فَلَمَّا وَارَى الْلَّيْلَ أَهَــ لَهُ بَعْثَ إِلَى الْأَحْوَصَ أَنْ عَجَلَ الْجَيْــ إِلَى مَعِ  
 ضِيفِكَ .

فَجَاءَ الْأَحْوَصُ مَعَ الْفَرِيْضِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ : غَنِــي الصَّوْتُ الَّذِي أَخْبَرَنِي  
 أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْكَ - وَكَانَ الْأَحْوَصُ قدْ أَخْبَرَ الْفَرِيْضَ بِالْخَبَرِ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ شِعْرٌ قَالَهُ  
 الْأَحْوَصُ يَرِيدُ أَنْ يَحْرِكَهُ بِهِ عَلَى سَلَامَةَ ، وَيَحْتَالُ لِلْفَرِيْضِ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ -

(١) النــكس : عود المرض بعد النقــه . (٢) البــرام : الملازم الشــديد . (٣) بطــن : دخل .

(٤) يَرِيدُ الْمُعَاطِفِينَ وَالْمُوقِنِينَ لِلْمُبَيِّنِينَ .

فَلَمَّا غَنَّاهُ الْغَرِيبُ دَعَتْ عَيْنُ يَزِيدَ، وَأَمْرَ بِإِحْضَارِ سَلَامَةَ فَخَرَّتْ، وَضُرِبَ  
لَهَا حِجَابٌ بَخْلَسَتْ، وَأَعْدَادُ عَلَيْهِ الْغَرِيبُ صَوْتٌ؛ قَالَتْ : أَحْسَنَ وَاللهَ  
يَا أَمِيرَ الْؤْمَنِينَ، فَأَسْمَعَهُ مِنِي . فَأَخْذَتِ الْمَوْدُ فَصَرَّبَهُ وَغَنَّتِ الصَّوْتُ، فَكَادَ  
يَزِيدَ يَطِيرُ فَرَحًا وَسُرُورًا، وَقَالَ : يَا أَحْوَصَ؛ إِنَّكَ لَمُبَارَكٌ! يَا غَرِيبَ؛ غَنَّى فِي  
لِيلَتِي هَذَا الصَّوْتُ، فَلَمْ يَزُلْ بِفَنِيهِ حَتَّى قَامَ يَزِيدَ وَأَمْرَ لَهَا بِمَالٍ، وَبَشَّتْ سَلَامَةُ  
إِلَيْهَا بِكُسْنَوَةٍ وَلَطَافَ كَثِيرٌ .

---

قال عبد الرحمن بن إبراهيم المخزوي : أرسلتني أبي وأنا غلام أسأل عطاء<sup>(١)</sup> بن أبي رباح عن مسألة ، فوجده في دارِ يقالُ لها دار المعلَى ، وعليه ملجمة معصفرة ، وهو جالس على منبر ، وقد ختنَ ابنه ، والطعامُ يوضع بين يديه ، وهو يأمرُ به أن يُفرق في الخلق ، فلهوتُ مع الصبيان ألعاب بالجوز حتى أكل القومُ وتفرقوا ، وبقي مع عطاء خاصته ، فقالوا : يا أبو محمد ، لو أذنت لنا ، فأرسلنا إلى الفريض وابن سُرِيج ! قال : ما شئتم . فأرسلوا إليهما ، فلما أتيَا قاموا معها ، وثبتَ عطاء في مجلسه فلم يدخل ، فدخلوا بهما بيتاً في الدار فغنّيَا وأنا أسمع ، فبدأ ابن سُرِيج فنقر بالدفَّ ، وتغنى بشعر كثير :

بلَلَى وجَارَاتِ لِيلَى كَانَهَا	نِعَاجُ الْمَلاَءِ <sup>(٢)</sup> تُحْدَى بِهِنَّ الْأَبَاعُرُ
أَمْنَقَطَعَ يَا عَزَّ مَا كَانَ يَبْنَا	وَشَاجِرُنِي يَاعْزَزَ فِيكَ الشَّوَّاجِرُ <sup>(٣)</sup>
إِذَا قِيلَ هَذَا يَدِتُّ عَزَّةَ قَادَنِي	إِلَيْهِ الْهَوَى وَاسْتَعْجَلَنِي الْبَوَادِرُ <sup>(٤)</sup>
أَصَدُّ وَبِي مِثْلُ الْجَنُونِ لِكِي يَرَى	رُوَاهُ الْخَنَّا أَنِي لِبَيْتِكِ هَاجِرُ
أَلَا لَيْتَ حَظِّي مِنْكَ بَا عَزَّ أَنِي	إِذَا بَنْتِ بَاعَ الصِّيرَلِي عَنْكِ تَاجِرُ

(١) هو عطاء بن أسلم بن صفوان . تابعى من أجياله الفقهاء ، ولد فى العين ، ونشأ بمكة ، فسكن مفتى أهلها ومحظهم ، وتوفى فيها سنة ١١٥ هـ . (٢) الملا : الصحراء . (٣) الشواجر : جمع شاجر ؛ شجرة عن الأمر : صرفه عنه . (٤) البوادر : الدموع .

فَكَانُ الْقَوْمُ نَزَلَ عَلَيْهِمُ السُّبَابَاتِ، وَأَدْرَكُوهُمُ النَّفْشُ، فَكَانُوا كَالْأَمْوَاتِ،  
ثُمَّ أَضْعَوْا إِلَيْهِ بَآذَانِهِمْ، وَسَخَّنَتْ إِلَيْهِ أَعْيُنِهِمْ، وَطَالَتْ أَعْنَاقُهُمْ. ثُمَّ غَنِيَ ابْنُ  
سُرْبِيجَ وَوَقَعَ بِالْقَضِيبِ، وَأَخْذَ الْغَرِيبَضَ الدَّفَ، فَغَنِيَ بِشَعْرِ الْأَخْطَلِ :

فَقَلْتُ أَصْبَحَوْنَا<sup>(١)</sup> لَا أَبَا لِأَيْكُمْ وَمَا وَضَعُوا الْأَقْتَالَ إِلَّا لِيَفْعَلُوا  
وَقَاتُ : أَفْتَلُوهَا<sup>(٢)</sup> عَنْكُمْ بِعَزَاجِهَا فَأَكْرِمْ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلَ  
أَنَّا خُوا فَجَرُوا شَاصِيَاتِ<sup>(٣)</sup> كَاهِنَاهَا رَجَالُونَ مِنَ السُّودَانَ لَمْ يَنْسَرُ بَلُوا  
فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُمْ تَحْرِكُوا وَلَا نَطَقُوا إِلَّا مُسْتَعْدِينَ لِمَا يَقُولُ .

ثُمَّ غَنِيَ الْغَرِيبُ بِشَعْرِ آخَرَ؛ وَهُوَ :

مَلْ تَعْرِفُ الرِّسَمَ وَالْأَطْلَالَ وَالدَّمَنَا زِدْنَ الْفَوَادَ عَلَى مَا عِنْدَهُ حَزَنَا  
دَارَ لِأَسْمَاءِ إِذْ كَانَتْ تَحْلُّ بِهَا وَإِذْ تَرَى الْوَصْلَ فِيمَا بَيْنَنَا حَسَنَا  
إِذْ تَسْتَبِيَكَ بِمَصْقُولِ عَوَادِضَهُ<sup>(٤)</sup> وَمُقْلَقَيَ جُؤَذَرِ لِمَ يَعْدُ أَنْ شَدَنَا  
ثُمَّ غَنِيَ الْغَرِيبُ فِي شَعْرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رِبِيعَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

كَفِيَ حَزَنًا أَنْ تَجْمَعَ الدَّارُ شَمَلَنَا وَأَمْسِيَ قَرِيبًا لَا أَزُورُكَ كُلَّ شَمَّا  
دَعِيَ الْقَلْبَ لَا يَزَدْ دَخْبَالًا مَعَ الذِّي  
بِهِ مِنْكَ أَوْ دَارِيَ جَوَاهَ الْمَكْتَنَّا  
وَمَنْ كَانَ لَا يَعْدُو هَوَاهُ لَسَانَهُ  
قَدْ دَحَلَ فِي قَلْبِي هَوَاكَ وَخَيْبَانَهُ  
وَلَكْنَهُ قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالدَّمَانَهُ  
وَلِيُسْ يَتَزَوِيقَ<sup>(٥)</sup> الْلَّسَانَ وَصَوْنَهُ

(١) أَصْبَحُونَا : ابْتَدَأُونَا بِالصِّبْوَحِ، وَهُوَ مَا يَشْرَبُ فِي الْفَدَاءِ إِلَى الْفَائِلَةِ . (٢) قَلْ الخَرِ :

مِنْ جَهَا بِالْمَاءِ . (٣) الشَّاصِيَاتُ : الرِّفَاقُ لِلْمَلَوَّهُ الشَّائِلَهُ التَّوَامُ . (٤) الْمَوَارِضُ : الشَّايَا ، أَوْ  
هُنَّ الْأَسْنَانُ الَّتِي تَبَدُّو مِنَ الْفَمِ عَنْدِ الْفَحْكَ . (٥) التَّرْزِيقُ : التَّحْسِينُ وَالتَّزِينُ .

قال الراوى : وما زالا يُفْنِيَان وعطاه يسمع على منبره ومكانه ، وربما رأيت  
رأسه قد مال وشققته تتحرّك حتى بلغته الشمس ، فقام يردد منزله ، فاسمع  
السامعون شيئاً أحسن منها ، وقد رفعوا أصواتهما ، وفنيا .

ولما بلغت الشمس عطاء قام وهم على طريقة واحدة في الغناء ، فاطلع في كُوَّةِ  
البيت ، فلما رأوه قالوا : يا أبا محمد ؟ أيهما أحسن غناء ؟ قال : الرقيق الصوت .  
يعنى ابن سرّيج ا

## ١٦ - يضطرب حين سمع الغناء\*

أقِ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ ابْنَ سُرِيجَ<sup>(١)</sup> بَذِي طُوَّى<sup>(٢)</sup> ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ مَصْبَقَةَ ،  
وَفِي يَدِهِ جَرَادَةٌ مَسْدُودَةٌ الرَّجُلُ بَخِيطٌ يَطِيرُهَا وَيَجْذِبُهَا بِهِ كَلَّمَا تَخَلَّفَتْ ، قَالَ لَهُ  
عَطَاءٌ : يَا فَتَانٌ ؟ أَلَا تَكْفُ عِمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ ! كَفِي اللَّهُ النَّاسَ مَثُونَتَكْ . قَالَ لَهُ  
ابْنُ سُرِيجٍ : وَمَا عَلَى النَّاسِ مِنْ تَلْوِينِ ثِيَابِي وَلَعْبِي بِجَرَادَتِي ؟ قَالَ لَهُ : تَفْتَنُهُمْ  
بِأَغْنَانِكَ الْخَبِيثَةِ ، قَالَ لَهُ ابْنُ سُرِيجٍ : سَأَلُوكَ بِحَقِّ مَنْ تَبَعَّتَهُ مِنْ أَصْحَابِ  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِحَقِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَّا مَا سَمِعْتَ  
مِنِي يَيْتَأً مِنَ الشِّعْرِ ، فَإِنْ سَمِعْتَ مِنِي مُنْكَرًا أَمْرَتَنِي بِالْإِمْسَاكِ عِمَّا أَنَا عَلَيْهِ ، وَأَنَا  
أَقْسَمُ بِاللَّهِ وَبِحَقِّ هَذِهِ الْبَيْنَةِ<sup>(٣)</sup> لَئِنْ أَمْرَتَنِي بَعْدَ اسْتِمَاعِكَ مِنِي بِالْإِمْسَاكِ عِمَّا أَنَا عَلَيْهِ  
لَا فَلَنَّ ذَلِكَ .

فَأَطْمَعَ ذَلِكَ عَطَاءٌ فِي ابْنِ سُرِيجٍ ، وَقَالَ : قُلْ ، فَانْدُفِعْ يَغْنِي بِشِعْرِ

جَرِيرٍ :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِلِيلِكَ غَادُوا وَشَلَّا<sup>(٤)</sup> بِعِينِكَ لَا يَزَالُ مَعِينًا<sup>(٥)</sup>

\* الأغاني: ١ - ٥٦ ، نهاية الأرب: ٤ - ٢٤٥

(١) هو عبد بن سريح ، كان من أحسن الناس غناء ، وهو أول من ضرب بالعود على الغناء العربي عسكنا ، انقطع إلى عبد الله بن جعفر ، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك .

(٢) ذو طوى : موضع عسكة . (٣) البينة : الكعبة . (٤) الوشن : الدعم الكبير .

(٥) المدين : الجارى السائل .

غَيْضَنَ مِنْ عَبَرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتُ مِنْ الْمَوْى وَلَقِينَا  
فَلَمَّا سَمِعْ عَطَاءَ الْفَنَاءِ اضْطَرَبَ اضْطَرَابًا شَدِيدًا وَدَخَلَهُ أَرِيمَةً، خَلَفَ أَلَّا يَكُلُّ  
أَحَدًا بَقِيَّةً يَوْمَهُ إِلَّا بِهَذَا الشِّعْرِ، وَصَارَ إِلَى مَكَانِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَكَانَ  
كُلُّ مَنْ يَأْتِيهِ سَائِلًا عَنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ أَوْ خَبْرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ، لَا يَجِدُهُ إِلَّا بِأَنْ  
يَضْرِبَ إِحْدَى يَدِيهِ عَلَى الْأُخْرَى، وَيَنْشِدُ هَذَا الشِّعْرَ حَتَّى صَلَى الْمَغْرِبُ، وَلَمْ يَعَاوِدْ  
ابْنَ سُرَيْجَ بَعْدَهَا وَلَا تَرَأَضَ لَهُ.

## ١٧ - فِي قَصْرِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ \*

اشتاقَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ إِلَى مَعْبُدٍ<sup>(١)</sup> ، فَوَجَهَ إِلَيْهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَخْضَرَ ، وَبَلَغَ الْوَلِيدَ  
قَدْوَمُهُ ؛ فَأَمْرَرَ يَزِيدَ كَتَهْ بَيْنَ يَدَيْهِ جَمِيلَهِ فَمُلْتَثَّ مَاءً وَرَزِيدٌ قدْ خَلَطَ بَهْسَنْكَ وَزَعْفَرَانَ ، ثُمَّ  
فُرِشَ لِلْوَلِيدِ فِي دَاخْلِ الْبَيْتِ عَلَى حَافَّةِ الْبَرَكَةِ ، وَبِسْطٌ لِمَعْبُدِهِ مُقَابِلَهُ عَلَى حَافَّةِ الْبَرَكَةِ ،  
لِيُسْتَعْظِمَ مِنْهَا ثَالِثٌ ، وَجَيَّبَ مَعْبُدُهُ فَرَأَى سِتْرًا مُرْخَى وَمُجَاسَّرًا جَلَّ وَاحِدًا ، قَالَ لَهُ  
الْحُجَّابُ : يَا مَعْبُدُ ؟ سَلَّمَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاجْلَسَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَسَلَّمَ فَرَدٌ عَلَيْهِ  
الْوَلِيدُ السَّلَامَ مِنْ خَافِ السُّرْتِ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ : حَيَّاكَ اللَّهُ يَا مَعْبُدُ ! أَنْتَ رَدِي لِمَ وَجَهْتُ  
إِلَيْكَ ؟ قَالَ : اللَّهُ أَعْلَمُ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : ذَكْرُكَ تُكَفَّرُ فَأَحْبَيْتَ أَنْ أَسْعَمَ مِنْكَ .

قَالَ مَعْبُدُ : أَلْغَنَّى مَا حَضَرَ أَمْ مَا يَقْرَرُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : بَلْ غَنَّى :

مَا زَالَ يَعْدُو عَلَيْهِمْ رَبِيبُ دَهْرِهِمْ      حَتَّى تَفَانَوا وَرَبِيبُ الدَّهْرِ عَدَّاهُ

أَبْسَكَى فِرَاقُومُ عَيْنِي وَأَرْقَمُهَا      إِنَّ التَّفْرِقَ لِلأَحْبَابِ بِكَاهِ

فَنَاهَ ، فَما فَرَغَ مِنْهُ حَتَّى رَفَعَ الْجَوَارِيَ السَّجْفَ<sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ خَرَجَ الْوَلِيدُ فَأَلْقَى نَفْسَهُ

فِي الْبَرَكَةِ فَهَاصَ فِيهَا ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا فَاسْتَقْبَلَهُ الْجَوَارِيَ بِثَيَابٍ غَيْرِ الثِّيَابِ الْأُولَى ،

ثُمَّ شَرَبَ وَسَقَى مَعْبُدًا ، ثُمَّ قَالَ : غَنَّى يَا مَعْبُدُ :

يَارَبُّ مَالِكٍ لَا تُحِبِّبُ مَقِيمًا      قَدْ عَاجَ<sup>(٣)</sup> نَحْوَكَ زَائِرًا وَمُسْلِمًا

\* الأغاني : ١-٥٣

(١) هو معبد بن وهم ، خلف المتنين ، وإمام أهل المدينة في النساء ، اشتغل في أول أمره بالتجارة ، وروعى الفن ، واختلط إلى نشيط الفارسي وسائل خاير . مولى عبد الله بن جعفر حتى لشهر بالحق وحسن النساء وطيب الصوت ، مات بدمشق في أيام الوليد بن يزيد .

(٢) السجف : السترة . (٣) عاج : مال .

جادلَكَ كُلُّ سَحَايِهِ هَطَالَهِ حَتَّى تُرَى عَنْ زَهْرَةِ مُتَبَّسِّمًا  
لَوْكَنْتَ تَدَرِّي مَنْ دَعَاكَ أَجْبَتَهُ وَبَكَيْتَ مِنْ حُرُقٍ عَلَيْهِ إِذَنْ دَمًا  
فَنَاهَ؛ وَأَقْبَلَ الْجَوَارِي فِرَقَنَ السُّتُّرَ، وَخَرَجَ الْوَلِيدُ فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَرَكَةِ فَقَاصَ  
فِيهَا ثُمَّ خَرَجَ، فَلَبِسَ ثِيَابًا غَيْرَ تِلْكَ، ثُمَّ شَرِبَ وَسَقَى مَعْبُدًا، ثُمَّ قَالَ لَهُ : غَنَتِي .  
قَالَ : بِمَاذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ : غَنَتِي :

عَجِبَتْ لَمَا رَأَتِنِي أَنْدَبُ الرَّبِيعَ الْمُحِيلَ<sup>(١)</sup>  
وَاقْفَأَ فِي الدَّارِ أَبْكَى لَا أُرَى إِلَّا طَلَوْلَا  
كَيْفَ تَبْكِي لِأَنَّاسٍ لَا يَلَوْنَ الدَّمِيلَ<sup>(٢)</sup>  
كَمَا قَلَّتْ اطْمَانَتْ دَارُهُمْ قَالُوا الرَّحِيلَا

فَلَمَّا غَنَّاهُ رَمَى بِنَفْسِهِ فِي الْبَرَكَةِ ثُمَّ خَرَجَ فَرَدُّوا عَلَيْهِ ثِيَابَهُ، ثُمَّ شَرِبَ وَسَقَى  
مَعْبُدًا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الْوَلِيدُ قَالَ لَهُ : يَا مَعْبُدَ؛ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَزْدَادَ عَنْدَ الْمُلُوكِ حُظْوَةً  
فَلِيَكُمْ أَسْرَارَهُمْ، قَلْتَ : ذَلِكَ مَا لَا يَحْتَاجُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى إِيَصَائِيَّ بِهِ، قَالَ :  
يَا غَلامَ؛ احْمِلْ إِلَى مَعْبُدِي عَشَرَةَ آلَافَ دِينَارٍ تُحَصِّلْ لَهُ فِي بَلْدَهُ، وَأَلْفَيْ دِينَارٍ لِنَفْقَةِ  
طَرِيقِهِ، فَحُمِّلَتْ إِلَيْهِ كُلُّهَا، وَحُمِّلَ عَلَى الْبَرِيدِ مِنْ وَقْتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

(١) المُحِيلُ : الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ أَحْوَالُ فَقِيرِهِ . (٢) الدَّمِيلُ : السِّيرُ الْبَنِينُ .

قال معبد : غَنِيْتُ فَأَعْجَبَنِي غَنَّاً ، وَأَعْجَبَ النَّاسَ ، وَذَهَبَ لِي بِهِ صِيتُ<sup>\*</sup>  
وَذِكْرٌ ، قَلْتَ : لَا تَنِينَ مَكَةَ فَلَا تَمَعَنَّ مِنَ الْفَنَّانِ بِهَا ، وَلَا غَنِيْنَهُمْ ، وَلَا تَعْرَفَنَّ  
إِلَيْهِمْ .

فَابْتَعَتْ حَارَّاً ، نَخْرَجْتُ عَلَيْهِ إِلَى مَكَةَ ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا بَعْتُ حَارَّى ، وَسَأَلْتُ  
عَنِ الْمَغْنِينَ : أَيْنَ يَجْتَمِعُونَ ؟ فَقَيْلَ : بَقِيقَانَ<sup>(١)</sup> ، فِي بَيْتِ فَلَانَ .

فَجَئْتُ إِلَى مَنْزَلِهِ بِالْفَلَّسِ<sup>(٢)</sup> ، فَقَرَعْتُ الْبَابَ ، قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَلْتَ :  
أَنْظُرْ عَافَاكَ اللَّهُ ؎ فَدَنَا وَهُوَ يَسْبِحُ وَيَسْتَعِيدُ كَأَنَّهُ يَخَافُ ، فَفَتَحَ ، قَالَ : مَنْ أَنْتَ  
عَافَاكَ اللَّهُ ؎ قَلْتَ : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ . قَالَ : فَإِنْتَ مَنْ أَحْاجِنَكَ ؎ قَلْتَ : أَنَا رَجُلٌ  
أَشْتَهِي الْفَنَاءَ ، وَأَزْعَمُ أَنِّي أَعْرَفُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَقَدْ بَلَغْنِي أَنَّ الْقَوْمَ يَجْتَمِعُونَ عِنْدَكَ ،  
وَقَدْ أَحِبَّتِي أَنْ تُنْزَلَنِي فِي جَانِبِ مَنْزَلِكَ وَتُخْلَطَنِي بِهِمْ ، فَإِنَّهُ لَا مُثُونَةَ عَلَيْكَ  
وَلَا عَلَيْهِمْ .

فَلَوَى<sup>(٣)</sup> شَيْئًا ثُمَّ قَالَ : انْزَلْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . فَقَلْتَ مَتَاعِي فَنَزَلتَ فِي جَانِبِ  
حُجْرَتِهِ .

ثُمَّ جَاءَ الْقَوْمُ حِينَ أَصْبَحُوا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا فَأَنْكَرُونِي، وَهُوَ لَوْا :

مَنْ هَذَا الرَّجُلُ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ضَيْفٌ يَشْتَهِي الْفَنَاءَ، وَيَطْرُبُ عَلَيْهِ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ عَنَاءٌ وَلَا مَكْرُوهٌ. فَرَحْبَوْا بِهِ وَكَلَّمُوهُ، ثُمَّ انبَسَطُوا وَأَشْرَبُوا وَغَنَّوْا، فَجَعَلُتُ أَعْجَبَ بُنَائِهِمْ وَأَظْهَرَ ذَلِكَ لِمَمْ، وَيَمْجِهُمْ مِنْهُ حَتَّى أَقْنَا أَيَامًا، وَأَخْذَتُ مِنْ غَنَائِهِمْ - وَهُمْ لَا يَدْرُونَ - أَصْوَاتِهِمْ وَأَصْوَاتِهِمْ وَأَصْوَاتِهِمْ؛ ثُمَّ قَلَتْ لَابْنِ سُرَيْحٍ: أَمْسِكْ عَلَى صَوْتِكَ:

قَلْ لِهِنْدٍ وَرِزْبَهَا<sup>(١)</sup> قَبْلَ شَحْطٍ<sup>(٢)</sup> النَّوَى غَدَا

إِنْ تَجْمُودِي فَطَالِمَا بَتْ لِيلى مُسَهَّدا

قال: أو تحسن شيئاً؟ قلت: تنظر<sup>(٣)</sup>، وعسى أن أصنع شيئاً، واندفعت فيه فتنيته؛ فصالح وصالحوا، وقالوا: أحسنت! قاتل الله! قلت: فأمسك على صوت كذا؛ فأمسكوه على فتنيته؛ فازدادوا عجباً وصياحاً، فما تركت واحداً منهم إلا غنيمه من غنائهم أصواتاً قد تخبر بها؛ فصالحوا حتى علت أصواتهم، وهرقوبي<sup>(٤)</sup>، وقالوا: لأنك أحسن بأداء غنائنا عننا مينا. قلت: فأمسكوا على ولا تضحكوا<sup>(٥)</sup> بي حتى تسمعوا من غنائي. فأمسكوا على فتنيت صوتاً من غنائي، فصالحوا بي، ثم غناتهم آخر وآخر؛ فونبوا إلى وقالوا: نخلف بالله إن لك لصيتا واسماً وذكراً، وإن لك فيما هنا<sup>(٦)</sup> لبعدها عظيماً، فمن أنت؟ قلت: أنا معبد؛ فقبلوا رأسى، وقالوا: لفقت<sup>(٧)</sup> علينا وكنا تهاون بـك، ولا ندعك شيئاً، وأنت أنت! فلقت عندهم شهراً آخذ منهم ويأخذون مني، ثم انصرفت إلى المدينة.

(١) الترب: اللدة، وهو من يقاتل في سنك. (٢) الشحط: البند، والشعر لعمر بن أبي دريعة. (٣) تنظر: تأن وتبث. (٤) هرق به: مدح حتى جاوز القدر في الثناء والإطراء. (٥) ضحك به ومنه بمعنى. (٦) سهبا: نصبا. (٧) لفقت علينا: أى سرت علينا أمرك.

## ١٩ — مَعْبُدُ السَّفِينَةِ \*

كان مَعْبُدَ قد عَلِمَ الْفِنَاءَ جَارِيَةً مِنْ جُوَارِيِّ الْحِجَازِ تَدْعُ خَلْبَيَةً، وَعُنِيَّ بِتَخْرِيجِهَا؛ فَاشْتَرَاهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعَرَاقِ، فَأَخْرَجَهَا إِلَى الْبَصَرَةِ، وَبَاعَهَا هُنَاكَ، فَاشْتَرَاهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَازِ فَأَعْجَبَ بِهَا، ثُمَّ ماتَ بَعْدَ أَنْ أَقَامَتْ عَنْهُ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ، وَأَخْذَ جَوَارِيَهُ أَكْثَرَ غَنَائِمَهَا، فَكَانَ لَحْبَتُهُ إِلَيْهَا وَأَسَفَهُ عَلَيْهَا لَا يَرَالُ يَسَالُ عَنْ أَخْبَارِ مَعْبُدٍ وَأَيْنَ مُسْتَقْرَئٌ؟ وَيُظْهِرُ التَّعَصُّبَ لِهِ وَالْمُيلِ إِلَيْهِ، وَالْتَّقْدِيمَ لِغَنَائِمِهِ عَلَى سَائِرِ أَغَانِيِّ أَهْلِ عَصْرِهِ إِلَى أَنْ عَرَفَ ذَلِكَ مِنْهُ.

وَبَلَغَ مَعْبُدًا خَبْرُهُ، فَخَرَجَ مِنْ مَكَةَ حَتَّى أَتَى الْبَصَرَةَ، فَلَمَّا وَرَدَهَا صَادَفَ الرَّجُلَ، وَقَدْ خَرَجَ عَنْهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْأَهْوَازِ، فَأَكْتَرَى سَفِينَةً، وَجَاءَ مَسْدِيدٌ يَتَمَسَّ سَفِينَةً يَنْتَهِرُ فِيهَا إِلَى الْأَهْوَازِ، قَلَمْ يَجِدُ غَيْرَ سَفِينَةِ الرَّجُلِ، وَلَيْسَ يَعْرِفُ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَأَمَرَ الرَّجُلُ الْمَلَاحَ أَنْ يَجْلِسَهُ مَعَهُ فِي مَوَّخَرِ السَّفِينَةِ، فَقَطَّعُوا وَانْحَدَرُوا.

فَلَا صَارُوا فِي فَمِ نَهْرِ الْأَبْلَةِ<sup>(١)</sup> تَنَدَّوَا وَشَرَبُوا، وَأَمْرَ جَوَارِيِّ فَنَّيْنِ، وَمَعْبُدٌ سَاكِنٌ، وَهُوَ فِي ثِيَابِ السَّفَرِ، وَعَلَيْهِ فَرُوشٌ وَخُفَّانٌ غَلِيظَانٌ وَزِيَّ جَافٍ مِنْ زِيَّ أَهْلِ الْحِجَازِ، إِلَى أَنْ غَنَّتْ إِحدَى الْجَوَارِيِّ أَهْلَ الْحِجَازِ، بَانَتْ سُعَادٌ وَأَمْسَى حَبْلُهَا اِنْصَرَمًا وَاحْتَلَتِ الْفَوْرَ وَالْأَجْرَاعَ مِنْ إِضَمَا<sup>(٢)</sup>.

\* الأغاني : ١ - ٤٨

(١) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة . (٢) النور: المعلم من الأرض ، والأجراع : جم جرع ، وهو مفرد أو جم جرعاً ، وهي الرملة الطيبة المتبتلة ووعنة فيها ، ولضم : واد يجبل تهامة ، وهو الوادي الذي فيه المدينة ، والشعر للنايفة .

إِحْدَى بَلَىٰ وَمَا هَامُ الْفَوَادُ بَهَا إِلَّا السَّفَاهَ وَإِلَّا ذِكْرَةَ حُلْمًا<sup>(١)</sup>  
 فَلَمْ تُجِدْ أَدَاءَهُ، فَصَاحَ بِهَا مَعْبُدُهُ: يَا جَارِيَةً! إِنْ غَنَاءَكَ هَذَا لَيْسَ بِمُسْتَقِيمٍ. قَالَ لَهُ  
 مُولَاهَا - وَقَدْ غَضِبَ: وَأَنْتَ مَا يُدْرِيكَ الْفَنَاءَ مَا هُوَ! أَلَا تُمْسِكُ وَتَلْزِمُ شَأْنَكَ!  
 فَأَمْسَكَ.

ثُمَّ غَنَتْ أَصْوَاتًا مِنْ غَنَاءِ غَيْرِهِ، وَهُوَ سَاكِنٌ لَا يَقْتَلُمُ، حَتَّىٰ غَنَتْ:  
 يَا بَنَةَ الْأَزْدِيِّ قَلْبِي كَثِيرٌ مُسْتَهَمٌ عِنْدَهَا مَا يُنْبِيُ  
 وَلَقَدْ لَامَوْا قَلْتَ: دَعْوَنِي إِنْ مِنْ تَهْوَنَ عَنْهِ حَبِيبُ  
 إِنَّمَا أَبْلَى عَظَامِي وَجَسْمِي حَبْهَا، وَالْحُبُّ شَيْءٌ عَجِيبٌ  
 أَيْهَا الْمَاعِبُ عِنْدِهِ هُوَهَا أَنْتَ تَقْدِيرِي مِنْ أَرْاكَ تَعَيِّبُ  
 فَأَخْلَقْتَ بِيَعْصِيهِ؛ قَالَ لَهَا مَعْبُدُهُ: يَا جَارِيَةً! لَقَدْ أَخْلَقْتَ بِهَا الصَّوْتَ إِخْلَالًا  
 شَدِيدًا؛ فَغَضِبَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُ: وَيْلَكَ! مَا أَنْتَ وَالْفَنَاءُ! أَلَا تَكْفَ عنْ هَذَا  
 الْفُضُولِ! فَأَمْسَكَ وَغَنَى الْجَوَارِيَ مَلِيَا؛ ثُمَّ غَنَتْ إِمْدَاهَنِ:  
 خَلِيلٌ عَوْجَانٌ فَابْكِيَا سَاعَةً مَعِي عَلَى الرَّبْعِ تَقْضِي حَاجَةَ وَنُودَعِ  
 لَعْزَةَ لَاحْتَلِي بِيَدِهِ بَلْقَعَ ولا تَعْجِلْلَافِي أَنْ أَلِمَ بِدِمْنَةَ  
 وَقُوَّلَا لَقْبِيْ قَدْ سَلَا: رَاجِعُ الْمَوْى  
 فَلَا يَعْيَشَ إِلَّا مِثْلُ عِيشِ مَفَى لَنَا مَصِينَا أَقْمَنَا فِيْهِ مِنْ بَعْدِ مَرْبَعِ  
 فَلَمْ تَصْنَعْ فِيهِ شَيْئًا، قَالَ لَهَا مَعْبُدُهُ: يَا هَذِهِ! أَمَا تَقْوِيمِنَ عَلَى أَدَاءِ صَوْتٍ وَاحِدًا  
 فَغَضِبَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُ: مَا أَرْاكَ تَدْعُ<sup>(٢)</sup> هَذَا الْفُضُولُ بِوْجِيْ وَلَا حِيلَةَ، فَأَقْسَمَ بِاللهِ  
 لَئِنْ عَاوَدْتَ لِأَخْرَجَنَّكَ مِنِ السَّفِينَةِ!

(١) بَلِ: اسْمَ قَبْيَلَةٍ، وَالسَّفَاهَ: الطَّلَيْشُ، وَالذِّكْرَةَ - بِالْكَسْرِ وَالضمِّ: نَفِيسُ النَّسِيَانِ.

(٢) تَدْعُ: تَرْكُ

فأمسك معبد حتى إذا سكتت الجواري سكتة اندفع يغنى الصوت الأول حتى فرغ منه ؛ فصاح الجواري : أحسنت والله يا رجل ؟ فأعِدْه ، فقال : لا ، والله ولا كرامة ! ثم اندفع يغنى الثاني ، فقلن لسيدهن : ويهلك والله إِن هَذَا أَحْسَنُ النَّاسَمْ غَنَاءً ، فسَلَّهُ أَن يعيده علينا ولو مرة واحدة ، لعلنا نأخذه عنه ؛ فاِنْهَ إِنْ فَاتَنَا لَمْ يَجِدْ مِثْلَهُ أَبْدًا . فقال : قد سمعْنَ سُوءَ رَدَهُ عَلَيْكَنْ ، وأَنَا خَائِفٌ مِثْلَهُ مِنْهُ ، وقد أَسْلَفَنَا<sup>(١)</sup> الإِسَاءَةَ فَاصْبَرْنَ حَتَّى نُدَارِيَهُ . ثُمَّ غَنَى الثَّالِثُ ، فزَلَّ الْأَرْضُ ، فوَنَّبَ الرَّجُلُ وَقَبَلَ رَأْسَهُ ، وقال : يا سيدى ؟ أَخْطَلْنَا عَلَيْكَ وَلَمْ نَعْرِفْ مَوْضِعَكَ . فقال له : فَهِيَكَ لَمْ نَعْرِفْ مَوْضِعِي ، قَدْ كَانَ يَنْبَغِي لِكَ أَنْ تَنْتَهَيَ لَوْلَا سُوْءَ لِلْمِشْرَأَةِ وَجَفَاءَ الْقَوْلِ ! فقال له : قد أَخْطَلْتُ ، وأَنَا أَعْتَذُ إِلَيْكَ مَا جَرِيَ ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَنْزَلَ إِلَيَّ ، وَتَخْتَلِطَ بِي ، فقال له : أَمَا الآنَ فَلا .

فلم ينزل يرْتَفِقُ<sup>(٢)</sup> به حتى نزل إِلَيْهِ . فقال الرجل : من أَخْذَتْ هَذَا الْفَنَاءَ ؟ قال : من بعض أَهْلِ الْحِجَازِ ، فَنَّ أَيْنَ أَخْذَهُ جَوَارِيَكَ ؟ فقال : أَخْذَهُ عن جَارِيَةٍ كَانَتْ لِي ، ابْنَاعَهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنْ مَكَّةَ ، وَكَانَتْ قَدْ أَخْذَتْ عَنْ مَعْبُدٍ ، وَعَنِي بِتَخْرِيجِهَا<sup>(٣)</sup> ، فَكَانَتْ تَحْلِي مِنْ مَحْلِ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ ، ثُمَّ اسْتَأْتَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا ، وَبَقَى هُؤُلَاءِ الْجَوَارِيِّ وَهُنَّ مِنْ تَعْلِيمِهَا ، فَأَنَا إِلَى الْآنَ أَتَعَصَّبُ لِمَعْبُدٍ ، وَأَفْضَلُهُ عَلَى الْمَغْنِينَ جَمِيعًا ، وَأَفْضَلُ صَنْعَتِهِ عَلَى كُلِّ صَنْعَةٍ .

قال له معبد : أَوْ إِنْكَ لَأَنْتَ هُو ؟ أَفْتَرِنِي ؟ قال : لا . فَصَكَ<sup>(٤)</sup> معبد بِيده صَلْعَتَهُ ، ثُمَّ قال : فَأَنَا وَاللَّهِ مَعْبُدٌ ، وَإِلَيْكَ قَدَمْتُ مِنَ الْحِجَازِ ، وَوَافَيتُ الْبَصْرَةَ سَاعَةً

(١) أَسْلَفَنَا : قَدَمْنَا إِلَيْهِ . (٢) يَرْتَفِقُ بِهِ .

(٣) بِتَخْرِيجِهَا : بِتَدْرِيْجِهَا . (٤) صَكٌ : ضَرَبَ .

نزلت السفينة لأقصدك بالأهواز ؛ ووالله لا قَصْرَتُ فِي جوارِيك هؤلَاءِ، ولأجعلنَّ  
لَكَ فِي كُلِّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ خَلْفًا مِنَ الْمَاضِيَّةِ .

فَأَكَبَ الرَّجُلُ وَالجَوَارِي عَلَى يَدِيهِ وَرَجْلِيهِ يَقْبِلُونَهَا، وَيَقُولُونَ: كَتَمْتَنَا فَسْكَ  
طَوْلَ هَذَا الْوَقْتِ حَتَّى جَفَوْنَاكَ فِي الْخَاطِبَةِ، وَأَسْأَنَا عِشْرَتَكَ وَأَنْتَ سِيدُنَا وَمَنْ  
تَعْنِي عَلَى اللَّهِ أَنْ نَلْقَاهُ .

ثُمَّ غَيَّرَ الرَّجُلُ زِيَّهُ وَحَالَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ عَدَةَ خِلْمٍ وَأَعْطَاهُ ثَلَاثَةَ دِينَارٍ وَطَبِيبًا وَهَدَايَا  
بَيْنَهُمَا، وَانْدَرَ مَعَهُ إِلَى الْأَهْوَازِ، فَأَقَامَ عَنْهُ حَذْقَ جَوَارِيهِ مَا أَخْذَهُ عَنْهُ،  
ثُمَّ وَدَّعَهُ وَانْصَرَفَ إِلَى الْحِجَازِ .

---

## ٢٠ — وفاة مالك بن أبي السمع لمعبد\*

كان مالك<sup>(١)</sup> بن أبي السمع المغنى من طيء، فأصابتهم حطمة<sup>(٢)</sup> في بلادهم بالجبلين؛ فقدمت به أمه وأخوات له وأخوات أيتام لا شيء لهم، فكان يسأل الناس على باب حمزة بن عبد الله بن الزبير - وكان معبدًا منقطعًا إلى حمزة يكون عنده في كل يوم يغنيه - فسمع مالك غناه، فأعجبه وأشاهد.

فكان لا يفارق باب حمزة، يسمع غناه معبد إلى الليل، فلا يطوف المدينة ولا يطلب من أحد شيئاً ولا يرِيم<sup>(٣)</sup> موضعه، فينصرف إلى أمه، ولم يكتسب شيئاً فتضمر به، وهو مع ذلك يتزلم بالحان معبد، يؤذيه دوزاً دوزاً، في مواضع صياعاته ونبراها<sup>(٤)</sup> نهاماً بغير لفظ ولا رواية شىء من الشعر؛ وجعل حمزة كلاماً غداً وراح ملازمًا لبابه، فقال لفلامه يوماً: أدخل هذا الغلام الأعرابي إلى؟؛ فادخله، فقال له: من أنت؟ قال: أنا غلام من طيء أصابتنا حطمة بالجبلين خطتنا إليكم، ومعي أم لي وإخوة، وإنى قد لزمنت ببابك فسمعت من دارك صوتاً أعجبني فلزمنت ببابك من أجله، قال: فهل تعرف منه شيئاً؟ قال: أعرف لحنه كله؛ ولا أعرف الشعر. فقال: إن كنت صادقاً فإنك لفهمِ.

ودعا بمعبد، فأمره أن يُغَنِّي صوتاً فغناء، ثم قال مالك: هل تستطيع أن

\* نهاية الأربع : ٤ - ٢٨١ ، الأغانى : ٥ - ١٠٢

(١) أخذ مالك الغناء عن جبالة ومعبد وأدرك الدولة الباشية، وانقطع إلى بنى سليمان بن علي،

ومات في خلافة أبي جعفر المنصور. (٢) الحطمة: السنة والجدب. (٣) يريم موضعه: يفارقه.

(٤) نبرة المغني: رفع صوته عن خفف.

تقوله؟ قال: نعم، قال: هاته، فاندفع فتاه، فأدى نفَّمه بغير شعر، يؤدِّي مَدَاتِه ولَيَّاتِه، وعَطْفَاتِه ونَبَرَاتِه، لا يَخْرِمُ حرقاً.

قال لمعبد: خذْ هذا الفلام إلَيكَ وخرّجه فليكون له شأن، قال معبد: وَلَمْ أَفْلِ ذَلِكَ؟ قال: لِتَسْكُونَ مَحَاسِنَه مَنْسُوبَةً إِلَيكَ.

قال: صدقَ الأَمِيرُ، وأَنَا أَفْلِ مَا أَمْرَتَنِي بِهِ. ثُمَّ قال حمزَةُ مَالِكَ: كَيْفَ وَجَدْتَ مُلَازِمَتِكَ لِبَابِنَا؟ قال: أَرَأَيْتَ لَوْ قَلْتُ فِيكَ غَيْرَ الَّذِي أَنْتَ لَه مَسْتَحْقٌ<sup>١</sup> مِنَ الْبَاطِلِ أَكَنْتَ تَرْضَى بِذَلِكَ؟ قال: لَا. قال: وَكَذَلِكَ لَا يَسْرُكَ أَنْ تَحْمَدَ بِمَا لَمْ تَفْعَلْ؟ قال: نَعَمْ. قال: فَوَاللهِ مَا شَبِعْتُ عَلَى بَابِكَ شَبَعَةً قَطْ، وَلَا افْلَغْتُ مِنْهُ إِلَى أَهْلِ بَخِيرٍ. فَأَمْرَلَه وَلَامَهُ وَلَا خُوْتَه بِعِزْلٍ؛ وَأَجْرَى لَهُ رِزْقًا وَكُسْوَةً، وَأَمْرَلَه بِخَادِمٍ يَخْدُمُهُمْ، وَعَبَدَهُ يَسْقِيمُهُمْ لِلَّاءَ، وَأَجْلَسَ مَالِكًا مَعَهُ فِي بِحَالِسِهِ، وَأَمْرَ مَعْبُداً أَنْ يُطَارِحَهُ، فَلَمْ يَنْشَبْ<sup>(١)</sup> أَنْ مَهَرَ وَحَذَقَ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ بَعْقَبَ مَقْتُلَ هُدَبَةَ بْنَ خَشْرَمَ؛ نَفْرَجَ مَالِكَ يَوْمًا، فَسَمِعَ امْرَأَةً تَنْوَحُ عَلَى زِيَادَةِ الَّذِي قُتِلَ هُدَبَةَ بْنَ خَشْرَمَ بِشَعْرِ أَخِي زِيَادَةِ:

أَبْعَدَ الدِّيْنَ بِالنَّفْعِ <sup>(٢)</sup> لَمْ يَلْبِثْ رَهِينَةً رَمْسِيَ ذِي تُرَابٍ وَجَنْدَلٍ	لَئِنْ لَمْ أُعَجِّلْ قَوْمِ لَزِيدِ بْنِ مَالِكٍ
أَذَكَرَ بِالبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصْبَانَى وَبِقِيَّاً أَنِي جَاهَدَ غَيْرَ مُؤْتَلٍ <sup>(٣)</sup>	لَمْ يَنْشَبْ كُوَيْكِبٍ

(١) لَمْ يَنْشَبْ: لَمْ يَلْبِثْ. (٢) النَّفْعُ: مَا انْهَدَرَ عَنْ غَلَظِ الْجَبَلِ وَارْتَقَعَ عَنْ مَجْرِي السَّبِيلِ.

(٣) غَيْرَ مُؤْتَلٍ: غَيْرَ مَقْسُرٍ، وَالبُقْيَا: الاسمُ، مِنْ أَبْقَيَتْ عَلَيْهِ إِذَا رَعَيْتَ عَلَيْهِ وَرَعَتْهُ. وَقَدْ

رَدَ هَذَا الْبَيْتَ فِي الْلِسَانِ مَنْسُوبًا إِلَى أَبِي الْقَمَاقَمَ الْأَسْدِيِّ مَكَنَا:

أَذَكَرَ بِالبُقْيَا عَلَى مَا أَصَابَنِي . وَبِقِيَّاً أَنِي جَاهَدَ غَيْرَ مُؤْتَلٍ

وإلا أُنلِّ تَارِي من الْيَوْمِ أو غَدِيرٍ  
بنِي عَمَّـا فالدَّهُرُ ذُو مُتَطَوَّلٍ  
أَخْتَمُ عَلَيْنَا كَلْكَلَ الْحَرْبِ مَرَّةً  
فَنَحْنُ مُنْيَخُوهَا عَلَيْكُمْ بَكَذَكَلٍ  
فَقَنَى فِي هَذَا الشِّعْرِ لَحْنِينْ : أَحَدُهُمَا نَحْمَـا فِيهِ نَحْوُ الْمَرْأَةِ فِي نَوْحَهَا وَرَقَّهُ  
وَأَصْلَحَهُ ، وَزَادَ فِيهِ ، وَالآخَرُ نَحْمَـا فِيهِ نَحْوُ مَعْبُدِ فِي غَنَائِهِ .

ثم دخل على حمزة فقال له : أيهَا الْأَمِيرُ ؟ إِنِّي صَنَعْتُ غَنَاءً فِي شِعْرٍ سَمِعْتُ  
بعضَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَنْشَدُهُ . وَقَدْ أَعْجَبَنِي ؛ فَإِنَّ أَذْنَ الْأَمِيرِ غَنَيْمَةً فِيهِ . قَالَ : هَاتِهِ ؛  
فَغَنَاءُ الْحَنْنَ الَّذِي نَحَا فِيهِ تَحْوَ مَعْبُدٌ ؛ فَطَرَبَ حَمْزَةُ ، وَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ يَا غَلَامُ !  
هَذَا الغَنَاءُ غَنَاءُ مَعْبُدٍ وَطَرِيقَتِهِ ، قَالَ : لَا تَعْجَلْ أَيْهَا الْأَمِيرُ ، وَاسْمَعْ مِنِّي شِيئًا لَيْسَ  
مِنْ غَنَاءَ مَعْبُدٍ وَلَا طَرِيقَتِهِ . قَالَ : هَاتِ ، فَغَنَاءُ الْحَنْنَ الَّذِي تَشَبَّهَ فِيهِ بِنَوْحِ الْمَرْأَةِ ؛  
فَطَرَبَ حَمْزَةُ حَتَّى أَلْوَى عَلَيْهِ حُلَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ قِيمَتُهَا مائَةُ دِينَارٍ .

وَدَخَلَ مَعْبُدَ فِرَأَى حُلَّةَ حِمْزَةَ عَلَيْهِ، فَأَنْكَرَهَا، وَعَلِمَ حِمْزَةَ بِذَلِكَ، فَأَخْبَرَ مَعْبِدًا بِالسَّبِبِ، وَأَمْرَ مَالِكًا فَفَنَاهَا الصَّوْتَيْنِ؛ فَقُضِبَ مَعْبُدٌ لِمَا سَمِعَ الصَّوْتَ الْأَوَّلَ، وَقَالَ: قَدْ كَرِهْتُ أَنْ آخُذَ هَذَا الْفَلَامَ فَيَتَعَلَّمَ غَنَائِي فَيَدْعُهُ لِنَفْسِهِ. فَقَالَ لَهُ حِمْزَةُ: لَا تَعْجَلْ وَاسْمِعْ غَنَائِي صَنَعَهُ لِيْسَ مِنْ شَأْنِكَ وَلَا غَنَائِكَ، وَأَمْرَهُ أَنْ يُغَنِّي الصَّوْتَ الْآخِرَ، فَفَنَاهُ فَأَطْرَقَ مَعْبُدًا، فَقَالَ لَهُ حِمْزَةُ: وَاللَّهِ لَوْ افْرَادَ بِهَذَا لِضَاهِكَ، ثُمَّ يَزَايدُ عَلَى الْأَيَامِ، وَكَلَّا كَبِيرًا وَزَادَ سِخْتَأْنَتَ وَنَفْصَتَ، فَلَانَ يَكُونُ مَنْسُوبًا إِلَيْكَ أَجْمَلُ.

قال له معبد - وهو منكِرٌ : صدق الأمير ! ثم أمر حمزة لمعبد بخلعه من ثيابه وجائزه حتى سكن وطابت نفسه ، قام مالك قبلاً رأس معبد ، وقال له :

يَا أَبَا عِبَادٍ ؟ أَسْأَلُكَ مَا سَمِعْتَ مِنِّي ؟ وَاللَّهُ لَا أَغْنِي لِنفْسِي شَيْئاً إِبْدَا مَا دَمَتْ حَيَاً ، وَإِنْ غَلَبْتِنِي نفْسِي فَقَنِيتُ فِي شِعْرٍ اسْتَحْسَنْتُهُ لَا نِسْبَةَ إِلَّا إِلَيْكَ ، فَطِيبْ نَسَّاً وَارْضَ عَنِّي . قَالَ لِهِ مَعْبُدٌ : أَوْ تَفْعَلُ هَذَا وَتَسْفِي بِهِ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ وَأَزِيدٌ .

فَكَانَ مَالِكُ بْنُ دَالِكَ إِذَا غَنَّ صُوتَهُ وَسِيلَهُ عَنْهُ قَالَ : هَذَا لِمَعْبُدٍ ، مَا غَنِيتْ لِنفْسِي شَيْئاً قَطُّ ، وَإِنَّمَا أَخْذُ غَنَاءً مَعْبُدٍ فَأَنْقَلَهُ إِلَى الْأَشْعَارِ وَأَحْسَنَهُ وَأَزِيدَ فِيهِ وَأَنْفَقَهُ مِنْهُ .

٢١ - مالك بن أنس يغنى \*

قال حُسْنَى بْنُ دَحْمَانَ الْأَشْفَرَ : كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ ، فَخَلَّا لِي الطَّرِيقُ وَسَطَ النَّهَارُ  
فَعَلَّمَتُ أَنَّنِي :

ما بَالُ أَهْلَكَ يَا رَبَّبُ خُزُراً<sup>(١)</sup> كَانُوكُمْ غِضَابُ

قال : إِذَا خَوْخَةً<sup>(٢)</sup> قَدْ فُتِحَتْ ، وَإِذَا وَجْهَ قَدْ بَدَا تَقْبِعَهُ لَحِيَةُ سَخْرَاءَ ، قَالَ :  
يَا فَاسِقٌ ، أَسَأْتَ التَّأْدِيَةَ ، وَمَنْعَتَ الْقَائِلَةَ<sup>(٣)</sup> ، وَأَذَعْتَ الْفَاحِشَةَ ؛ ثُمَّ اندْفَعَ يَغْنِيهِ ،  
فَظَنَّتُ أَنْ طُوَيْسًا قَدْ نُشِرَ بَعْنِيهِ .

فَقَلَّتْ لَهُ : أَصْلَحْتَ اللَّهَ أَمْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْفَنَاءُ ؟ قَالَ : نَهَّاَتْ وَأَنَا غَلامٌ  
حَدَّثَ أَنْتَبَعَ الْمَغْنِيَنِ ، وَأَخْدُدُ عَنْهُمْ ؛ قَالَتْ لِي أُمِّي : يَا بْنِي ؛ إِنَّ الْمَغْنِي إِذَا كَانَ  
قَبِيحُ الْوَجْهِ لَمْ يَلْقَفْتُ إِلَى غَنَائِهِ ؛ فَدَعَ الْفَنَاءَ وَاطَّلَبَ الْفِقْهَ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ مَعَهُ قُبْحُ  
الْوَجْهِ . فَتَرَكَ الْمَغْنِيَنِ وَاتَّبَعَ الْفَقِيَهَ ، فَبَلَغَ اللَّهُ بِي عَزَّ وَجَلَّ مَا تَرَى . فَقَلَّتْ لَهُ :  
فَأَعِدْ ، جَعَلْتُ فَدَاءَكَ ! قَالَ : لَا ! وَلَا كِرَامَةَ ، أَتَرِيدُ أَنْ تَقُولَ : أَخْذَتُهُ عَنْ مَالِكِ  
ابْنِ أَنْسٍ ! وَإِذَا هُوَ مَالِكُ<sup>(٤)</sup> بْنُ أَنْسٍ ، وَلَمْ أَعْلَمْ .

\* الأغانى : ٤ - ٢٢٢

(١) المزدر : النظر بـلـحـاظ العين . (٢) المخوخة : البويب، أو الباب الصغير في الباب الكبير.

(٣) القائلة : القيلولة . (٤) مالك بن أنس : أحد الأئمة الأربعية عند أهل السنة كان صلباً في

دينه بـسـيـداً من الأمراء والملوك ، وهو صاحب كتاب الموطأ ، توفي سنة ١٧٩ م .

## ٢٢ - أَفْسَدَ آخِرًا مَا أَصْلَحَ أَوْلَاهُ

قدم ابن جامع السهمي مكّة بمال كثير ، فقرقه في ضيفاء أهله ، فقال سفيان بن عيينة<sup>(١)</sup> : بلغني أن هذا السهمي قدم بمال كثير ! قالوا : نعم ، قال : فلما يُعطى ؟ قالوا : ينفق الملوك فيعطيونه . قال : وبأى شىء يغنمهم ؟ قالوا : بالشعر . قال : فكيف يقول ؟ فقال له فتى من تلاميذه : يقول :

أَطْوَفُ بِالْبَيْتِ مَعَ مَنْ يَطْوُفُ وَأَرْفَعُ مِنْ مُئْزِرِي الْمَسْبِلِ<sup>(٢)</sup>

قال : بارك الله عليه ، ما أحسن ما قال ! ثم ماذا ؟ قال :

وَأَسْجُدُ بِالْمِسْلِ حَتَّى الصَّبَاحِ وَأَتُلُّ مِنْ الْمُخْكَمِ الْمُنْزَلِ

قال : وأحسن أيضاً ، أحسن الله إليه ، ثم ماذا ؟ قال :

عَسَى فَارِجُ الْمُمْ عنْ يُوسُفَ يُسَخِّرُ لِ رَبَّ الْحَمْلِ

قال : أمسك ! أفسد آخرًا مَا أصلحَ أولاً !

## ٢٣ - ابن جامع في دار الخلافة\*

قال إسماعيل بن جامع السهمي<sup>(١)</sup> :

ضئني<sup>(٢)</sup> الدهر ضمًا شديدًا بمسكة ، فانقلت مهرا إلى المدينة ، فأصبحت يوماً وما أملك إلا ثلاثة دراهم ، فهى في كتمى إذا أنا بخارية محيراء على رقبتها جرة تزيد الركى<sup>(٣)</sup> تسعى بين يديه ، وترسم بصوت شجيّ تقول :

شكوننا إلى أخبارنا طول ليلنا  
قالوا لنا : ما أقصر الليل عندنا !

وذاك لأن النوم يُفتش عيونهم  
سراعاً وما يُفتش لنا النوم أعيننا

إذا ما دنا الليل المضر لذى الموى  
جزعنـا وهم يستبشرون إذا دـنا

فلو أنهم كانوا يلـقـون مثلـا ما  
نلـقـي لـكانـوا في المضاجع مـثـلـا

فأخذ الفتـاه يـقلـبـي ، ولم يـدـرـ لي منه حـرفـ . فـقـلتـ : يا جـارـيةـ ؟ ما أـذـرىـ  
أـوجـهـكـ أـحـسـنـ أمـ غـنـاؤـكـ ؟ فـلـوـ شـتـتـ أـعـدـتـ . قـالـتـ : جـبـاـ وـكـرـامـةـ . ثـمـ أـسـنـدـتـ  
ظـهـرـهـاـ إـلـىـ جـدـارـ قـرـبـ منـهـ وـوـضـعـتـ إـلـىـ حـدـىـ رـجـلـهـاـ عـلـىـ الأـخـرـىـ ، وـوـضـعـتـ الجـزـةـ  
عـلـىـ سـاقـيـهـاـ ، ثـمـ اـبـعـثـتـ تـفـنـيـهـ ؟ فـوـالـلهـ ماـ دـارـ لـيـ مـنـهـ حـرفـ . فـقـلتـ : أـحـسـتـ ؟

\* الأغانى : ٦ - ٣١١

(١) اشتهر ابن جامع بالفناء ، ولكنـهـ كانـ منـ أـحـفـظـ خـاقـ اللهـ لـكتـابـ اللهـ ، وـكـانـ وـرـعاـ  
تقـيـاـ يـخـرـجـ مـنـ مـزـلـهـ مـعـ الفـجـرـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ ، فـيـصـلـىـ الصـبـحـ ثـمـ يـصـفـ قـدـمـيهـ حقـ نـطـلـعـ الشـمـسـ ، وـلاـ  
يـصـلـىـ النـاسـ الـجـمـعـةـ حـتـىـ يـخـتـمـ الـفـرـقـانـ ، ثـمـ يـنـصـرـفـ إـلـىـ مـزـلـهـ . (٢) ضئـنىـ : ضـفـطـىـ وـاشـتـدـ علىـ ، مـنـ  
شـدـةـ الـفـقـرـ . (٣) الرـكـىـ : جـمـعـ الرـكـبةـ ، وـهـيـ الـبـرـ .

فُلُو شَتِّ أَعْدَتِ مَرَةً أُخْرَى افْقَطِنَتْ وَكَلَّهَتْ<sup>(١)</sup> وَقَالَتْ : مَا أَعْجَبَ أَمْرَكِمْ ! أَحَدُكُمْ لَا يَرَالِ يَجِيءُ إِلَى الْجَارِيَةِ عَلَيْهَا الْفَرِيرِيَةِ فَيُشْغِلُهَا ! فَضَرِبَتْ يَدِي إِلَى الْثَلَاثَةِ الدِرَاهِمِ فَدَفَتْهَا إِلَيْهَا ، وَقَلَتْ : أَقِيمِي بِهَا وَجْهَكِ الْيَوْمِ إِلَى أَنْ تَلْتَقِ . فَأَخْذَتْهَا كَالْكَارِهَةِ وَقَالَتْ : أَنْتَ الآنَ تَرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ مِنِي صَوْتَأَ حَسِيبِكِ سَتَأْخُذُ بِهِ أَلْفَ دِينَارٍ وَأَلْفَ دِينَارٍ وَأَلْفَ دِينَارٍ ؟ وَانْبَعَثْتُ تُغَنِّي ؟ فَاعْمَلْتُ فِكْرِي فِي غِنَائِهَا حَتَّى دَارَ لِي الصَوْتُ وَفَهْمُهُ ، وَانْصَرَفْتُ مَسْرُورًا إِلَى مَنْزِلِ أَرَدَدُهُ حَتَّى خَفَّ عَلَى لِسَانِي .

نَمْ إِنِي خَرَجْتُ أُرِيدُ بَعْدَادَ ، فَدَخَلْتُهَا ، فَنَزَلَ بِالْمُكَارِيَ عَلَى بَابِ مُحَوَّلَ<sup>(٢)</sup> ، فَبَقِيَتْ لَا أَدْرِي أَيْنَ أَتَوْجَهُ وَلَا مَنْ أَفْصِدَ ! فَذَهَبْتُ أُمْشِي مَعَ النَّاسِ ، حَقَّ أَتَيْتُ الْجِسْرَ فَعَبَرْتُ مَعْهُمْ ، ثُمَّ اتَّهَمْتُ إِلَى شَارِعِ الْمَدِينَةِ ، فَرَأَيْتُ مَسْجِدًا بِالْقَرْبِ مِنْ دَارِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ مَرْتَفَعًا ، فَقَالَتْ : مَسْجِدُ قَوْمِ سَرَّاَةَ ؟ فَدَخَلْتُهُ وَحَضَرْتُ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ ، وَأَقْتَبَعْتُ مَكَانِي حَتَّى صَلَّيْتُ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ عَلَى جُوعٍ وَتَبٍ ، وَانْصَرَفَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ ، وَبَقَى رَجُلٌ يُصْلِي ، خَلْفَهُ جَمَاعَةٌ : خَدْمٌ وَخَوَلٌ يَنْتَظِرُونَ فَرَاغَهُ ، فَصَلَى مَلِيًا ثُمَّ انْصَرَفَ ؛ فَرَآنِي فَقَالَ : أَحْسِبِكَ غَرِيبًا . قَلَتْ : أَجَلْ . قَالَ : فَتَى كُنْتَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ ؟ قَلَتْ : دَخَلْتُهَا آنَفًا ، وَلَيْسَ لِي بِهَا مَنْزِلٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ ، وَلَيْسَتْ صَنَاعَتِي مَا يُمَكِّنُ بِهَا إِلَى أَهْلِ الْأَخْرِيِّ . قَالَ : وَمَا صَنَاعَتُكِ ؟ قَلَتْ : أَنْفَنِي . فَوَنَبَ مُبَادِرًا ، وَوَكَّلَ بِي بَعْضَ مِنْ مَعِهِ ، فَسَأَلْتُهُ الْوَكْلَ بِي عَنْهُ ، فَقَالَ : هَذَا سَلَامُ الْأَبْرَشِ<sup>(٣)</sup> .

(١) كَلْعَ : تَكْسِرُ فِي عَبُوسٍ . (٢) بَابُ مُحَوَّلٍ : مَحَلَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ عَالَى بَغْدَادٍ . (٣) سَلَامُ الْأَبْرَشِ : خَدْمُ النَّصُورِ وَقَوْلُ الظَّالِمِ لِلْمُهَدِّيِّ وَعَاصِرِ الْمَادِيِّ وَالرَّشِيدِ .

قال ابنُ جامِع : وإِذَا رَسُولٌ قد جاءَ فِي طَلْبِي ، فَاتَّهَى بِي إِلَى قَصْرٍ مِنْ  
قَصْوَرِ الْخِلَافَةِ ، وَجَازَ بِي مَقْصُورَةً إِلَى مَقْصُورَةٍ ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ مَقْصُورَةً فِي آخَرِ  
الدَّهْلِيزِ ، وَدَعَا بِطَعَامٍ فَأَتَيْتُ بِمَائِدَةٍ عَلَيْهَا مِنْ طَعَامِ الْمُلُوكِ ، فَأَكَلْتُ حَتَّى  
أَمْتَلَّتُ .

فَإِنِّي لَكَذَلِكَ إِذْ سَمِعْتُ رَكْضًا فِي الدَّهْلِيزِ وَقَائِلًا يَقُولُ : أَينِ الرَّجُلُ؟ قِيلَ :  
هُوَ ذَا ، قَالَ : ادْعُوا لَهُ بِنَفْسِهِ (١) وَخِلْعَةٍ وَطَيْبٍ . فَفَعَلَ ذَلِكَ بِي ، فَجَعَلْتُ عَلَى  
دَابِّتِهِ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ - وَعَرَفَهَا بِالْحَرَسِ وَالْكَبِيرِ وَالنَّيْرَانِ - فَجَاؤَتْ مَقَاصِيرَ  
عِدَّةً ، حَتَّى صَرَّتْ إِلَى دَارِ قَوْرَاءِ (٢) فِيهَا أَسِرَّةٌ فِي وَسْطِهَا ، قَدْ أُخْبِيَفَ بِعَصْمَهَا  
إِلَى بَعْضِ .

فَأَمْرَنِي رَجُلٌ بِالصَّمْودِ فَصَمَدْتُ ، وَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ ، عَنْ يَمِينِهِ ثَلَاثٌ جَوَارٌ  
فِي حِجَورِهِنَّ الْعِيدَانَ ، وَفِي حِجَرِ الرَّجُلِ عُودٌ ، فَرَحِبَ الرَّجُلُ بِي ، وَإِذَا مَجَالِسُ  
حِيَالِهِ كَانَ فِيهَا قَوْمٌ قَدْ قَامُوا عَنْهَا ، فَلَمْ أُلْبِثْ أَنْ خَرَجَ خَادِمٌ مِنْ وَرَاءِ السُّتُرِ ؛  
قَالَ لِلرَّجُلِ : تَفَنَّ ، فَانْبَعَثْ يَغْنِي بِصُوتِ لِي وَهُوَ :

لَمْ تَمْشِ مِيلًا وَلَمْ تَرْكِبْ عَلَى قَتَبٍ      وَلَمْ تَرِ الشَّمْسَ إِلَادُونَهَا الْكِلَالِ (٣)  
مَمْشِي الْهُوَيْنِيَّ كَانَ الْرَّيْحَ تَرْجِعُهَا      مَمْشِي الْبَعَافِيرِ فِي جَيْثَانِ الْوَهَلِ (٤)  
فَغَنِيَ بِغَيْرِ إِصَابَةٍ ، وَبِأَوْتَارِ وَدَسَاتِينِ (٥) مُخْتَلِفةً ، ثُمَّ عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْجَارِيَةِ الَّتِي

(١) الْفَسُولُ : الْمَاءُ يَقْتَلُ بِهِ . (٢) الدَّارُ الْقَوْرَاءُ : الْوَاسِعَةُ . (٣) الْكِلَالُ : جَمْ كَلَهُ ،  
وَهِيَ سُتُّ يَمَاطَ كَالْبَيْتِ . (٤) الْبَعَافِيرُ : الْفَلَبَاءُ ، وَالْوَهَلُ : الْفَرْعُ . (٥) الدَّسَاتِينُ : الْرِبَاطَاتُ  
إِلَى تَوْضِعِ الْأَصَابِعِ عَلَيْهَا ، وَاحِدَهَا دَسْتَانٌ .

تلَى الرَّجُلُ، قَالَ لَهَا: تَغْنِيُّ، فَقَنَتْ أَيْضًا بِصَوْتِ لِي، كَانَتْ فِيهِ أَحْسَنَ حَالَاتِ الرَّجُلِ، وَهُوَ:

يَادُورُ أَضْحَتْ خَلَاءً لَا أَنِيسَ بِهَا      إِلَى الظُّبَاهِ وَإِلَى النَّاשِطِ<sup>(١)</sup> الْفَرِدُ<sup>(٢)</sup>  
أَيْنَ الَّذِينَ إِذَا مَا زَرُتُهُمْ جَذَلُوا<sup>(٣)</sup>      وَطَارَ عَنْ قَلْبِي التَّشَوَّقُ وَالْكَمَدُ!  
نَمْ عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْجَارِيَةِ الَّتِي تَلَيْهَا، فَانْبَعَثَتْ تُغَنِيُّ:

فَوَاهَهُ مَا أَذْرَى أَيْغَلَبِنِي الْمَوَى      إِذَا جَدَ وَشَكَ الْبَيْنِ أَمْ أَنَا غَالِبُهُ؟  
فَإِنْ أَسْتَطِعُ أَغْلَبُ، وَإِنْ يَنْلِبَ الْمَوَى      فَشَلُّ الَّذِي لَاقِيتُ يُفْلِبُ صَاحِبَهُ  
نَمْ عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْجَارِيَةِ الْثَالِثَةِ فَقَنَتْ:

مَرَزَنَا عَلَى قَيَسِيَّةِ عَامِرِيَّةِ      هَاهُ بَشَرٌ صَافِ الْأَدِيمِ هَجَانِ<sup>(٤)</sup>  
فَقَالَتْ، وَأَلْقَتْ جَانِبَ السُّتُونَهَا:      مَنْ آيَةُ أَرْضٍ أَوْ مَنْ الرَّجُلَانِ؟  
فَقَلَتْ لَهَا: أَمَّا تَمِيمُ فَأَسْرَتِي      مُهَدِّيَّتِ، وَأَمَا صَاحِبِي فَيَمَانِ  
رَفِيقَانِ ضَمَّ السَّفْرُ بَيْنِهِ وَبَيْنِهِ      وَقَدْ يَلْتَقِي الشَّتَّى فِيَنْلَفَانِ  
نَمْ عَادَ إِلَى الرَّجُلِ فَقَنَيْ صَوْتاً فَشَبَهَهُ<sup>(٥)</sup> فِيهِ وَهُوَ:

أَمْسَى بِأَسْمَاءِ هَذَا الْقَلْبُ مُعْمُودًا      إِذَا أَقْوَلُ صَحَا يَعْتَادُهُ عِيَدَا  
أَجْرِيَ عَلَى مَوْعِدِي مِنْهَا فَتَخَلَّفُنِي      فَأَمَلُهُ وَلَا تُوفِيَ الْمَواعِيدَا  
كَانَ أَحْوَرَ مِنْ غِزْلَانَ ذِي بَقَرِ<sup>(٦)</sup>      أَعَارَهَا شَبَهَ الْعَيْنَيْنِ وَالْجَيْدَا  
قَامَتْ تَرَاءَى وَقَدْ جَدَ الرَّحِيلُ بَنا      لِتَنَكَّأَ الْقَرْحَ مِنْ قَلْبِنَا

(١) الناشط : الثور الوحشي . (٢) الفرد : المنفرد . (٣) جزلوا : فرحا . (٤) الهجان : الآيسن : الحال من كل شيء . (٥) شبه : خلط فيه ولم يحسن أداته . (٦) ذو بقر : قرية في ديار بني أسد .

بِمَشْرِقٍ كَشْعَاعُ الشَّمْسِ بِهِجْتَهُ وَمُسْبِكِرٍ<sup>(١)</sup> عَلَى لِبَاتِهَا سُودًا  
ثُمَّ عَادَ إِلَى الْجَارِيَةِ، فَنَفَنَتْ :

فَقَلَتْ لَهَا : إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ  
عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ  
إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ  
وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَطُولٌ  
تُعَيَّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا  
وَمَا ضَرَرَنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا  
وَإِنَا لَقَوْمٌ مَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةٌ  
يُقْرَبُ حَبُّ الْمَوْتِ آجَانَنَا لَنَا

وَنَفَنَتِ الثَّانِيَةُ :

وَدَدْنِكِ لَمَّا كَانَ وُدُوكِ خَالِصًا  
عَلَى كُثْرَةِ الْوَرَادِ أَنْ يَتَهَدَّمَا  
وَدَدْنِكِ لَمَّا كَانَ وُدُوكِ خَالِصًا  
وَلَا يَلْبِسُ الْحَوْضُ الْجَدِيدُ بَنَاؤهُ

وَنَفَنَتِ الثَّالِثَةُ :

وَمَا كَرَرَ إِلَّا كَانَ أَوْلَ طَاعِنٍ  
فِي دُرْكِ ثَارَاً وَهُوَ لَمْ يُخْطِيَ الْقِنَى  
فَلَسْتُ أَرَزَّ بِعَلَدَهِ بِرْزِيَّةٍ  
وَمَا أَبْصَرْتُهُ الْخَلِيلُ إِلَّا افْشَرَتِ

وَغَنِيَ الرَّجُلُ :

لَهُ اللَّهُ صُلُوكًا مُنَاهَ وَهُنَّ  
يَنَامُ الصُّحَاحَا حَتَّى إِذَا لِيَلُهُ اتَّهَى  
وَلَكَنَّ صُلُوكًا يَسَاوِرُ هَمَّهُ  
مِنَ الدَّهْرِ أَنْ يَلْقَى لَبُوْسًا وَمَطْعَمًا  
تَبَّةً مَثْلُوْجَ الْفَوَادَ مُورَّمًا<sup>(٢)</sup>  
وَيَمْضِي عَلَى الْهَيْجَاءِ لَيْنَا مَقْدَمًا  
كَرِيمًا ، وَإِنْ يَسْتَغْنَ يَلْقَهَا  
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ السَّكِيرِيَهِ يَلْقَهَا

(١) شعر مسبكر : مسترسل . (٢) مورما : أي منتفخا بادنا لعدم ما يشغله من أمور الحياة .

وتفنَّتِ الجارِيَةُ :

إذا كنتَ رَبِّا<sup>(١)</sup> للقُلُوصِ فَلَا يَكُنْ رَفِيقُكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبِ  
أَنْجِنَهَا فَأَرْدِفْهُ فَإِنْ حَلْقَكَمَا فَذَاكَ ، وَإِنْ كَانَ الْعِقَابُ<sup>(٢)</sup> فَعَاقِبِ  
وتفنَّتِ الثانيةُ :

أَلَمْ تَرَ لَمَا ضَمَنَ الْبَسْلَدَ الْقَفْرُ سَعَمْتُ نَدَاءَ يَصْدَعُ الْقَلْبَ يَا عَمْرُ وَ ا  
أَغْشَنَا فَإِنَا عَصَبَةٌ مَذْحَجِيَّةٌ نَزَارُ عَلَى وَفْرٍ وَلَيْسَ لَنَا وَفْرٌ

وتفنَّتِ الثالثةُ :

فَلَمَا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمَتْ أَسْفَرَتْ وَجْهُ زَهَاماً الْحُسْنُ أَنْ تَقْنَمَا  
تِبَالَهَنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفَنَيْ وَقْلَنَ امْرُؤُ بَاغُ أَكْلَ وَأَوْضَمَا<sup>(٣)</sup>  
وَلَا تَنَازَّعَنَ الْأَحَادِيثَ قَلَنَ لَى أَخِفَّتْ عَلَيْنَا أَنْ نَفَرَ وَنُخَدَّعَا !  
قَالَ ابْنُ جَامِعٍ : وَتَوَقَّعْتُ بِجَيِّهِ الْخَادِمَ إِلَيْهِ ، فَقَلَتُ لِلرَّجُلِ : بِأَبِي أَنْتَ !  
خُذِ الْمُوْدَ ، فَشُدَّ وَتَرَ كَذَا وَارْفَعِ الْطَّبَقَةَ ، وَحُطِّ دُسْتَانَ كَذَا ، فَقَعْلَ مَا أَمْرَتُهُ .

وَخَرَجَ الْخَادِمُ قَالَ لَى : تَفَنَّ ، عَافَاكَ اللَّهُ ! فَفَنَّيْتُ بِصَوْتِ الرَّجُلِ الْأُولَى عَلَى  
غَيْرِ مَاغْنَاهُ ، فَإِذَا جَمَاعَةُ مِنَ الْخَادِمِ يَحْضُرُونَ حَتَّى اسْتَنَدُوا إِلَى الْأُمَّرَةِ ، وَقَالُوا:  
وَيَنْحَكَ ! لِمَنْ هَذَا الْفَنَاءُ ؟ قَلَتْ : لَى . فَانْصَرَفُوا عَنِ بَلْكَ السَّرْعَةِ ، وَخَرَجَ إِلَى  
إِنْلَادِمْ وَقَالَ : كَذَبَتِ ! هَذَا الْفَنَاءُ لَابْنِ جَامِعٍ . وَدارَ الدُّورُ ، فَلَمَّا انتَهَى الْفَنَاءُ إِلَى  
قَلْتُ لِلْجَارِيَةِ الَّتِي تَلَى الرَّجُلَ : خَذِ الْمُوْدَ فَعَلِمْتُ مَا أُرِيدُ ، فَسَوَّتِ الْمُوْدَ عَلَى  
غَنَائِمَهَا لِلصَّوْتِ الثَّالِثِ فَفَنَّيْتُ بِهِ ؛ نَفَرَجَتِ الْجَمَاعَةُ الْأُولَى مِنَ الْخَادِمِ قَالُوا :

(١) رَبِّا : صاحبا . (٢) العِقَابُ : هو أَنْ تَرْكِبَ النَّاقَةَ مَرَّةً ، وَيُرَكِّبُهَا صَاحِبُكَ مَرَّةً أُخْرَى .

(٣) أَكْلَ : أَعْيَا . وَأَوْضَعَ : أَسْرَعَ : يَرِيدُ أَنْهُ أَوْضَعُ فَأَكْلَ ، وَلَكِنْ قَدْمَ وَآخِرَ .

وَيَنْحَكَ إِلَى هَذَا؟ قَلْتَ : لَى . فَرَجُمُوا وَخَرَجَ الْخَادِمُ قَالَ : كَذَبْتَ ، ثُمَّ تَغْنَيْتَ  
بِصَوْتِ لِي ، فَلَا يُعْرِفُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ :

عُوْجِي عَلَىٰ فَسْلَى جَبْرٌ فِيمَ الصَّدُودُ وَأَتَمُ سَفَرُ<sup>(١)</sup>  
مَا نَلَقَ إِلَّا تَلَاثَ مِنَهُ حَتَّىٰ يُفَرِّقَ بَيْنَنَا الدَّهْرُ  
فَتَزَلَّلَتْ وَاللهُ الدَّارُ عَلَيْهِمْ ، وَخَرَجَ الْخَادِمُ قَالَ : وَيَنْحَكَ إِلَى هَذَا الغَنَاءِ؟  
قَلْتَ : لَى . فَرَجَعَ ، ثُمَّ خَرَجَ قَالَ : كَذَبْتَ ! هَذَا غَنَاءُ ابْنِ جَامِعٍ ، قَلْتَ :  
فَأَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَامِعٍ .

فَأَشْعَرْتُ إِلَّا وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَجَعْفَرُ بْنُ يَحْيَىٰ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ وَرَاءِ السَّرِيرِ الَّذِي  
كَانَ يَخْرُجُ مِنْهُ الْخَادِمُ . قَالَ لِي الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعَ : هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَقْبَلَ  
إِلَيْكَ ؛ فَلَمَّا صَعِدَ السَّرِيرَ وَثَبَتْ قَائِمًا ، قَالَ لِي : ابْنُ جَامِعٍ؟ قَلْتَ : ابْنُ جَامِعٍ ،  
جَعَلَنِي اللهُ فَدَاكَ بِاَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : وَيَحْكُمُ إِمَامًا كَنْتَ فِي هَذِهِ الْبَلْدَةِ؟ قَلْتَ :  
آنَّا ، دَخَلْنَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي عَلِمَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : اجْلِسْ ، وَيَحْكُمُ  
يَا بْنَ جَامِعٍ !

وَمَضِيَّهُ وَجَعْفَرٌ ، يَجْلِسَا فِي بَعْضِ تَلَكَ الْجَالِسِ ، وَقَالَ لِي : أَبْشِرْ وَابْسُطْ  
أَمْلَكْ ؛ فَدَعَوْتُ لَهُ . ثُمَّ قَالَ : غَنَّى يَا بْنَ جَامِعٍ ، نَفَطَرْ بَلَى صَوْتُ الْجَارِيَةِ  
الْحَمِيرَاءِ ، فَأَمْرَتُ الرَّجُلَ يَأْصِلُحُ الْمُوْدِ عَلَى مَا أَرْدَتُ مِنَ الطَّبَقَةِ ، فَمَرَفَ مَأْرِدَتُ ،  
فَوَزَنَ الْمُوْدَ وَزَنَّا ، وَتَعَاهَدَهُ حَتَّىٰ اسْتَقَامَتِ الْأُوتَارُ ، وَأَخْذَتِ الدَّسَاتِينُ مَوَاضِعَهَا ،  
وَانْبَعَثْتُ أَغْنِي بِصَوْتِ الْجَارِيَةِ الْحَمِيرَاءِ :

(١) سفر : مسافرون .

شَكُونَا إِلَى أَحْبَابِنَا طَوْلَ لِيلَنَا  
فَقَالُوا لَنَا : مَا أَقْصَرَ الْلَّيْلَ عِنْدَنَا !  
وَذَاكَ لِأَنَّ النَّوْمَ يَغْشِي عَيْنَاهُمْ  
سِرَاعًا وَمَا يَغْشِي لَنَا النَّوْمُ أَعْيُنَا  
إِذَا مَادَنَا الْلَّيْلُ الْمُفْسِرُ لَذِي الْهَوَى  
جَزِّعَنَا وَمِمَّ يَسْتَبِرُونَ إِذَا دَنَا  
فَلَوْا هُمْ كَانُوا يَلْقَوْنَ مِثْلَ مَا نُلَاقِي لَكَانُوا فِي الْمَضَاجِعِ مِثْلَنَا

فَنَظَرَ الرَّشِيدُ إِلَى جَعْفَرٍ وَقَالَ : أَسْمَعْتَ مِثْلَ هَذَا قَطَّ ! قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا خَرَقَ  
مِسْأَمِي قَطَّ مِثْلُهُ . فَرَفِعَ الرَّشِيدُ رَأْسَهُ إِلَى خَادِمٍ بِالْقُرْبَى مِنْهُ ، وَدَعَا بِكِيسٍ فِيهِ  
أَلْفَ دِينَارٍ ، فَجَاءَ وَرَأَى بِهِ إِلَى فَصِيرَتِهِ تَحْتَ نَفْذِي وَدَعَوْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ : يَا بْنَ جَامِعٍ ؛ رُدَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الصَّوْتُ ، فَرَدَدَهُ ، وَتَزَيَّدَتْ  
فِيهِ ؛ قَالَ لِهِ جَعْفَرٌ : يَا سَيِّدِي ؟ أَمَا تَرَاهُ كَيْفَ يَتَزَيَّدُ فِي الْفَنَاءِ ! هَذَا خَلْفٌ  
مَا سَمِعْنَاهُ أَوْلًا ، وَإِنَّ كَانَ الْأَمْرُ فِي الْلَّهِنْ وَاحِدًا .

فَرَفِعَ الرَّشِيدُ رَأْسَهُ إِلَى ذَلِكَ الْخَادِمِ ، وَدَعَا بِكِيسٍ آخَرَ فِيهِ أَلْفَ دِينَارٍ ،  
فَجَاءَنِي بِهِ ، فَصِيرَتِهِ تَحْتَ نَفْذِي ، وَقَالَ : تَنَنَّ يا إِسْمَاعِيلَ مَا حَضَرَكَ ،  
فَجَعَلْتُ أَقْصَدَ الصَّوْتَ مِنْ بَعْدِ الصَّوْتِ ؛ مَا كَانَ يَلْغُفُ أَنَّهُ يَشْتَرِي  
عَلَيْهِ الْجَوَارِي فَأَغْنَيْهُ ، فَلَمْ أَزِلْ أَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ عَسَعَ<sup>(١)</sup> الْلَّيْلَ . قَالَ :  
أَتَعْبُنَاكَ يا إِسْمَاعِيلَ هَذَا الْلَّيْلَةَ بِالْفَنَاءِ ؟ فَأَعْدَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّوْتَ (يَعْنِي  
صَوْتَ الْجَارِيَةِ) فَتَنَقَّيْتُ ؛ فَدَعَا الْخَادِمَ وَأَمْرَهُ فَأَحْضَرَ كِيسًا ثَالِثًا فِيهِ أَلْفَ  
دِينَارٍ ؛ فَذَكَرْتُ مَا كَانَ الْجَارِيَةَ قَالَتْ لِي فَتَسَمَّتُ ، وَلَظَنَى ؛ قَالَ :  
مِمَّ تَسَمَّتْ ؟ فَجَنَوْتُ عَلَى رَكْبَتِي وَقَلَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ الصَّدَقُ مَنْجَاةُ ،

(١) عَسَعَ الْلَّيْلَ : أَقْبَلَ ظَلَامُهُ .

قال لي بانهار : قُلْ ! فَصَصَنْتُ عَلَيْهِ خَبْرَ الْجَارِيَةِ ، فَلَمَّا اسْتَوْعَبَهُ<sup>(١)</sup> قَالَ :  
صَدَقَتْ ، قَدْ يَكُونُ هَذَا ؟ وَقَامَ .

وَنَزَلَتْ مِنَ السَّرِيرِ وَلَا أَدْرِي أَيْنَ أَقْصَدَ ، فَابْتَدَرَنِي<sup>(٢)</sup> فَرَّاشَانْ فَصَارَابِي إِلَى  
دَارِي قَدْ أَمْرَ بِهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَفَرَّشَتْ وَأَعْدَّ فِيهَا جَمِيعَ مَا يَكُونُ فِي مِثْلِهَا مِنْ آتَهُ  
جَلْسَاءَ الْمُلُوكِ وَنَدَمَائِهِمْ ، وَمِنْ كُلِّ آتَهُ وَخَوَالِ<sup>(٣)</sup> إِلَى جَوَارِ وَوُصَفَاءِ ، فَدَخَلْتُ  
بَغْدَادَ فَقِيرًا وَأَصْبَحْتُ مِنْ حِلَّةِ<sup>(٤)</sup> أَهْلِهَا وَمَيَاسِيرِهِمْ !

---

(١) عَرْفَةُ كَلَهُ .      (٢) ابْتَدَرَنِي : أَسْرَعَ إِلَيْهِ .  
(٣) الْخَوْلُ : الْخَدْمُ .      (٤) الْجَلَةُ جَمْ جَلِيلٌ : عَظِيمٌ .

## \* ٤٤ — ابن جامع وأبو يوسف القاضي \*

قَدِمْ ابْنُ جَامِعٍ قَدْمَةً لَهُ مِنْ مَكَّةَ عَلَى الرَّشِيدِ - وَكَانَ ابْنُ جَامِعٍ حَسَنَ السَّمْتِ كَثِيرَ الصَّلَاةِ، قَدْ بَأْنَ أَمْرَ السُّجُودِ فِي جَبَهَتِهِ، وَكَانَ يَعْمَلُ بِعِمَامَةِ سُودَاءِ عَلَى قَلْنَسُوَّةِ طَوِيلَةِ، وَيَلْبِسُ لِبَاسَ الْفُقَهَاءِ وَيَرْكَبُ حَارَّاً مِرْيِسِيَّاً<sup>(١)</sup> فِي زِيَّ أَهْلِ الْمَجَازِ .

فَبَيْنَا هُوَ وَاقِفٌ عَلَى بَابِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ يَلْتَمِسُ الْإِذْنَ، إِذَا أَقْبَلَ أَبُو يَوسُفُ الْقَاضِي بِأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْقَلَانِسِ، فَلَمَّا هَبَّمْ عَلَى الْبَابِ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَقْفَى إِلَى جَانِبِهِ وَيَحْادِثُهُ، فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى ابْنِ جَامِعٍ، فَرَأَى مَهْمَةَ وَحْلَوَةَ هِيَنَتِهِ؛ فَجَاءَ فَوَقَفَ إِلَى جَانِبِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَمْتَعَنَّ اللَّهَ بِكَ؟ تَوَسَّطْتُ فِيْكَ الْمَجَازِيَّةَ وَالْقَرْشِيَّةَ، قَالَ: أَصْبَتْ، قَالَ: فَنَّ أَيْ قَرِيشَ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ بَنِي سَهْمٍ . قَالَ: فَأَيُّ الْحَرَمَيْنِ مِنْزَلُكَ؟ قَالَ: مَكَّةَ، قَالَ: وَمَنْ لَقِيْتَ مِنْ فَقَاهَيْهِمْ؟ قَالَ: سَلْ عَنْ شَتَّى، فَقَاتَهُ الْفَقَهُ وَالْحَدِيثُ فَوُجِدَ عِنْهُ مَا أَحَبَّ؛ فَأَعْجَبَ بِهِ، وَنَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِمَا قَالُوا: هَذَا الْقَاضِي أَبُو يَوسُفُ قَدْ أَقْبَلَ عَلَى الْمُغْنَفِيِّ - وَأَبُو يَوسُفُ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ ابْنَ جَامِعٍ؟ قَالَ أَصْحَابُهُ: لَوْ أَخْبَرْنَاهُ عَنْهُ! ثُمَّ قَالُوا: لَا، لَعْلَهُ لَا يَعُودُ إِلَى مَوْاقِفِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ فَلَمْ تَفْعَلْهُ!

فَلَمَّا كَانَ الْإِذْنُ الثَّانِي لِيَحْيَى غَدَّا عَلَيْهِ النَّاسُ وَغَدَا عَلَيْهِ أَبُو يَوسُفُ، فَنَظَرَ يَطْلَبُ ابْنَ جَامِعٍ فَرَآهُ، فَذَهَبَ فَوَقَفَ إِلَى جَانِبِهِ، خَادِثَةً طَوِيلَةً كَمَا فَلَّ فِي الْمَرَّةِ

الأولى ، فلما انصرف قال له أصحابه : أيها القاضي ؟ أتعرف هذا الذي تُوايقِف<sup>(١)</sup> وتحادِث ؟ قال : نعم ؛ رجل من قريش من أهل مكة من الفقهاء . قالوا : هذا ابنُ جامع المفْتَن ، قال : إنا له ! قالوا : إن الناس قد شَهَرُوك بِمُوافقتِه ، وأنكروا ذلك من فعلك .

فلمـا كان الإِذْنُ الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنَكَبَه ، وعرف ابنُ جامع أنه قد أُنذِرَ به ، فجاءه فوق فسلَّمَ عليه ، فرَدَّ عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يَلْقَاهُ به ، ثم انحرَفَ عنه .

فدنـنا منه ابنُ جامع ، وعرف الناسُ القِصَّة ، وكان ابنُ جامع جهِيزاً ، فرفع صوته . ثم قال : يا أبا يوسف ؛ مالك تَنْحَرِفُ عنِّي ! أَيَّ شَيْءٍ أَنْكَرْتَ ؟ قالوا لـك : إـنـي ابنُ جامع المفْتَن ، فـكـرـهـتـ مـوـافـقـي ! أـسـأـلـكـ عنـ مـسـأـلـةـ نـمـ اـصـبـنـ ماـشـتـ - وـمـاـلـ النـاسـ فـأـقـبـلـوـ نـحـوـهـاـ يـسـتـعـمـونـ - قـالـ: ياـأـبـاـ يـوـسـفـ ، لـوـأـنـ أـعـرـاـيـاـ جـلـقاـ وـقـفـ بـيـنـ يـدـيـكـ فـأـنـشـدـكـ بـجـفـاءـ وـغـلـظـةـ مـنـ لـسـانـهـ وـقـالـ : ياـ دـارـ مـيـةـ بـالـمـلـيـاءـ فـالـسـنـدـ أـقـوـتـ وـطـالـ عـلـيـهـ سـالـفـ الـأـمـدـ أـكـنـتـ تـرـىـ بـذـلـكـ بـأـسـاـ ؟ قـالـ : لـاـ ، قـدـ رـوـيـ عنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـالـشـعـرـ قـوـلـ وـرـوـيـ فـالـحـدـيـثـ .

قال ابنُ جامع : فإنـ قـلـتـ أـنـاـ هـكـذاـ . . . . ثـمـ اـنـدـفـعـ يـتـفـنـيـ فـيـهـ حـتـىـ أـقـيـ عـلـيـهـ ، ثـمـ قـالـ : ياـ أـبـاـ يـوـسـفـ ؛ رـأـيـتـنـيـ زـدـتـ فـيـهـ أـوـ نـقـصـتـ مـنـهـ ؟ قـالـ : عـافـاكـ اللـهـ ؛ أـعـفـنـا مـنـ ذـلـكـ . ثـمـ قـالـ : ياـ أـبـاـ يـوـسـفـ ؛ أـنـتـ صـاحـبـ فـتـيـاـ ، مـاـزـدـتـهـ عـلـىـ أـنـ حـسـنـتـ بـالـفـاظـيـ ، فـخـسـنـ فـالـسـمـاعـ ، وـوـصـلـ إـلـىـ الـقـلـبـ ! ثـمـ تـنـحـيـ عـنـهـ ابنُ جـامـعـ !

---

(١) وـاقـفـهـ : سـأـلـهـ الـوقـوفـ .

## ٢٥ — سرقة الفناء\*

قال الرشيد يوماً لجمفر بن يحيى : قد طال سماعنا هذه العصابة على اختلاطِ الأمرِ فيها ، فلهم أفاءِك إياها وأخبارك ؛ فاقسما المغنيين ، على أن جعلا بيازاء كلِ رجلٍ نظيره ؛ وكان ابن جامع في حيز الرشيد ، وإبراهيم الوصلاني في حيز جمفر بن يحيى ، وحضر التدمة لمختنه<sup>(١)</sup> المغنيين .

وأمرَ الرشيدَ ابنَ جامع فنَّى صوْنَا أَحْسَنَ فِيهِ كُلَّ الْإِحْسَانِ ، وطربَ الرشيدُ غَايَةَ الطربِ ، فلما قطعه قال الرشيدُ لإبراهيم : هات يا إبراهيم هذا الصوت فننه . فقال : لا ، والله يا أميرَ المؤمنين ما أَغْرِفُه ؛ وظهر الانكسار فيه ، فقال الرشيدُ لجمفر : هذا واحدٌ .

ثم قال لإسماعيل بن جامع : غنْ يا إسماعيل ؟ فنَّى صوْنَا ثانيةً أَحْسَنَ من الأولى ، فلما استوفاه قال الرشيدُ لإبراهيم : هاته يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا ! فقال : هذان اثنان ! غنْ يا إسماعيل ؟ فنَّى ثالثاً يتقدّم الصوتين الأولين ويفضلُهما . فلما أتى على آخره قال : هاته يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا أيضاً . فقال له جمفر : أخْرِزْ إِلَّا اللَّهُ .

وأتمَ ابنَ جامع بَوْمَه ، والرشيدُ مسروّبه ، وأجازه بجوائزَ كثيرة ، وخلعَ عليه خِلْعاً فاخرة ، ولم يزل إبراهيم مُنْخَذِلاً مُنْكَسِراً حتى انصرف . ومضى إلى

\* الأغاني : ٥ - ٢٠٦

(١) المختنة : الاختبار .

منزله ، فلم يستقرَ فيه حتى بعث إلى محمد المعرف بالزَّفَ<sup>(١)</sup> - وكان من المغنين الحسينين ، وكان أسرعَ مَنْ عُرِفَ في أيامه في أخذِ صوتِ يريدُ أخذَه ، وكان الرشيد قد وَجَدَ<sup>(٢)</sup> عليه في بعض ما يجده الملكُ على أمثاله ، فألزمَه بيته وتناساه - فقال إبراهيم للزَّفَ : إنِّي أخْرَتُكَ على مَنْ هو أحبُ إلىَّ منك لِأَمْرٍ لا يصلح له غَيْرُكَ ، فانظر كيف تكون ! قال : أَبْلَغُ في ذلك مَحْبَبَتَكَ ، إن شاء الله تعالى . فَادْعُ إِلَيْهِ الخبرَ ، وقال : أَرِيدُ أَنْ تَمْضِيَ السَّاعَةَ إِلَى ابن جامِع ، فَتُعلِّمَهُ أَنَّكَ صِرَاطٌ إِلَيْهِ مَهْنَثًا بِمَا تَهْيَأَ لَهُ عَلَى وَتَنَقْصَنِي وَتَشَبَّهُ<sup>(٣)</sup> وَتَشَتَّنِي ، وَتَحْتَالُ فِي أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ الأَصْوَاتَ وَتَأْخُذُهَا مِنْهُ ، وَلَكَ مَا تُحِبُّهُ مِنْ عَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ مِنْ رِضا الْخَلِيلِيةِ إن شاء الله .

فضى واستأذنَ على ابن جامِع فَادْرَفَهُ لَهُ ، فدخل وسلم عليه و قال : جئتُكَ مُهْنَثًا بِمَا بَلَقْنِي مِنْ خَبْرِكَ ، وَالْحَمْدُ لِللهِ الَّذِي أَخْرَى ابنَ الْجَرْمَانِيَّةِ<sup>(٤)</sup> على يديكَ ، وكشف الفضلَ فِي مَحْلِكَ مِنْ صناعتكَ ، قال : وهل بِلِفْكَ خَبَرْنَا ؟ قال : هو أَشَهَرُ مَنْ أَنْ يَخْفِي عَلَى مِثْلِي ، قال : وَيَحْكُمُ إِنَّهُ يَقْصُرُ عَنِ الْعِيَانِ . قال : أَيْهَا الأَسْتَاذُ ؟ سُرْتُنِي بِأَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ فِيكَ حَتَّى أَرْوِيهُ عَنْكَ ؛ قال : أَقِمْ عندِي حَتَّى أَفْعَلَ ، قال : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ .

فدعاه ابنُ جامِع بالطعام فَأَكَلا وَدَعَا بالشراب ، ثم ابْتَدَأَ خُدْتَهُ بالخبر حتَّى

(١) هو محمد بن عمرو، مولى أبي تميم، كوفى الأصل والمولد، والزف لقب غالب عليه، كان مقرباً ضارباً، طيب السمع، صالح الصنعة، مليح النادرة، أسرع خلق الله أخذـها للفناء . وأصحابهم أداء له، كان يتعصب لابن جامِع، مات في خــلافة الرشيد . (٢) وجد عليه : غضـ.

(٣) ثلبه : عابه وتنقصه . (٤) الجرماني واحد الجرامقة: وهم قوم من العجم صاروا بالموصل فــ أوائل الإسلام .

انتهى إلى خبر الصوت الأول . فقال له الزف : وما هو أهلاً الأستاذ ؟ فنَّاهُ ابنُ جامِعٍ إِيَاهُ ، فجَلَّ مُحَمَّدٌ يُصْفِقُ وينقر ويشربُ وابنُ جامِعٍ مجتهدٌ في شأنه حتى أخذَهُ عنه ، ثم سأله عن الصوت الثاني فنَّاهُ إِيَاهُ . و فعل مثلَ فِعلِهِ في الصوت الأول ، ثم كذلك في الصوت الثالث .

فَلَمَّا أَخْذَ الْأَصْوَاتَ الْثَّلَاثَةِ وَأَحْكَمَهَا ، قَالَ لَهُ : يَا أَسْتَادُ ؟ قَدْ بَلَغْتُ مَا أَحْبَبْتُ فَأَذْنِنَ لِي فِي الْاِنْصَارَافِ ؟ قَالَ : إِذَا شِئْتَ .

فَانْصَرَفَ مُحَمَّدٌ مِّنْ وَجْهِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَلَمَّا طَلَعَ مِنْ بَابِ دَارِهِ قَالَ لَهُ : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : كُلُّ مَا تَحْبَبْتُ ؟ اذْعُنْ لِي بُعُودِي ، فَدَعَاهُ بِهِ ؛ فَضَرَبَ بِوْغَنَاهُ الْأَصْوَاتَ . قَالَ إِبْرَاهِيمَ : وَأَبِيكَ هِيَ بِصُورِهَا وَأَعْيَانِهَا ؟ رَدَّدَهَا عَلَىَّ الْآنَ ، فَلَمْ يَزِلْ يَرْدَدَهَا حَتَّىٰ حَتَّىٰ لِإِبْرَاهِيمَ ، وَانْصَرَفَ الزَّفُّ إِلَى مَنْزِلِهِ .

وَغَدَّا إِبْرَاهِيمُ إِلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا دَعَا بِالْمُفْتَنِينَ دَخَلَ فِيهِمْ ، فَلَمَّا بَصَرَّ بِهِ قَالَ لَهُ : أَوْ قَدْ حَضَرْتَ ! أَمَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَجْلِسَ فِي مَنْزِلِكَ شَهْرًا بِسَبِيلِ مَالِقِيتَ مِنْ ابْنِ جَامِعٍ ! قَالَ : وَلَمَّا ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! وَاللَّهُ لَئِنْ أَذْنَتَ لِي أَنْ أَفُولَ لِأَفْوَلَنَّ ، قَالَ : وَمَا عَسَكَ أَنْ تَقُولَ ! قَلَ . فَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ يَنْبَغِي لِي وَلَا لِنَبِيِّ أَنْ يَرَاكَ نَشِيطًا لَشَىٰ ، فَيَعْرَضُكَ ، وَلَا أَنْ تَكُونَ مَتَعْصِيًّا لَهِيَزٌ وَجَنْبَهٌ<sup>(١)</sup> فِي نَالَبَكَ ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ الْأَرْضَ صَوْتٌ لَا أَعْرَفُهُ . قَالَ : دَعْ ذَا عَنْكَ ؛ قَدْ أَفْرَدْتَ أَمْسَى بِالْجَهَالَةِ بِمَا سَمِعْتَ مِنْ صَاحِبِنَا ، فَإِنْ كُنْتَ أَمْسَكْتَ عَنْهُ بِالْأَمْسَى عَلَى مَعْرِفَةٍ كَمَا تَقُولُ فَهَاتِهِ الْيَوْمَ ، فَلَيْسَ هُنْهَا عَصَبَيَّةٌ وَلَا تَمِيزَ .

(١) الجنبة : الناحية .

فاندفع فأمرَّ الأصواتَ كلاماً ، وابنُ جامعٍ مُصنِّعٍ يسمع منه ، حتى أتى على آخرها ، فاندفع ابنُ جامعٍ خلف بالآيام المُحرِّجة أنه ما عرفها قط ولا سمعها ، ولا هي إلا من صنعته ، ولم تخرج إلى أحدٍ غيره ، فقال له : ويحك ! فما أحدثتْ بعدى ! قال : ما أحدثتْ شيئاً .

قال : يا إبراهيم ؟ بحياتي ، أصدقني . قال : وحياتك لأصدقُنَّكَ ؟ رميته بحجره<sup>(١)</sup> ، فبعثتُ إليه بمحمد الزَّفِ وضمنتُ له ضمانتِي ، أوَّلَمَا رضاكَ عنه ؟ فضى فاحتال لى عليه حتى أخذها عنه ونقلتها حتى سقط الآن اللومُ عنِ ياقواده ، لأنَّه ليس علىَّ أنْ أعرفَ ماصنعه هو ولم يُخْرِجْه إلى الناس ، وهذا بابٌ من الغيب ، وإنما يلزمني ألا يُرَفَّ هو شيئاً من غناه الأوائل وأجهله أنا ، وإلا فلو لزمني أنْ أُرَوِي صنعته للزِّمِّه أنْ يرويَ صنعتي ولزمَ كُلَّ واحدٍ منا لسائِر طبقته ونظرائه مثلُ ذلك ، فمن قصرَ كان مذموماً ساقطاً .

قال له الرشيد : صدقتَ يا إبراهيم ونَصَحتَ<sup>(٢)</sup> عن نفسك وقتَ بمحبتك . ثم أقبلَ على ابنِ جامع ، فقال له : يا إسماعيل ؟ أتيتْ أتيتْ ! دُهُيتْ دُهُيتْ ! أبطل عليكَ الموصلى مافعلته به أمس ، وانتَصفَ اليومَ منكَ ، ثم دعا بالزَّفِ فرَضَيَ عنه .

---

(١) روى فلان بمحبته : لماذا قرن بيته . (٢) نفع عن نفسه : دفع عنها بالمحبة .

## ٢٦ — أنا والصبع كَفَرَسَى رِهَانْ \*

قال إبراهيم<sup>(١)</sup> الموصلى :

قال لي الرشيد يوماً : يا إبراهيم ؛ بـكـرـ علىـ غـداـ حتـىـ نـصـطـبـعـ ؛ قـلـتـ لـهـ : أنا  
والصـبـعـ كـفـرـسـىـ رـهـانـ ، فـبـكـرـتـ فـإـذـاـ أـنـاـ بـهـ خـالـيـاـ ، وـبـيـنـ يـدـيـهـ جـارـيـةـ كـأـنـهـاـ  
خـوـطـ<sup>(٢)</sup> بـأـنـ ، حـلـوةـ الـمـنـظـرـ ، دـمـيـثـ الشـمـائـلـ ، وـقـيـدـهـ عـودـ ، فـقـالـ لـهـ : غـنـىـ ،  
فـغـنـتـ فـيـ شـيـعـرـ أـبـيـ نـوـاسـ وـهـوـ :

تـوـهـمـ قـلـبـيـ فـأـصـبـحـ خـدـهـ وـفـيـ مـكـانـ الـوـهـمـ مـنـ نـظـرـيـ أـثـرـ<sup>(٣)</sup>  
وـمـرـ بـفـكـرـيـ خـاطـرـاـ خـرـجـتـهـ وـلـمـ أـرـ جـسـماـ قـطـ يـجـرـحـهـ الـفـكـرـ  
وـصـافـهـ قـلـبـيـ فـأـلـمـ كـفـهـ فـنـ غـنـزـ قـابـيـ فـيـ أـنـامـلـهـ عـفـرـ<sup>(٤)</sup>  
قال إبراهيم : فـذـهـبـتـ وـالـلـهـ بـعـقـلـ حـتـىـ كـدـنـتـ أـنـ أـفـضـحـ ، قـلـتـ : مـنـ هـذـهـ  
يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ ؟ فـقـالـ : هـذـهـ الـتـيـ يـقـولـ فـيـهاـ الشـاعـرـ :

لـمـ اـقـلـبـيـ الـغـدـاءـ وـقـلـبـهـ لـىـ فـنـحـنـ كـذـاكـ فـجـسـدـيـنـ رـوـحـ  
ثـمـ قـالـ : غـنـىـ ، فـغـنـتـ :

تـقـولـ غـدـاءـ الـبـيـنـ إـمـحـدـيـ نـسـاـمـهـ : لـيـ الـكـبـدـ الـحـرـئـ فـسـرـ وـلـكـ الصـبـرـ<sup>(٥)</sup>

\* الأغانى : ٥ - ٢٢٨

(١) أوحد زمانه في الفتاء واحتزاع الألحان ، اتصل بالخلفاء فـكـانتـ لهـ عـنـدهـ مـرـزـلةـ حـسـنةـ .  
وماتـ فيـ بـغـدـادـ سـنـةـ ١٨٨ـ ـ . (٢) الـخـوـطـ : الـغـصـنـ ، وـالـبـانـ : نـوـعـ مـنـ الـشـجـرـ ، لـبـ ثـورـ دـهـنـ طـيـبـ . (٣) أـثـرـ الـجـرـحـ : أـثـرـ يـبـقـيـ بـعـدـ مـاـ يـبـرـأـ . (٤) الـعـرـ : الـجـرـحـ . (٥) الـشـعـرـ لـأـبـيـ الشـيـعـ .

وقد خفَّقتَها عَسِيرَةٌ فَدُمُوعُهَا  
 على خَذْلَهَا يَبْيَضُّ وَفِي نَحْرِهَا صُفْرٌ  
 قال : فشرب وستقني ثم سقاها ، ثم قال : غنَّ يا إبراهيم ؛ فغنت حسبَ  
 ما في قلبي غير متحفظٍ من شيءٍ :  
 شربَ قلبي حبهَا ومشى بهَ  
 تمشيًّا مُحميًّا إلَى الْكَأْسِ فِي جَسْمِ شَارِبٍ  
 ودبَّ هواهَا فِي عِظَامِي فَشَفَّهَا  
 كَادَ بَفِي الْمَلْسُوْعِ سُمُّ الْقَارِبِ  
 قال : ففقط بتعريفي - وكان جهالَةً مُنْتَهِيَّا - وأمرني بالانصراف ، ولم يدعني  
 شهراً ، ولا حَضَرَتْ مجلسَهَ .

فلما كان بعد شهر دسَّ إلى خادمًا معه رقمةٌ ، فيها مكتوب :  
 قد تحوَّلتُ أَنْ أَمُوتَ مِنَ الْوَجْدِ وَلَمْ يَلْدِ مَنْ هُوَ يَتَوَبِّعُ  
 يَا كَتَابِي فَاقْرِئْ السَّلَامَ عَلَى مَنْ لَا أَمْتَى وَقُلْ لَهُ يَا كَتَابِي  
 إِنَّ كَفَّاً إِلَيْكَ قَدْ بَعَثْتَنِي فِي شَقَاءِ مُوَاصِلِي وَعَذَابِ  
 فَأَتَانِي الْخَادِمُ بِالرُّفْعَةِ ؛ قُلْتُ لَهُ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : رِقْمَةُ الْبَعْرَيْةِ فِلَانَةُ التِّي  
 غَنْتُكَ بَيْنَ يَدِيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ ؛ فَأَحْسَسْتُ الْقَصَّةَ ، فَشَتَّمْتُ الْخَادِمَ وَوَثَبَتُ عَلَيْهِ  
 وَضَرَبْتُهُ ضَرَبَ شَفَقَتُ بِهِ نَفْسِي وَغَيْظِي .

ورَكِبَتْ إِلَى الرَّشِيدِ مِنْ فَوْرِي فَأَخْبَرَتْهُ الْقَصَّةَ وَأَعْطَيْتُهُ الرَّقْمَةَ؛ فَضَحِكَ حَتَّى  
كَادَ يَسْقُلُ، ثُمَّ قَالَ: عَلَى عَمْدِي فَلَمَّا ذَكَرْتُكَ لِأَمْتَحِنَ مَذْهَبَكَ وَطَرِيقَتَكَ،  
ثُمَّ دَعَا بِالْخَادِمِ، فَلَمَّا خَرَجَ رَآهُ فَقَالَ لِي: قَطْعَ اللَّهِ يَدِيكَ وَرَجْلِيكَ، وَيَحْكَ ا  
فَتَلَّتْنِي؛ فَقَلَتْ: الْفَعْلُ وَاللَّهُ كَانَ بَعْضَ حَقِّكَ لَا وَرَدَتْ بِهِ عَلَيَّ، وَلَكِنَ رَحْمَتُكَ  
فَأَبْقَيْتُ عَلَيْكَ، وَأَخْبَرْتُ أَمِيرَ الْوَمَنِينَ لِيَأْتِيَ فِي عَقْوَبَتِكَ بِمَا تَسْتَحْقِهِ . وَأَمْرَ لِي  
الْرَّشِيدَ بِصَلَةِ سَنَنَةٍ .

\* ٢٧ - ما هذا بجزائي منك

قال الأصمى <sup>(١)</sup> : مررت بدار الزبير بالبصرة ، فإذا شيخ قديم من أهل المدينة من ولد الزبير ، يكنى أباً مخانة ، جالس بالباب عليه شملة <sup>(٢)</sup> تستره ؛ فسلتُ عليه ؛ وجلستُ إليه ؛ فيبأ أنا كذلك إذ طلت علينا سويداء ، تحمل قربة ، فلما نظر إليها لم يعالكْ أنْ قام إليها ، فقال لها : بالله غنِي صوتاً ! قالت : إنَّ موالِي أَعْجَلُونِي <sup>(٣)</sup> ؛ فقال : لا بدَّ من ذلك ! قالت : أمَا والقربة على كتفي فلا !

قال : فأنا أحِلُّها ؛ فأخذ القربة منها ؛ فاندفعتْ تُغْنِي :

فؤادُ أَسِيرُ لَا يُفَكَّ وَمُهْجَرِي  
تفيضُ ، وأحزاني عليك تَطُول

إِلَيْكَ ، وأَجفانِي عَلَيْكَ هُمُولُ <sup>(٤)</sup>  
وَلِمَلْأَةِ قَرْحَى لَطُولِ اشْتِيقَا

فَدَيْتُكَ ! أَعْدَائِي كَثِيرٌ ، وَشُقُقِي  
بعيدٌ ، وأشياعِي لَدِيكَ قَلِيلٌ

فطرب ، وصرخ صرخة ، وضرب بالقربة إلى الأرض فشقها !

ف قامت الجارية تبكي ، وقالت : ما هذا بجزائي منك ! أسعفتُك بمحاجتك

فعرَضْتَنِي لِمَا أَكْرَهَ مِنْ موالِي !

قال : لا تَفْتَمِي ؛ فإنَّ المصيبةَ علىَ حَصَلَاتِنِي ! ونزَعَ شملته ، وابتاع لها قربةَ جديدة ! وقَعَدَ ؛ فاجتاز به رجلٌ من ولد علىَ بن أبي طالب ؛ فعرف حاله ،

قال : يا أبا رِحْمَةَ ؛ أحسبك من الذين قال الله فيهم : **{فَمَا رَبَحَتْ تِنَاجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}** <sup>(١)</sup> .

قال : لا ؛ يابنَ رسول الله ، ولكني من الذين قال الله فيهم : **{فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ لِقَوْلِنَ ، فَيَتَبَيَّنُونَ أَحْسَنَهُ}** <sup>(٢)</sup> !  
فضحك وأمر له بـألف درهم .

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٦

(٢) سورة الزمر ، آية ١٧ ، ١٨

## \* ٢٨ — ما نفعنِي الْفِنَاءُ إِلَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ

قال إبراهيم<sup>(١)</sup> بن المهدى : حججت مع الرشيد ، فيبینما نحن في الطريق وقد انفردتُ أَسِيرُ وَحْدِي ، وأنا على دابّتى إِذْ غَلَقْتَ عَيْنَائِي ، فَسَكَتَتْ بِالدَّابَّةِ غَيْرَ الطَّرِيقِ ، فَانْتَهَتْ وَأَنَا عَلَى غَيْرِ الْجَادَةِ<sup>(٢)</sup> ، فَاشْتَدَّ بِي الْحَرَّ ، فَعَطَشْتُ عَطْشًا شَدِيدًا ، فَارْتَفَعَ لِي خِبَابٌ قَصْدَتِهِ ، فَإِذَا بُقْبَيْةٌ ، وَبِجَنْبَلِهَا بَرْمَاءٌ ، بِقَرْبِ مَرْزَعَةٍ – وَذَلِكَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ – وَلَمْ أَرْ بَهَا إِنْسِيًّا ، فَاطْلَعْتُ فِي الْقَبَّةِ ، فَإِذَا أَنَا بِأَسْوَدِ نَاثِمٍ ، فَأَحْسَنَ بِي ، فَقَطَحَ عَيْنِي ثُمَّ اسْتَوَى جَالِسًا ، فَإِذَا هُوَ عَظِيمُ الصُّورَةِ . قَلْتُ : يَا أَسْوَدَ ، اسْقَنِي مِنْ هَذَا الْمَاءِ ، فَقَالَ : يَا أَسْوَدَ ، اسْقَنِي مِنْ هَذَا الْمَاءِ ، مُحَاجِيًّا لِي . وَقَالَ : إِنْ كُنْتَ عَطْشَانَ فَانْزِلْ وَاشْرِبْ ، وَكَانَ تَحْتَ بِرْذُونَ<sup>(٣)</sup> خَيْثَتْ نَفُورَ ، فَخَشِيتُ أَنْ أُنْزَلَ عَنْهُ ، فَيَنْفِرَ ، فَضَرَبَتْ رَأْسَ الْبِرْذُونَ .

وَمَا نَفَعَنِي الْفِنَاءُ قَطُّ إِلَّا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَذَلِكَ أَنِّي رَفِعْتُ عَقِيرَتِي وَغَنَّيْتُ . فَرَفِعَ الْأَسْوَدُ رَأْسَهُ إِلَيَّ ، وَقَالَ : أَيْمَّا أَحَبُّ إِلَيْكِ ، أَنْ أُسْقِيكَ مَاءَ وَحْدَهُ ، أَوْ مَاءَ وَسَوْيِقًا<sup>(٤)</sup> ؟ قَاتَ : الْمَاءُ وَالسَّوْيِقُ . فَأَخْرَجَ قَعْبَيْهَا<sup>(٥)</sup> لِهِ ، فَصَبَ السَّوْيِقَ فِي الْقَدْحِ فَسَقَانِي ، وَأَقْبَلَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَصَدَرِهِ ، وَيَقُولُ : وَاحْرَرْ صَدَرَاهُ ! يَا مُولَايِ ؟ زِدْنِي وَأَنَا أَزِيدُكَ ، وَشَرَبْتُ السَّوْيِقَ ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا مُولَايِ ، إِنَّ بَيْنَكَ

\* المسعودي : ٢ - ٢٧٠

(١) هو إبراهيم بن محمد المهدى أخو هارون الرشيد ، كان أسود حالك اللون فصبح المسان واسع الصدر ، سخن السکف حاذقا بصنعة الفناء ، توفي سنة ٢٢٤ هـ . (٢) الجادة: معظم الطريق . (٣) البرذون: الدابة . (٤) السويق: ما يتخذ من الحنطة والشعير . (٥) القعب: القدح الضخم .

وَبَيْنَ الطَّرِيقِ أَمْيَالًا ، وَلَسْتُ أُشْكِنْ أَنْكَ تَعْطَشُ ؛ لَكُنِي أَمْلَأُ قُرْبَتِي هَذِهِ وَأَحْمِلُهَا  
قُدَامَكَ . فَقَلْتُ : افْعُلْ .

فَلَأُقْرِبَتِهِ ، وَسَارَ قُدَامِي وَهُوَ يَجْلِلُ فِي مِشِّيَّتِهِ غَيْرَ خَارِجٍ عَنِ الْإِيقَاعِ ، فَإِذَا  
أَمْسَكَتْ لَأْسْتَرِيجَ أَقْبَلَ عَلَيَّ ، قَالَ : يَا مَوْلَايَ ؟ عَطَشْتَ ؟ فَأَغْنَيْتَهُ إِلَى أَنْ أَوْقَنَّ فِي  
عَلَى الْجَادَةِ ، ثُمَّ قَالَ لِي : سِرْ رَعَاكَ اللَّهُ ، وَلَا سَلَبَكَ مَا كَسَاكَ مِنْ هَذِهِ النَّعْمَ -  
بِكَلَامِ عَجَمِي ، مَعْنَاهُ هَذَا الدُّعَاءِ - فَلَحِقْتُ بِالْقَافْلَةِ ، وَالرَّشِيدُ قَدْ قَدْنَى ، وَقَدْ بَثَ  
الْخَيْلَ فِي طَلَبِي ، فَسُرَّ بِي حِينَ رَأَيْتَهُ ، فَأَنْتَيْتُهُ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْأُمْرَ ، قَالَ :  
عَلَى بِالْأَسْوَدِ ، فَمَا كَانَ إِلَّا هُنْيَّةً حَتَّى مَثَلَ بَيْنَ يَدِيهِ ، قَالَ لَهُ : وَيْكَ ! مَا حَرَّ  
صَدْرُكَ ؟ قَالَ : يَا مَوْلَايَ ، مِيمُونَةً ! قَالَ : وَمَنْ مِيمُونَةً ؟ قَالَ : حَبَشِيَّةً يَا مَوْلَايَ ؛  
فَأَمْرَ مِنْ يَسْتَفْهِمُهُ ، فَإِذَا الأَسْوَدُ عَبَدَ لِبْنَي جَمْرَ الطَّيَّارِ ، وَإِذَا السُّودَاءُ الَّتِي يَهْوَأُهَا  
قَوْمِ مِنْ وَلَدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلَى ؛ فَأَمْرَ الرَّشِيدَ بِأَبْقِيَاعِهِ لَهُ ، فَأَبَى مَوَالِيهَا أَنْ يَقْبِلُوا مَا  
نَمَّا ، وَوَهْبُوهَا لِلرَّشِيدِ ، فَانْتَرَى الْأَسْوَدَ وَأَخْنَقَهُ ، وَزَوَّجَهُ مِنْهَا ، وَوَهَبَ لَهُ مِنْ  
مَالِهِ بِالْمَدِينَةِ حَدِيقَتَيْنِ وَثَلَاثَمَائَةَ دِينَارٍ .

## ٢٩ — طَفَّيلٌ ولَكْنَهٔ ظَرِيفٌ \*

حدَثَ إِسْحَاقُ<sup>(١)</sup> الْمُوَصَّلِيَّ قَالَ : غَدَوْتُ يَوْمًا وَأَنَا ضَجِيرٌ مِنْ مُلَازِمَةِ دَارِ  
الْخِلَافَةِ وَالْخِدْمَةِ فِيهَا ؛ نَفَرَجْتُ وَرَكِبْتُ بُكْرَةً<sup>(٢)</sup> ، وَعَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَطْوَفَ  
الصَّحْرَاءَ وَأَنْقِرَجَ . فَقَلَتْ لِهِمَانِيَّ : إِنْ جَاءَ رَسُولُ الْخَلِيفَةِ أَوْ غَيْرُهُ فَعَرَّفُوهُ أَنِّي  
بَكْرَتُ فِي بَعْضِ مُهِمَّاتِي ، وَأَنْكُمْ لَا تَعْرِفُونَ أَينْ تَوَجَّهُتْ !  
وَمُضِيَتْ وَطَمَتْ مَا بَدَأَتِي ، ثُمَّ عَدَتْ وَقَدْ حَمِيَ النَّهَارُ . فَوَقَتْتُ فِي  
الشَّارِعِ الْمُعْرُوفِ بِالْمُخْرَمَ<sup>(٣)</sup> فِي فَنَاءِ ثَغْرِيْنِ الظَّلَلِ ، وَجَنَاحِيْ رَحْبِيَّ<sup>(٤)</sup> كُلَّ الطَّرِيقِ  
لِأَسْتَرْجِعَ .

فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ جَاءَ خَادِمٌ يَقُودُ حَمَاراً فَأَرِهَا عَلَيْهِ جَارِيَةً رَاكِبةً ، تَحْتَهَا مَنْدِيلٌ  
دِبِيقٌ<sup>(٥)</sup> ، وَعَلَيْهَا مِنَ الْلِبَسِ الْفَاخِرِ مَا لَا غَایَةَ بَعْدِهِ . وَرَأَيْتُ لَهَا قَوَاماً حَسَناً  
وَشَمَائِلَ حَسَنَةً .

فَخَرَّصْتُ<sup>(٦)</sup> أَنْهَا مُغَنَّيةً ، فَدَخَلْتُ الدَّارَ الَّتِي كُنْتُ وَاقِفًا عَلَيْها .  
ثُمَّ أَلْبَثْ أَنْ جَاءَ رِجَالَنِ شَابَانِ ، فَاسْتَأْذَنَاهُ فَأَذِنْتُ لَهُما ، فَنَزَلا ، وَنَزَلتُ مَعْهُما

\* الأغانى : ٥ - ٤٢٣

(١) إِسْحَاقُ الْمُوَصَّلِيَّ : مِنْ أَشْهَرِ نَدِيمَاءِ الْخَلْفَاءِ ، تَفَرَّدَ بِصَنْاعَةِ الْفَنَاءِ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْلُّغَةِ وَالْمُوسِيقِ  
وَالتَّارِيخِ وَعِلْمِ الدِّينِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ ، وَرَاوِيَةً لِلشِّعْرِ وَحَافِظًا لِلْأَخْبَارِ . تَوْفِيقٌ ٥٢٣٥ . (٢) بَاكِرًا  
(٣) الْمُخْرَمُ : مَحَلَّةُ بَيْنَدَادِ . (٤) رَحْبٌ : وَاسِعٌ . (٥) دِبِيقٌ : مَنْسُوبٌ إِلَى دِبِيقٍ ، وَهِيَ بِلِيدَةٍ  
كَانَتْ بَيْنَ الْفَرْمَا وَتَنِيسٍ مِنْ أَعْمَالِ مَصْرُ ، وَقَنْبُسٌ لِإِلَيْهَا الْثَّيَابِ . (٦) خَرَصَتْ : ظَنِنتْ .

ودخلت ؛ فظناً أن صاحبَ الدار دعاني وظنَّ صاحبُ الدار أني معهمما ؛ فجلسنا  
وأثني بالطعام فأكلنا وبالشراب فوضع ، وخرجت الجارية وفي يدها عودٌ ففنتَ  
وشرِّينا ؛ وقُمتُ قومَة ، فسأل صاحبُ المنزل الرجلين عنِّي ، فأخبراه أنهما  
لا يعرفانِي ؛ فقال : هذا طفيلي ولربه طريف ، فأجلوا عشرته ، وجئتُ بجلسٍ  
وغفتَ الجارية في لحنٍ لي ، فآدَته أداءً صالحاً ؛ ثم غنتُ أصواتاً شتى ، وغفتَ في  
أضعافها من صنعتِي :

الطلولُ الدوارِسُ      فارقْتُمَا الأوانِسُ

أوحشَتْ بعدَ أهليْمَا      فهـ قـفـرـ بـسـاـسـ (١)

فكان أمرُها فيه أصلحٌ منه في الأول ؛ ثم غنتُ أصواتاً من القديم والحديث ،  
وغفتَ في أثناءها من صنعتِي :

قل لمنْ صَدَّ عاتِيَا      ونـأـيـ عـنـكـ جـانـبـاـ

قد بلغتَ الذى أردَّ      تـ وـإـنـ كـفـتـ لـأـ عـبـاـ

فكان أصلحٌ ماغنته . فاستعدته منها لأصححَه لها . فأقبل علىَّ رجلٌ من  
الرجلين ، وقال : ما رأيتُ طفيليًّا أصفق وجهما منك ! لم ترض بالتطفيل حتى  
اقترحتَ ، وهذا غاية المثل : « طفيليٌّ مقتراح » ؛ فأطرقَتْ ولم أجبه . وجعل  
صاحبُه يَكْفُه عنِي فلا يَكْفُ . ثم قاموا المصلاة وتأخرتُ قليلاً ، فأخذتُ عودَ  
الجارية ، ثم أصلحتُه إصلاحاً مُخْكَماً ، وعدتُ إلى موضعِي فصلَّيتْ . وعادوا ثم  
أخذ ذلك الرجلُ يُعنَّفُني وأنا صامتْ .

---

(١) بسَاسْ ، لغة في السباب : الصحاري .

نَمْ أَخْذَتِ الْجَارِيَةِ الْمُوَدَّةَ فَجَسَّهُ وَأَنْكَرَتْ حَالَهُ ، وَقَالَتْ : مَنْ مَسَّ عُودِيْ؟ قَالُوا : مَا مَسَّهُ أَحَدٌ ، قَالَتْ : بَلِي ، وَاللَّهُ لَقَدْ مَسَّهُ حَادِقٌ مَتَقْدِمٌ وَأَصْلَحَهُ إِصْلَاحًا مُمْكِنًّا مِنْ صَنَاعَتِهِ ، فَقَلَتْ لَهَا : أَنَا أَصْلَحَتُهُ ؛ قَالَتْ : فَبِاللَّهِ خُذْهُ وَاضْرِبْ بِهِ ؟ فَأَخْذَتْهُ وَضَرَبَتْ بِهِ مِبْدَأً ظَرِيفًا عَجِيبًا صَعِيبًا ، فِيهِ نَفَرَاتٌ مُتَحْرِكَةٌ . فَابْقَى أَحَدُهُمْ إِلَّا وَثَبَ عَلَى قَدْمِيهِ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ .

نَمْ قَالُوا : بِاللَّهِ يَاسِيدُنَا ؛ أَنْفَنِيْ؟ قَلَتْ : نَمْ ، وَأَعْرَفُكُمْ نَفْسِي ؛ أَنَا إِسْحَاقُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوَصَّلِيُّ ، وَوَاللَّهُ إِنِّي لَأَتِيهُ عَلَى الْخَلِيفَةِ إِذَا طَلَبَنِي ، وَأَتَمْ ثَمَعْوَنَقَ مَا أَكَرَهُ مِنْذِ الْيَوْمِ لِأَنِّي نَزَّلْتُ بِكُمْ ! فَوَاللَّهِ لَا نَطَقَتْ بِحَرْفٍ وَلَا جَلَسَتْ مَعَكُمْ حَتَّى تَخْرِجُوا هَذَا الْمُعَرِّبَ<sup>(١)</sup> الْمَقِيتَ<sup>(٢)</sup> الْفَثَ . قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : مِنْ هَذَا حَدِيرَتُ عَلَيْكُمْ . فَأَخْذَ بِعَتْدَرٍ ؛ قَلَتْ : وَاللَّهِ لَا نَطَقَتْ بِحَرْفٍ وَلَا جَلَسَتْ مَعَكُمْ حَتَّى يَخْرُجُ ؛ فَأَخْذُوا بِيَدِهِ فَأَخْرَجُوهُ وَعَادُوا .

فَبَدَأْتُ وَغَنِيَّتِ الْأَصْوَاتُ الَّتِي غَنَّتْهَا الْجَارِيَةُ مِنْ صَنْعَتِي ، قَالَ لِي الرَّجُلُ : هَلْ لَكَ فِي خَصْلَةٍ ؟ قَلَتْ : مَا هِيْ ؟ قَالَ : تَقِيمُ عَنِّي شَهْرًا وَالْجَارِيَةُ وَالْحَارُّ لَكَ مَعَ مَا عَلَيْهَا مِنْ حُلُّ<sup>(٣)</sup> ؟ قَلَتْ : أَفْلَ . فَأَفْقَتُ عَنْهُ ثَلَاثَيْنِ يَوْمًا لَا بَدْرِي أَحَدٌ أَيْنَ أَنَا ، وَالْمُؤْمِنُ يَطْلُبُنِي فِي كُلِّ مَوْضِعٍ فَلَا يَعْرِفُ لِي خَبْرًا .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثَيْنِ يَوْمًا أَسْلَمَ إِلَى الْجَارِيَةَ وَالْحَارَ وَالْخَادِمِ فَجَبَتْ بِذَلِكَ إِلَى مَنْزِلِي ، وَرَكِبَتْ إِلَى الْمُؤْمِنِ مِنْ وَقْتِي ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ قَالَ : إِسْحَاقُ ! وَيَحْكُمُ ! أَنِّي تَكُونُ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِي . قَالَ : عَلَى<sup>(٤)</sup> بِالرَّجُلِ السَّاعَةِ ؛ فَدَلَّلْتُهُمْ عَلَى بَيْتِهِ فَأَهْضَرَهُ .

(١) الْمَرْبِدُ ، رَجُلٌ مَعْرِبٌ : يُؤْذَى نَدِيْعَهُ . (٢) الْمَقِيتُ : الْمَكْرُوهُ .

فَسَأَلَهُ الْمُؤْمِنُ عَنِ الْقِصَّةِ فَأَخْبَرَهُ . قَالَ لَهُ : أَنْتَ رَجُلٌ ذُو مَرْوَةٍ ، وَسَبِيلُكَ أَنْ  
تُعَاوِنَ عَلَيْهَا . وَأَمْرَ لَهُ بِإِثْنَانِ أَلْفِ دَرْهَمٍ ، وَأَمْرَ لَهُ بِخَمْسِينِ أَلْفِ دَرْهَمٍ ، وَقَالَ :  
أَخْضُرْنِي الْجَارِيَةَ . فَأَخْضَرَتْهُ فَنَفَتَهُ . قَالَ لَهُ : قَدْ جَعَلْتُ لَهَا نَوْبَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ  
مُلْثَاهٍ تَغْنِيَنِي وَرَاءَ السُّتُّرِ مَعَ الْجَوَارِيِّ . وَأَمْرَ لَهُ بِخَمْسِينِ أَلْفِ دَرْهَمٍ ، فَرَبَحَتْ وَاللهُ  
بِتَلْكَ الرَّكْبَةِ وَأَنْجَحَتْ .

---

## ٣٠ - زَرِيابٌ وَإِسْحَاقُ الْمُوصَلِيُّ

كان زَرِيابُ<sup>(١)</sup> تلميذاً لإِسْحَاقَ الْمُوصَلِيَّ بِبَغْدَادِ ، فَلَقِفَ مِنْ أَعْانِيهِ اسْتِرَاقاً ، وَهُدِيَّ مِنْ فَهْمِ الصِّنَاعَةِ وَصِدْقِ الْمَعْقُلِ ، مَعَ طَيْبِ الصَّوْتِ ، إِلَى مَافَاقِهِ إِسْحَاقَ ، وَإِسْحَاقُ لَا يَشْعُرُ بِمَا فُتَحَ بِهِ عَلَيْهِ ، إِلَى أَنْ اقْتَرَحَ الرَّشِيدُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيهِ بِمَنْ غَرِيبٍ يُجَيِّدُ لِلصِّنَعَةِ ، لَمْ يَشْهُرْ مَكَانَهُ إِلَيْهِ ؛ فَذَكَرَ لَهُ تَلْيِيذَهُ هَذَا ، وَقَالَ : إِنَّهُ مَوْلَى لِكُمْ ، وَسَمِعْتُ لَهُ نَزَّعَاتٍ حَسْنَةً ، وَنَعَمَاتٍ رَائِفَةً مُلْتَاطَةً<sup>(٢)</sup> بِالنَّفْسِ ، وَهُوَ مِنْ اخْتَرَاعِي وَاسْتِنْبَاطِ فَكْرِي ، وَأَحَدِيسُ<sup>(٣)</sup> أَنْ يَكُونَ لَهُ شَأنٌ .

قَالَ الرَّشِيدُ : هَذَا طَلِبْتِي ، فَأَخْضِرْنِيهِ ، لَعْلَّ حَاجَتِي عَنْهُ . فَأَحْضَرَهُ ، فَلَمَّا كَلِمَ الرَّشِيدَ أَعْرَبَ عَنْ نَفْسِهِ بِأَحْسَنِ مَنْطَقَ ، وَأَوْجَزَ خَطَابَ ؛ وَسَأَلَهُ عَنْ مَعْرِفَةِ بِالْبَنِينَ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، أَحْسِنْ مَا يُحْسِنُهُ النَّاسُ ، وَأَكْثَرُ مَا أَحْسِنَهُ لَا يُحْسِنُونَهُ ، مَا لَا يَحْسِنُ إِلَّا عِنْدَكُ ، وَلَا يُدَّخِّرُ إِلَّا لَكُ ؛ فَإِنْ أَذْنَتَ غَنِيَّتُكَ مَالِمْ تَسْمَعُهُ أَذْنَ قَبْلَكَ .

فَأَمْرَرْتَهُ عَوْدَ أَسْتَادِهِ إِسْحَاقَ ، فَلَمَّا أَدْنَى إِلَيْهِ وَقَفَ عَنْ تَنَاؤْلِهِ ، وَقَالَ :

\* نَفْعُ الطَّيْبِ : ٢ - ١٠٩

(١) كان زَرِيابَ مِنْ عَلَيْهِ بِصَنَاعَةِ الْفَنَاءِ عَالِمًا بِالْجُوْمِ ، شَاعِرًا أَدِيَّا حَلَوَ الْحَدِيثَ ، لَطِيفَ الْمَاعِشَةِ ، مَاهِرًا فِي خَدْمَةِ الْمَلُوكِ ، تَوَقَّعَ سَنَةَ ٣٣٠ هـ . (٢) التَّاطَّ بِالْقَلْبِ : لَرْقَ بِهِ . (٣) الْحَدِيسُ : الظَّنُّ وَالتَّحْمِينُ .

لِي عُودْ نَحْتَهُ بِيَدِي ، وَأَرْهَفْتَهُ بِإِحْكَامِي ، لَا أَرْتِضِي غَيْرَهُ ، وَهُوَ بِالْبَابِ ، فَلَيَادِيَنْ  
لِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي اسْتِدْعَاهُ ؛ فَأَمْرَ بِإِدْخَالِهِ إِلَيْهِ .

فَلَمَّا تَأْمَلَهُ الرَّشِيدُ - وَكَانَ شَبِيهًـ بِالْعُودِ الَّذِي دَفَعَهُ إِلَيْهِ - قَالَ : مَا مَنْعِكَ أَنْ  
تَسْتَعِمَ عُودَ أَسْتَاذِكَ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ مَوْلَايِ يَرْغُبُ فِي غِنَاءِ أَسْتَاذِي غَنِيَّتُهُ  
بِعُودِهِ ، وَإِنْ كَانَ يَرْغُبُ فِي غِنَائِي فَلَا بَدَّلَ مِنْ عُودِي ! قَالَ لَهُ : مَا أَرَاهَا إِلَّا  
وَاحِدًا ؟ قَالَ : صَدِقْتَ يَا مَوْلَايِ ؟ وَلَا يَؤْدِي النَّظَرُ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ عُودِي  
وَإِنْ كَانَ فِي قَدْرِ جَسْمِ عُودِهِ ، وَمِنْ جِنْسِ خَشَبِهِ ، فَهُوَ يَقْعُدُ مِنْ وَزْنِهِ فِي الثُّلُكِ ؛  
وَوَصَفَهُ وَصَفَّاً اسْتَبَرَعَهُ الرَّشِيدُ ، وَأَمْرَهُ بِالْفَنَاءِ ، فِيْسَ ثُمَّ اندْفَعَ فَنَاءُهُ :

بِأَيْمَانِهِ الْمَلِكُ الْمِيمُونُ طَافِرُهُ هَارُونَ رَاجِهِ إِلَيْكَ النَّاسُ وَابْتَكَرُوا<sup>(١)</sup>

فَلَمَّا أَتَمْ طَارَ الرَّشِيدَ طَرَبَا ، وَقَالَ لِإِسْحَاقَ : وَاللهِ لَوْلَا أَنِّي أَعْلَمُ مِنْ صِدِّيقِكَ  
وَتَصْدِيقِهِ لَكَ ؟ مِنْ أَنْكَ لَمْ تَسْمَعْهُ قَبْلُ الْأَنْزَلَتْ بِكَ الْعِقُوبَةُ ؟ لِتَرْكِكَ إِعْلَامِي  
بِشَأْنِهِ ؟ فَخَذَهُ إِلَيْكَ وَاعْتَنَّ بِهِ ، حِينَ أَفْرَغَ لَهُ ، فَإِنْ لَمْ لِي فِيهِ نَظَرًا .

فَسُقِطَ فِي يَدِ إِسْحَاقَ ، وَهَاجَ بِهِ مِنْ دَاءِ الْحَسَدِ مَا غَلَبَ عَلَى صَبْرِهِ ، فَخَلَّا  
بِزِرْيَابُ ، وَقَالَ : يَا عَلَيَّ ، إِنَّ الْحَسَدَ أَقْدَمُ الْأَدْوَاءِ<sup>(٢)</sup> . وَالدُّنْيَا فَتَانَةُ ، وَالشَّرَكَةُ  
فِي الصَّنَاعَةِ عَدَاوَةٌ ، وَلَا حِيلَةٌ فِي حَسْمِهَا ، وَقَدْ مَكْرَتَ بِي فِيمَا انْطَوَيَتْ عَلَيْهِ مِنْ  
إِجَادَتِكَ ؟ وَعَلَوْ طَبْقَتِكَ ، وَقَصَدْتُ مِنْفَعَتِكَ ، فَإِذَا أَنَا قَدْ أَتَيْتُ نَفْسِي مِنْ مَأْمِنِهَا  
بِإِدْنَاتِكَ ، وَعَنْ قَلِيلٍ تَسْقَطُ مِنْزَلَتِي ، وَتَرْتَقِي أَنْتَ فَوْقِي ، وَهَذَا مَا لَا أَصْاحِبُكَ عَلَيْهِ

(١) ابْتَكَرُوا : أَتَوْهُ بِكَرَةً ، وَالْبَكَرَةُ : الْفَدْوَةُ . (٢) جَمِ دَاءُ .

ولو أُنْكَ وَلَدِي؛ وَلَوْلَا رَعَيْتَ لَذَمَّةَ تَرْبِيَتِكَ لَمَ قَدَّمْتُ شَيْئًا عَلَى أَنْ أُذْهِبَ نَفْسَكَ،  
وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ مَا يَكُونُ .

فَخَيْرٌ فِي ثَنَتِينِ لَا بَدَّ لَكَ مِنْهُما : إِمَّا أَنْ تَذَهَّبَ عَنِ الْأَرْضِ الْعَرِيشَةِ ،  
لَا أَسْعِمُ لَكَ خَبَارًا ، بَعْدَ أَنْ تَعْطِيَنِي عَلَى ذَلِكَ الْأَيْمَانِ الْمَوْقَةَ ؛ وَأَنْ تَهْضُكَ لَذَلِكَ بِمَا  
أَرْدَتَ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ ، وَإِمَّا أَنْ تَقِيمَ عَلَى كُنْهِي وَرَغْنِي مُسْتَهْدِفًا إِلَيْهِ ؛ فَنَذَّ  
الآن حِذْرَكَ مِنِي ، فَلَسْتُ - وَاللَّهُ أَبْقَى عَلَيْكَ ، وَلَا أَدْعُ اغْتِيَالَكَ ، بَادِلًا فِي  
ذَلِكَ بَدَنِي وَمَالِي ، فَاقْضِ قَضَاءَكَ

فَخَرَجَ زِرْبَابَ لِوقْتِهِ ، وَعِلْمَ قَدْرَتِهِ عَلَى مَا قَالَ ، وَاخْتَارَ الْفِرَارَ ، فَأَعْانَهُ إِسْحَاقَ  
عَلَى ذَلِكَ سَرِيعًا ، وَرَاشَ<sup>(١)</sup> جَنَاحَهُ ، فَرَحِلَ عَنْهُ وَمَضَى يَبْغِي مَغْرِبَ الشَّمْسِ ، وَاسْتَرَاحَ  
قَلْبُ إِسْحَاقَ مِنْهُ .

وَتَذَكَّرُ الرَّشِيدُ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ شَفَلٍ كَانَ مُنْفَسِمًا فِيهِ ، فَأَمْرَ إِسْحَاقَ بِإِحْضَارِهِ؛  
فَقَالَ : وَمَنْ لَيْ بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! ذَلِكَ غَلامٌ مَجْنُونٌ ، يَزْعُمُ أَنَّ الْجِنَّةَ تَكَلَّمُهُ ،  
وَنَطَارِحُهُ مَا يُسْرِعُهُ<sup>(٢)</sup> بِهِ مِنْ غِنَائِهِ ، فَايْرِي فِي الدُّنْيَا مِنْ يَعْدِلُهُ<sup>(٣)</sup> ، وَمَا هُوَ إِلَّا  
أَنْ أَبْطَأَتْ عَلَيْهِ جَائِزَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدَرَ التَّقْصِيرُ بِهِ ، وَالْتَّهْوِينَ بِصِنَاعَتِهِ ، فَرَحِلَ  
مُغَاضِبًا<sup>(٤)</sup> ذَاهِبًا عَلَى وَجْهِهِ ، مُسْتَخْفِيَا عَنِّي ، وَقَدْ صَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
فَإِنَّهُ كَانَ بِهِ لَمَمَ<sup>(٥)</sup> يَنْشَأَهُ ، وَقَدْ كَانَ يَفْرَطُ خَبْلَهُ ، فَيُفْزِعُ مِنْ رَآهُ .

فَسَكَنَ الرَّشِيدُ إِلَى قَوْلِ إِسْحَاقَ ، وَقَالَ : عَلَى مَا كَانَ بِهِ ، فَقَدْ فَاتَنَا مِنْهُ سُرُورٌ

كَثِيرٌ ١

(١) راشه: إذا أحسن إليه، وراش صديقه: إذا أطعمه وسقاوه وكاه. (٢) زهي به: أجب به. (٣) يعدله: يساويه. (٤) مغاضبا: غاضبت الرجل: أغضبه وكرمه. (٥) اللهم: الجنون.

ومضى زرباب إلى المغرب<sup>(١)</sup> ، وعلم عبد الرحمن بن الحكم بخبره؛ فكتب إلى  
عَالَه على البلاد أَن يُحْسِنُوا إِلَيْهِ ، ويوصلوه إلى قُرْطُبَةَ ، وأمر مَن يَتَلَاقَاهُ بِيَسَارِ  
وآلاتِ حسنة .

فدخل هو وأهله ليلاً ، وأنزله في دار من أَخْسَنِ الدورِ ، وحمل إِلَيْها جَمِيعَ  
مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وخلَّعَ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَجْرَى عَلَيْهِ راتِبًا ، وَأَقْطَمَهُ مِن الدورِ وَالْمُسْتَغْلَاتِ  
بِقُرْطُبَةِ وَبِسَاتِينِهَا ، وَمِن الصَّبَّاعِ مَا يَقُوَّمُ بِأَرْبَعينِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَلَمَّا قَضَى لَهُ  
سُؤْلَهُ ، وَأَنْجَزَ مَوْعِدَهُ ، وَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَرْضَاهُ ، وَمَلَكَ نَفْسَهُ اسْتِدْعَاهُ ، وَلَمَّا سَمِعْ غَنَاهُ  
اطَّرَحَ كُلَّ "غَنَاه" سُواهُ ، وَأَحْبَهَ حَبَّا شَدِيدًا ، وَقَدَّمَهُ عَلَى جَمِيعِ الْمَغْنِينَ .

---

(١) يَرِيدُ الْأَنْدَلُسَ .

## \* ٣١ - في مسجد رسول الله تغنى؟

قال إبراهيم الحَرَّانِي : حججتُ مع أمير المؤمنين الرشيد ، فدخلتُ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فيينا أنا بين القبر والمنبر إذا أنا بـرـجـلـ حـسـنـ المـهـيـةـ خـاصـبـ ، وـمـعـهـ رـجـلـ فـيـ مـيـثـ حـالـهـ ، فـخـاتـ مـنـ التـفـاتـةـ ، فـإـذـاـ هوـ يـقـوـسـ حاجـبيـهـ ، وـيـفـتـحـ فـاهـ ، وـيـلـوـيـ عـنـقـهـ ، فـجـوـزـتـ<sup>(١)</sup> فـصـلـاتـيـ ، ثـمـ سـلـمـتـ قـلـتـ : أـفـ مـسـجـدـ رـسـولـ اللهـ تـشـفـنـيـ ! قـالـ : مـاـ أـجـهـلـكـ ! أـمـاـ فـيـ الجـنـيـهـ غـنـاءـ ! قـلـتـ : بـلـ أـ لـمـرـىـ ، فـيـهـ مـاـ شـهـيـهـ الـأـنـفـسـ وـتـلـذـ الـأـعـيـنـ ! قـالـ : أـمـاـ نـحـنـ فـيـ رـوـضـةـ مـنـ رـيـاضـ الجـنـةـ ؟ قـلـتـ : نـعـمـ ! قـالـ : وـاحـرـبـاـهـ ! أـتـرـدـ عـلـىـ رـسـولـ اللهـ قـوـلـهـ : «ـبـيـنـ قـبـرـيـ وـمـنـبـرـيـ رـوـضـةـ»ـ مـنـ رـيـاضـ الجـنـةـ »ـ ! فـنـحـنـ فـيـ تـلـكـ الرـوـضـةـ . قـلـتـ : قـبـحـ اللهـ شـيـخـاـ مـاـ أـسـفـهـ ! قـالـ : بـالـقـبـرـ وـالـنـبـرـ لـمـاـ<sup>(٢)</sup> أـنـصـتـ إـلـىـ ! فـخـوـقـتـ أـلـاـ أـنـصـتـ . فـانـدـفـعـ بـعـنـهـ بـصـوتـ يـخـفـيـهـ :

ولـيـسـتـ عـشـيـاتـ الـحـمـىـ بـرـواـجـعـ  
إـلـيـكـ ، وـلـكـنـ خـلـ عـيـنـيـكـ تـدـمـعـاـ  
بـكـتـ عـيـنـيـ الـيـسـرـىـ فـلـاـ زـجـرـتـهـاـ  
فـوـاـلـهـ إـنـ قـتـ إـلـىـ الصـلـاـةـ لـمـاـ دـخـلـ قـلـبـيـ ! فـلـمـارـأـيـ ماـ نـزـلـ بـيـ ، قـالـ : يـابـنـ أـمـ ؟  
أـرـىـ قـسـكـ قـدـ اـسـتـجـاـبـتـ وـطـأـبـتـ ، فـهـلـ لـكـ فـيـ زـيـادـةـ ؟ قـلـتـ : وـيـحـكـ اـفـ مـسـجـدـ

\* ذيل زهر الآداب : ٤٨

(١) تجوز في صلاته : خفف . (٢) لـاـ : لـاـ .

رسول الله ! قال : أنا والله أعرف بالله ورسوله منك ! فدعنا من جهلك ،  
ثم نفني :

فلو كان واش باليمامة داره وداري بأقصى حضر موت اهتدى ليما  
وماذا لهم - لا أحسن الله حفظهم - من الشأن في تصرير <sup>(١)</sup> ليني حبأليا  
قال له صاحبه : يابن أم ، أحسنت والله ، وعشق ما أمر لك لو كان أمير المؤمنين  
الرشيد حاضراً خلجم عليك ثيابه مشقوقة طرباً .

فقمت ، وما لا يعلم من أنا ؟ فدخلت على أمير المؤمنين فأعلمه الخبر ، فقال:  
أدرِكُمَا لا يفوتاك

فوجئت من جاء بهما . فلما دخلا عليه دخلا بوجوه قد ذهب ماوها ، وأنا  
قائم على رأسه ؛ فقال : يا إبراهيم ؟ هذان ها ؟ قلت : نعم ! فنظر إلى المغنى منها ،  
وقال : سعاية <sup>(٢)</sup> في جوار رسول الله ! فسرى عن أمير المؤمنين بعض غضبه ،  
وبتسل ، فقال : ما كنتما فيه ؟ قالا : في خير ! قال : فما الخير ؟ فسكتا .

قال للمغنى منها : من أنت ؟ فابتدره جماعة فقالوا : يا أمير المؤمنين ؟ إنه  
ابن جريج <sup>(٣)</sup> قيه مكة ! فقال : قيه مكة يتعين في مسجد رسول الله

قال : يا أمير المؤمنين ؟ لم يسكن ذلك مني بالقصد لفناء ، ولتكن كنت  
أشعرت هذا المخزوجي - يعني صاحبه - صوين ، فلم يزال في قلبي حتى التقينا ،  
فأحببت أن يأخذها عنى فأخذها ، وحلف أنني أحسنت ، وأنه لو كان في الموضع  
أمير المؤمنين خلجم على - وسكت .

---

(١) صرمته ، وصارته : قاطنته . (٢) سعاية : وشایة . (٣) ابن جريج : وهو عبد الملك ابن عبد العزيز بن جريج ، ويكنى أبا الوليد .

فقال الرشيد : تركتَ من الحديث شيئاً ؟ قال : ما تركتُ شيئاً يا أمير المؤمنين !  
قال : والله لقولنَّ . قال : يا أمير المؤمنين ؟ زعم أنك لو كنتَ في موضعه خلعتَ  
عليَّ ثياباً مشقوقة طرَّابَا !

فتبسم ، وقال : أمّا هذا فلا ، ولكن نخلصها عليك صحيحة ، فهي خير لك !  
ثم دعا بثياب فليس بها ونبذ إلية ثيابه ، وأمر له بعشرين ألف درم ولصاحبه  
عشرين ألف درم !

فصححه وقال: أَعْتَدُوهُ بِصَاحْبِهِ فِي الْجَازِرَةِ إِنْ كَانَ مُمْكِنًا

\* ٣٢ - شِعْرُ رِيقَّ

قال إِسْحَاقُ الْمُوصَلِيُّ : حضر مسامرة الرشيد عَبْرَ المَقْعِدَةِ - وَكَانَ فَصِيحًا مَتَادِيًّا ،  
عَلَى الشِّعْرِ ، ذَا صَوْتٍ حَسَنٍ - فَذَاكْرُوا رِيقَّ شِعْرِ الْمَدْنِينِ ، فَأَنْشَدَ بَعْضُ  
جَلْسَاهُ أَبِيَاتًا لَا بَنَ الدُّمِيَّةَ حِيثُ يَقُولُ :

وَأَذْكُرْ أَيَامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْتَسِي  
عَلَى كَبْدِي مِنْ خَشْيَةِ أَنْ تَصْدَعَ<sup>(١)</sup>  
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوْاجِعٍ  
عَلَيْكَ ، وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَدْمِعًا  
بَكَّتْ عَيْنَ الْيَمِنِيِّ فَلَمَّا زَجَرْتُهَا  
عَنِ الْجَهْلِ بِمَدِ الْحَلْمِ أَسْبَلْتَهَا مَعًا

فَأَعْجَبَ الرَّشِيدَ بِرِيقَّ الْأَبِيَاتِ ، قَالَ لَهُ عَبْرَ : يَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنَّ هَذَا  
مَدْنِيُّ رِيقَّ ، قَدْ غَذَى بِمَاءِ الْعَقِيقِ ، حَتَّى رِيقَّ وَصَفَا ، فَصَارَ أَصْفَى مِنَ الْمَوَاءِ ؛  
وَلَكِنْ إِنَّ شَاءَ مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْشَدَهُ مَا هُوَ أَرْقَ مِنْ هَذَا وَأَحْلَى ، وَأَصْلَبُ وَأَقْوَى  
لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَّةِ ! قَالَ : فَإِنِّي أَشَاءَ . قَالَ : وَأَتَرْتُمْ بِهِ يَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ :  
وَذَلِكَ لَكَ ، فَقَنِي لَجَرِيرُ :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِلَبْكَ غَادُرُوا وَشَلَّا<sup>(٢)</sup> بَعْيَنِكَ لَا يَرَالُ مَعِينَا  
غَيْضَنَ<sup>(٣)</sup> مِنْ عَبَرَاهِينَ وَفَلَنَّ لِي : مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْمَسْوَى وَلَقِينَا ا  
قَالَ : صَدَقَتْ يَا عَبْرَ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَجَازَهُ .

\* العقد الفريد : ٤ - ٤ - ١٠٩

(١) أصله تصدعا . (٢) الوشل : القليل من الدمع والكثير منه . (٣) غيضن من عبراهين : سيلن دموعهن حتى تزفتها ، ومن هنا للتبسيط أو زائدة .

## ٣٣ - صَوْتٌ بِدِرْهَمَيْنَ \*

قَدِيمٌ إِسْمَاعِيلُ<sup>(١)</sup> بْنُ الْهِرَبِ ذِي عَلِ الرَّشِيدِ مِنْ مَكَّةَ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَعِنْدَهُ أَبْنُ جَامِعٍ وَابْرَاهِيمَ وَابْنِهِ إِسْحَاقَ وَفَلَيْحَ وَغَيْرُهُمْ ، وَالرَّشِيدُ يَوْمَئِذٍ خَاتِمٌ<sup>(٢)</sup> ، فَقَتَى أَبْنُ جَامِعٍ ثُمَّ فَلَيْحَ ثُمَّ ابْرَاهِيمَ ثُمَّ إِسْحَاقَ ، فَإِذَا هُوَ كَهُ أَحَدُهُمْ وَلَا أَطْرَبَهُ ؛ فَانْدَعَ ابْنُ الْهِرَبِ ذِي عَلِيٍّ ، فَعَجَبُوا مِنْ إِقْدَامِهِ فِي تَلْكَ الْحَالِ عَلَى الرَّشِيدِ ، فَقَتَى :

يَارَاهُ كَبَ الْعِيسَى<sup>(٣)</sup> الَّتِي وَفَدَتْ مِنَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ  
قَلْ لِلإِمَامِ ابْنِ الإِمَامِ مَأْخِي الإِمَامِ أَبِي الإِمَامِ  
زَيْنِ الْبَرِّيَّ إِذْ بَدَا فِيهِمْ كَصْبَاحِ الظَّلَامِ  
جَمْلَ إِلَّهٗ الْهِرَبِ ذِي فِدَاكَ مِنْ بَيْنِ الْأَنَامِ

فَكَادَ الرَّشِيدُ يَرْقُصُ ، وَاسْتَخْفَفَ الطَّرْبَ حَتَّى ضَرَبَ بِيَدِيهِ وَرَجَلِيهِ ، ثُمَّ أَمْرَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . قَالَ لَهُ : يَا مَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّ هَذَا الصَّوْتَ حَدَّبَنَا ؛ فَإِنْ أَذْنَ مَوْلَايَ حَدَّثَنَاهُ بِهِ ؛ قَالَ : حَدَّثَ .

قَالَتْ : كَسْتُ مَلُوكًا لِرَجُلٍ مِنْ وَلَدِ الْزَّبِيرِ ؟ فَدَفَعَ إِلَيَّ دِرْهَمَيْنَ أَبْتَاعَ بِهِمَا لَهَّا ، فَرُحِختُ فَلَقِيتُ جَارِيَّةً عَلَى رَأْسِهَا جَرَّةً مَلُوكَةً مِنْ مَاءِ الْعَقِيقِ ، وَهِيَ تُفْنَى هَذَا اللَّهُنَّ فِي شِعْرٍ غَيْرِ هَذَا الشِّعْرِ عَلَى وَزْنِهِ وَرُوْيَهُ ، فَسَأَلَتْهَا أَنْ تَعْلَمَنِيهِ ؛ قَالَتْ :

\* الأغاني : ٧ - ١٠٤

(١) إِسْمَاعِيلُ بْنُ هَرَبَ ذِي : مَوْلَى آلِ الزَّبِيرِ بْنِ العَوَامِ ، أَمْرَكَ آخِرَ أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَغَنِيَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ ، وَعُمِرَ إِلَى آخرِ أَيَّامِ الرَّشِيدِ . (٢) خَتَّتْ نَفْسَهُ : غَثَتْ وَتَفَلَّتْ وَاخْتَلَطَتْ .

(٣) الْعِيسَى : إِبْلٌ .

لَا وَحْنَ الْقَبْرُ إِلَّا بِدَرَهْمَيْنِ ؛ فَدَفَعْتُ إِلَيْهَا الدَّرَهْمَيْنِ وَعَلَمْتُنِيهِ، فَرَجَعْتُ إِلَى مَوْلَايِ  
بَغْيَرْ لَمْ، فَضَرَبَنِي ضَرَبَّا مِبْرُّحا شُغْلَتُ مَعَهُ بِنَفْسِي فَأَنْسَيْتُ الصَّوْتَ .

ثُمَّ دَفَعْتُ إِلَى دَرَهْمَيْنِ آخَرَيْنِ بَعْدَ أَيَامٍ أَبْتَاعَ لَهُ بِهِمَا لَحْمًا، فَلَقِيَنِي الْجَارِيَةُ فَسَأَلَتُهُ  
أَنَّ تَعْيَدَ عَلَى الصَّوْتِ ؟ فَقَالَتْ : لَا وَاللهِ إِلَّا بِدَرَهْمَيْنِ، فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، وَأَعْادَتْهُ عَلَى  
مَرَارًا حَتَّى أَخَذْتُهُ .

فَلَمَارَجَعْتُ إِلَى مَوْلَايِ أَيْضًا وَلَا لَحْمَ مَعِي، قَالَ : مَا الْقَصَّةُ فِي هَذِينِ الدَّرَهْمَيْنِ ؟  
فَصَدَّقَهُ الْقَصَّةُ، وَأَعْدَدْتُ عَلَيْهِ الصَّوْتَ، قَبْلَ بَيْنِ عَيْنَيْ وَأَعْتَقْنِي ؛ فَرَحَلْتُ إِلَيْكَ  
بِهِذَا الصَّوْتِ، وَقَدْ جَعَلْتُ ذَلِكَ اللَّهُنَّ فِي هَذَا الشِّعْرِ، قَالَ : دَعِ الْأُولَى وَتَنَاسَهُ،  
وَأَقْمَ عَلَى الْفَنَاءِ بِهِذَا اللَّهُنَّ فِي هَذَا الشِّعْرِ، فَأَمَّا مَوْلَاكَ فَسَأَدْفَعُ إِلَيْهِ بَدْلَ كُلَّ درَمٍ  
أَلْفَ دِينَارٍ، ثُمَّ أَمْرَ لَهُ بِذَلِكَ فَحُجِّلَ إِلَيْهِ .

---

## ٣٤ - أم جعفر تُنوح على الرشيد\*

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى :  
سيمِعْتُ نائحةً تَنُوْحُ بِهَا الشِّعْرُ (١) :

قد لعمرى بتٌ ليلٍ كأخى الداء الوجع  
ونجى المم ميئى بات أدى من ضلوعى  
كلا أبصرت ربما دارساً (٢) فاضت دموعى  
مُقْفِراً من سيدٍ كـ نـ لـ نـ غير مُضـيعـ

فـ لـ مـ سـ عـ تـ هـ مـ نـ هـ اـ سـ تـ حـ سـ تـ هـ وـ اـ شـ هـ تـ يـ هـ ، وـ لـ هـ جـ هـ تـ بـ هـ ، فـ كـ نـ تـ أـ تـ رـ هـ تـ بـ هـ كـ ثـ يـ رـ ،  
فـ سـ عـ مـ ذـ لـ كـ مـ نـ بـ هـ ، فـ قـ الـ : مـ اـ تـ صـ نـ بـ هـ دـ ؟ قـ لـ تـ : شـ عـ قـ الـ اـ لـ اـ خـ وـ صـ هـ وـ صـ هـ  
مـ عـ بـ دـ لـ سـ لـ اـ مـ اـ ، وـ نـ اـ حـ تـ بـ هـ سـ لـ اـ مـ اـ عـ لـ يـ زـ يـ دـ .

ثم ضرب الدهر (٣) ؛ فـ لـ مـ اـ تـ الرـ شـ يـ دـ إـ زـ اـ رسولـ أـ مـ جـ عـ فـرـ قدـ وـ اـ فـانـيـ فـ اـ مـ رـ فـيـ  
بـ الـ حـضـورـ . فـ سـ يـ رـتـ إـ لـ يـ هـ ؛ فـ بـعـثـتـ إـ لـ يـ ؛ إـ لـ يـ قـ دـ جـ هـ مـتـ بـنـاتـ الـ خـ لـ فـاءـ وـ بـنـاتـ هـاشـمـ  
لـ تـنـوـحـ عـلـىـ الرـشـيدـ فـ لـ يـلـتـنـاـ هـذـهـ ؛ قـ لـ السـاعـةـ أـ بـيـانـاـ رـقـيـقـةـ ، وـ اـ صـنـعـهـنـ صـنـعـةـ حـسـنةـ  
حتـىـ أـنـوـحـ بـهـنـ .

\* الأغاني : ٨ - ٣٤٨

(١) الشعر للأخوة والنوح لمعبد ، وكان صنـهـ لـ سـ لـ اـ مـ اـ ، وـ نـ اـ حـ تـ بـ هـ سـ لـ اـ مـ اـ عـ لـ يـ زـ يـ دـ بنـ

عبدـ الملكـ . (٢) الدارسـ : العـاقـ الـذـىـ اـعـىـ . (٣) ضربـ الـ دـهـرـ بـيـنـاـ : فـرقـناـ .

فأردتُ نفسي على أن أقول شيئاً فما حضرني ، وجعلتُ ترسل إلى تَحْسُنِي ،  
فذكرتُ هذا النَّوْح ، فأرَيْتُ أبِي أصْنَعَ شِيئاً ، ثم قلت : قد حضرَنِي القول ، وقد  
صنعتُ فيه ما أمرت ، فبعثتُ إلَى بَكْنِيزَة ، وقالت : طارِجَهَا حتى ظَارِجَهِيه ،  
فأخذتْ كَنِيزَة العودَ ورَدَدَتْهُ عَلَيْهَا حتَّى أَخْذَتْهُ ، ثم دخلتْ فطَارَحَتْهُ أَم جَعْفَر ،  
فبعثتُ إلَى بِمائَةِ أَلْف درهم ومائَةِ ثُوب .

---

٣٥ — أَمَا إِلَيْك سَبِيلٌ غَيْر مَسْدُودٍ؟\*

قال إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ : لَمْ أَفْضَلْتُ الْخِلَافَةَ إِلَى الْأَمْوَانِ أَقْامَ عَشْرِينَ شَهْرًا لَمْ يَسْمَعْ حَرْفًا مِنَ الْغِنَاءِ ؛ نَمْ كَانَ أَوْلَى مِنْ تَفْنِي بِحُضْرَتِهِ أَبُو عَيْسَى ، نَمْ وَاظْبَطَ عَلَى السَّمَاعِ ، وَسَأَلَ عَنِي ، فَغَرَّهُنِي عَنْهُ بَعْضُ مَنْ حَسَدَنِي ؛ قَالَ : ذَلِكَ رَجُلٌ يَنْتَهِي عَلَى الْخِلَافَةِ ؟ قَالَ الْأَمْوَانُ : مَا أَبْنَقَ هَذَا مِنَ التَّيْهِ شَيْئًا ، وَأَمْسَكَ عَنِ ذِكْرِي .

وَجَفَانِي كُلُّ مَنْ كَانَ يَصِلُّنِي لِمَا ظَهَرَ مِنْ سُوءِ رَأْيِهِ ؛ فَأَضْرَرَ ذَلِكَ بِي حَتَّى جَاءَنِي يَوْمًا عَلَوَيْهِ ، قَالَ لِي : أَتَأْذَنُ لِي الْيَوْمَ فِي ذِكْرِكَ ، فَإِنِّي الْيَوْمَ عَنْهُ ؟ قَلَتْ : لَا ، وَلَكِنْ غَنَّهُ بِهَذَا الشِّعْرِ ؛ فَإِنَّهُ سَبِيعَتَهُ عَلَى أَنْ يَسْأَلَكَ : مِنْ أَنْ هَذَا ؟ فَيَنْفَتَحُ لَكَ مَا تَرِيدُ ، وَيَكُونُ الْجَوابُ أَسْهَلُ عَلَيْكَ مِنَ الْابْتِداءِ ؛ فَغَنِي عَلَوَيْهِ ، فَلَمَا اسْتَقْرَرَ بِهِ الْمَجَلسُ غَنَّاهُ الشِّعْرُ الَّذِي أَمْرَتُهُ بِهِ ، وَهُوَ :  
بَا مَشْرَعِ الْمَاءِ قَدْ سُدَّتْ مَسَالِكُهُ      أَمَا إِلَيْك سَبِيلٌ غَيْرُ مَسْدُودٍ !  
لِحَائِمٍ حَارَ حَتَّى لَا حِيَاةَ بِهِ      مَشْرِدٌ عَنْ طَرِيقِ الْمَاءِ مَطْرُودٌ  
فَلَمَا سَمِعَهُ الْأَمْوَانُ : قَالَ : وَيْلَكَ أَلِمَنْ هَذَا ؟ قَالَ : يَا سَيِّدِي ، اعْبُدُ  
مِنْ عَبِيدِكَ ، جَفَوْتَهُ وَاطَّرَحْتَهُ ، قَالَ : إِسْحَاقُ ؟ قَالَ : نَمْ ؛ قَالَ :  
لِي حُضُورُ السَّاعَةِ .

قال إسحاق : فجاءني الرسول ، فسرتُ إليه ، فلما دخلتُ قال : أدن ، فدنوتُ  
فرفع بيده وقد مدّها ، فاتكأتُ عليه ؛ فاحتضنني بيديه ؛ وأظهر من إكرامي وبرّي  
مالو أظهره صديق لي مواسي لسرّي .

### \* ٣٦ — عند مخارق \*

قال بعض الرواية : كنت عند مخارق<sup>(١)</sup> أنا وهارون بن أحمد بن هشام ،  
قلب مع هارون بالنَّزد ، فقرَّرْه<sup>(٢)</sup> مخارق ، ومرَّ بهارون فَصِيل<sup>(٣)</sup> ينادي عليه ،  
فاشتراه بأربعة دنانير ، ووجه به إلى مخارق ، وقال : أطعمننا من هذا الفَصِيل .  
فاجتمعنا وطبخ مخارق بيده جَزُورِيَّة ، وعمل من سَنَامَه وكبده طعاماً شُوِّي  
في التُّنور ، وعمل من لَحْمِه لوتاً يُشَبِّهُ أَلْهِرِيسَةَ بشعر مَقْسَرَ في نَهَايَةِ الطَّيْبِ ، فَأَكَلَا  
وجلسنا نشرب ؟ فإذا نحن بأمرأة تصيح من الشَّطَّ : يا أبا المَهْنَا ، الله ، الله في !  
حَفَ زوجي بالطلاق أن يسمع غناءك ويشربَ عليه ، فقال : اذهبِي وجيئِي به ،  
فجاء فجلس ، قال له : ما حملت على ما صنعت ؟ فقال له : يا سيدِي ؟ كنت  
سمعت صوتاً من صنعتك فطربتُ عليه حتى استخفتُ الطَّرَبَ ، خلقتُ أن أسمعه  
منك ثقة يلاجابتكم رغبة زوجتي ؟ فقال : وما هذا الصوت ؟ فقال :

---

\* الأغاني : ٢١ - ١٥١

(١) هو أبو المَهْنَا بن يحيى ، منشؤه بالمدينة ، وكان أبوه جزاراً ، فكان وهو صبي ينادي على  
ما يبيعه أبوه ، فلما بان طيب صوته عالمته مولاته طرفاً من القناة ثم اشتهر أمره وغنى الرشيد  
والآمن والأمين والمتصم والواافق ، توفى أيام التوكل . (٢) غلبه .  
(٣) الفَصِيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمها .

بَكْرَتْ عَلَيْكَ فَهِيجَتْ وَجْدًا      هُوَجُ<sup>(١)</sup> الْرِّيَاحُ وَأَذْكُرْتْ نَجْدًا  
 أَنْجَنَّ مِنْ شَوَّقٍ إِذَا ذُكِرْتْ      نَجْدٌ وَأَنْتَ تَرْكَتَهَا عَمَدًا !  
 فَفَنَاهُ إِيَاهُ ، وَسَقَاهُ رَطْلًا ، وَأَمْرَهُ بِالْاِنْصَارَافُ ، وَنَهَاهُ أَنْ يَعَاوِدُ ؛ نَفْرَجُ .

قَالَ الرَّاوِي : فَاللَّبَثْنَا أَنْ عَادَتِ الْمَرْأَةُ تَصْرُخُ : اللَّهُ ، اللَّهُ فِي بَايَا الْمَهْنَا ! قَدْ  
 أَعْادَ زَوْجِي الْمَشْتُومِ الْمَيْنِ ؟ أَنْ تَفْنِيهِ صَوْتًا آخَرُ ؟ فَقَالَ لَهَا : أَحْضَرْتَهُ ، فَأَحْضَرْتَهُ  
 أَيْضًا ، قَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ! مَالِي وَلَكَ ؟ مَا قِصْتُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي ؛ أَنَا رَجُلٌ  
 طَرُوبٌ ، وَكُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا لَكَ آخَرَ فَاسْتَغْفَرَتْنِي الطَّرُوبُ إِلَى أَنْ حَلَفْتُ بِالْطَّلاقِ  
 ثَلَاثَاتًا أَنِّي أَسْمَعَهُ مِنْكَ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : لَحْنُكَ :

أَبْلَغْ سَلَامَةً أَنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفِدَّا<sup>(٢)</sup>  
 هَذَا الْفِرَاقُ بَقِيَنَا إِنْ صَبَرْتَ لَهُ  
 لَا شَكَّ أَنَّ الذَّى بِسُوفَ يُهْلِكُنِي  
 فَفَنَاهُ إِيَاهُ مُخَارِقُ ، وَسَقَاهُ رَطْلًا وَقَالَ لَهُ : احْذَرْ ، وَيْلَكَ أَنْ تَعاوِدُ .

قَالَ الرَّاوِي : وَلَمْ تَلِبْتُ أَنْ عَاوَدَتِ الصَّيَاحَ تَصْرُخُ : يَا سَيِّدِي ! قَدْ عَاوَدَ  
 الْمَيْنِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي وَفِي أَوْلَادِي ! قَالَ : هَاتِيهِ ، فَأَحْضَرْتَهُ ، فَقَالَ لَهَا : اِنْصَرَفْ  
 أَنْتَ ؟ فَإِنْ هَذَا كَلَا اِنْصَرَفْ حَلْفُ وَعَادُ ، فَذَعِيْهِ يَقِيمُ يَوْمَهُ كَلَهُ ، فَتَرَكْتَهُ وَانْصَرَفْتَ ،  
 قَالَ لَهُ مُخَارِقُ : مَا قِصْتُكَ أَيْضًا ؟ قَالَ : قَدْ عَرَفْتُكَ يَا سَيِّدِي أَنِّي رَجُلٌ طَرُوبٌ ،  
 وَكُنْتُ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ صَنْعِكَ فَاسْتَغْفَرَتِي الطَّرُوبُ لَهُ ، خَلَفْتُ أَنِّي أَسْمَعَهُ مِنْكَ ،  
 قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ :

أَلِفَ الظَّبَّيُّ بِعَادِي      وَنَفَ المُّرْقَادِي

(١) هُوَجُ الْرِّيَاحُ : شَدِيدُ الْرِّيَاحِ . (٢) أَفِدَّ : دَنَّ ، وَأَزْفَ .

وَعَدَاهُ الْمَجْزُ عَلِيُ الْوَضْلِ بِأَسِيفٍ حِدَادٍ  
قَلْ لَنْ زَيْنَ وَدَى : لَسْتَ أَهْلًا لِوَدَادِي  
فَتَنَاهُ إِبَاوَسْقَاهُ رَطَّلَا ، ثُمَّ أَمْرَبَهُ فُبِطْحَ ، وَأَمْرَبَضْرَبَهُ خَسِينَ مِقْرَعَةً<sup>(١)</sup> ، وَهُوَ  
يَسْتَغْيِثُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : احْلَفْ أَنِّكَ لَا تَذَكَّرْنِي أَبَدًا ، وَإِلَّا كَانَ هَذَا دَأْبُكَ إِلَى  
اللَّيْلَ ، خَلَفَ عَلَى مَا أَمْرَبَهُ ، ثُمَّ أَقْبَمَ فَأَخْرَجَ عَنِ الدَّارَ ، فَجَعَلَنَا نَضْحِكَ بَقِيَةَ  
يَوْمَنَا مِنْ حُقْقَهِ .

---

(١) أَصْلُ الْمِقْرَعَةِ مَا تَقْرَعُ بِهِ الدَّابَّةُ .

حدث مخارق ، قال : جاءنى أبو العتاهية ، فقال : قد عزمت على أن أتزوج  
منك يوماً تَهْبِهُ لي فتى نشط ؟ قلت : متى شِئتَ وإن طلبني الخليفة ، فقال :  
يكون ذلك في غد ؟ قلت : أَفْلَ .

فلاما كان من غد باكرنى رسوله فجئته ، فأدخلنى يتنا له فيه فرش نظيف ، ثم  
دعا بمائدة عليها خبز سميد<sup>(١)</sup> وخل وبقل وملح وجذب مشوى ، فأصبنا منه حتى  
أكلقينا ، ثم دعا بحلواء فأصبنا منها ، وغسلنا أيدينا ، وجا دونا بفاكهه ورمان  
وألوان من الأنبياء ، فقال : اختر ما يصلح لك منها ، فاخترت وشربت ؟ قد حام  
قال : غنّى في قوله :

أَحَدٌ قَالَ لِي وَلَمْ يَدْرِ مَا بِي      أَتَحِبُّ الْفَدَاَةَ عُتْبَةَ حَمَّاً !

فبنيتها ، فشرب قدحًا وهو يبكي أحراً بكاء ، ثم قال : غنّى في قوله :

لَيْسَ لَنْ لَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ      مُوْجُودَةٌ خَيْرٌ مِنَ الصَّبَرِ  
فبنيتها وهو يبكي ويُنسِّيج<sup>(٢)</sup> ، ثم شرب قدحًا آخر ، ثم قال : غنّى فديتك  
في قوله :

خَلِيلِي مَا لِي لَا تزالُ مَضَرَّةَ تَكُونُ مَعَ الْأَقْدَارِ حَتَّىْ مَنْ الْحَمَّ  
فبنيتها إيه ، وما زال يقترح على كل صوت غنّى به في شعره فأغنّيه ويشرب  
ويبكي حتى العقمة<sup>(٣)</sup> ، فقال : أحب أن تصبر حتى ترى ما أصنع . فجلست ، فامر

\* الأغانى : ٤ - ١٠٧

(١) السميد : الدقيق الأبيض . (٢) نسج الباكى : غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب .

(٣) العقمة : وقت صلاة العشاء .

ابنه وغلامه فـ كسرَ كلَّ ما بـأيدينا من النبيذ والملـاهـى ، ثم أمر بإخراج كلَّ ما في بيته من النبيذ والـلـهـى ، فأخرـجـ جـمـيعـهـ ، فـاـزـالـ يـكـسـرـهـ ويـصـبـ النبيـذـ ، وـهـوـ يـبـكـيـ حتـىـ لمـ يـقـعـ منـ ذـلـكـ شـىـءـ ، ثـمـ نـزـعـ ثـيـاـهـ وـاـغـسـلـ ، ثـمـ لـبـسـ ثـيـاـبـاـ يـيـضاـ منـ صـوـفـ ، ثـمـ عـاـقـقـنـيـ وـبـكـيـ ، ثـمـ قـالـ : السـلـامـ عـلـيـكـ يـاـ حـبـيـبـيـ سـلـامـ الفـرـاقـ الـذـىـ لـاـ لـقـاءـ بـعـدـهـ ، وـجـعـلـ يـبـكـيـ وـقـالـ : هـذـاـ آـخـرـ عـهـدـيـ يـكـ . فـظـنـتـ أـنـهـ بـعـضـ حـمـاقـاتـهـ .

فـانـصـرـفـتـ وـمـاـ لـقـيـتـ زـمـانـاـ ، ثـمـ تـشـوقـتـ إـلـيـهـ فـاتـيـتـهـ ، فـاستـأـذـنـتـ عـلـيـهـ ، فـأـذـنـ لـيـ ، فـدـخـلـتـ فـإـذـاـ هوـ قـدـ أـخـذـ قـوـصـرـتـينـ<sup>(١)</sup> ، وـثـقـبـ إـحـدـاهـاـ ، وـأـدـخـلـ رـأـسـهـ وـيـدـيهـ فـيـهـاـ ، وـأـقـامـهـاـ مـقـامـ الـقـمـيـصـ ، وـثـقـبـ أـخـرـىـ ، وـأـخـرـجـ رـجـلـيهـ مـنـهـاـ ، وـأـقـامـهـاـ مـقـامـ السـرـاوـيـلـ .

فـلـمـ رـأـيـتـ نـسـيـتـ كـلـ مـاـ كـانـ عـنـدـيـ مـنـ الغـمـ عـلـيـهـ وـالـوـحـشـةـ لـعـشـرـتـهـ ، وـضـحـكـتـ وـالـلـهـ ضـحـكـاـ مـاـ ضـحـكـتـ مـشـلـهـ قـطـ . قـالـ : مـنـ أـىـ شـىـءـ تـضـحـكـ ؟ قـفـلتـ : أـسـخـنـ<sup>(٢)</sup> اللـهـ عـيـنـكـ ! هـذـاـ أـىـ شـىـءـ هوـ ؟ مـنـ بـلـفـكـ عـنـهـ أـنـهـ فـعـلـ مـشـلـ هـذـاـ مـنـ الـأـبـيـاءـ وـالـزـهـادـ وـالـصـحـابـةـ وـالـمـاجـنـيـفـ ! اـنـزـعـ عـنـكـ هـذـاـ يـاـ سـخـنـيـنـ الـعـيـنـ ! فـكـأـنـهـ اـسـتـجـيـحـيـاـ مـنـيـ .

ثـمـ بـلـفـنـيـ أـنـهـ جـلـسـ حـجـاماـ ، فـجـهـدـتـ أـنـ أـرـاهـ بـتـلـكـ الـحـالـ ، فـلـمـ أـرـهـ ، ثـمـ مـرـضـ فـبـلـفـنـيـ أـنـهـ اـشـتـهـىـ أـنـ أـغـنـيـهـ ، فـأـتـيـتـهـ عـائـدـاـ ؛ نـفـرـجـ إـلـيـ رـسـولـهـ يـقـولـ : إـنـ دـخـلـتـ إـلـيـ جـدـدـتـ لـيـ حـزـنـاـ ، وـتـاقـتـ نـفـسـيـ مـنـ سـمـاعـكـ إـلـىـ مـاـ قـدـ غـلـبـتـهـ عـلـيـهـ ، وـأـنـأـسـتـوـدـعـكـ اللـهـ ، وـأـعـذـرـ إـلـيـكـ مـنـ عـدـمـ الـلـقـاءـ ، ثـمـ كـانـ آـخـرـ عـهـدـيـ بـهـ .

---

(١) القوصرة: وعاء من قصب يوضع فيه المتر . (٢) أـسـخـنـ اللـهـ عـيـنـهـ : أـبـكـاهـ وـأـحـزـنـهـ .

تَنَاطِرُ الْمُغْنِونَ يَوْمَا عِنْدَ الْوَاثِقِ، فَذَكَرُوا الصَّرَابَ وَحِذْقَهُمْ؛ فَقَدَّمَ إِسْحَاقَ  
زَلْزَلَ<sup>(١)</sup> عَلَى مَلَاحِظِهِ، وَلَمْ يَلْاحِظْ فِي ذَلِكَ الرِّيَاسَةَ عَلَى جَمِيعِهِمْ، قَالَ لِهِ الْوَاثِقُ :  
هَذَا حَيْفٌ وَتَعَدَّدَ مِنْكُمْ؛ قَالَ إِسْحَاقُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ اجْعَمَ بَيْنَهُمَا وَامْتَحِنُهُمَا؛  
إِنَّ الْأَمْرَ سَيِّنَ كَشْفَ لَكُمْ فِيهِمَا، فَأَمْرَ بِهِمَا فَأَهْضَبَهُمْ؛ قَالَ لِهِ إِسْحَاقُ : إِنَّ الصَّرَابَ  
أَصْوَاتًا مَعْرُوفَةَ، أَفَامْتَحِنُهُمَا بِشَيْءٍ مِنْهُ؟ قَالَ : أَجَلُ، افْتَلْ، فَسَمَّى ثَلَاثَةَ أَصْوَاتَ  
كَانَ أَوْلَاهَا :

عُلَقَ قَلْبِي ظَبَيَّةَ السَّبِّ <sup>(٢)</sup>	جَهَلًا قَدْ أَغْرَى بَعْذِبِي
بَمَتْ عَلَيْهَا حِينَ مَرَّتْ بَنَا <sup>(٣)</sup>	بَجَاسِدَ <sup>(٤)</sup> يَنْفَخْنَ بِالطَّيْبِ
تَصْدُّعَ عَنَّا عَجُوزُهَا <sup>(٥)</sup>	مُنْكَرَةَ <sup>(٦)</sup> ذَاتُ أَعْجَبِ
فَكَلِمَّا هَمَتْ <sup>(٧)</sup> بِإِيمَانِهَا	قَالَتْ : تَوَقَّيْ عَدُوَّهَ الذِّيْبَ

فَضَرَبَ عَلَيْهِ، فَنَقَدَّمَ زَلْزَلَ وَقَصَّرَ عَنْهُ مَلَاحِظَهُ، فَعَجَبَ الْوَاثِقُ مِنْ كَشْفِهِ عَنِ  
ادِعَاهِ فِي مَجْلِسِ وَاحِدٍ. قَالَ لِهِ مَلَاحِظَهُ : فَا بِأَلْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُحِيلُكَ عَلَى النَّاسِ أَ  
وَلَمْ يَضُربْهُو ! قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدُ فِي زَمَانِي أَضْرَبَ مِنِّي

\* الأغاني : ٥ - ٢٨٠

- (١) كان زلزل من سواد أهل الكوفة ، وقفه إبراهيم الوصلى على القاء العربي ، وأراه  
وجوه النغم وتفقه ، ثم أصبح بعد ذلك من حذائق الضراب . (٢) السبب : كورة من سواد  
الكوفة . (٣) الحجاسد : القمصان التي صفت بالزعفران . (٤) منكرة : مبغضة مكرومة  
(٥) همت : همت ، وم بالشيء : أراده ونواه . (٦) الذيب : الثعب .

إلا أنكم أغفيفوني ؛ فتفلت مِنْيَ ، على أن معنى بقية لا يتعلّق بها أحدٌ من هذه الطبقة .

ثم قال : ياملاحظ ؟ شَوْشُ عودك وهااته ، فعل ذلك ملاحظ : فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هذا يخلط الأوتار تخليط ممتنع ، فهو لا يأثر إفسادها ، ثم أخذ العود فجسسه ساعة حتى عرف موافقه ، ثم قال : ياملاحظ ؟ غَنَّ أَيْ صوتٍ ، فتى ملاحظ صوتا ، وضرب إسحاق بذلك العود الفاسد التسوية ، فلم يخرج عن لُجْنه في موضع واحد حتى استوفاه عن هريرة واحدة ، ويده تصعد وتنحدر على الدساتين<sup>(١)</sup> ، فقال له الواقع : لا والله ما رأيت مثلك ولا سمعت به اطرح هذا على الجواري .

قال : هيهات يا أمير المؤمنين ! هذا لا تعرفه الجواري ولا يصلح لمن ، إنما بلغني أن الفهيليد ضرب يوماً بين يدي كسرى فأحسن ، فحسده رجل من حُذَافِعَ أهل صفتة ، فترقبه حتى قام لبعض شأنه ، ثم خالقه إلى عود فشوش بعض أوتاره ، فرجع فضرب وهو لا يدرى ، وللملوك لا تصلح في مجالسها العيدان ، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد إلى أن فَرَغَ ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصة ، فامتحن العود فعرف ما فيه ، ثم قال : « زَهْ زَهْ »<sup>(٢)</sup> وزهان زه ، ووصله بالصلة التي كان يصل بها من خطابه هذه الخطابة ؛ فلما تواتأت الرواية بهذا أخذت نفسى ورُضْتُها عليه ، وقلت : لا ينبغي أن يكون الفهيليد أقوى على هذا مِنْيَ ، فازلت أستنبطه بعض

(١) كلة دساتين : معناها

(٢) كلة فارسية مقدمة .

أحسنت أحسنت .

عشرةَ سنةً حتى لم يَبْقَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ عَلَى طَبَقَةٍ مِنَ الطَّبَقَاتِ إِلَّا وَأَنَا أُعْرِفُ  
نَفْعَتَهُ كَيْفَ هِيْ ، وَالْمَوْاضِعُ الَّتِي يَخْرُجُ النَّفَرُ كُلُّهَا مِنْهُ فِيهَا ، مِنْ أَعْالَيْهَا إِلَى أَسْفَلَهَا ،  
وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا يُجَانِسُ شَيْئًا غَيْرَهُ كَمَا أَعْرِفُ ذَلِكَ فِي مَوْاضِعِ الدَّسَائِينِ ، وَهَذَا شَيْءٌ  
لَا تَنْفِي<sup>(١)</sup> بِهِ الْجَوَارِي . قَالَ لِهِ الْوَافِقُ : صَدَقْتَ ، وَلَئِنْ مُتَّ لَمْ تَوَتَّ<sup>(٢)</sup> هَذِهِ الصَّنَاعَةُ  
عَلَيْكُمْ ، وَأَمْرُكُمْ بِهِ ثَلَاثَيْنِ أَلْفِ دَرْهَمٍ .

## \* ٣٩ — في دَارِ الْوَاقِفِ

حدث ابن بُشَّارٍ ، قال : كانت لي نَوْيَةٌ فِي خِدْمَةِ الْوَاقِفِ فِي كُلِّ جُمْعَةٍ إِذَا حَضَرَتْ رَكْبَتُ إِلَى الدَّارِ ؛ فَإِنْ نَشَطَ أَقْتَ عَنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْشَطْ انْصَرَفَ ، وَكَانَ رَمْهُنَا أَلَّا يَحْضُرَ أَحَدٌ مِنَ الْإِلَاءِ فِي يَوْمِ نَوْيَتِهِ .

فَإِنِّي لَفِي مَنْزِلِي فِي غَيْرِ يَوْمِ نَوْيَتِي إِذَا رَسُولُ الْخَلِيلِ قَدْ هَجَمُوا عَلَيَّ ، وَقَالُوا إِلَيَّ : احْضُرْ ! قَلْتَ : أَلِخَيْرٌ ؟ قَالُوا : خَيْرٌ ، قَلْتَ : إِنْ هَذَا يَوْمٌ لَمْ يَحْضُرْ نَافِيَهُ أَمِيرُ الْؤَمَّنِينَ قَطَّ ، وَلَعْلَكُمْ غَلَطْتُمْ . قَالُوا : اللَّهُ لِلسْتَّاعَ ! لَا تَطْوِلْ وَبَادِرْ ، فَقَدْ أَمْرَنَا أَلَّا نَدْعُكْ تَسْتَقِرُ عَلَى الْأَرْضِ . فَدَاخَلَنِي فَرْعَ شَدِيدٌ ، وَخَفَتْ أَنْ يَكُونَ سَاعِ قدْ سَعَى بِي أَوْ بَلِيلَةٍ قَدْ حَدَّثَتْ فِي رَأْيِ الْخَلِيلِ عَلَيَّ .

فَرَكَبْتُ حَتَّى وَافَتِ الدَّارِ ؛ فَذَهَبْتُ لِأَدْخَلَ مِنْ حَيْثُ كُنْتُ أَدْخُلَ فَمَنْعَتْ ، وَأَخْذَ بِيَدِي الْخَدَمُ فَأَدْخَلَنِي وَعَدَلَوْنِي إِلَى تَمَّارَاتٍ لَا أَعْرِفُهَا ، فَزَادَ ذَلِكَ فِي جَزَعِي وَعَمَّى ، ثُمَّ لَمْ يَزِلِ الْخَدَمُ يُسْلِهُونِي مِنْ خَدْمَ إِلَى خَدْمَ ، حَتَّى أَفْضَيْتُ إِلَى دَارِ مَقْرُوشَةِ الصَّحْنِ ، مَلْبَسَةِ الْحِيطَانِ بِالْوَشِيِّ المَنْسُوجِ بِالْذَّهَبِ ، ثُمَّ أَفْضَيْتُ إِلَى دَرَوَاقِ أَرْضِهِ وَحِيطَانِهِ مَلْبَسَةً يَمْثُلُ ذَلِكَ ، وَإِذَا الْوَاقِفُ فِي صَدْرِهِ عَلَى سَرِيرِ مُرْصَعِ بِالْجَوَهِرِ ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ مَنْسُوجَةٌ بِالْذَّهَبِ إِلَى جَانِبِهِ فَرِيدَةٌ<sup>(١)</sup> ، جَارِيَتُهُ ، عَلَيْهَا مَثَلُ ثِيَابِهِ ، وَفِي حِجْرِهِ عُودٌ . فَلَمَّا رَأَنِي قَالَ : إِلَيْنَا إِلَيْنَا ! قَبَّلَتِ الْأَرْضَ ثُمَّ قَلَتْ :

\* الأَغَانِيُّ : ٤ - ١١٥

(١) فَرِيدَةٌ : كَانَتْ جَارِيَةً مَفْنِيَةً حَسَنَةً ، أَهَدَاهَا عُمَرُ بْنُ الْوَاثِقَ ، وَكَانَتْ حَسَنَةً الْوَجْهِ ، حَسَنَةَ الْفَنَاءِ ، حَادَةَ الْفَطْلَةِ وَالْفَهْمِ .

يا أمير المؤمنين ؟ خيراً ! قال : خيراً ، أما ترَانا أنا طلبتُ والله ثالثاً يُؤنسنا فلم أرْ  
أحقَ بذلك منك ، فيحياتي بادر فكلَ شيئاً وبادر إلينا . فقلتُ : قد وافَ  
يا سيدِي أكلتُ وشربتُ أيضاً ، قال : فاجلسْ ، فجلسْ . قال : هاتوا لحمي  
رِطْلًا في قَدَحْ ، فأحضر ذلك ، واندفعت فريدةٌ تغْنِي :

أهابكِ إجلالًا وما بكِ قدرةٌ      علىٌ ولكنْ ملءَ عَيْنِ حَيْبِهَا  
وما هجرَ شَكِ النفسُ بِالْيَلِ أَنْهَا      قَلْتَكِ<sup>(١)</sup> ولا أَنْ قَلْتَكِ نصيَّبُهَا  
فَاءَتْ والله بالسُّحرْ ، وجعلتْ تغْنِي الصوتَ بعد الصوتَ ، وأغْنَى أنا في خللِ  
غِنائِها ؛ فرَّ لنا أحسنُ ما مرَّ لأَحَدٍ .

فَإِنَّا لَكَذَلِكَ إِذ رفِعَ رِجْلَهُ فضرَبَ بها صَدْرُ فريدة ضربةً تَدَخَّرَ جَتَّ منها  
من أعلى السرير إلى الأرض وتَفَقَّتَ عودُها ، ومرتْ تَعْدُو وتصبحُ ، وبقيتْ أنا  
كالمزروع الروح ، فأطرق ساعةً إلى الأرض مُتعيِّراً ، وأطرقتْ أَتُوقَعُ ضربَ العنقِ.  
فَإِنَّى لَكَذَلِكَ إِذ قالَ لي : يا محمد ؟ فوثبَتْ . فقالَ : ويحكَ ! أرأيتَ أَغْرِبُ  
مَا تَهْيَأَ لَنَا ؟ قلتُ : يا سيدِي ؛ الساعة والله تَخْرُجُ روحي . فعلى منْ أصابنا بالعينِ  
لَعْنَةُ الله ! فما كان السببُ ! أَذْنَبَ ؟ قالَ : لا والله ولكنْ فَكَرْتُ أَنْ جَعْفَراً  
يَقْعُدُ هذا المَقْعِدَ ، ويَقْعُدُ معها كَمَا هيَ قاعدةً معيَ ، فلمْ أُطِقَ الصبرَ ، وَخَامَرَتِي مَا أَخْرَجْتُ  
إِلَى مَا رأيْتَ . فَسُرِّي عَنِي وقلتُ : بل يَقْتُلُ الله جَعْفَراً وَيَحْيَا أميرُ المؤمنين أَبْداً ،  
وَقَبَّلَتِ الأرضَ وقلتُ : يا سيدِي ؛ الله الله ! ارْحَمْها وَمُرِّدَها . فقالَ لِبَضْعِ الخدمِ  
الوقوفُ : مَنْ يَحْيِيْ بِهَا ؟ فلمْ يَكُنْ بِأَسْرَعِ منْ أَنْ خرَجَتْ فِي يَدِها عودُها ، وَعَلَيْها  
غَيْرِ الشَّيَابِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْها . فَلَمَّا رَأَاهَا لَا طَفَهَا ، فَبَكَتْ وَجَعَلَهُو يَبْكِي ، وَاندفَعَتْ  
أَنَافِي البَكَاءِ ، فَقَالَتْ : مَا ذَبَني يَامُولَاي وَسِيدِي ؟ وَبَأْيِ نَمَى ؟ اسْتَوْجَبَتْ هَذَا ؟

(١) قَلْتَكِ : أَبْغَضْتَكِ وَكَرْهْتَكِ .

فأعاد عليها ما قاله وهو يبكي وهي تبكي ! فقالت : سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلا ضربت عنق الساعة وأرحتي من الفكر في هذا ، وأرحت قلبك من الممّ بي ؛ وجعلت تبكي ويبكي ، ثم مسحأعينهما ، ورجعت إلى مكانها .

وأوْمًا إلى خَدَمِ وقوفِ بشيء لا أعرفه، فضوا وأحضروا أكياساً فيها عَيْنَ وورق<sup>(١)</sup> ورزماً فيها ثياب كثيرة ، وجاء خادم بدرج فتحه وأخرج منه عِقداً مارأيتُ قطُّ مثل جوهر كان فيه، فألبسها إياه، وأحضرت بدراة فيها عشرة آلاف درهم ، فجعّلت بين يدي ، وخمسة تحوت فيها ثياب ، وعدنا إلى أمرنا وإلى أحسن مما كفا فيه ، فلم نزل كذلك إلى الليل :

ثم تفرقنا وضرب الدهر ضربة<sup>(٢)</sup> ، وتقلد المتوكل ، فوالله إنني لفي منزلتي بعد يوم نوبتي ما ذهب على رُسُل الخليفة ، فما أمهلوني حتى ركبته وصررتُ إلى الدار ، فاذْخُلْتُ والله الحجرة بيدها ، وإذا المتوكل في الموضع الذي كان فيه الواقع على السرير بيده وإلى جانبه فريدة ، فلما رأني قال : ويحيث أ Mataرى ما أنا فيه من هذه ! أنا منذ غدوة أطالبها بأنْ تغنيني فتائبِ ذلك ! فقلت لها : سبحان الله ؟ أتخالقين سيدك وسيدنا وسيد البشر ! بخياته غني ، فعزفت ، والله ثم اندفعت تُنسى :

مقيم بالجازة<sup>(٣)</sup> من قتون<sup>(٤)</sup> وأهلك بالأجيفر فالثاد<sup>(٥)</sup>  
فلا تبعد فكل فتى سيأتي عليه الموت يطرق أو يُقادى

(١) العين : الذهب المضروب ، والورق : الدرام المضروب من الفضة . (٢) يقال : ضرب الدهر من ضربه ، أي مر من مروره وذهب بعده . (٣) المجازة : منزل من مازل طريق مكة . (٤) قتون : واد من أودية السراة يصب إلى البحر . (٥) الأجيفر والثاد : موضعان .

ثُمَّ رَمَتْ بِالْعُودِ الْأَرْضَ، وَرَمَتْ بِنَفْسِهَا عَنِ السَّرِيرِ، وَمَرَتْ تَعْدُو وَتَصِيحُ:  
وَاسِيْدَاه ؟

فَقَالَ لِي : وَيْحَك ! مَا هَذَا ؟ قَلْتَ : لَا أَدْرِي وَاللهِ يَا سَيِّدِي . فَقَالَ : فَاتَّرَى ؟  
قَلْتَ : أَرَى أَنَّ أَنْصَرَفَ أَنَا وَتَحْضُرُ هَذِهِ وَمَعْهَا غَيْرُهَا ، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَؤُولُ إِلَى  
مَا يَرِيدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَانْصَرَفَ فِي حِفْظِ اللهِ ، فَانْصَرَفْتُ ، وَلَمْ أَدْرِي مَا كَانَتْ  
الْفَصَّةُ !

## ٤٠ - محبوبة جارية المتوكل \*

قال على بن الجهم : كانت محبوبة أهدت إلى المتكىل ، أهداها إليه عبد الله ابن طاهر في جلة أربمائة جارية ، وكانت بارعة الحسن والظرف والأدب ، مغنية محسنة ، فخطيت عند المتكىل حتى إنه كان يجلسها خلف ستارة وراء ظهره إذا جلس للشرب ، فيدخل رأسه إليها ويحدها ويراهما في كل ساعة ؛ ففاض بها يوماً ، وهجرها ، ومنع جواريه جميعاً من كلامها ، ثم نازعته نفسه إليها ، وأراد ذلك ، ثم منعه العزة منها ، وامتنعت من ابتدائه إلا لآلا عليه بمحملها منه

قال ابن الجهم : فبكرت إليها يوماً فقال لي : يا على ؟ إن رأيت البارحة محبوبة في نومي كأني قد صاحتها ، قلت : أقر الله عينيك يا أمير المؤمنين ، وأنماك على خير ، وأيقظك على سرور ، وأرجو أن يكون هذا الصاحف في المقظة .  
فيينا هو يحدّثني وأجيبيه إذا بوصيفه قد جاءته فأسررت إليه شيئاً ، فقال لي : أندري ما أسررت هذه إلى ؟ قلت : لا . قال : حدثتني أنهما اجتازت محبوبة الساعة ، وهي في حجرتها تُنفَى ! أفلأ تعجب إلى هذا ؟ إنما مفاصِبها وهي متهاونة بذلك ، لا تبدؤني بصلاح ، ثم لا ترضى حتى تُنفَى في حجرتها أقم بنا يا على حتى نسمع ما تُنفَى ، ثم قام ، وتبعدته حتى انتهى إلى حجرتها ، فإذا هي تُنفَى وتقول :  
أدور في القصر لا أرى أحداً أشكو إليه ولا يتكلمني  
حتى كأني ركبت مهضمة ليست لها توبه تخلصني

\* نهاية الأرب : ٥ : ١٠٩

فَهَلْ لَنَا شَافِعٌ إِلَى مَالِكٍ  
قَدْ زَارَنِي فِي السَّكَرَى<sup>(١)</sup> فَصَالْحَنِي  
عَادَ إِلَى هَجْرَةِ فَصَارَ مَنِي<sup>(٢)</sup>  
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبَاحُ لَاحَ لَنَا  
فَطَرَبَ الْمُتَوَكِّلُ ، وَأَحْسَتْ بِمَكَانِهِ ، نَفَرَجَتْ إِلَيْهِ ، وَتَنْحَيَتْ ، خَدَّتْهُ أَنْهَرَا  
رَأَتْهُ فِي مَنَامِهَا ، وَقَدْ صَالَهَا فَانْتَهَتْ ، وَقَالَتْ هَذِهِ الْأَيَّاتُ ، وَغَنَتْ فِيهَا ؛ خَدَّتْهَا  
هُوَ أَيْضًا بِرُؤْيَاهُ ، وَاصْطَلَحَا ، وَبَعْثَتْ إِلَى بِجَائِزَةِ وَخِلْمَةِ .  
وَلَمَّا قُتِلَ تَسْلَى عَنْهُ جَمِيعُ جَوَارِيهِ غَيْرِهَا ، فَإِنَّهَا لَمْ تَرُلْ حَزِينَةً ، هَاجِرَةً لِكُلِّ  
لَذَّةٍ حَتَّى مَاتَتْ .

---

(١) السَّكَرَى : النَّوْمُ .

(٢) الصرم : القظف وال مجر .

## ٤١ - قيّنة تحنٌ إلى بغداد\*

قال أبو على بن الأسكن المצרי ، كنتُ من جلاسِ تميم بن أبي تميم وعمنْ يخيفَ عليه ، فأتيَ من بغداد بخارية رائعة الفناء ، فدعاجلاساً ومدّتُ السّتارة وأسرها ففنتَ :

برقٌ تأْلَقَ مَوْهِنًا لَعَمَانَه  
وَبِدَالَهُمْ بَعْدَمَا اندَمَلَ الْمَوْي  
صعبُ الدُّرَا مَتَمْنَعُ أَرْكَانَه  
بِيدُو كَحَاشِيَّةِ الرِّدَاءِ وَدُونَه  
نظارًا إِلَيْهِ وَصَدَهُ أَشْجَانَه  
وَبِدَا لِيَنْظَرَ كَيْفَ لَاحَ فَلَمْ يُطِقِ  
وَاللَّاهُ مَا سَحَّتْ بِهِ أَجْفَانَه  
فَأَحْسَنَتْ مَا شَاءَتْ ، وَطَرَبَ تَمِيمٌ وَمَنْ حَضَرَ ، ثُمَّ غَنَّتْ :

أَوَانِلُهُمْ مُحَمَّدَهُ وَأَوَارِخُهُ  
سَتُسْلِيَكَ عَافَاتِ دُولَةِ مُفْضِيلٍ  
عَلَى الْبَرِّ مُذْشَدَتُ عَلَيْهِ مَازِرُهُ  
ثَنَى اللَّهُ عِنْطَفَيْهِ وَأَلَفَ شَخْصَهِ

فَطَرَبَ تَمِيمٌ وَمَنْ حَضَرَ طَرَبًا شَدِيدًا ، ثُمَّ غَنَّتْ :  
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَرَأً  
بِالْكَرْنَخِ مِنْ فَلَكِ الْأَزْرَارِ مَطْلَعَهُ

فَأَفْرَطَ تَمِيمٌ فِي الطَّرَبِ جَدًّا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَتَمَّنِي مَا شَتَّتِ فَلَكِ مُنَاكَ ، قَالَتْ : أَتَمَّنِي عَانِيَةَ الْأَمِيرِ وَسَعَادَتَهُ ، قَالَ : لَا بَدَّ وَاللَّهُ ! قَالَتْ : هَلَّ الْوَفَاءُ أَتَمَّنِي أَيْهَا الْأَمِيرُ ؟  
قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : أَتَمَّنِي أَنْ أَغْنَى هَذِهِ النَّوْبَةَ بِبَغْدَادَ . . . فَتَغَيَّرَ وَجْهُ تَمِيمٍ ،

وتذكر المجلس ، وقمنا ؟ فلتحقني بعض خدمه فردي ، فلما وقفتُ بين يديه قال لي :  
وَنِحْكَ أرأيتَ ما امْتُحِنَا به ؟ ولا بدَّ من الوفاء ، وما أنت في هذا بغيرك ، فتأهَبْ  
لتتحملها إلى بغداد ، فإذا غنت هناك فاصْرِفها . قلت : سمعاً وطاعة .

فأصْبَحَها جاريَةَ سوداء تخدمها وتعاديها<sup>(١)</sup> ، وأمر لبنيقة وبحمل عليه هودج ،  
فأذْخَلْتُ فيه ، وسرنا مع القافلة إلى مكة ، فقضينا حاجتنا ، ثم لما وردنا القادسية ،  
أَتَنْدِي السوداء فقالت لي : تقول لك سيدتي : أين نحن ؟ قلت : نحن بُزُولٌ  
بالقادسية ، فأخبرتها ، فسمعت صوتها قد ارتفع بالفناء :

لَمَّا نَزَلَنَا الْقَادِسِيَّةَ حَيْثُ جَمِيعُ الرِّفَاقِ  
وَشَمَتْ مِنْ أَرْضِ الْحِجَاجِ زَنْسِيمَ أَنْفَاسِ الْعَرَاقِ  
أَيْقَنْتُ لِي وَلِنِّي أَحِبُّ بِجَمِيعِ شَمْلِي وَإِنْفَاقِ  
وَضَحَّكْتُ مِنْ فَرَحِ الْقَاتِ كَمَا بَكَيْتُ مِنْ الْفَرَاقِ  
فَصَاحَ مِنْ أَقْطَارِ الْقَافِلَةِ : أَعِيدِي ، أَعِيدِي ؟ فَأَسْمِعْ لَهَا كَلْمَةَ .

فَلَمَّا نَزَلَنَا الْيَاسِرِيَّةَ - عَلَى خَسْتَةِ أَمِيالٍ مِنْ بَغْدَادِ فِي بَسَاتِينِ مَتَّصَلَةِ بَيْتِ النَّامِ  
بِهَا ثُمَّ يَبْكِرُونَ لِبَغْدَادِ - بَتَّنَا هُنَاكَ ، وَلَمَّا قَرُبَ الصَّبَاحِ إِذَا بِالْسَّوْدَاءِ قَدْ أَتَنْدِي  
مَذْعُورَةً ، قَالَتْ : إِنْ سِيدَتِي لَيْسَتْ بِمَاضِرَةٍ ، وَوَاللهِ لَا أَدْرِي أَيْنَ هِيَ ؟ فَطَلَبْتُهَا  
فَلَمْ أَجِدْهَا ، وَلَا وَجَدْتُهَا بِبَغْدَادِ خَبْرًا ، فَقَضَيْتُ حَوَانِجِي بِبَغْدَادِ ، وَانْصَرَفْتُ  
إِلَى تَمِيمَ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَهَا ، فَلَمْ يَزَلْ وَاجِهًـا<sup>(٢)</sup> عَلَيْهَا ـ

---

(١) وتعادلها : تركب معها . (٢) واجهـا : حزينا .

## البَابُ الثَّانِي

---

فِي الْقَصْصِ الَّتِي تُفْصِحُ عَنْ رِقَّةٍ قُلُوبِ الْعَرَبِ ،  
وَرَفَاهَةِ عَوَاطِفِهِمْ ، وَسِمْوَنَفَوْسِهِمْ بِالإِخْبَارِ عَنْ وَقْعِ  
الْحُبُّ فِي قَلْبِهِ ، وَامْتِزَاجِ الْعَفَافِ وَالشَّرْفِ بِجَهَّهِهِ ،  
وَلَكِنْ امْتَنَعَ عَلَيْهِ أَمْلَهُ ، فَبَقِيَ مَعْذَبًا فِي سَيِّلِ مَنْ أَحْبَبَ ،  
وَرَاحَ شَهِيدَ الرِّقَّةِ وَالْمَعْفَافِ .

٤٢ - جَنَى الجَمَالُ عَلَى نَصْرٍ فَرَّ بِهِ  
عنَ الْمَدِينَةِ تَبَكِّيْهِ وَيَبَكِّيْهَا \*

عشت امرأةً من المدينة فتى من بني سليم ، يقال له نَصْرُ بْنُ حَجَاجٍ - وكان أحسنَ أهل زمانه - فَضَنِيَتْ مِنْ حُبِّهِ ، وَدَفَتْ<sup>(١)</sup> مِنْ الْوَجْدِ بِهِ ، ثُمَّ لَمَحَتْ بِذِكْرِهِ  
حتى صار ذِكْرُهُ هِجِيرًا<sup>(٢)</sup> .

وخرج أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - ذات ليلة يَسُّسُ ،  
ومر بدارها ، فسمعها تقول راففة عَقِيرَتها<sup>(٣)</sup> :  
هل من سبيلٍ إلى تَخْرِيْرِ فَأَشَرَّبَهَا أم هل سبيلٍ إلى نَصْرٍ بن حَجَاجٍ  
قال عمر : أَمَّا مَا عَشْتُ فَلَا ، لَا أَرَى مَعِي رَجُلًا تَهْتَفُ بِهِ الْعَوَاقِ  
فِي خَدْوَزَهِنَّ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ دُعَا نَصْرَ بْنَ حَجَاجَ ، فَأَبْصَرَهُ ، فَإِذَا هُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا ،  
وَأَصْبَحُوهُمْ وَأَمْلَأُوهُمْ حَسَنَا ، فَأَمْرَأَ أَنْ يُطَّامَ<sup>(٤)</sup> شَمْرَهُ فَخَرَجَتْ جَبَّهَةُ فَازْدَادَ حَسَنَا ،  
قالَ لِهِ عَمَرٌ : اذْهَبْ فَاغْتَمْ ، فَاعْتَمْ فَبَدَتْ وَفْرَتَهُ<sup>(٥)</sup> ، فَأَمْرَأَ بِحَلْقَهَا فَازْدَادَ حَسَنَا ،  
قالَ لِهِ : فَقَنَتْ نِسَاءُ الْمَدِينَةِ يَا بْنَ حَجَاجَ ، قَالَ : وَأَيْ ذَنْبٍ لِي فِي ذَلِكَ ! قَالَ عَمَرٌ :

\* بِحُمَّ الْأَمْثَالِ : ١ - ٣٧٩ ، ابْنُ أَبِي الْمَدِيدِ : ٣ - ٩٣ ، ثُمَراتُ الْأَوْرَاقِ : ٢٣٦

(١) دَفَتْ : إِذَا لَازَمَهُ الْمَرْضُ . (٢) هِجِيرَاهَا : دَأْبُهَا وَشَأْنُهَا . (٣) الْقِيرَةُ : صُوتُ الشَاكِرِ  
وَالْبَاكِيِّ وَالْمَغْنِيِّ . (٤) طَمَ شِعْرَهُ : عَقْصَهُ . (٥) الْوَفْرَةُ : مَاسَالُ عَلَى الْأَذْنِيْنِ مِنَ الشِّعْرِ .

صدقَتَ ، الذَّنْبُ لِمَنْ تَرَكْتُكَ فِي دَارِ الْمِجْرَةِ ، ثُمَّ أَزْكَبَهُ جَلَّا وَسَيْرَهُ  
إِلَى الْبَصْرَةِ .

وَأَقَامَ نَصْرٌ بِالْبَصْرَةِ مَدْةً ، ثُمَّ سَمِعَ يَوْمًا مَنَادِيًا يُنَادِي : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ  
إِلَى أَهْلِهِ بِالْمَدِينَةِ أَوْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شِيتَا فَلِيَكْتُبْ ؛ فَإِنَّ بَرِيدَ الْمُسْلِمِينَ خَارِجٌ »  
فَكَتَبَ النَّاسُ ، وَدَسَّ نَصْرٌ بْنُ حِجَاجَ كِتَابًا فِيهِ : « لَعْنَدَ اللَّهِ عَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
مِنْ نَصْرِ بْنِ حِجَاجٍ . سَلامٌ عَلَيْكَ ، أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

لَعْنَمِي لِئِنْ سَيَرَنِي أَوْ حَرَمَنِي  
أَيْنَ غَنَتِ الدَّلْفَاءُ يَوْمًا بِمُنْيَةٍ  
وَبَعْضُ أَمَانِي النِّسَاءِ غَرَامُ  
خَلَنْتَ بِيَ الظَّنَّ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ  
وَأَصْبَحْتُ مَتَنْفِيًّا عَلَى غَيْرِ رِبَيَّةٍ  
سِيمَعْنَى مَا تَظَنُّ تَكْرُمِي  
وَيَعْنَعْهَا مَا تَنْتَ صَلَاتُهَا  
وَحَالَ لَهَا فِي دِينِهَا وَصِيَامُ  
فَهَاتَانِ حَالَانِ ، فَهَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ<sup>(٢)</sup> ؟ قَدْ جَبَّ مِنِي كَاهِلٌ وَسَنَامٌ<sup>(٣)</sup>  
وَلَا بَلْغَ عَمَّرَ بْنَ الْخَطَابَ قَالَ : أَمَا وَلِي وَلِيَةً فَلَا ، وَأَفْطَعَهُ بِالْبَصْرَةِ  
أَرْضاً وَدَارًا .

ثُمَّ بَدَا مُجَاشِعُ بْنُ مُسْعُودَ السَّلْمَى أَنْ يُنْزِلَهُ مِنْزَلَهُ لِقَرَابَتِهِ ، فَصَيَرَهُ إِلَيْهِ ، وَأَخْدَمَهُ  
أَمْرَأَهُ شَمِيلَةً - وَكَانَتْ أَجْلَ امْرَأَةً بِالْبَصْرَةِ - فَلَمَّا قَتَلَهُ وَعَلِقَهَا ، وَخَفِيَ عَلَى كُلِّ  
وَاحِدٍ مِنْهَا خَبْرُ الْآخَرِ لِمَلَازِمِهِ ، وَكَانَ مُجَاشِعُ أُمِيَّا وَنَصَرُ وَشَمِيلَةً

(١) بَرِيدُ مَكَةَ وَالْمَدِينَةِ عَلَى التَّغْلِيبِ . (٢) رَاجِعٌ : رَادِي . (٣) جَبٌ : قَطْعٌ ، وَالْكَاهِلُ :  
مَقْدَمُ أَعْلَى الظَّهَرِ مَا يَلِي الْعَنْقَ ؛ ذَكَرُوا أَنَّ التَّمَنِيَةَ هِيَ الْفَارِعَةُ أَمَّا الْمَحَاجَاجُ ، وَقَبْلَهُ مِنْ جَدَةِ الْمَحَاجَاجِ  
أَمِيَّهُ (ابْنُ خَلْكَانٍ : ص ١٢٤ ، ج ١) .

كَاتِبَيْنِ ، فَعِيلٌ صَبُّ نَصْرٍ ، فَكَتَبَ عَلَى الْأَرْضِ بِمُحَضَّرِ مُجَاشِعٍ : « إِنِّي قَدْ أَحِبْتُكَ حُبًّا لَوْ كَانَ فَوْقَكَ لَأَظْلَكَ ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَكَ لَأَفْلَكَ ». فَوَقَعَتْ تَحْتَهُ غَيْرُ مُخْتَشِمَةٍ « وَأَنَا » . قَالَ لَهَا مُجَاشِعٌ : مَا الَّذِي كَتَبْتَ ؟ قَالَتْ : كَتَبْتَ كُمْ تَحْلُبْ نَاقَةَ كُمْ ؟ قَالَ : وَمَا الَّذِي كَتَبْتَ تَحْتَهُ ، قَالَتْ : كَتَبْتَ وَأَنَا ؛ قَالَ مُجَاشِعٌ : كَمْ تَحْلُبْ نَاقَةَ كُمْ ، وَأَنَا ؟ مَا هَذَا هَذَا بَطَبَقَ<sup>(١)</sup> ! قَالَتْ : أَصْدَقُكَ ، إِنَّهُ كَتَبَ ، كَمْ تُنْلِي أَرْضَ كُمْ ، وَأَنَا ؟ مَا بَيْنَ كَلَامِهِ وَجُواهِكَ قِرَابَةٌ ! ثُمَّ كَفَأَ عَلَى الْكِتَابَةِ جَفْنَةً وَدَعَا بَغْلَامًا مِنَ الْكُتَّابِ<sup>(٢)</sup> ، قَرَأَ عَلَيْهِ ، فَالْتَّفَتَ إِلَى نَصْرٍ وَقَالَ : يَا بْنَ عَمٍّ ؛ مَا سَيِّرَكَ عُمْرُ مِنْ خَيْرٍ ؟ فَقَمَ فَإِنَّ وَرَاءَكَ أَوْسَعَ ، فَتَهَضُّ مُسْتَخْيِبًا ، وَعَدَلَ إِلَى مَنْزِلِ بَعْضِ السَّلَمِيِّينَ ؛ وَوَقَعَ جَنْبَهُ ، فَضَيَّفَهُ مِنْ حُبَّ شَمِيلَةٍ ؛ وَدَنِيفَ<sup>(٣)</sup> وَانْتَشَرَ خَبْرُهُ .

ثُمَّ إِنْ مُجَاشِعًا وَقَفَ عَلَى خَبْرٍ عَلَيْهِ ؛ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَلَاحَقَهُ رِقَّةٌ لَمَّا رَأَى مَا بِهِ مِنَ الدَّافَعِ ؛ فَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ ، وَقَالَ لِشَمِيلَةَ : عَزَّمْتَ عَلَيْكَ لَمَّا أَخْذَتَ خُبْزَةَ<sup>(٤)</sup> فَلَبَّكَتِهَا بِسَمْنٍ ، ثُمَّ بَادَرَتِهَا إِلَى نَصْرٍ ؛ فَبَادَرَتْ بَهَا إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَكُنْ بِهِ نَهْرُونَ ؛ فَجَعَلَتْ تَلْقِمَهُ بِيَدِهَا ، فَعَادَتْ قُوَّاهُ وَبَرَأَ كَأْنَ لَمْ يَكُنْ بِهِ قَلَبةَ<sup>(٥)</sup> .

فَلَمَّا فَارَقَتْهُ عَاوِدُهُ النَّكْسَ<sup>(٦)</sup> ، فَلَمْ يَزِلْ يَتَرَدَّدُ فِي عَلَقَةٍ حَتَّى مَاتَ فِيهَا !

(١) الْبَطْبَقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : مَاسَاوَاهُ . (٢) الْكِتَابُ وَالْكُتُبُ : مَوْضِعُ التَّعْلِيمِ ، أَوْ هُوَ بَعْضُ كَافِبِهِ .

(٣) الدَّافَعُ : الْمَرْضُ الْمَلَازِمُ . (٤) الْخُبْزَةُ : عَجَبٌ يَوْضُعُ فِي الْمَلَةِ حَتَّى يَنْضُجَ . (٥) يَقَالُ : مَا بِهِ قَلَبةٌ — بِالتَّحْرِيكِ : أَيْ دَاهٌ وَتَسْبِ . (٦) النَّكْسُ : عَوْدُ الْمَرْضِ .

## ٤٣ - عُرُوة وعَفْرَاء\*

هلك حِزَام ، وترك ابنه عرُوْة<sup>(١)</sup> صغيراً في حِجْرِ عَمِّه عقال ؛ وكانت عَفْرَاء تُرِبْيَا<sup>(٢)</sup> لعروة ، يلبّان جيماً ، ويكونان معاً ، حتى تألف كلُّ واحدٍ منها صاحبه إلْفَآ شديداً ؛ وكان عقال يقول لعروة لما يرى من إلفها: أبشر! فإن عفراة أمتك<sup>(٣)</sup> إن شاء الله!

فكانا كذلك حتى لحت عفراة بالنساء ، ولحق عُرُوْة بالرجال ؛ فاتى عروة عنة له بقال لها: هند ، وقال لها في بعض ما يقول: يا عممة؟ إنى لـكـلـمـك ؛ وإنى منك لـسـتـخـيـ، ولكن لم أفعل هذا حتى ضـقـتـ ذـرـعـاـ بما أنا فيه.

فذهبت عمه إلى أخيها ، فقالت له: يا أخي؟ قد أتيتكم في حاجة أحب أن تُحسن بها ، فإن الله يأْجُرُك<sup>(٤)</sup> لصلة رحمك بي ؛ فقال لها: قولي ، فلن تسألي حاجة إلا ردَّتُك بها ، قالت: تزوج عروة ابن أخيك بابنتك عفراة ، فقال: ما عنه مذهب ، ولا هو دون رجل يُرْغَب فيه ، ولا بِنَـا عنه رغبة ؛ ولكنه ليس بذري مال ، وليس عليه عَجَلة .

\* الأغانى: ٢٠ - ١٥٢

(١) هو عروة بن حرام بن مالك ، شاعر لبيب حاذق متken في الشق ، قيل: إنه أول ماهق مات بال مجر من المذرين ، ولشدة مقاساته في الشق ضرب به المثل بين العرب . مات سنة ٣٠ هـ ، ودفن بوادي القرى قرب المدينة . (٢) الترب: من ولد معك . (٣) يربد زوجتك وامرأتك . (٤) يأْجُرُك: يجازيك .

فطابت نفسُ عروة ؛ وسكنَ بعضَ السَّكُونِ ، وكانتْ أُمُّهَا سيدةً الرأى فيه  
تريد لابنتها ذاماً ووفر<sup>(١)</sup> ، وكانتْ عُرْضَة<sup>(٢)</sup> لذلك كائلاً وجائلاً .

فلمَّا تكاملتْ سِنُّه ، وبلغَ أشدَّه ؛ عرفَ أنَّ رجلاً من قومِه ذَائِسَارٌ وَمَالِ  
كثيَرٍ يخطبُها ؛ فأقَى عمه ، فقالَ : ياعمَ ؛ قد عرفتَ حَقَّ وقرابتي ؛ وإني ولدُك  
وَرُبَّيْتُ فِي حِجْرِك ؛ وبِلِئَنِي أَنْ رجُلًا خطبَ عَفَرَاءَ ؛ فإنَّ أَسْعَفَتَه بِطَلَبِه قَاتَلَتْنِي  
وَسَفَكَتَ دُمِّي ؛ فأنشَدَكَ اللَّهُ ورحْمَيْ وحَقَّ ! فَرَقَ لَه ؛ وقالَ : يابني ؛ أَنْتَ مُعْذِمٌ  
وَحَالُنَا قَرِيبَةٌ مِّنْ حَالِكَ ؛ ولستُ مُخْرِجَهَا إِلَى سِوَاكَ ، وأمْهَا أَبْتَ أَنْ تزُوّجَهَا  
إِلَّا بِمَهْرٍ غالٍ .

فَضَرَبَ فِي الْأَرْضِ يَتَقْنِي الرِّزْقَ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى أُمِّهَا فَالْأَطْفَلُهَا<sup>(٣)</sup> وَدَارَاهَا ، فَأَبْتَ  
أَنْ تُجْبِيهِ إِلَّا بِمَا تَحْتَكِمْهُ مِنَ الْمَهْرِ ، وَبَعْدَ أَنْ يَسُوقَ شَطْرَهُ<sup>(٤)</sup> إِلَيْهَا ، فَوَعْدَهَا بِذَلِكَ ،  
وَعْلَمَ أَنَّهُ لَا تَنْفَعُهُ قِرَابَةٌ لَا غَيْرُهَا إِلَّا الْمَالُ الَّذِي يَطْلُبُونَهُ ، فَعَمِلَ عَلَى قَصْدِ ابْنِ عَمِّهِ  
مُوسَى ، وَكَانَ مَقِيمًا بِالرَّعَى ، خَاءَ إِلَى عَمِّهِ وَامْرَأَهُ ، فَأَخْبَرَهَا بِعَزْمِهِ ، فَصَوَّبَاهُ وَعَدَاهُ  
أَلَّا يَحْذِنَهَا حَدَّنَا حَتَّى يَعُودَ .

وَصَارَ فِي لِيلَةِ رَحِيلِهِ إِلَى عَفَرَاءَ ، فَجَاسَ عِنْدَهَا هُوَ وَجُوارِيَ الْحَيِّ يَتَحَدَّثُونَ  
حَتَّى أَصْبَحُوا ، ثُمَّ وَدَعُهَا وَوَدَعَ الْحَيِّ ، وَشَدَّ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، وَصَبَّبَهُ فِي طَرِيقَهِ  
فَتَيَّانَ كَانَ يَأْلَفُهُ ، وَكَانَ فِي طَولِ سَفَرِهِ سَاهِمًا يَكْلَمُهُنَّهُ فَلَا يَفْهَمُ ، فِكْرُهُ فِي عَفَرَاءِ  
حَتَّى بُرُدَّاً عَلَيْهِ القَوْلُ مِرَارًاً .

(١) الوفر : الغنى .      (٢) عُرْضَةُ لَذَكَ : أَيْ أَهْلَ لَذَكَ .      (٣) أَطْفَلُهَا : بِرَهَا .

(٤) الشطر : النصف .

وسار إلى أنْ قدم على ابن عمه ، فلقيه ، وعرَّفه حاله وما قدم له ، فوصله وكساه وأعطاه مائةً من الإبل ، فانصرف بها إلى أهله .

وقد كان رجلٌ من أهل الشام من أنساب بني أمية نزل في حي عُفرا ، فنَحَرَ وَوَهَبَ وأطْمَمَ ، وكان ذا مال ، فرأى عُفرا ، وكان منزله قريباً من منزلهم ، فاعجبَتْه خطبها إلى أبيها ، فاعتقـذر إلينه وقال : قد سمعتُها إلى ابن أخٍ لي يغدوها عندي ، وما إليهم الفيره سبيل . فقال له : إنِّي أَرْغُبُكَ في المهر ، قال : لا حاجةَ لي بذلك ؛ غَدَلَ إلى أمّها ، فوافقَ عندها قبولاً لبذلته ، ورغبتَ في ماله ، فأجابَته ووعده ، وجاءت إلى عقال وقالت : أَئِ خيرٌ في عُزُوهُ حتى تجسسَ ابنتي عليه وقد جاءها الغِنْقَ بِطَرْقٍ عليها باهـا ؟ والله ما تدرى أُعْرُوهُ حـيّ أم ميت ؟ وهل ينقلبُ إلينكَ بغيرِ أم لا ؟ ف تكون قد حرمتَ ابنته خيراً حاضراً ورزقاً سَنِيـاً ، فلم تزل به حتى قال لها : فإنْ عادَ لي خاطبـاً أجبـه .

فوجَّهَتْ إلينه : أنْ عَذْ إلينه خاطبـاً . فلما كان من غد نحر جـُزـراً عـِدـةً ، وأطـمـمـ وَهـبـ ، وجمعـ الحـيـ معـهـ على طـعامـهـ ، وفيـهـمـ أبوـ عـفـراـ ، فـلـماـ طـعـمـواـ أـعـادـ القـولـ فيـ الـخطـبةـ ، فأـجـابـهـ وزـوـجـهـ ، وسـاقـ إـلـيـهـ المـهـرـ وـحـوـلـتـ إـلـيـهـ عـفـراـ ، وـقـالـتـ قـبـلـ أـنـ يـدـخـلـ بـهـاـ :

يـأـعـرـوـ إـلـيـهـ قـدـ نـقـضـوـاـ عـهـدـ إـلـهـ وـحـاـلـوـلـاـ النـذـرـاـ

فـلـماـ كـانـ اللـيـلـ دـخـلـ بـهـاـ زـوـجـهـ ، وـأـقـامـ فـيـهـمـ تـلـاماـ ، ثـمـ اـرـتـحـلـ بـهـاـ إـلـيـ الشـامـ ، وـعـمـدـ أـبـوـهـاـ إـلـيـ قـبـرـ عـتـيقـ فـجـدـدـهـ وـسـوـاهـ ، وـسـأـلـ الحـيـ كـيـنـانـ أـمـرـهـاـ .

وَقَدْ عُرِّفَتْ بَعْدَ أَيَامٍ ، فَنَعَاهَا أَبُوهَا إِلَيْهِ ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْقَبْرَ ، فَكَثُرَ  
يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ أَيَامًا وَهُوَ مُضْطَرٌ هَالِكٌ ، حَتَّى جَاءَهُ جَارِيَةً مِنْ جَوَارِي الْحَيِّ فَأَخْبَرَهُ  
الْخَبْرُ ؛ فَتَرَكَهُ وَرَكَبَ بَعْضَ إِبلِهِ وَأَخْذَ مَعَهُ زَادًا وَنَفَقَةً ، وَرَحَلَ إِلَى الشَّامَ قَدِيمَهَا ،  
بَسْأَلَ عَنِ الرَّجُلِ ، فَأَخْبَرَهُ بِهِ وَدُلُّ عَلَيْهِ ، فَقَصَدَهُ وَانْتَسَبَ إِلَيْهِ فِي عَدْنَانَ ، فَأَكْرَمَهُ  
وَأَحْسَنَ ضِيَافَتَهُ ، فَكَثُرَ أَيَامًا حَتَّى أَنْسُوا بِهِ .

ثُمَّ قَالَ الْجَارِيَةُ لَهُ : مَلِ لَكَ فِي يَدِ تُولِينِيهَا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : تَدْفِعِينِ  
خَاتَمِي هَذَا إِلَى مَوْلَاتِكَ ، قَالَتْ : سُوَءَةَ لَكَ ! أَمَا تَسْتَعْنِي لِمَذَا الْقَوْلُ ! فَأَمْسَكَ عَنْهَا  
نَمْ أَعْدَ عَلَيْهَا ، وَقَالَ لَهَا : وَيَمْلِكُ إِهِي وَاللَّهُ بَنْتُ عَمِي ، وَمَا أَحَدٌ مِنَّا إِلَّا وَهُوَ أَعَزُّ  
عَلَى صَاحِبِهِ مِنَ النَّاسِ ، فَاطْرَحِي هَذَا الْخَاتَمَ فِي صَحْنَهَا ، فَإِنْ أَنْكَرْتَ عَلَيْكَ  
قَوْلِي لَهَا : اضْطَبَحْ ضِيقُكَ قَبْلَكَ وَلَمْ يَسْقُطْ مِنْهُ !

فَرَقَّتْ لِهِ الْجَارِيَةُ ، وَفَعَلَتْ مَا أَمْرَهَا بِهِ ، فَلَمَّا شَرِبَتْ عَفَرَاءَ الْابْنَ رَأَتِ الْخَاتَمَ  
فَرَفِقَهُ فَشَهِقَتْ ، ثُمَّ قَالَتْ لِجَارِيَتْهَا : أَصْدَقِينِي أَخْبَرُكَ ، فَصَدَقَهَا ، فَلَمَّا جَاءَ زَوْجَهَا  
قَالَتْ لَهُ : أَتَذَرِي مَنْ ضِيقُكَ هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ! فَلَانَ ابْنَ فَلَانَ (لِلنَّسْبِ الَّذِي  
أَنْتَسِبَهُ لِهِ عَرْوَةَ) . قَالَتْ : كَلَا وَاللَّهُ ، بَلْ هُوَ عُرْفَوَةُ بْنُ حَزَامَ ابْنِ عَمِي ، وَقَدْ كَتَمَكَ  
نَفْسَهُ حِيَاةً مِنْكَ .

فَبَعْثَتْ إِلَيْهِ ، فَدَعَاهُ وَعَاتَبَهُ عَلَى كِتَمَانِهِ نَفْسِهِ إِبْرَاهِيمَ ، وَقَالَ لَهُ : بِالرَّحْبِ وَالسَّعْةِ ،  
نَشَدُوكَ اللَّهُ إِنْ رِمْتَ<sup>(١)</sup> هَذَا السَّكَانَ أَبْدَا ، وَخَرَجَ وَتَرَكَ مَعَ عَفَرَاءَ يَتَحَدَّثَانَ ،  
وَأَوْصَى خَادِمَهُ بِالْاسْتِمَاعِ عَلَيْهِمَا ، وَإِعْادَةِ مَا تَسْمَعُهُمْ مِنْهُمَا عَلَيْهِ .

(١) دَامَ السَّكَانُ : بِرْحَهُ وَتَرَكَهُ .

فَلَمَا خَلَوَا تَشَاءْ كِيَا مَا وَجَدَا بَعْدَ الْفَرَاقِ ، فَطَالَتِ الشَّكُونِيَّةُ وَهُوَ يَبْكِيُ أَحْرَانِيَّةً ، ثُمَّ أَتَتْهُ بِشَرَابٍ ، وَسَأَلَتْهُ أَنْ يُشَرِّبَ بِهِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا دَخَلَ فِي جَوْفِ حِرَامٍ قُطُّ ، وَلَا ارْتَكَبَتْهُ مِنْذَ كَنْتُ ، وَلَوْ اسْتَحْلَلْتُ حِرَاماً لَكُنْتُ قَدْ اسْتَحْلَلْتُهُ مِنْكَ ، فَأَنْتِ حَظِّيَّةً مِنَ الدُّنْيَا ، وَقَدْ ذَهَبْتِ مِنِي وَذَهَبْتُ بَعْدَكَ فَمَا أَعْيَشُ ، وَقَدْ أَجْلَى هَذَا الرَّجُلُ السَّكِيرِيُّ وَأَحْسَنَ ، وَأَنَا أَسْتَحْسِنُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ لَا أُقْيمُ بَعْدَ عِلْمِهِ مَكَافِيٌّ ، وَإِنِّي عَلَمْ أَنِّي رَاحِلٌ إِلَى مَنِيَّتِي ، فَبَكَتْ وَبَكَى وَانْصَرَفَ .

فَلَمَّا جَاءَ زَوْجُهَا أَخْبَرَتْهُ الْجَارِيَّةُ بِمَا دَارَ بِيْنَهُمَا ، فَقَالَ : يَا عَفْرَاءُ ؟ أَمْنَى ابْنَ عَمِّكَ مِنَ الْخَرْوَجِ ، فَقَالَتْ : لَا يَقْتَنِعُ ، هُوَ وَاللَّهِ أَكْرَمُ وَأَشَدُ حَيَاءً مِنْ أَنْ يَقِيمَ بَعْدَ مَا جَرَى بِيْنَكَاهُ ؛ فَدُعَاهُ وَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي ؟ أَتَقْرَبُ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ ، فَقَدْ عَرَفْتُ خَبْرَكَ ؛ وَإِنَّكَ إِنْ رَحَلْتَ تَلِفْتَ ، وَاللَّهُ لَا أَمْنَعُكَ مِنَ الْاجْتِمَاعِ مَعْهَا أَبْدَأُ ، وَلَئِنْ شَنَّتَ لِأَفَارِقَهَا ، وَلَا تُزَلِّنَّ عَنْهَا لَكَ ، فَقَالَ لَهُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا وَأَتَنِي عَلَيْهِ . وَقَالَ : إِنَّمَا كَانَ الطَّعْمُ إِلَيْهَا آفَقِي ، وَالآنَ قَدْ يَسْتَنِتُ ، وَحَمَلَتْ نَفْسِي عَلَى الصَّبْرِ ، فَإِنَّ الْيَأسَ يُسْلِي ، وَلِيُّ أَمْوَالٌ لَا بَدَأَ مِنْ رَجُوعِهِ إِلَيْهَا ، فَإِنْ وَجَدْتُ بِي قُوَّةً عَلَى ذَلِكَ ، وَإِلَّا عَدْتُ إِلَيْكُمْ وَزُزْتُكُمْ حَتَّى يَقْضِي اللَّهُ مِنْ أَمْرِي مَا يَشَاءُ ؛ فَزُوَّدْتُهُ وَأَكْرَمْتُهُ وَشَيَّعْتُهُ فَانْصَرَفَ .

فَلَمَّا رَحَلَ عَنْهُمْ نُسْكِسُ بَعْدَ صَلَاحِهِ وَتَمَاسُكِهِ ، وَأَصَابَهُ غَشْيٌّ وَخَفَقَانٌ ، فَكَانَ كُلَّمَا أُغْنِيَ عَلَيْهِ أَلْقَى عَلَى وَجْهِهِ خَمَاراً لِعَفْرَاءَ زَوْدَتْهُ إِيَاهُ فَيُعِيقُ .

وَلَقَيَهُ فِي الطَّرِيقِ ابْنُ مَكْحُولٍ عَرَافُ الْيَامَةِ ، فَرَآهُ وَجَلَسَ عَنْدَهُ وَسَأَلَهُ عَنِّهِ وَهُوَ حَبَلٌ أَوْ جَنُونٌ ؟ فَقَالَ لَهُ عَرُوْةُ : أَلَكَ عِلْمٌ بِالْأَوْجَاعِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

فابي منْ خبْل ولا بي جُنَاحٌ  
ولكن عمي يا أخي كذوب  
أقول لعِرَافِ اليمامة داوى  
فإنك إن داوبتني لطَيِّبُ  
فيما كبدًا أمست رُفَاتًا كما نعا  
مُلَدَّعْهُما بالموقدات طيبُ  
عشية لا عَفَرَاءَ منه قريبٌ  
فتسُلُّوا ولا عفَرَاءَ منه قريبٌ  
فوالله لأنساك ما هبت الصبا  
وما عقبتها في الرياح جنوبُ  
وإني لتعزُّوني لذِكْرِكِ هزةٌ  
لها بين جلدِي والمعظام دَيْبُ

وقال يُخَاطِبُ صاحبيه بقصته<sup>(١)</sup> :

خَليليَّ مِنْ عَلِيَا هَلَالِ بْنِ عامر  
بصُنَاعَةِ عُوجَا الْيَوْمَ وَانتَظَرَانِي  
ولَا تَزَهَّدَافِ الأَجْرِ عَنِي وَأَجْحِلَا  
فَإِنَّكَا بِي الْيَوْمَ مُبْتَلِيَانِ  
أَتَمَا عَلَى عَفَرَاءَ إِنَّكَا غَدَدَا  
بِوَشْكِ النَّوَى وَالْبَيْنِ مُعْتَرَّ فَانِ  
فِيَا وَاسِيَّ عَفْرَا دَعَانِي وَنَظَرَةَ  
أَغَرَّ كَا مِنْ قِيسْ لَبَسْتَه  
جَدِيدٌ وَبُرْدَا يَمْنَةَ زَهِيَانِ  
مُتَّكِشِفَا عَنِ الْقَمِيصِ تَبَيَّنَا  
بِي الشَّرَّ مِنْ عَفَرَاءَ يَا فَقَيَانِ  
وَتَعْرِفَا لَهَا قَلِيلًا وَأَعْظَمَا  
بَلِينَ وَقَلْبًا دَائِمَ الْخَفَاقَانِ  
عَلَى كَبْدِي مِنْ حُبٌ عَفَرَاءَ قُرْحَةَ  
وَعَيْنَتَيَّ مِنْ وَجْدِي بِهَا تَكِفَانِ  
وَعَفَرَاءَ عَنِ الْمُعْرِضِ<sup>(٢)</sup> الْمُتَوَانِي  
فِيَالِيتْ كُلَّ اثْنَيْنِ يَيْنِهِما هُوَيَّ  
منَ النَّاسِ وَالْأَنْسَامِ يَلْقَيَانِ

(١) راجع هذه القصيدة بقامتها من ١٥٨ إلى ١٦٢ من ذيل الأمالي طبعة دار الكتب .

(٢) قال صاحب الأمالي : ذكر المعرض ، لأنه أراد : وعفَرَاءَ عن الشخص المعرض ، أو ذكره بناء على التثبيه وأراد : وعفَرَاءَ عن مثل المعرض .

فيففى حبيب من حبيب لبأة  
هوى ناقت خلفى وقدى الموى  
تحملت من عفراء ماليس لي به  
كأن قطأة علقت بمحامها  
وقد تركنى لا أعي لحدث  
جعلت لعرف اليمامة حكمه  
قالا : نعم نشفى من الداء كله  
فساتر كاما من رقية يعلمانيها  
وما شفي الداء الذى بي كله  
وقالا : شفاك الله ، والله ما لنا  
فوبي على عفراء وبلا كاته  
أحب ابنة العذرى جبًا وإن نأت  
فيقارب أنت المستعان على الذى  
تحملت من عفراء منذ زمان  
نم توف <sup>(٢)</sup> وهو راجع بالشام . ولما بلغ عفراء موته قالت لزوجها : قد كان من  
خبر ابن عى ما بلفك ، ووالله ما عرفت منه قط إلا الحسن ، وقدمات فى وبسيبي ؛  
ولا بدلى من أن أندبه فأقيم مائما عليه ، قال : افعلى ؛ فازالت تندبه ثلاثة حتى توفيت  
في اليوم الرابع ، وبلغ معاوية بن أبي سفيان خبرها ؛ فقال : لو علمت بحال هذين  
الحررين السكريين لجمنت بينهما .

---

(١) ألوان : قصراف حق . (٢) انظر القصة التالية .

## \* ٤٤ — قتيل الحب

قال النعمان بن بشير :

استعملني معاوية على صدقات بلي وعذرَة<sup>(١)</sup> ، فإني لئي بعض مياهم إذا أنا  
في بيت منفرد<sup>(٢)</sup> ناحية ، وإذا بفنائه رجل مستلق ، وعنه امرأة ، وهو يقول ،  
أو يتفنّى بهذه الأبيات :

جعلت لعراف اليمامة حُكْمَه  
وعراف تجذّب إن هما شفيفاني  
فقالا : نعم ، نشفي من الداء كلّه  
وقاما مع العوادِ يبتدران  
فاتركا من رُقْبة يعلمانها  
ولا سلوة إلا وقد سقياني  
فقالا : شفاك الله ، والله ما لنا  
بما حملت منك الضلوع يدانِ  
فقلت لها : ما قصته ؟ فقلت : هو مريض ، ما تكلم بكلمة ، ولا لأنّه  
منذ وقت كذا وكذا إلى الساعة ، ثم فتح عينيه ، وأنشأ يقول :  
من كان من أمّهاتي باكيًا أبداً فالليوم إني أراني اليوم مقبوضا  
بمسعفيه ، فإني غير سامي له إذ حملت على الأعناق مغروضا  
ثم خفت فات ، فمضته وغسلته ، وصليت عليه ودفنته ، وقلت للمرأة :  
من هذا ؟ فقلت : هذا قتيل الحب ! هذا عُزُّوة بن حزام !

\* ذيل الأمالي . ١٥٧ .

(١) بلي وعذرَة : قبيلتان . (٢) منفرد : منفرد منعزل .

## \* ٤٥ — قيس ولبني \*

— ١ —

كان منزلُ قيسٍ<sup>(١)</sup> في ظاهرِ المدينةِ، وكان هو وأبوه من حاضرةِ المدينةِ؛ فرَّ قيسٌ لبعض حاجته بخيمَةِ بني كعبَ بن خزاعةَ، فوقف على خيمةِ منها؛ والخيَّةُ خلوف<sup>(٢)</sup>، والخيَّمةُ خيَّمةُ لبني بنتِ الحبابِ الْكَعْبِيَّةِ، فاستسقَ ماءً، فسقَته وخرجتْ إلَيْهِ به، وكانت امرأةً مديبةً لَقَامَةً شهلاً<sup>(٣)</sup> حلوةَ المنظرِ والكلامِ.

فلمَ رآها وقَمتْ في نفسهِ، وشربَ الماءَ، فقالَتْ لهُ : أَتَنْزِلُ فَتَبَرَّدَ عندَنَا؟ قالَ : نعم؛ فنزلَ بهمْ . وجاءَ أبوها فنَحَرَهُ وأَكْرَمهَ، فانصرفَ قيسٌ وفِي قلبهِ من لبني حَرْثَلَا يُطْفَأُ ، فجُعلَ ينطِقُ بالشِّعرِ فِيهَا حَتَّى شَاعَ وَرُوِيَ . ثمَ أتَاهَا يَوْمًا آخَرَ ، وَقَدْ اشْتَدَّ وَجْدُهُ بِهَا ، فَسَلَمَ فَظَهَرَتْ لَهُ وَرَدَتْ سَلَامَهُ، وَتَحْفَتَ<sup>(٤)</sup> بِهِ ، فَشَكَا إِلَيْهَا مَا يَلْقَى مِنْ حُبْهَا ، وَشَكَتْ إِلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَطَالَتْ، وَعَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا لَهُ عِنْدَ صَاحِبِهِ .

\* الأغاني : ٩ - ١٨١

(١) هو قيس بن ذريع من كنانة ، كان هو وأبوه من حاضرة المدينة ، واشتهر قيس بمحبه لبني بنتِ الحبابِ الْكَعْبِيَّةِ، وهي التي أهتمَتْ القولَ وأنفقتَهُ بالشِّعرِ، توفَّتْ نحو سنة ٧٠ هـ (٢) خلوف: غيب . (٣) الشهلاء: التي يخالطُ سوادَ عينيها زرقة . (٤) تحفت: بالفت في لِكَرامَه ، وأظهرت السرور والفرح .

فانصرف إلى أبيه وأعلمَه حاله ، وسأله أن يُرَوِّجه إياها . فأبَى عليه ، وقال : يا بُنْيَ ؛ عليك بإحدى بنات عمك ، فهنَّ أحقُّ بك . وكان ذَرِيعٌ كثيرَ المال مُوسِراً ، فأحَبَّ ألا يخرج ابنه إلى غَرِيبةٍ .

فانصرف قيسٌ ، وقد ساءه ما خاطبه أبوه به ، فأتى أمَّه فشَّاكا ذلك إليها ، واستعن بها على أبيه ؛ فلم يجد عندهما ما يحبُّ .

فأتى الحسينَ بن علي بن أبي طالب وابنَ أبي عتِيق ، فشكَا إليهم ما مارَدَ عليه أبوه . فقال له الحسينُ : أنا أَكْفِيك . فشيَّ معه إلى أبي لُبْنَى ؛ فلما بَصَرَ به أَعْظَمُه وَوَتَّبَ إِلَيْهِ وقال له : يا بْنَ رَسُولِ اللهِ ؟ مَا جَاءَكَ ؟ أَلَا بَعْثَتَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُكَ ! قال : إِنَّ الَّذِي جَئْتُ فِيهِ يُوجِبُ قَصْدَكَ ، وَقَدْ جَئْتُكَ خَاطِبًا ابْنَكَ لُبْنَى لَقِيسَ بنَ ذَرِيعَ . فقال : يا بْنَ رَسُولِ اللهِ ؟ مَا كَنَا لِنَعْصِي لَكَ أَمْرًا ، وَمَا بَنَا عَنِ الْفَتْيَةِ رَغْبَةً ؛ وَلَكِنْ أَحَبَّ الْأَمْرِ إِلَيْنَا أَنْ يَخْطُبَهَا ذَرِيعٌ أَبُوهُ ، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَى أَمْرِهِ ؛ فَإِنَّا نَخَافُ إِنْ لَمْ يَسْعَ أَبُوهُ فِي هَذَا أَنْ يَكُونَ عَارًّا وَسُبْبَةً عَلَيْنَا .

فَأَتَى الحَسَنُ رضي الله عنه ذَرِيعًا وَقَوْمَهُ وَهُمْ مجتمعون ، فقاموا إِلَيْهِ إِعْظَامًا له ، وقالوا له مثل قول الخزاعيين<sup>(١)</sup> . فقال لذَرِيعٍ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا خَطَبَتَ لُبْنَى لابنك قيس . قال : السُّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِأَمْرِكَ .

خرج معه في وجوهِ من قومه حتى أتَوْا دارَ لُبْنَى ، فخطبها ذَرِيعٌ عَلَى ابْنِهِ إِلَيْهَا ، فزوَّجَهَا بِهِ إِيَاهَا وَزُفَّتْ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَاقْفَأَتْ مَعَهُ مُدَّةً لَا يُنْكِرُ أحدٌ مِّنْ صَاحِبِهِ شَيْئًا .

(١) الخزاعيون : قوم لبني .

وكان أَبْرَّ النَّاسِ بِأَمْهٌ ، فَأَلْهَتْهُ لُبْنٍ وَعَكْوَفٌ عَلَيْهَا عَنْ بَعْضِ ذَلِكَ ، فَوَجَدَتْ أَمْهٌ فِي نَفْسِهَا وَقَالَتْ : لَقَدْ شَفَلْتَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ ابْنِي عَنْ بِرِّي ، وَلَمْ تُرِكْ السَّكَلَامُ فِي ذَلِكَ مَوْضِعًا حَتَّى مَرَضَ مَرْضًا شَدِيدًا . فَلَمَّا بَرَأَ مِنْ عَلَيْهِ قَالَتْ أَمْهٌ لِأَبِيهِ : لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَمُوتَ قَيسٌ وَمَا يَتَرَكْ خَلْقًا وَقَدْ حُرِمَ الْوَلَدُ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ، وَأَنْتَ ذُو مَالٍ فَيَصِيرُ مَالُكَ إِلَى السَّكَلَلَةِ<sup>(١)</sup> ، فَزَوْجُهُ بَغِيرُهَا لَعْلَ اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا ؛ وَالْحَتَّى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ .

فَأَمْهَلَّ قَيسًا حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ قَوْمُهُ دُعَاهُ فَقَالَ : يَا قَيْسُ ؟ إِنَّكَ اعْتَلَلْتَ هَذِهِ الْعَلَةَ فَخِفْتُ عَلَيْكَ وَلَا وَلَدَكَ وَلَا لِي سِواكَ ، وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ لَيْسَتْ بِوَلُودٍ ؛ فَتَزَوَّجْ إِحْدَى بَنَاتِ عَمِّكَ ؛ لَعْلَّ اللَّهُ أَنْ يَهَبَ لَكَ وَلَدًا تَقْرَئُ بِهِ عَيْنُكَ وَأَعْيَنَا .

فَقَالَ قَيسٌ : لَسْتُ مَتَزَوْجًا بَغِيرِهَا أَبْدًا ؛ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : فَإِنْ فِي مَالِي سَعَةٌ فَتَسْرِرْ بِالْإِمَاءِ ، قَالَ : وَلَا أَسْوِهَا بَشِيءًا أَبْدًا وَاللَّهُ . قَالَ أَبُوهُ : فَإِنِّي أَقْسِمُ عَلَيْكَ إِلَّا طَلَقَهَا . فَأَبَى وَقَالَ : الْمَوْتُ وَاللَّهُ عَلَى أَمْسِهِلٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنِي أَخِيرُكَ خَصْلَةً مِنْ ثَلَاثَ خَصَالٍ . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : تَنْزَوَجْ أَنْتَ فَلَمْعَلَّ اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَكَ وَلَدًا غَيْرِي . قَالَ : فَإِنِّي فَضَلَّةٌ لِذَلِكَ . قَالَ : فَدُعْنِي أَرْتَحِلْ عَنْكَ بِأَهْلِي وَأَصْنَعْ مَا كَنْتَ صَانِعًا لَوْمَتُ فِي عَلَيْهِ هَذِهِ . قَالَ : وَلَا هَذِهِ . قَالَ : فَادْعُ لُبْنِي عَنْكَ وَأَرْتَحِلْ عَنْكَ فَلَعْلِي أَسْلُوْهَا فَإِنِّي مَا أُحِبُّ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ نَفْسِي طَيِّبَةً أَنْهَا فِي خَيْالِي .

قَالَ : لَا أَرْضِي أَوْ تَطْلُقُهَا ، وَحَلْفٌ لَا يَكُنْهُ سُقْفٌ يَدِي أَبْدَا ، حَتَّى يَطْلُقُ لُبْنِي ، فَكَانَ يَخْرُجُ فِيقُ فِي حِرَّ الشَّمْسِ وَيَجْنِيَ قَيسٌ فِيقُ إِلَى جَانِبِهِ فَيُظْلِهِ

(١) يَرَادُ بِالسَّكَلَلَةِ هَذَا : مَنْ عَدَا الْأَبْ وَالابْنَ مِنَ الْوَرَثَةِ .

بردائه ، ويصلّى هو بحر الشّمس حتّى ينصرف عنه ، ويدخل إلى لبني فيعانقها ونعمانه ، ويبكي وتبكى معه ، وتقول له : يا قيس ؟ لاتُطْعِم أباك فمهلك وتهلكني . فيقول : ما كنت لأطعيم أحداً فيك أبداً، ومكث كذلك سنة ثم طلقها.

فَلَمَا بَأْت لُبْنَى بِطَلَاقِهِ ، وَرَغْ مِنَ الْكَلَامِ لَمْ يُلْبِثْ حَتَّى اسْتُطِيرَ عَقْلَهُ وَذُهْبَهُ بِهِ ، وَلَقَهُ مِثْلُ الْجَنُونِ ، وَتَذَكَّرَ لُبْنَى وَحَالَهَا مَعَهُ ، فَأَسِفَ وَجْهُهُ وَيَنْشِجُ<sup>(١)</sup> أَخْرَى نَشِيجٍ . وَلَقَهَا الْخَبْرُ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا لِيَحْمِلَهَا ؛ فَأَقْبَلَ أَبُوهَا بِهَوْدَجٍ عَلَى نَاقَةٍ وَيَابِلٍ تَحْمِلُ أَثْنَاهَا .

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَيْسُ أَقْبَلَ عَلَى جَارِيَتِهَا قَالَ : وَيَحْكُمُ امَادهانِي فِي كَمْ ؟ قَالَتْ : لَا نَسْأَلُ وَسْلَ لُبْنَى ، فَذَهَبَ لِيُلْمِمَ بَنِيَّهَا فِي سَأْلَاهَا ، فَنَعَهُ قَوْمُهَا . فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهِ قَالَتْ لَهُ : مَالِكٌ ؟ وَيَحْكُمُ ! تَسْأَلُ كَأْنَكَ جَاهِلٌ أَوْ مُتَجَاهِلٌ ! هَذِهِ لُبْنَى تَرْتَحِلُ اللَّيْلَةَ أَوْ غَدَاءً ، فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ لَا يَعْقُلُ ، ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ : وَإِنِّي لَمَفْنِي دَمْعَ عَيْنَيَ بِالْبُكَاءِ حِذَارَ الذِّي قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَايْنُ وَقَالُوا : غَدًا أَوْ بَعْدَ ذَالِكَ الْبَلِيلَةِ فَرَاقُ حَبِيبٍ لَمْ يَبْيَنْ وَهُوَ بَائِنُ وَمَا كَنْتُ أَخْشِي أَنْ تَكُونَ مَنْيَيْتِي بِكَفِيْكِ إِلَّا أَنَّ مَا حَانَ حَانِنُ ثُمَّ التَّفَتَ فَرَأَى غُرَاباً سَقَطَ قَرِيبًا مِنْهُ ، فَجَعَلَ يَنْعَقُ مِرَارًا ، فَطَيَّرَهُ مِنْهُ وَقَالَ :

لَقَدْ نَادَى الغَرَابُ بَيْنَ لُبْنَى فَطَارَ الْقَلْبُ مِنْ حَذَرِ الغَرَابِ  
وَقَالَ : غَدًا تَبَاعِدُ دَارُ لُبْنَى وَتَنَأَى بَعْدَ وُدِّ وَاقْتَرَابِ

(١) النَّشِيجُ : أَنْ يَغْصُ الْبَاكِي بِالْبَكَاءِ مِنْ

(٢) النَّشِيجُ : مَا كَانَ شَمَا فِي نَسْخَهِ الظَّلَلِ .  
غَيْرِ اتِّحَادِ .

فقلت : تَعِسْتَ وَيَحْكَ مِنْ غَرَابٍ وَكَانَ الدَّهْرَ سَعْيُكَ فِي نَبَابٍ  
وَمَنْعَهُ قَوْمُهُ مِنَ الْإِلَامِ بِهَا ، قَالَ :

أَلَا يَاغْرَابَ الْبَيْنِ ؟ وَيَحْكَ اَنْبَئِي  
بِعِلْمِكَ فِي لَبَنِي وَأَنْتَ خَبِيرُ  
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُخْبِرْ بِمَا قَدْ عَلِمْتَهُ فَلَا طِرْتَ إِلَّا وَالجَنَاحُ كَسِيرٌ  
وَدُرْتَ بِأَعْدَاءِ حَبِيبِكَ فِيهِمُ كَا قَدْ تَرَانِي بِالْحَبِيبِ أَدُورُ

نَمْ أَذْخَلْتَ فِي هُودِجَهَا ، وَرَحْلَتْ وَهِيَ تَبْكِي اَفَاتِبُهَا وَهُوَ يَقُولُ :  
أَلَا يَاغْرَابَ الْبَيْنِ ؟ هَلْ أَنْتَ مُخْبِرِي بِخَبْرِكَ الْمُخْبِرِي بِالنَّأَيِّ وَالشَّرِّ  
وَقَلَتْ : كَذَاكَ الدَّهْرُ مَا زَالَ فَاجِعًا صَدَقَ ، وَهُلْ شَيْءٌ يَبْقِي عَلَى الدَّهْرِ

نَمْ عَلِمْ أَنَّ أَبَاهَا سَيَمْنَعُهُ مِنَ السَّيْرِ مَعَهَا ؟ فَوَقَفَ يَنْظَرُ إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي ، حَتَّى غَابَوا  
عَنْ عَيْنِهِ ، فَسَكَرَ رَاجِعًا ؛ وَنَظَرَ إِلَى أَثْرِ خُفْ بِعِيرِهَا ؛ فَأَكَبَ عَلَيْهِ يَقْبَلَهُ ، وَرَجَعَ  
يَقْبَلُ مَوْضِعَ مَجْلِسِهَا وَأَثْرَ قَدْمِهَا ؛ فَلَيْمَ عَلَى ذَلِكَ وَعَنْهُ قَوْمُهُ عَلَى تَقْبِيلِ التَّرَابِ ،  
قَالَ :

وَمَا أَحَبَبْتُ أَرْضَكُمْ وَلَكِنْ أَفْبَلْ إِمْرَ مَنْ وَطَنِي الْتَّرَابَا  
لَقَدْ لَاقِيتُ مِنْ كَلَنِي بِلَبَنِي بَلَاءً مَا أُسِينُ بِهِ الشَّرَابَا  
إِذَا فَادِي الْمَنَادِي بِاسْمِ لَبَنِي عَيْتَ فَمَا أُطِيقُ لَهِ جَوَابَا

وَقَالَ ، وَقَدْ نَظَرَ إِلَى آثارِهَا :

أَلَا يَارَبَعَ لَبَنِي مَا تَقُولُ ؟ أَبْنَ لِي الْيَوْمَ مَا فَعَلَ الْخَلُولُ  
فَلَوْ أَنَّ الدِّيَارَ تُجِيبُ صَبَّأً لَرَدَ جَوَابِيَ الرَّبِيعُ الْمُحِيمِلُ  
وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ غَدَاهَ قَالَتْ : غَدَرْتَ ، وَمَاهُ مُقْلِهَا بَسِيلُ

نَحْرَتُ النَّفْسَ حِينَ سَمِعَتْ مِنْهَا  
مَقَالَتِهَا وَذَاكَ لَهَا قَلِيلٌ  
شَفِيتُ غَلِيلَ نَفْسِي مِنْ فِعْلِي  
وَلَمْ أَغْبَرْ بِلَا عَقْلِي أَجُولُ  
كَانَى وَاللهُ بِفَرَاقِ لَبَنِي  
بَعْدَمُ بِقُدْرِ وَاحِدِهَا شَكُولُ  
أَلَا يَا قَلْبُ وَيَمْكُ اَكَنْ جَلِيداً ؟  
فَقَدْ رَحَلتْ ، وَفَاتَ بِهَا الدَّمِيلُ<sup>(١)</sup>  
إِذَا رَحَلتْ ، وَإِنْ كَثُرَ الْوَعِيلُ  
وَكُمْ قَدْ عِشْتَ كَمْ بِالْقُرْبِ مِنْهَا !  
وَلَكِنَّ الْفِرَاقَ هِيَ السَّبِيلُ  
فَصَبِرَا ؛ كُلُّ مُؤْتَفَنِ يَوْمًا  
فَلَمَا جُنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَانْفَرَدَ ، وَأَوْيَ إِلَى مَضْجُومِهِ لِمْ يَأْخُذْهُ الْقَرَارُ ، وَجَعَلَ  
يَتَمَلَّمُ فِيهِ تَمَلُّمَ السَّلِيمِ ، ثُمَّ وَثَبَ حَتَّى أَتَى مَوْضِعَ خِيَاهَا ؛ فَجَعَلَ يَتَرَغَّبُ فِيهِ  
وَيَسْكُنُ وَيَقُولُ :

بِتُّ وَالْمُمْ يَا لَبَنِي ضَحِيعِي  
وَتَنْفَسْتُ إِذْ ذَكَرْتُكِ حَتَّى  
زَالَتِ الْيَوْمَ عَنْ فَوَادِي ضَلُوعِي  
أَنَّاسَكِي كَيْ يُرِيغَ<sup>(٢)</sup> فَوَادِي  
نَمْ يَشْتَدُّ عَنْدَ ذَاكَ وَلُوعِي  
يَا لَبَنِي ! فَدَتْكِ نَفْسِي وَأَهْلِي !  
هَلْ لَدْهِ لَنَا مِنْ رَجُوعٍ

— ٢ —

وَمَرَضَ قِيسُ ، فَسَأَلَ أَبُوهُ فَتِياتِ الْحَيِّ أَنْ يَعْدُنَهُ وَيَحْدِثُنَهُ ، لِمَلِهِ أَنْ يَتَسْلِي ؛  
فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَدَخَلَ الطَّبِيبَ إِلَيْهِ لِيَداوِيهِ ، وَالْفَتِياتُ مَعَهُ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُنَ عَنْدَهُ جَعَلَنَ  
يَحْادِثُنَهُ ، وَأَطْلَنَ السُّؤَالَ عَنْ سَبْبِ عَلَتِهِ ، فَقَالَ :

(١) التَّمِيلُ : السَّيِّدُ الْلَّبِنُ . (٢) يُرِيغُ : يَحْمِدُ .

عِيدَ قِيسَ مِنْ حُبٍ لِّبْنِي، وَلِبْنِي  
دَاءَ قِيسَ، وَالْحَبُّ دَاءٌ شَدِيدٌ  
وَإِذَا عَادَنِي الْعَوَانِدُ يَوْمًا  
قَالَتِ الْعَيْنُ: لَا أَرَى مِنْ أَرِيدُ  
لَيْتَ لِبْنِي تَوَدَّنِي ثُمَّ أَفْضِي  
إِنَّهَا لَا تَعُودُ فِيمَنْ يَعُودُ  
وَيَنْجَقَ قِيسَ لَقَدْ تَضَمَّنَ مِنْهَا  
دَاءَ خَبْلِلٍ، فَالْقَلْبُ مِنْهُ عِيدٌ

فَقَالَ لِهِ الطَّبِيبُ: مِنْذَ كُمْ هَذِهِ الْعَلَةُ؟ وَمِنْذَ كُمْ وَجَدْتَ بِهَذِهِ الْمَرْأَةَ مَا وَجَدْتَ؟

فَقَالَ :

تَلَقَّ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلَقْنَا  
وَمِنْ بَعْدِ مَا كَنَّا نِطَافًا فِي الْمَهْدِ  
فَزَادَ كَازِدَنَا ، فَأَصْبَحَ نَامِيًّا  
وَلَيْسَ إِذَا مُتَّنَا بِمُنْصَرِمِ الْمَهْدِ  
وَلَكِنَّهُ بَاقِي عَلَى كُلِّ حَادِثٍ

فَقَالَ لِهِ الطَّبِيبُ: إِنَّ مَا يَسْلِيكُ عَنْهَا أَنْ تَعْذِذَ كَمَّ مَا فِيهَا مِنَ الْمَسَاوِيِّ وَالْمَعَابِ،  
وَمَا نَعَافَهُ النَّفْسُ مِنْ أَقْدَارِ بَنِي آدَمَ ، فَإِنَّ النَّفْسَ حِينَئِذٍ تَنْبُو وَتَسْلُو وَيَخْفُ مَابِها ،

فَقَالَ :

إِذَا عَيْتُهَا شَبَهَهَا الْبَدْرَ طَالِمًا  
وَحَسْبُكَ مِنْ عِيْبِهَا شَبَهُهَا الْبَدْرُ  
لَقَدْ فُضِّلَتْ لِبْنِي عَلَى النَّاسِ مِثْلَ مَا  
عَلَى الْفَرِشَهْرِ فُضِّلَتْ لِيَلَهُ الْقَدْرِ

وَدَخَلَ أَبُوهُ وَهُوَ يَخَاطِبُ الطَّبِيبَ بِهَذِهِ الْمُخَاطَبَةِ ، فَأَنْبَهَهُ وَلَامَهُ ، وَقَالَ لَهُ :

يَا بْنِي ؟ اللَّهُ أَللَّهُ فِي نَفْسِكِ ! إِنْكَ مَيْتٌ إِنْ دَمْتَ عَلَى هَذَا ، فَقَالَ :

وَفِي عُرْوَةَ<sup>(١)</sup> الْعَدْرِيِّ إِنْ مَتْ أَسْوَةٌ وَعَمْرُو<sup>(٢)</sup> بْنَ عَجْلَانَ الَّذِي قُتِلَتْ هِنْدُ

(١) هو عروة بن حزام أحد المتيين الذين قتلهم الموي (انظر صفة ١١٣). (٢) شاعر جاهلي أحد من قتلهم المحب ، وكان له زوجة يقال لها هند فطلقتها ثم ندم عليها ، ولا تزوجت زوجاً غيره مات أسفًا (الأغاني ص ١٠٢ ، ج ١٩).

وَبِي مِثْلٍ مَا مَاتَاهُ بِهِ ، غَيْرَ أَنْتَ إِلَى أَجَلٍ لَمْ يَأْتِنِي وَقْتُهُ بَعْدُ  
هُلْ الْحَبُّ إِلَّا عَبْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ وَحَرَثٌ عَلَى الْأَخْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرَدُ  
وَفَيْضٌ دُمُوعٌ تَسْهِلُ إِذَا بَدَا لَنَا عَلَمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو

— ٣ —

وَلَمَّا طَالَ عَلَى قَيْسٍ مَا يَهِي مِنَ الْأَمْرِ بَعْدَ طَلاقِ لُبْنِي ، أَشَارَ قَوْمَهُ عَلَى أَبِيهِ  
بِأَنْ يَزْوُجَهُ امْرَأَةً جَمِيلَةً ، فَلَمَّا هُنَّ يَسْلُوُنَّ بَهَا عَنْ لُبْنِي ؛ فَدَعَاهُ إِلَى ذَلِكَ فَأَبَاهُ وَقَالَ :  
لَقَدْ حِفْتُ أَلَا تَقْنَعَ النَّفْسَ بَعْدَهَا بِشَيْءٍ مِنَ الدِّينِ وَإِنْ كَانَ مُقْنَعًا  
وَأَرْجُرُ عَنْهَا النَّفْسَ إِذْ حِيلَ دُونَهَا وَتَأْبَى إِلَيْهَا النَّفْسُ إِلَّا تَطْلُمُهَا  
فَأَعْلَمُهُمْ أَبُوهُ بِمَا رَدَّ عَلَيْهِ . قَالُوا : فَمَرْءَهُ بِالْمَسِيرِ فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ وَالنَّزُولِ عَلَيْهِمْ  
فَلَعْلَهُ عَيْنُهُ أَنْ تَقْعَ عَلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ . فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ أَبُوهُ أَنْ يَفْعُلُ .

فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ بِجَيْهِ مِنْ فَزَارَةً ، فَرَأَى جَارِيَّةً حَسَنَاهُ قَدْ حَسِرَتْ بُرْقُعَ خَرْتِي  
عَنْ وَجْهِهَا وَهِيَ كَالْبَدْرُ لِيَلَةَ تِمَّهُ ، قَالَ لَهَا : مَا سُمِّكَ يَا جَارِيَّةً ؟ قَالَتْ : لُبْنِي .  
فَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَنَضَحَتْ عَلَى وَجْهِهِ مَاءٌ وَارْتَاعَتْ لِمَا عَرَاهُ ، ثُمَّ  
قَالَتْ : إِنَّ لَمْ يَكُنْ هَذَا قَيْسَ بْنَ ذَرَيْعَةَ إِنَّهُ لِجَنُونٌ ! فَاقْفَقَ فَنَسَبَتْهُ فَانْتَسَبَ .  
فَقَالَتْ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ قَيْسُ ، وَلَكِنْ نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ وَبِحَقِّ لُبْنِي إِلَّا أَصْبَتَ مِنْ  
طَعَامِنَا ؛ وَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ طَعَامًا ، فَأَصَابَ مِنْهُ بِإِصْبَاعِهِ ، وَرَكَبَ فَأَتَى عَلَى أَنْزِهِ أَخْلَهَا كَانَ  
غَايَةً فَرَأَى مُنَاحَ نَاقَتِهِ ؛ فَسَأَلَمْ عَنْهُ فَأَخْبَرَهُ ، فَرَكَبَ حَتَّى رَدَّهُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَحَافَ عَلَيْهِ  
لِيُقِيمَنَّ عَنْهُ شَهْرًا . قَالَ لَهُ : لَقَدْ شَفَقْتَ عَلَيَّ ، وَلَكِنِّي سَأَتْبِعُ هُوَكَ وَالْفَزَارِيَّ

يزداد إعجاباً بحديثه وعقله وروايته ، فعرض عليه الصهر . فقال له : يا هــذا ؟ إن فيك لرغبة ، ولكن في شغل لا ينتقم بي معه .

فلم يزل يعاوِدُهُ والجَيْهَ يلْمُونَهُ ويقولونَ لِهِ: قَدْ خَشِبَنَا أَنْ يَصِيرَ عَلَيْنَا فِلْكٌ سُبْهَةً.  
قالَ: دَعُونِي فِي مِثْلِ هَذَا الْفَتَى يَرْغَبُ السَّكِيرَامَ . فلم يزل به حتى أجايه ، وعقدَ  
الصَّهْرَ يَدِنِهِ وَيَدِنِهِ عَلَى أَخْتِهِ السَّمَاءِ لُبْنَى ، وَقَالَ لَهُ: أَنَا أَسُوقُ عَنْكَ صَدَاقَهَا . فَقَالَ:  
أَنَا وَاللَّهِ يَا أَخِي أَكْثُرُ قَوْمٍ مَا لَآ . فَأَحَاجَتُكَ إِلَى تَكْلِيفِ هَذَا ؟ أَنَا سَأَثْرِبُ إِلَى قَوْمِي  
وَسَاقِيَّ إِلَيْهَا الْمَهْرَ . فَقَعَلَ وَأَعْلَمَ أَبَاهُ الذِّي كَانَ مِنْهُ ؛ فَسَرَّهُ وَسَاقَ الْمَهْرَ عَنْهُ .

ورجع إلى الفزّاريين حتى أدخلت عليه زوجته، فلم ير وهش إليها ولادَنَا منها؛ ولا خاطَها بحرفٍ ولا نظرَ إليها.

وأقام على ذلك أياماً كثيرة؛ ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياماً، فأخذوا  
له في ذلك ؛ فمضى لوجهه إلى المدينة ، وكان له صديقٌ من الأنصار بها ، فاتاه فاعلمه  
الأنصار أنَّ خبرَ تزويجه بلغُ لبني قَفْمَهَا وَقَالَتْ : إِنَّه لَغَدَارٌ ! وَلَقَدْ كَنْتُ أَمْتَنَعْ مِنْ  
إِجَابَةِ قَوْمِي إِلَى التَّرْزِيجِ فَأَنَا الْآنَ أَجِبُهُمْ .

وقد كان أبوها شكاً قيساً إلى معاوية، وأعلمته تعرضاً لها بعد الطلاق، فكتب إلى مروان بن الحكم يهذِّر دمه إن تعرض لها، وأمرأ بها أن يُزَوْجَهار جلا يعرف بخالد بن حيلزة، فزوجها أبوها منه، فعمل نساء الحي يَقْلُن ليلة زفافها:

**الْبَيْنَ زَوْجُهَا أَصْبَحَ لَا حُرّ بِوَادِيهِ**

له فضلٌ على الناس بما باتَ تُنَاجِيه

وَقِيسْ مِيْتْ حَيْ بُوا كِيْه صَرِيمْ فِي

**فَلَا يُبْعَدُهُ اللَّهُ وَبَعْدًا لِنَوَاعِيهِ**

فَجَزِّعَ قَيْسَ جَزِعاً شَدِيداً ، وَجَعَلَ يُنْشِجُ أَحَرَّ نَشِيجَ وَيَبْكِي أَحَرَّ بَكَاءً .  
 ثُمَّ رَكِبَ مِنْ فَوْرَهُ حَتَّى أَتَى حَمَّةَ قَوْمِهَا ، فَنَادَاهُ النِّسَاءُ : مَا تَصْنَعُ الْآنَ هَاهُنَا !  
 قَدْ نُقِلْتُ لُبْنِي إِلَى زَوْجِهَا ! وَجَعَلَ الْفَتَيَانُ يُعَارِضُونَهُ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ وَأَشْبَهُوهُمَا وَهُوَ  
 لَا يُجِيِّبُهُمْ حَتَّى أَتَى مَوْضِعَ خِبَابِهَا ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ وَجَعَلَ يَتَمَعَّكَ<sup>(١)</sup> فِي مَوْضِعِهَا  
 وَيُمْرَغُ خَدَّهُ عَلَى تُرَابِهَا ، وَيَبْكِي أَحَرَّ بَكَاءً ، ثُمَّ قَالَ :

إِلَى الله أَشْكُوكَوْ فَقَدَ لُبْنَى كَاشَكَا  
 يَتِيمٌ جَفَاهُ الْأَقْرَبُونَ فِحْسَمُ  
 نَحِيلٌ وَعَهْدُ الْوَالِدَيْنِ قَدِيمٌ  
 بَكْتُ دَارِمُ مِنْ نَائِبِهِمْ فَتَهَلَّتْ  
 دَمْوعِي ، فَأَيُّ الْجِبَارِ عَيْنِ الْلُّومِ ؟  
 أَمْ آخَرَ يَبْكِي شَجَوَهُ وَيَهِيمُ  
 تَهِيَصِي<sup>(٢)</sup> مِنْ حُبِّ لُبْنَى عَلَانِقُ  
 وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حُبَّ لُبْنَى فَوَادُهُ  
 إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ حُبُّ لُبْنَى فَوَادُهُ  
 عَلَى الْعَهْدِ فِيهَا يَبْنَنَا لَقِيمُ  
 وَيَبْنَكُمْ فِيهِ الْعِدَادَ لَشُومُ  
 أَفَ الْحَقُّ هَذَا أَنْ قَلْبِكِ فَارِغٌ  
 صَحِيفَ وَقْبَيْ فِي هَوَالِكِ سَقِيمُ !

— ٤ —

وَشَخَصُ أَبُو لُبْنَى إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَشَكَا إِلَيْهِ قَيْسًا ، وَتَرَثَضَهُ لَابْنَتِهِ بَعْدَ طَلاقِ  
 إِيَاهَا ، فَكَتَبَ مَعَاوِيَةَ إِلَى مَرْوَانَ يُهَنِّدِرُ دَمَهُ إِنْ أَلَمْ بِهَا ، وَأَنْ يَشْتَدُ فِي ذَلِكَ .

(١) يَتَمَعَّكَ : يَتَمَرَّغُ . (٢) تَهِيَصِي : اسْكَسِرُ .

فَكَتَبَ مَرْوَانُ فِي ذَلِكَ إِلَى صَاحِبِ الْمَاءِ الَّذِي يَنْزَلُهُ أَبُو لَبْنَىٰ كِتَابًا وَكِيدًا؛  
وَوَجَهَتْ لَبْنَىٰ رَسُولًا فَاصْدَأَ إِلَى قِيسٍ تَعْلِمَهُ مَا جَرِي وَتَحْذِيرَهُ.  
وَبَلَغَ أَبَاهُ الْخَبْرَ، فَعَاتَبَهُ، وَقَالَ لَهُ : اشْتَهِ بَكَ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ يُهُدِّرَ السُّلْطَانَ  
دَمَكَ ؟ فَقَالَ :

فَإِنْ يَحْجِبُوهَا أَوْ يَحْكُلُونَ دُونَ وَصْلِهَا مَقَالَةً وَاشْتَهِيْ أَوْ وَعِيدُ أَمِيرٌ  
فَلَنْ يَمْنَعُوا عَيْنِيْ مِنْ دَائِمِ الْبُسْكَأَ وَلَنْ يُدْهِبُوا مَا قَدْ أَجْنَّ ضَمِيرِي  
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا أَلَاقَ مِنَ الْمَوْىِ وَمِنْ حُرْقِيْ تَعْنَادِنِي وَزَفِيرِ  
وَمِنْ حُرْقِيْ لِلْحَبَّ فِي بَاطِنِ الْحَشْنِيِّ وَلَلِيلُ طَوِيلُ الْحَزْنِ غَيْرُ قَصِيرٍ  
سَأَبْكِي عَلَى نَفْسِي بَعْيَنِ غَزِيرَةٍ وَكَنَّا جَيْعاً قَبْلَ أَنْ يَظْهُرَ الْمَوْىِ  
بَأْنَمَّ حَالَنِيْ غِبْطَةٌ وَسُرُورٌ  
بَطْوُنُ الْمَوْىِ مَقْلُوبَةٌ لِظَهُورِ  
لَقَدْ كَفْتِ حَسْبَ النَّفْسِ لَوْ دَامَ وَصْلُنَا وَلَكُنَّا الدُّنْيَا مَتَاعٌ غَرُورٍ

وَحَجَّ قِيسُّ بْنُ ذَرِيعَ، وَاتَّفَقَ أَنْ حَجَّتْ لَبْنَىٰ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، فَرَآهَا وَمَعْهَا  
امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا؛ فَدَاهَشَ، وَبَقِيَ وَاقِفًا مَكَانَهُ وَمَضَتْ لِسَيْلِهَا .  
ثُمَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِالْمَرْأَةِ تِبْلِفَهُ السَّلَامُ وَتَسَأَلَهُ عَنْ خَبَرِهِ، فَأَلْفَتَهُ جَالِسًا وَحْدَهُ  
يَنْشِدُ وَيَبْكِي :

وَبِوْمَيْ أَعْرَضْتِ عَنِ فَلَمْ أَقْلِ . بِمَاجِيْ نَفْسِيْ عَنْدَ لَبْنَىٰ مَقَالُهَا  
وَفِي الْيَمْسِ لِلنَّفْسِ الْمَرِيْضَةِ رَاحَةٌ إِذَا النَّفْسُ رَامَتْ خُطَّةً لَا تَنَالُهَا

فدخلت خياءه وجعلت تحدثه عن لبني ويحدثها عن نفسه ملِياً ، ولم تمله أن  
لبن أرسلتها إليه ، فسألها أن تبلغها عنه السلام ، فامتنعت عليه ؟ فأنشا يقول :  
إذا طلعت شمسُ النهار فسلّى فَآيَةً تساميَّ عَلَيْكَ طَلُوعُهَا  
بعشرِ تحياتٍ إِذَا الشَّمْسُ أَشْرَقَتْ  
وعشرِ إذا اصفرَتْ وحان رجوعُهَا  
بكتْ جزَعاً وارفضَ منها دموعُهَا  
ولو أُبلقُهَا جارةً قوليَّ أَسْلَى  
وبانَ الَّذِي تُخْفِي من الْوَجْدِ الْحَسْنِي  
إِذَا جاءَهَا عَنِ الْحَدِيثِ يَرُوُعُهَا

وقضى الناسُ حَجَّهُمْ ، وانصرفوا ؛ فرض قيس في طريقه مرضًا شديداً أشفي  
منه على الموت ؛ فلم يأته رسولُها عائداً ؛ لأنَّ قومها رأوه وعلموا به فقال :

اللَّبَنِي لَقَدْ جَلَّتْ عَلَيْكَ مَصِيبَتِي  
غَدَاءَ غَدِيرَ إِذْ حَلَّ مَا أَتَوْقَعَ  
تَمَنَّيْنِي تَنِيَّلَا وَتَلُوينِي بِهِ  
فَنَفْسِي شَوْقَا كُلَّ يَوْمٍ تَقْطَعُ  
فَوَأَكِيدِي قَدْ طَالَ هَذَا التَّضْرِعُ  
أَلُومُكِ فِي شَانِي وَأَنْتِ مُلِيمَةً  
أَخْبِرُتِ أَنِّي فِيْكِ مِيتُ حَسْرَتِي  
وَلَكِنْ لَعْنِي قَدْ بَكِيْتُكِ جَاهِدًا  
فَصَبِيحةً جَاءَ الْعَائِدَاتُ يَعْدُنِي  
فَقَائِلَةً جَئْنَا إِلَيْهِ وَقَدْ قَضَى  
فَهَا غَشِيَّتْ عَيْنِيكِ مِنْ ذَاكَ عَبْرَةً  
فَبَلَّهَا الْأَيَّاتُ ؟ فَجزَعَتْ جزَعاً شديداً ، وبكتْ بكاءً كثيراً ، ثم خرجت

(١) فِي النَّزْعِ : أَيْ عَلَى هَفَا الْمَوْتِ .

إِلَيْهِ لِيَلَا عَلَى مُوْعِدٍ ؟ فَاعْتَذَرْتُ وَقَالَتْ : إِنَّمَا أُبَيِّقُ عَلَيْكَ وَأَخْشَى أَنْ قُتَلَ ، فَإِنِّي  
أَتَحَا مَاكَ لِذلِكَ ، وَلَوْلَا هَذَا لَمَا افْتَرَقْنَا ، وَوَدَّعْتُهُ وَانْصَرَفْتُ .

وَبَلْغَهُ أَنَّ أَهْلَهَا قَالُوا لَهَا : إِنَّهُ عَلِيلٌ لِمَا بَهُ ، وَإِنَّهُ سَيِّمُوتُ فِي سَفَرِهِ هَذَا ،  
قَالَتْ لَهُمْ لَتَدْفَعُهُمْ عَنْ نُفُسْهَا : مَا أَرَاهُ إِلَّا كَذَبًا فِيهَا يَدْعُ ، وَمَتَعَلَّلًا لَا عَلِيَّا ،  
فَبَلَغَهُ ذَلِكَ قَالَ :

تَكَادُ بِلَادُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَعْمَرٍ بِمَا رَحِبَتْ يَوْمًا عَلَى تَضِيقِ

إِلَى أَنْ قَالَ :

سَعِ الدَّهْرُ وَالْوَاشْوَنَ يَبْنِي وَيَنْهَا قَطْعُ حَبْلُ الْوَصْلِ وَهُوَ وَثِيقٌ  
هَلْ الصَّبْرُ إِلَّا أَنْ أَصْدُّ فَلَا أَرَى بِأَرْضِكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ طَرِيقٌ  
نَمَّ أَتَى قَوْمَهُ ، فَاقْتَطَعَ قِطْعَةً مِنَ الْإِبْلِ ، وَأَعْلَمَ أَبَاهُ أَنَّهُ يَرِيدُ الْمَدِينَةَ لِيَبِيَّهَا ،  
وَيَنْتَارَ لِأَهْلِهِ بِشَمْنَهَا . فَعْرَفَ أَبُوهُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَرِيدُ لَبْنِي ، فَعَاتَبَهُ وَزَجَرَهُ عَنْ ذَلِكَ ؛  
فَلَمْ يَقْبِلْ مِنْهُ ، وَأَخْذَ إِبْلَهُ وَقَدِّمَ الْمَدِينَةَ .

فِيمَا هُوَ يَعْرِضُهَا إِذْ سَاوَمَهُ زَوْجُ لَبْنِي بِنَاقَةٍ مِنْهَا ، وَمَا لَا يَتَعَارَفُ فَيَأْعُهُ  
إِلَيْهَا . قَالَ لَهُ : إِذَا كَانَ غَدَّ فَأَتَنِي فِي دَارِ كَثِيرٍ بْنِ الصَّلَتِ فَاقْبِضِ النَّنْ . قَالَ :  
نَمْ . وَمَضَى زَوْجُ لَبْنِي إِلَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا : إِنِّي أَبْقَيْتُ نَاقَةً مِنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَّةِ  
هُوَ يَأْتِنَا غَدًا لِقَبْضِ ثَمَنِهَا ، فَأَعِدْنِي لِهِ طَعَامًا ، فَفَعَلَتْ .

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَاءَ قَيسٌ فَصَوَّتْ بِالْخَادِمِ وَقَالَ : قَوْلِي لِسَيِّدِكَ : صَاحِبُ النَّاقَةِ  
بِالْبَابِ . فَعْرَفَتْ لَبْنِي نَفْمَتَهُ فَلَمْ تَقْلِ شَيْئًا . فَقَالَ زَوْجُهَا لِلْخَادِمِ : قَوْلِي لَهُ : ادْخُلْ .  
فَدَخَلَ خَلْسًا . فَقَالَتْ لَبْنِي لِلْخَادِمِ : قَوْلِي لَهُ : يَا فَتِي ؟ مَالِي أَرَاكَ أَشْمَثُ أَغْبَرَ ؟

فقالت له ذلك . فتنفس ثم قال لها : هكذا تكون حال من فارق الأحبة و اختار الموت على الحياة ، وبكي .

قالت لها لبني : قولي له : حَدَّثْنَا حَدِيثَك ؟ فلما ابتدأ يُحدِّث به كشفت الحجاب ، وقالت : حسْبُك ! قد عرْفْنَا حديثك وأسبابِ الحجاب ؟ فبُهِتت ساعةً لا يَقْكُمْ ، ثم انفجر باكيا و همس نفخ ؛ فناداه زوجها : ويحلك ! ما قصتك ؟ ارجع أقيضْ نمنَ ناقِتك وإن شئت زِدْ ناك . فلم يكلمه ، ومضى .

وقالت لبني لزوجها : ويحلك ! هذا قيس بن ذريح . فما حملك على مافعلت به ؟ قال : ما عرفته . وجعل قيس يبكي في طريقة ، ويندب نفسه ، ويبكيها على فعله ، ثم قال :

أتبكي على لبني وأنت تركتها      وأنت عليهما بالملائكة أقدر  
فإن تكن الدنيا بليلي قلبت      على فلاننيا بطنون وأظهرت  
لقد كان فيها للأمانة موضع      وللنكف مرتاب وللعين منظر  
والحائم العطشان رى بريهم      وللمرح المختال خمر ومسكري  
كأنى لها أرجوحة بين أحبابي      إذا ذكرتة<sup>(١)</sup> منها على القلب تنطر

وعاد إلى قومه بعد رؤيته إياها وقد أنكر نفسه ، وأسف ، ولله أمر عظيم ! فأنكروه ، وسألوه عن حاله فلم يخبرهم ؛ ومرض مرضًا شديداً أشرف فيه على الموت . فدخل إليه أبوه ورجال قومه فكلموه وعاتبوه وناشدوه الله . فقال : ويحكم !

---

(١) الذكرة : ضد النسيان .

أَتَرَوْنِي أَمْرَضْتُ نفسي أو وجدتُ لها سَلَوةً بعد اليأس فاخترتُ الْهَمَّ والبلاء ،  
أُولى في ذلك صُنْعٌ ! هذا ما اختاره لي أبواي وقلاني به .

يُجْعَلُ أَبُوه يبكي ، ويُدْعَوْ له بالفرج والسلوة ، فقال قيس :

لَقَدْ عَذَّبْتُنِي يَا حَبَّ لُبْنَى فَقَعَ إِمَّا بُوتٍ أو حِيَاةٍ  
فَإِنَّ الْمَوْتَ أَرْوَحُ مِنْ حِيَاةٍ تَدُومُ عَلَى التَّبَاعِيدِ وَالشَّتَائِرِ  
وَقَالَ الْأَقْرَبُونَ : تَعَزَّ عَنْهُمَا قَلْتُ لَهُمْ : إِذْنٌ حَانَتْ وَفَاتِي <sup>(١)</sup>

---

(١) قد اختلف في آخر أمر قيس ولبني ، فذكر أكثر الرواة أنهما ماتا على افتراءهما ؛ وذكر بعضهم أنه تزوجها فلم تزل معه حتى ماتا (رابع الأغاني من ٢١٩ ، ٢٢٠ ج ٩) .

## \* ٤٦ — ما أَبَالِي مَا نَيْلَ مِنْ شَعْرِي وَمَنْ بَشَرَى \*

كان بِشَرٌ<sup>(١)</sup> بنُ مروان شديداً على العصاة فكان إذا ظَفَرَ بال العاصي أقامه على كرسي وسُمِّرَ كفَيْهِ في الحاطط بسمار، وزَأَرَ الكرسيَ من تَحْتِهِ فيفضُّلَ معلقاً حتى يموت.

وكان فتى من بني عِجلُونَ مع المُهَلَّبِ رَهُو يُحارِبُ الأَزَارَقَةَ، عاشقاً لابنةِ عمِّه<sup>(٢)</sup> فكُتِبَ إِلَيْهِ تَسْتَزِيرُهُ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهَا:

لولا مَحَافَةُ بِشَرٍ أو عَقُوبَتِهِ أو أَنْ يُشَدَّ على كَفَيْهِ سِمارٍ  
إِذَنْ لِعَطَّلَتْ ثُغْرَى<sup>(٣)</sup> ثُمَ زُرْتُكُمْ إِنَّ الْحَبَّ إِذَا مَا آشْتَاقَ زَوَارِ

فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ:

لِيسَ الْحَبُّ الَّذِي يَخْشَى الْعَقَابَ وَلَوْ كَانَتْ عُقُوبَتِهِ فِي إِلْفَهِ النَّارِ  
بَلِ الْحَبُّ الَّذِي لَا شَيْءٌ يَمْنَعُهُ أَوْ تَسْتَقِرُّ وَمَنْ يَهْوَى بِهِ الدَّارُ

فَلَا قَرْأَ كَتَابَهَا عَطَّلَ ثُغْرَهُ، وَانْصَرَفَ إِلَيْهَا، وَهُوَ يَقُولُ:  
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِذْ خِفْتُ الْأَمِيرَ وَلَمْ أَخْشَ الَّذِي أَنَا مِنْهُ غَيْرُ مُنْتَصِرٍ  
فَشَانَ بِشَرٍ بَلْحَمِي فَلَمْ يَعْدُهُ أَوْ يَفْعُلُ عَفْوَ أَمِيرِ خَيْرٍ مُقْتَدِرٍ

\* الأَمْلَى : ٢ - ٣٠

(١) بِشَرُ بْنُ مَرْوَانٍ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنَاتِ جَوَادًا، وَلِإِمْرَأَ الْعَرَاقِينَ لِأَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ، تَوْفِيقُ سَنَةِ ٧٥ هـ

(٢) الثغر: موضع المخافة من فروج البلدان.

فَا أَبَالِي - إِذَا أَمْسَيْتِ رَاضِيَةً يَا هَنْدُ مَانِيلَ مِنْ شَعْرِي وَمِنْ بَشَرِي  
نَمْ قَدِيمَ الْبَصَرَةَ ، فَمَا أَقَامَ إِلَّا يَوْمَيْنَ حَتَّى وَشَى بِهِ وَأَشَى إِلَى يَشْرَ ؛ فَقَالَ : عَلَى  
هِ ! فَأَتَى بِهِ ، فَقَالَ : يَا فَاسِقَ ، عَطَلَتْ نَفْرِكَ ! هَلَّمُوا إِلَى الْكُرْسِيِّ ، فَقَالَ : أَعَزَّ اللَّهَ  
الْأَمِيرَ ، إِنَّ لِي عُذْرَأً ، فَقَالَ : وَمَا عُذْرَكَ ؟ فَأَنْشَدَهُ الْأَبِيَاتَ ، فَرَقَّ لَهُ وَكَتَبَ إِلَى  
الْمَهَلَبَ فَأَثْبَتَهُ فِي أَصْحَابِهِ .

## ٤٧ — فِي الْقَلْبَيْنِ تَمَّ هُوَى دَفِينٌ \*

---

كان حبُّ عشق الجنونِ <sup>(١)</sup> ليلًا ، أنه أقبل ذاتَ يَوْمٍ على ناقَةَ لَهُ كَرِيمَةٌ ،  
وَعَلَيْهِ حُكْمَانٌ مِنْ حُكَّلَ الْمُلُوكِ ، فَرَأَى بِالْمَرْأَةِ مِنْ قَوْمِهِ يَقَالُ لَهَا : كَرِيمَةٌ ، وَعِنْدَهَا نِسْوَةٌ  
يَتَحَدَّثُنَّ ، فِيهِنَّ لِلَّيْلِ ، فَأَعْجَبَهُنَّ جَاهَلُهُ وَكَاهُلُهُ ، فَدَعَوْنَهُ إِلَى النَّزُولِ وَالْحَدِيثِ ، فَنَزَلَ  
وَجَلَ يَحْدُثُهُنَّ ، وَأَمْرَ عَبْدًا لَهُ كَانَ مَعَهُ ، فَعَقَرَ لَهُنَّ نَاقَّيْهِ ، وَظَلَّ يَحْدُثُهُنَّ بَقِيَّةَ  
يَوْمٍ .

فَيَنِا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذَا طَلَعَ عَلَيْهِنَّ فَتَّى عَلَيْهِ بُرْدَةً مِنْ بُرْدِ الْأَعْرَابِ يَقَالُ لَهُ :  
« مُنَازِلٌ » يَسْوَقُ مِزَرِيَّهُ لَهُ ، فَلَمَّا رَأَيْهُ أَفْبَلَنَّ عَلَيْهِ ، وَتَرَكَنَّ الْجَنُونَ ، فَنَضَبَ  
وَخَرَجَ مِنْ عَنْدَهُنَّ وَأَنْشَأَ يَقُولَ :

أَأَعْقَرُ هُنْ جَرَاتٌ <sup>(٢)</sup> كَرِيمَةَ نَاقَتِي وَوَصَلَ مَفْرُوشٌ <sup>(٣)</sup> لَوْصَلَ مُنَازِلٍ  
إِذَا جَاءَ قَمَقَنَ الْحَلِيَّ وَلَمْ أَكُنْ <sup>(٤)</sup> إِذَا جَئْتُ أَرْضَى صَوْتَ تَلَكَ الْخَلَالِ  
مَتَى مَا اتَّضَلَّنَا <sup>(٥)</sup> بِالسَّهَامِ نَضَلَّتِي <sup>(٦)</sup> وَإِنْ فَرَمْ رُشْقَانًا  
فَلَمَّا أَصْبَحَ لِبِسْ حُلْيَتَهُ ، وَرَكَبَ نَاقَّةَ لَهُ أُخْرَى ، وَمَضَى مَتَّعْرِضًا لَهُنَّ ، فَأَنْلَقَ  
لَيْلَ قَاعِدَةَ يَنْهَا ، وَقَدْ عَلِقَ حَبَّةَ بَقْلَبِهَا وَهَوِيَّتَهُ ، وَعِنْدَهَا جُوَيْرِيَّاتٌ يَتَحَدَّثُنَّ

---

\* الأغاني : ٢ : ٢

(١) هو قيس بن الملوح من بنى عامر ، وصاحبته هي ليلي بنت مهدى ، وتكنى أم مالك ، وقد استفانته كتب الأدب بأخبار عشقه ، واختلف الرواة في صحة سببتها إليه ، توف سنة ٨٠ هـ (٢) من جرا : من أجل (٣) مفروش : مهدى لوصله وسبيل إليه (٤) اتضلنا : تراينا (٥) نضلته : سبقة (٦) الرشق : روى أهل النصال ما معهم من السهام في جهة واحدة .

معها ، فوقف بهنَّ وسلم ، فدعونه للنزول وقلن له : هل لك في محادثةٍ من لا يشفع له  
عنك مُنازلٌ ولا غيره ؟ فقال : إى أنترى ! فنزل و فعل مثل مافعله بالأمس ،  
فأرادت أن تعلم ، هل لها عنده مثل ماله عندها ، فجملت تعرِض عن حديثه  
ساعةً بعد ساعة ، و تحدثَ غيره ، وقد كان علِق بقلبه مثل حبها إياه ، و شفقتَه  
و استملحَها .

فيينا هي تحدَّثه إذ أقبل فتى من المحي ، فدعنته و سارَتْه سرَّاراً <sup>(١)</sup> طويلاً ،  
ثم قالت له : اصرف ، و نظرت إلى وجه الجنون فوجده قد تغير ، و انتفع <sup>(٢)</sup> لونه ،  
وشقَّ عليه فعلها ، فأشتاتت تقول :

كِلَانَا مُظَهِّرُ الناس بُغْضاً وَكُلُّهُ عند صاحبه مَكِينٌ <sup>(٣)</sup>  
تبَلَّنَا العيونُ بما أَرَدْنَا وَفِي القلوبِ ثَمَّ هُوَيِّ دَفِينٌ  
فَلما سمع البيتين شَهَقَ شَهَقَةً شديدةً وأغْمَى عليه ، فكثَّ على ذلك ساعةً .  
وَنَضَحُوا الماء على وجهه حتى أفاق ، و تَكَبَّنَ حُبُّ كُلٍّ واحدٍ منها في قلبِ صاحبه  
حتى بلغ منه كلَّ مبلغ .

(١) سرَّاراً : مصدر ساره في أذنه مسارة و سرَّاراً (٢) انتفع : تغير لونه (٣) فلان مكين مت  
غلان : بين المكانة .

## \* ٤٨ - أَخْبَرْتِي عَنْ لِيْلَةِ الْفَيْلِ

اجتاز قيسُ بنُ ذَرَيْحَ بالجنون وهو جالسٌ وحده في نادٍ قومه ، وكان كلٌّ واحدٌ منها مُشْتَاقاً إلى لقاء الآخر ، وكان الجنونُ قبل توحشه لا يجلس إلا منفرداً، ولا يحمد أحداً، ولا يردُّ على مُتَكَلِّمٍ جواباً، ولا على مسلمٍ سلاماً ، فسلَّمَ عليه قيسُ بنُ ذَرَيْحَ ، فوثبٌ إليه فعاشه وقال : سرحباً بك يا أخي ، أنا والله مَذْهُوبٌ بي ، مُشَرِّكُ اللَّبْ فَلَا تَلْمِنِي ؛ فتجددتا ساعتان وتشاكياً وبكياً.

ثم قال له الجنونُ : يا أخي ؟ إنَّ حَيَّ لِيَّلَى مَنْ قَرِيبٌ ، فهل لك أن تمضِي إِلَيْها فتَبَلَّغْنَا عَنِ السَّلَامِ ؟ فقال له : أَفْلَ .

فغضى قيسُ بنُ ذَرَيْحَ حتى أتى لِيَّلَى فسلَّمَ وانْتَسَبَ ؛ فقالت له : حيَّاكَ اللهُ ، أَكَّ حَاجَةً ؟ قال : نعم ؛ ابْنُ عَمِّكِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ بِالسَّلَامِ ؛ فأطْرَقَتْ ثُمَّ قالت : مَا كَفَتَ أَهْلَالَ التَّحْمِيَةِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَسُولَهُ ، قَلَّ لَهُ عَنِي : أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ ؟  
 أَبَتْ لِيَّلَةُ بِالْفَيْلِ<sup>(١)</sup> يَأْمَ مَالِكٍ لَكُمْ غَيْرَ حَبَّ صَادِقٍ لَيْسَ يَكْذِبُ  
 أَلَا إِنَّمَا أَبْقَيْتَ يَأْمَ مَالِكٍ صَدَى<sup>(٢)</sup> أَيْنَا تَذَهَّبُ بِهِ الرَّيْحُ يَذَهِبُ  
 أَخْبَرْتِي عَنْ لِيَّلَةِ الْفَيْلِ ، أَئِ لِيَّلَةٌ هِيَ ؟ وَهَلْ خَلَوْتُ مَعَكُ فِي الْفَيْلِ أَوْ غَيْرِهِ

ليلاً أو نهاراً؟ فقال لها قيس : يابنتي عم ، إنَّ النَّاسَ تأْوِلُوا كلامَه على غير ما أراد ،  
فلا تكوني مثلَهُم ، إنما أَخْبِرُكِ أَنَّهُ آتَكِ ليلةَ الْفَيْلِ فذهبَتِ بِقُلُوبِهِ ، لا أنه عَنَاكَ<sup>(١)</sup> بِسُوءٍ .  
فاطرَقَ طويلاً ودموعُهَا تجْرِي وهى تُكَدِّسُ كُفُّهَا ، ثم انتَجَبتَ حتى ظنَّ  
أنَّه تقطَّعَتْ حَيَازِيمُهَا<sup>(٢)</sup> ؟ ثم قالت : اقرأ على ابنِ عَمِّي السلام ، وقل له :  
بنفسي أنت ! والله إِنْ وَجَدْتِ بِكَ لَفَوْقَ مَا تَحْدُدُ ، ولكن لا حِيلَةَ لِي فيكَ ؛  
فانصرفَ قيسُ لِيَخْبُرَهُ فلم يَجِدْهُ !

(١) عَنَاكَ : قصدك

(٢) حِيَازِيمُ : جم حِيَازَة ، وهو الصدر أو وسطه .

٤٩ - أيا شبهة ليلي لا ترائي \*

مَرْ الْجَنُونْ بِرْ جَلِينْ قَدْ صَادَا ظَبِيَّةً فَرِيَطَاهَا بِحَبْلٍ وَذَهَبَا بِهَا ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا  
وَهِيَ تَرْكُضُ فِي حِبَالِهَا دَمَعَتْ عَيْنَاهَا ، وَقَالَ لَهَا : حُلَّاهَا وَخُذْهَا مَكَانَهَا شَاءَ مِنْ  
غَنَمِيْ ، ثُمَّ أَنْشَدَهَا :

يا صاحبِيَ اللَّذِينَ الْيَوْمَ قَدْ أَخَذَا  
 إِنَّ أُرْيَ الْيَوْمَ فِي أَعْظَافٍ شَانِسِكُمَا  
 ثُمَّ أَعْطَاهُمَا الشَّاهَةَ فَحَلَّاَهَا ، فَوَلَّتْ هَارِبَةً فَقَالَ - وَقَدْ نَظَرَ إِلَيْهَا وَهِيَ تَعَدُّ :  
 أَيَا شَيْبَهَ لَيْلَى لَا تَرْأَىِ (١) ؟ فَإِنَّي  
 وَيَا شَيْبَهَ لَيْلَى لَوْ تَلَبَّثْتِ سَاعَةً  
 فَعِنَائِكِ عَيْنَاهَا وَجِيدُكِ جِيدُهَا  
 أَقُولُ وَقَدْ أَطْلَقْتُهَا مِنْ وَمَاقِهَا

\* الأغانى : ٢ - لسان العرب - مادة روع .

(١) لا ترافق : لا تتعانق .

٥٠ — استَبَّ كَانَ السِّيلُ إِذْ جَرَى \*

قال رجل من بنى عامر :

مُطِرَّنا مَطْرًا شَدِيدًا فِي ربيع ، وَدَامَ الْمَطَرُ ثَلَاثًا ، ثُمَّ أَصْبَحَنَا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ  
 عَلَى صَخْوِ ، وَخَرَجَ النَّاسُ يَمْشُونَ عَلَى الْوَادِي ، فَرَأَيْتَ رَجُلًا جَالِسًا حَجَرَةً <sup>(١)</sup>  
 وَحْدَهُ ؟ فَقَصَدْتَهُ ، فَإِذَا هُوَ الْجَنُونُ جَالِسٌ وَحْدَهُ يَبْكِي ، فَوَعَظْتُهُ وَكَلَّمْتُهُ طَوِيلًا ،  
 وَهُوَ سَاكِنٌ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ إِلَى ؟ ثُمَّ أَنْشَدَنِي بِصَوْتٍ حَزِينٍ لَا أَنْسَاهُ أَبْدًا :  
 جَرَى السِّيلُ فَاسْتَبَّ كَانَ السِّيلُ إِذْ جَرَى وَفَاضَتْ لَهُ مِنْ مُقْلَأَتِي غُرُوبُ <sup>(٢)</sup>  
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا حِينَ أَيْقَنْتُ أَنَّهُ يَكُونُ بِوَادٍ أَنْتَ فِيهِ قَرِيبٌ  
 يَكُونُ أَجَاجًا <sup>(٣)</sup> دُونَكُمْ فَإِذَا اتَّهَى إِلَيْكُمْ تَلَقَّ طَيْبَكُمْ فَيُطِيبُ  
 أَظَلَّ غَرِيبَ الدَّارِ فِي أَرْضِ عامِرٍ أَلَا كُلُّ مَهْجُورٍ هُنَاكَ غَرِيبٌ  
 وَإِنَّ الْكَثِيرَ الْفَرَزَدَ مِنْ أَئِمَّنَ الْحَسَنِي إِلَى وَإِنَّ لَمْ آتِهِ لَحِيبَهُ  
 فَلَا خَيْرٌ . الدُّنْيَا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزُرْ حَبِيبًا وَلَمْ يَطَرَبْ إِلَيْكَ حَبِيبٌ

## ٥١ — عهود جَبَل التَّوْبَاد \*

كان المجنونُ وليسَ لها صَبِيَانَ يَرْعَيَانَ عَنَّا لَا هُمْ مَا عندَ جَبَلٍ فِي بلادِهَا  
يقال له التَّوْبَاد<sup>(١)</sup> ، فلما ذَهَبَ عَقْلُهُ وَتَوَحَّشَ كَانَ يَجْهِيُ إِلَى ذلك الجبل فيقيم به ،  
فإِذَا تَذَكَّرَ أَيَامَ كَانَ يُطِيفُ هُوَ وَلِيُلَيِّ بِهِ جَزِيعَ جَزِيعًا شَدِيدًا ، وَاستَوَحَشَ ؛  
فَهَمَّ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى يَأْتِيَ نَوَاحِيَ الشَّامِ ، فَإِذَا ثَابَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ رَأَى بَلَدًا لَا يَعْرِفُهُ ؛  
فَيَقُولُ لَمَنْ يَلْقَاهُ مِنَ النَّاسِ : بَأْبِي أَنْتَمْ أَيْنَ التَّوْبَادُ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ ؟  
فَيَقُولُ لَهُ : وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ ! أَنْتَ بِالشَّامِ ! عَلَيْكَ بِنَجْمٍ كَذَا فَآمِهُ !  
فَيَمْضِي عَلَى وَجْهِهِ نَحْوَ ذَلِكَ النَّجْمِ حَتَّى يَقْعُدَ بِأَرْضِ الْمِينِ ، فَيَرِي بِلَادًا يُنْسَكِرُهَا  
وَقَوْمًا لَا يَعْرِفُهُمْ فَيَسْأَلُهُمْ عَنِ التَّوْبَادِ وَأَرْضِ بَنِي عَامِرٍ ، فَيَقُولُونَ : وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ  
أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ ! عَلَيْكَ بِنَجْمٍ كَذَا وَكَذَا ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَقْعُدَ عَلَى التَّوْبَادِ ،  
فَإِذَا رَأَاهُ قَالَ فِي ذَلِكَ :

وَأَجْهَشْتُ<sup>(٢)</sup> لِلتَّوْبَادِ حِينَ رَأَيْتُهُ  
وَأَذْرِيْتُ دَمَّ العَيْنِ لَمَّا عَرَفْتُهُ  
فَقَلَّتُ لَهُ : قَدْ كَانَ حَوْلَكَ حِيرَةُ  
فَقَالَ : مَضَوْا وَأَسْتَوْدَعُونِي بِلَادِهِمْ  
وَإِنِّي لَا بَكِيَ الْيَوْمَ مِنْ حَذَرِي غَدًا  
سِعَالًا وَتَهَنَّاءً<sup>(٣)</sup> وَبَلَّا وَدِيمَةَ

\* الأغاني : ٤ - ٠

(١) جبل بنجد (٢) أجهش إله : فزع إليه وهو يريد البكاء (٣) هنت الساء : صفت سجمت السعاية مطرها إذا صبته .

\* ٥٢ — حديث الجنون عن ليلي \*

قال أحد الرواة : قلتُ لقيس بن الملوح قبل أن يخالطَ <sup>(١)</sup> ما أعجبُ شيء أصابكَ في وجدكَ بليلي ؟ قال : طرقنا ذات ليلةً أضيفَ ، ولم يكنْ عندنا لهم أدمَ ، فبعثني أبي إلى منزل أبي ليلى ، وقال لي : اطلبْ لنا منه أدمًا . فأتيته فوقفتُ على خبائثه فصحتُ به ، فقال : ما تشاء ؟ قلتُ : طرقنا ضيفانَ ولا أدمَ عندنا لهم ، فارسلني أبي أطلبَ منكَ أدمًا ، فقال : يا ليلى ؟ أخرجْ جي إلية ذلك النجنيَ <sup>(٢)</sup> ، فاملئْ له إماءه من السمِّ . فآخرَ جنته ومعي قفبَ <sup>(٣)</sup> ، فجعلتْ تصبُّ السمِّ فيه وتتحدَّث ، فأنهانا الحديثُ وهي تصبُّ السمِّ وقد امتلاه القعبُ ولا نعلم جيماً ، وهو يسيلُ حتى استنقعتْ أرجلنا من السمِّ . فأتيتهم ليلةً ثانيةً أطلبُ ناراً ، وأنا متَّلِّع ببرديٍ ، فآخرَ جتْ لي ناراً في عطبةَ <sup>(٤)</sup> لي فأعطيتُنها ، ووقفنا نتحدَّث ، فلما احترقت العطبة خرقتَ من برمدي خرقة ، وجعلتُ النارَ فيها ، فكلما احترقتْ خرقتَ أخرى ، وأذْكُرتُ بها النار حتى لم يبقَ علىَّ من البرد إلا ما وارى عورتي ، وما أعيقْ ما أعنِي !

\* الأغاني : ٢ - ٣١

(١) خلط في عقله : فسد عقله (٢) النجني : الزق يوضع فيه السمِّ (٣) القعب : الفدح النجم النفيط (٤) العطبة : خرقة تؤخذ بها النار .

## ٥٣ — حَلَالٌ لِلِّيْلِ شَتَمْنَا \*

سأله الملوخ - أبو المجنون - رجلاً قدِم من الطائف أَنْ يَمْرُ بِالمجنون فيجلس إِلَيْهِ فيخبره أنه لَقِي ليلًا وجلس إِلَيْها، وَوَصَفَ لَه صفاتٍ مِنْهَا وَمِنْ كلامها يعْرِفُهَا المجنون؟ وَقَالَ لَه: حَدَّثَهُ بِهَا، فَإِذَا رَأَيْتَهُ قَدْ اشْرَأَبَ<sup>(١)</sup> لِحَدِيثِكَ وَاشْتَهَاهُ فَعَرَفْتَهُ أَنَّكَ ذَكَرْتَهُ لَهَا وَوَصَفْتَ مَا بَهْ فَشَتَمْتَهُ وَسَبَّتَهُ، وَقَالَتْ: إِنَّهُ يَكْذِبُ عَلَيْهَا وَيُشَهِّرُهَا<sup>(٢)</sup> بِفَعْلِهِ، وَإِنَّهَا مَا جَمِعْتَ بِهِ قَطْ كَمَا يَصِفُ.

فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ، وَجَاءَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ بِلِقَائِهِ إِيَّاهَا، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَجَعَلْ يُسَائِلُهُ عَنْهَا، فَيَخْبُرُهُ بِمَا أَمْرَاهُ بِهِ الْمَلَوْخُ، فَيَزِدَادُ نَشَاطًا وَيَثْوُبُ إِلَيْهِ عَقْلُهُ، إِلَى أَنْ أَخْبَرَهُ بِسَبَّهَا إِيَّاهَا وَشَتَمْهَا لَهُ، فَقَالَ - وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَرٍ ثُلَّا حَكَاهُ عَنْهَا:

تَمَرَ الصَّبَّا صَفَحًا بِسَاكِنِ ذِي الغَضَى	وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهْبَطْ هُبُوبُهَا
إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ الشَّمَالُ فَإِنَّمَا	جَوَاهِيَ بِمَا تُهْدِي إِلَى جَنُوبِهَا
قَرِيبَةُ عَهْدِ الْحَيْبِ وَإِنَّمَا	هُوَ كُلُّ نَفْسٍ حِيثُ كَانَ حَيْبُهَا
وَحَسْبُ الْلَّيَالِي أَنْ طَرَّخَنَكَ مَطْرَحًا	بَدَارِ قَلْنَى تُسَى وَأَنْتَ غَرَبِهَا
حَلَالٌ لِلِّيْلِ شَتَمْنَا وَاتَّقَاصُنَا	هَنِيتَا وَمَغْفُورٌ لِيَسْلِى ذُنُوبِهَا

\* الأغانى : ٢ - ٨٠

(١) اشْرَأَبَ إِلَيْهِ: مَدْ هَنْقَهُ لِيَنْظَرُ، أَوْ ارْتَقَعَ.

(٢) الشَّهْرَةُ: ظَهُورُ الشَّيْءِ فِي شَنْهَةٍ، شَهْرَهُ كَنْهَهُ، وَشَهْرَهُ وَاشْتَهَرَهُ فَاشْتَهَرَهُ.

## \* ٦٤ — إِنْ دَانِي وَدَوَانِي أَنْتِ

قال بعض مشايخ بنى عاص :

مر المجنون في توحشه ، فصادف حي ليل راحلا ، ولقيها فجأة ، فعرفها وعرفته ، فصعق وخر مغشيا على وجهه .

وأقبل فتيان من حي ليل ؛ فأخذوه ومسحوا التراب من وجهه ، وأسندوه إلى صدورهم ، وسألوا ليلي أن تقف له وقفه ؟ فرفت لما رأته به ؛ وقالت : أمّا هذا فلا يجوز أن أفيض بعنه ، ولكن يا فلانة - لأمة لها - اذهب إلى قيس قولي له : ليلي تقرأ عليك السلام ، وتقول لك : أغزِّزُ علـيـّ بما أنتـَ فـيـه ، ولو وجدت سبيلاً إلى شفاء دائم لوقيتـُكـ بـنـفـسـيـ منهـ ، فـضـتـ الـولـيدـةـ<sup>(١)</sup> إـلـيـهـ ، وأـخـبـرـتـ بـقـوـمـهاـ ، فـأـفـاقـ وـجـلـسـ وـقـالـ : أـبـلـغـيـهاـ السـلـامـ وـقـولـيـ لهاـ : هـيـهـاتـ ! إـنـ دـائـيـ وـدـوـانـيـ أـنـتـِ ؛ وـإـنـ حـيـانـيـ وـوـقـاتـيـ لـفـيـ يـدـيـكـ ، وـلـقـدـ وـكـلـتـ بـيـ شـفـاءـ لـازـماـ ، وـبـلـاءـ طـوـيـلاـ ، ثـمـ بـكـيـ وـأـنـشـأـ يـقـولـ :

أقول لأصحابي هي الشمس ضوءها قريب ولكن في تناولها بعد  
لقد عارضتنا الريح منها بفتحة على كبدى من طيب أزواحها بزد

فازلتُ مُغْشِيًّا فَلَّا وقد مَضَتْ  
 أَنَّةٌ<sup>(١)</sup> وَمَا عَنِّي جَوَابٌ وَلَارَدُ  
 يُنَذِّرُونِي لَوْ يَسْتَطِعُونَ أَنْ يَقْدُوْا  
 وَلَا عَظَمٌ لِي إِنْ دَامَ مَا بِي وَلَا جَلَدُ  
 إِلَيْكِ ثَوَابُ مِنْكَ دِينٌ وَلَا نَقْدُ  
 جَلَالًا كُبُرَةَ الْمَكْرُوبِ عَنْ قَلْبِي الْوَعْدُ  
 وَلَا مِثْلَ جَدَّى<sup>(٢)</sup> فِي الشَّقَاءِ بِكُمْ جَدُّ  
 إِذَا حَانَ مِنْ جَنْدِ قُنُولٍ<sup>(٤)</sup> أَنِي جُنْدُ  
 غَزَّتِي جَنُودُ الْحَبَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
 أَفْلَبُ بِالْأَيْدِي وَأَهْلِي بِعَوْلَةٍ<sup>(٣)</sup>  
 وَلَمْ يَقِنْ إِلَّا الْجِلْدُ وَالْعَظَمُ عَادِيَا  
 أَدْنِيَّا إِيَّا مَالِي فِي اِنْقِطَاعِي وَرَغْبَتِي  
 عَدِيَّنِي - بِنَفْسِي أَنْتَ - وَعَدَّا فَرِّيَا  
 وَقَدْ يُبَتَّلِي قَوْمٌ وَلَا كَبِيلَيَّتِي

(١) أَنَّة : انتظار (٢) العولة : رفع الصوت بالبكاء (٣) الجد : المظ (٤) القنول :  
 رجوع الجندي بعد الفتوء .

\* ٥٥ — مارأيت مثل حزنهما ووجذها عليه

قال بعض أشياخ بنى مُرَّة : خرج منا رجلٌ إلى ناحية الشام والهجاز وما يلي  
تيماء والسراءَ<sup>(١)</sup> وأرض نجد ؛ في طلب بُعْيَةٍ له ، فإذا هو بختيَّةٍ قد رُفِّقت له  
وقد أصابه المطر ؛ فعدَّ إلَيْها وتنحنح ، فإذا امرأة قد كامتَهُ ، فقالت : انزل ،  
فنزل - وراحت إلَيْهم وغمَّهم فإذا أمْرٌ عظيم - فقالت : سُلُوا هذا الرجل مِنْ  
أينَ أقبل ؟ فقلتُ : من ناحية تهامة ونجد ، فقالت : ادخل إليها الرجل .  
فدخلت إلى ناحية من التهامة ، فازْرَختْ بيني وبينها ستَّا ، ثم قالت لي :  
يا عبدَ الله : أىَّ بلاد نجد وطِفتَ ؟ فقلت : كلَّها ؛ قالت : فبِمَ نزلَتَ هنالكَ ؟  
قلت : بيني عامر ، فتنفَّستِ الصُّدَاءَ ، ثم قالت : فبَأَىْ بنى عامر نزلَتَ ؟ فقلتُ :  
بيني الحريش ، فاستعيرت<sup>(٢)</sup> ثم قالت : فهل سمعتَ بذكر فتي منهم يقال له :  
قيس بن الملوح ويلقب بالجنون ؟ قلت : بلى والله ! وعلى أبيه نزلَتْ ، وأتَيْته  
فنظرتُ إليه يَهِيم في تلك الفيَّافَ<sup>(٣)</sup> ، ويكون مع الوحش لا يَعْقُل ولا يَفْهُم إلَّا  
أن تُذَكَّرَ له امرأة يقال لها : ليلي ، فيمسكي وينُشِّد أشعاراً قالها فيها .  
فرفتِ الستَّرَ بيني وبينها ، فإذا فلقةُ قر لم ترَعَيَّ مثَلَّها ؛ فبَكَتْ حتى  
لطنتَ - والله - أنَّ قلبه قد انصدَعَ ، قلت : أيتها المرأة ؛ اتقِ الله فاقلتُ بأساً .  
فَكَثُتْ طويلاً على تلك الحال من البكاء والتحبيب ، ثم قالت :

الأغاني : ٢ - ٣٦ \*

(١) السراة : الجبال والأرض الحاجزة بين هامة ونجد (٢) استعيرت : جرت عبرها وحزنت

(٣) الصغارى .

أَلَا لَيْتْ شِعْرِيُّ ، وَالخَطُوبُ كَثِيرَةٌ  
مَتَّ رَحْلُ قَيْسٍ مُسْتَقْلٌ <sup>(١)</sup> فَرَاجِعُ  
بِنَفْسِيَّ مَنْ لَا يُسْتَقْلُ بِرَحْلِهِ وَمَنْ هُوَ إِنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهُ ضَائِعُ  
ثُمَّ بَكَتْ حَتَّى سَقَطَتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا ، قَلَتْ لَهَا : مَنْ أَنْتَ يَا أَمَّةَ اللَّهِ ؟ وَمَا  
قِصْتَكَ ؟ قَالَتْ : أَنَا لَيْلَ صَاحِبَتُهُ الْمَشْوَمَةُ - وَاللَّهُ عَلَيْهِ ، غَيْرُ الْمُؤْنَسَةِ لَهُ ، فَارَأَيْتُ  
مَثَلَ حُزْنِهَا وَوَجْدِهَا عَلَيْهِ قَطَّ .

---

(١) اسْتَقَلَ الْقَوْمُ : ذَهَبُوا وَارْتَعَلُوا .

## ٥٦ — عند السكبة \*

رُوِيَ أن أبا الجنون وأمه ورجال عشيرته اجتمعوا إلى أبي ليل ، فوعظوه وناشدوه الله والرحم ، وقالوا له : إن هذا الرجل هلاك ، وقبل ذلك هو في أفحى من الملائكة بذهب عقله ، وإنك فاجح به أباه وأهله ، فنشد ناك الله والرحم أن تَفْعَل ذلك ، فوالله ما هي أشرف منه ولا لك مثل مال أبيه ، وقد حَكَمْتَ في المهر ، وإن شئت أن يخلع نفسه إليك من ماله قُلَّ .

فأبى وحلف بالله وبطريق أمها إنه لا يزوجه إياها أبداً ، وقال : أفضح نفسى وعشيرتى وآتى ما لم يأته أحد من العرب ، وأسم <sup>(١)</sup> ابنتى بميسمر فضيحة ! فانصرفوا عنه ، وخالفتهم لوقته فزوجها رجلاً من قومها وأدخلها إليه .

فما أمسى إلا وقد بنى بها <sup>(٢)</sup> ، وبلغ الجنون الخبر فأيس <sup>(٣)</sup> منها حينئذ وزال عقله ، فقال رجال الحى لأبيه : اخْبُجْ به إلى مكة ، وادع الله عز وجل له ، ومُرِّه أن يتعلق بأستار الكعبة ، فيسأل الله أن يُعافيه مما به ، ويُغفّلها إليه ، فلعل الله أن يخلصه من هذا البلاء .

فحجَّ به أبوه ؛ فلما صاروا بمنى سمع صاحبًا في الليل يصبح : يا ليل ! فصرخ صرخة ظنوا أنَّ نفسه قد تلقت ، وسقط مغشياً عليه ، فلم يزل كذلك حتى أصبح ثم أفاق حائل <sup>(٤)</sup> اللون ذاهلاً ، فأنشا يقول :

\* الأغاني : ٢ - ٢١

(١) أسم : أصنف (٢) بني : دخل بها (٣) أيس : يش (٤) حائل اللون : متغيره .

عَرَضَتْ عَلَى قَلْبِي الْمَرْأَةُ قَالَ لِي :  
إِذَا بَانَ مَنْ تَهَوَّى وَاصْبَحَ نَائِيَا  
وَدَاعِيَ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَلْفِ<sup>(١)</sup> مِنْ مِنَى  
دُعَا بِاسْمِ لَيْلِي غَيْرَهَا ، فَكَانَتْ  
دُعَا بِاسْمِ لَيْلِي ضَلَّ اللَّهُ سَعِيَهُ  
نَمْ قَالَ لِهِ أَبُوهُ : تَعَلَّقُ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، وَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَعَافِيكَ مِنْ حَبَّ  
لَيْلِي ؛ فَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ زِدْنِي لَلَّيْلَ جَبَّا ، وَبَهَا كَافَّا ، وَلَا تُنْسِنِي  
ذِكْرَهَا أَبْدًا . فَهَمَ حِينَذَا وَاخْتَلَطَ .

فـكـان يـهـيم فـي الـبـرـيـة مع الـوـحـش ، وـلـا يـأـكـل إـلـا مـا يـنـبـت فـي الـبـرـيـة مـن بـقـل ،  
وـلـا يـشـرـب إـلـا مـع الـظـبـاء إـذـا وـرـدـت مـنـاهـلـهـا ، وـطـالـ شـعـرـ جـسـدهـ ، وـرـأـسـهـ ، وـأـلـفـهـ  
الـظـبـاء وـالـوـحـوشـ ، فـكـانـت لـاتـفـيرـ مـنـهـ ، وـجـعـلـ يـهـيمـ حـتـى يـبـلـغـ حدـودـ الشـامـ ، فـإـذـا  
ثـابـ إـلـيـهـ عـقـلـهـ سـأـلـ مـنـ يـمـرـ بـهـ مـنـ أـحـيـاءـ الـعـربـ عنـ نـجـدـ ؟ فـيـقـالـ لـهـ : وـأـينـ أـنـتـ  
مـنـ نـجـدـ ؟ تـمـ سـارـفـتـ الشـامـ ! أـنـتـ فـي مـوـضـعـ كـذـاـ ، فـيـقـولـ : فـأـرـونـيـ وـجـهـةـ  
الـطـرـيقـ ، فـيـرـجـعـونـهـ وـيـعـرـضـونـ عـلـيـهـ أـنـ يـحـمـلـوهـ أـوـ يـكـسـوـهـ فـبـأـبـيـ ، فـيـدـلـوـنـهـ عـلـى طـرـيقـ  
نـجـدـ فـيـتـوـجـهـ نـجـوـهـ !

(١) الحيف : ناحية في مني .

## \* ٥٧ - ذهول\*

قال نوفل بن مساحق : قدِمْتُ الْبَادِيَةَ فَسَأَلْتُ عَنِ الْجَنُونِ ، قَيْلَى : تَوَحَّشَ  
وَمَا لَنَا بِهِ عَهْدٌ ، وَلَا نَذْرٍ إِلَى أَيْنَ صَارَ .  
نَفَرَجْتُ يَوْمًا أَنْصِيدَ الْأَرْوَى<sup>(١)</sup> ، وَمَعِي جَمِيعًا مِنْ أَحْبَابِي ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ  
بِنَاحِيَةِ الْحَمَى إِذَا نَحْنُ بِأَرَاكَةٍ<sup>(٢)</sup> عَظِيمَةٍ ، قَدْ بَدَأَ مِنْهَا قَطْبِيعٌ مِنَ الظَّبَاءِ ، فِيهَا  
شَخْصٌ إِنْسَانٌ يُرَى مِنْ خَلْلِ تِلْكَ الْأَرَاكَةِ ؛ فَعِجبَ أَحْبَابِي مِنْ ذَلِكَ ، فَعَرَفْتُهُ  
وَأَتَيْتُهُ ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْجَنُونُ الَّذِي أَخْبَرْتُ عَنْهُ .

فَزَلَّتُ عَنْ دَابْتِي ، وَخَنَقْتُ<sup>(٣)</sup> مِنْ ثَيَابِي ، وَخَرَجْتُ أَمْثَى رُؤَيْدَا ، حَتَّى  
أَتَيْتُ الْأَرَاكَةَ ؛ فَارْتَقَيْتُ حَتَّى صِرَتُ عَلَى أَعْلَاهَا ، وَأَشْرَفْتُ عَلَيْهِ وَعَلَى الظَّبَاءِ ؛  
فَإِذَا بِهِ وَقَدْ تَدَلَّ الشَّعْرُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَمْ أَكُدْ أَعْرِفَهُ إِلَّا بِتَأْمُلٍ شَدِيدٍ ، وَهُوَ بَرَّاعِي  
فِي ثُمَرِ تِلْكَ الْأَرَاكَةِ ؛ فَرَفِعَ رَأْسَهُ فَقَمَلَّتُ بَيْتِي مِنْ شِعْرِهِ :  
أَتَبَسَّكَ عَلَى لَيْلَ وَنَفْسُكَ بَاعْدَتْ . مَزَارِكَ مِنْ لِيَلِي وَشِعْبَا كَامِعَا  
فَنَفَرْتُ الظَّبَاءِ ؛ وَأَنْدَعْ فِي باقِي الْقَصِيدَةِ يُنْشِدُهَا ، فَإِنَّهُ حُسَنَ نَفْعَمَهِ  
وَحُسَنَ صَوْتِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ<sup>(٤)</sup> :

فَالْحَسَنُ أَنْ تَأْنِي الْأَمْرَ طَائِمًا وَتَبْخَعَ أَنْ دَاعِي الصَّبَايَةِ أَنْسِمَا

\* الأغاني : ٢ - ٦٦

(١) الأروى : الوعول ، وهي تيوس الجبل ، واحده أروية . (٢) الأراكَة : واحدة الأراكَة  
وهو شجر كثير الورق والأغصان . (٣) أى نزعت شيئاً منها . (٤) بعض هذه الأبيات ينسب  
إلى غير الجنون (انظر الأغاني ج ٢٢ ، ص ٦٧ ، والأمالى ج ١ ص ١٩٠) .

بَكْتَ عَيْنِيَ الْيُسْرِى فَلَما زَجَرْتُهَا  
 عن الجهلِ بعدِ الْحَلْم أَسْبَلْتَهَا مَعًا<sup>(١)</sup>  
 وَأَذْكُرُ أَيَامَ الْحَمَى ثُمَّ أَنْدَثَتِي  
 عَلَى كَبِيرِي مِنْ خَشْيَةِ أَنْ تَصَدَّعَا  
 فَلَيْسَتْ عَشِيشَاتُ الْحَمَى بِرَوَاجِعٍ  
 عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِيكَ تَذَمَّعَا  
 مَعِي كُلُّ غَيْرٍ قَدْ عَصَى عَادِلَاتِهِ  
 بِوَصْلِ الْفَوَائِي مِنْ لَدُنْ أَنْ تَرَعَّعا  
 إِلَيْهِ الْعَيْنُ النَّاظِرَاتُ التَّطَالُعَا  
 إِذَا رَاحَ يَمْشِي فِي الرَّدَاءِ مِنْ أَسْرَعَتْ  
 ثُمَّ سَقَطَ مَفْشِيًّا عَلَيْهِ، فَتَمْثَلَتْ بِقُولَهُ :

يَادَارَ لَيلَ بِسَقْطٍ<sup>(٢)</sup> الْحَى قَدْرَسَتْ إِلَى الشَّمَامِ وَإِلَى مَوْقِدِ النَّارِ<sup>(٣)</sup>  
 فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ حَيَاكَ اللَّهُ ؟ فَقَلَتْ : أَنَا نَوْفَلُ بْنُ مُسَاحِقٍ ،  
 خَيَانِي فَقَلَتْ لَهُ : مَا أَحْدَثْتَ بَعْدِي فِي يَاسِكِ مِنْهَا ؟ فَأَنْشَدَنِي يَقُولُ :  
 أَلَا حُجَّبَتْ لَيلَ وَآتَى أَمِيرُهَا عَلَى يَمِينَاهَا جَاهِدًا لَا أَزُورُهَا  
 وَأَوْعَدَنِي فِيهَا رِجَالٌ أَبُوْهُمُ أَبِي وَأَبُوهَا خُشْنَتْ لِ صُدُرُهَا  
 عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ غَيْرِ أَنِي أُحِبْهَا وَأَنَّ فَوَادِي رَهْنُهَا وَأَسِيرُهَا  
 ثُمَّ سَنَحَتْ لَهُ ظِلَاءُ قَفَامَ يَعْدُو فِي أَثْرِهَا حَتَّى لَقَاهَا ، فَفَرَى مَعْهَا .

(١) أَسْبَلَتِ السَّيَاهُ : أَمْطَرَتْ : أَيْ بَكَتْ عَيْنَاهُ . (٢) السَّقْطُ : حِيثُ انْقَطَعَ مُعْظَمُ الرَّمْلِ وَرَقَّ .

(٣) الْأَمَامُ : نَبْتَ فِي الْبَادِيَةِ ، كَانَ الْعَرَبُ يَسْدُونَ بِهِ خَصَامِ الْبَيْوَتِ .

## ٥٨ — خاتمة المجنون\*

خرج شيخٌ من بني مرّة ليلقي المجنونَ في أرضِ بني عامر ثم حدث فقال :  
دَلَّتُ على مَحَلِّهِ فَأَتَيْهَا ، فإذا أبوه شيخٌ كبيرٌ وإخوة له رجال ، وإذا نَمَّ  
كثيرٌ<sup>(١)</sup> وخيرٌ ظاهر ، فسألَّهم عنه فاستمعُرُوا جيماً .

وقال الشيخُ : واللهِ لقد كان آثرَ فنسي مِنْ هؤلاء وأحبابِهِ إلى ! وإنه  
هوَ امرأة من قومه ، والله ما كانت تطمعُ في مثله ، فلما أُنْ فشا أمرُه وأمرُها  
كَرِه أبوها أن يُزَوِّجها منه بعد ظهور الخبر ، فزوجها من غيره ، فذهب عَقْلُ ابنته  
ولاحِمة خَبَلٌ ، وهامَ في الفَيَافِي وجدًا عليها ، خَبَسَناه وفِيدَناه ، فجملَ يَعْصُ لسانَه  
وشفَتَه ، حتى خِفَنا عليه أن يَقطِّعُهَا ، نَخْلَيْنا سبِيلَه ، فهو يَهْرِيمُ في هذه الفَيَافِي مع  
الوحوش ؟ يُذْهَبُ إِلَيْهِ كُلَّ يوم بطعامه فيوضع له حيث يراه ، فإذا تَنَحَّوْا عنْه  
جاء فَأَكُلُّ منه .

فأسألهُمْ أَن يَدْلُوْنِي عَلَيْهِ ، فدلَّوْنِي عَلَى فَتَّى مِنْ الْحَىٰ كَانَ صَدِيقَّاً لَهُ ، وَلَوْا :  
إِنَّه لَا يَأْنَس إِلَّا بِهِ وَلَا يَأْخُذُ أَشْعَارَهُ عَنْهُ غَيْرُهُ ؛ فَأَتَيْتُهُ فَسَأَلَّهُ أَن يَدْلُّنِي عَلَيْهِ ،  
فقالَ : إِنْ كَنْتَ تَرِيدُ شِعْرَه فَكُلُّ شِعْرٍ قَالَهُ إِلَى أَمْسِيَّهُ ، وَأَنَا ذَاهِبٌ  
إِلَيْهِ غَدًا ، فَإِنْ كَانَ قَلْ شِيَّئًا أَتَيْتُكَ بِهِ . فَقَلَّتُ : بَلْ أَرِيدُ أَنْ تَدَلَّنِي عَلَيْهِ لِآتِيهِ ؟

\* الأغاني : ٢ - ٨٨ ، المسعودي : ٢ - ٤١٧

(١) النَّمُ : يُذْكَرُ وَيُؤْنَثُ .

قال لي : إن نفر منك نفر مني فيذهب شعره ، فأبكيت إلا أن يدلني عليه ، فقال : اطلبه في هذه الصحاري ، فإذا رأيته فاذن منه مستائنا ، ولا تره أنت تهابه ، فإنه يتهددك ويتوعّدك أن يرميك بشيء ، فلا يروعنك ، واجس صارفًا بصرك عنه ، والحظه أحيانا ، فإذا رأيته قد سكن من نفارة فأنشده شعراً غزاً ، وإن كنت تروي من شعر قيس بن ذريح شيئاً فأنشده إيه فإنه معجب به .

نفرجتُ فطلبته يومي إلى المهر ؛ فوجده جالساً على رمل قد خط فيه ياصبه خطوطاً ، فدنوت منه غير منقبض ، فنفر مني نفوراً الوحش من الإنسان ، وإلى جانبه أحجار فتناول حجراً ، فأعرضت عنه ، فكث ساعة كأنه نافر يريد القيام ، فلما طال جلوسي سكن وأقبل يخط ياصبه . فأقبلت عليه وقت : أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول :

ألا ياغرَابَ الْبَيْنِ وَيَحْكَ نَبَّئِ<sup>(١)</sup>  
بِلِكَ فِي لُبْنِي وَأَنْتَ خَبِيرُ  
إِنْ أَنْتَ لَمْ تُخْبِرْ بَشِّي عَلِمْتَهُ فِي طِرْتَ<sup>(٢)</sup> إِلا وَالْجَنَاحُ كَسِيرُ  
وَدُرْتَ بِأَعْدَاءِ حَبِيبِكَ فِيهِمْ كَا قَدْ تَرَانِي بِالْحَبِيبِ أَدُورُ  
فَاقْبِلْ عَلَى وَهُوَ يَبْكِي ، ثُمَّ قال : وأنا أحسن منه قولًا حيث أقول :  
كَانَ الْقَلْبَ لِيَةَ قِيلَ يُفْدَى بِلِيَ لَيَ الْعَامِرِيَةِ أَوْ يُرَاهُ  
قطَّاءَ عَزَّهَا<sup>(٢)</sup> شَرَكَ فَبَاتَ تُنَازِعُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ  
فَأَمْسَكَتْ عَنِهِ هُنْيَةَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَلْتُ : وأَحْسَنَ والله قيس

(١) نبئ : نبئي وأخبرني .

(٢) عزها : غلبها .

ابن ذَرْيْح حيث يقول :

وإِنِّي لِمُقْنِي دِمَعَ عَيْنَيْ بِالْبُكَاءِ  
وَقَالُوا : غَدَأً أَوْ بَعْدَ ذَاكِبِلِيَةِ  
وَمَا كَفَتْ أَخْشَى أَنْ تَكُونْ مَنِيَّتِي  
فِي كَفِيكِ إِلَّا أَنَّ مَا حَانَ حَانِ  
فِي كِي - وَاللَّهُ - حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسَهُ فَاضَتْ<sup>(١)</sup> ، وَقَدْ رَأَيْتُ دَمَوعَهُ  
قَدْ بَلَّتِ الرَّمْلَ الَّذِي بَيْنَ يَدِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَحْسَنَ لَعْمَرُ اللَّهُ ؛ وَأَنَا وَاللَّهِ أَشَعْرُ مَهْدِهِ  
حَيْثُ أَقُولُ :

وَأَدَنَيْتِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتِي بِقُولِ يُحَلِّ الْعُصْمَ -<sup>(٢)</sup> سَهَلَ الْأَبَاطِحِ  
تَنَاهَيْتِ عَنِ حِينَ لَأِيَّ حِيلَةَ وَخَلَقْتِ مَا خَلَقْتِ بَيْنَ الْجَوَانِحِ  
ثُمَّ سَنَحَتْ لَهُ ظَبِيَّةُ فَوَنَبْ يَعْدُو خَلْفَهَا حَتَّى غَابَ عَنِي ، وَانْصَرَفَ .

وَعُدْتُ مِنْ غَدِ فَطْلَبِتِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ ، وَجَاءَتِ امْرَأَةٌ - كَانَتْ تَضَعُ لِهِ طَعَامَهُ -  
إِلَى الطَّلَامِ فَوَجَدَتْهُ بِحَالِهِ .

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ غَدُوتُ ، وَجَاءَ أَهْلَهُ مَعِي فَطَلَبْنَاهُ يَوْمَنَا فَلَمْ نَجِدْهُ ، وَغَدَوْنَا  
فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ نَسْتَقْرِي أَثْرَهُ<sup>(٣)</sup> ، حَتَّى وَجَدْنَاهُ فِي وَادِي كَثِيرِ الْحِجَارَةِ خَشِنٌ وَهُوَ  
مَيِّتٌ بَيْنَ تَلَكَ الْحِجَارَةِ ، فَبَيْنَا يَقْلِبُونَهُ إِذَا وَجَدُوا خِرْقَةً فِيهَا :

أَلَا أَيْهَا الشَّيْخُ الَّذِي مَا بِنَا يُرْضِي شَقِيقَتَ وَلَا هُنْيَتَ مِنْ عِيشَكَ الْفَضَّا  
شَقِيقَتَ كَمَا أَشْقَيْتِي وَتَرَكْتَنِي أَهْمِيْمُ مَعَ الْمُلَّا كَلَ لا أَطْعَمُ الْفَمَضَا

(١) فَاضَتْ نَفْسَهُ : خَرَجَتْ وَمَاتَ .

(٢) الْعُصْمُ : جَمْعُ أَعْصَمٍ ، وَهُوَ الْوَعْلُ الَّذِي فِي ذَرَاعِيهِ يَأْسِنُ ، يَرِيدُ أَنْ قُولُهَا يَنْلِبِ الْعُصْمَ وَيَسْتَزِرُهَا  
مِنَ الْجَبَالِ وَهِيَ مَا كَنَّا مِنْ الْأَبَاطِحِ السَّهَلَةِ .

(٣) نَسْتَقْرِي أَثْرَهُ : نَتَبَعِ أَثْرَهُ .

كَانَ فَوَادِي فِي مُحَالِبِ طَائِرٍ إِذَا ذُكِرَتْ لِيلَى يَشَدَّ بِهَا قَبَضًا  
كَانَ فِي جَاجٍ<sup>(١)</sup> الْأَرْضِ حَلْقَةً خَاتَمٍ عَلَى فَإِنْ تَزَدَادُ طَولاً وَلَا عَرْضاً  
وَاحْتَمَلَهُ أَهْلُهُ فَسَلَوْهُ وَكَفَنُوهُ وَدَفَنُوهُ ؟ فَلَمْ تَبْقَ فَتَاهُ مِنْ بَنِي جَعْدَةَ وَلَا بَنِي  
الْحَرِيشِ إِلَّا خَرَجَتْ حَاسِرَةً صَارِخَةً عَلَيْهِ تَنَدُّبُهُ ، وَاجْتَمَعَ فِتْيَانُ الْحَىِ يَبْكُونَ  
عَلَيْهِ أَحْرَرَ بَكَاءً ؛ وَيَنْشِجُونَ عَلَيْهِ أَشَدَّ نَشِيجٍ ، وَحَضَرُهُمْ حَىٰ لِيلَى مُعَزِّيْنَ ، وَأَبُوهَا  
مَعْهُمْ ، فَكَانَ أَشَدَّ الْقَوْمَ جَزَاعًا وَبَكَاءً عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : مَا عَلِمْنَا أَنَّ الْأَمْرَ  
يَبْلُغُ كُلَّ هَذَا ، لَكُنِيْ كَنْتُ امْرَأً عَرَبِيًّا أَخَافُ مِنَ الْعَارِ ، وَقُبْحَ الْأَحْدُوْنَ ،  
مَا يَخَافُهُ مِثْلِي ، فَزَوَّجْتُهَا وَخَرَجَتْ عَنْ يَدِي ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ امْرَأَهُ يَجْرِي عَلَى هَذَا  
مَا أَخْرَجَتْهَا عَنْ يَدِهِ ، وَلَا احْتَمَلَتْ مَا كَانَ عَلَى فِي ذَلِكَ .  
فَارْتُئَى يَوْمَ كَانَ أَكْثَرُ بَاكِيَّةً وَبَاكِيًّا عَلَى مِيَتٍ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

---

(١) جَاجُ : وَهُوَ الطَّرِيقُ .

## ٥٩ — اليوم يجمعنا في بطنه الكفن \*

قال الطفيلي <sup>(١)</sup> بن عامر العمري : خرجت ذات يوم أريد الفارة - وكنت رجلاً أحب الوحيدة - فيينا أنا أسير ، إذ ضللت الطريق الذي أردته ، فسرت أيامًا لا أدرى أين أتجه ، حتى نفدا زادي ، فجعلت آكل الحشيش وورق الشجر حتى أشرفت على الملائكة ، وبيست من الحياة .

فيينا أنا أسير إذ بصرت قطيع غم في حاجة من الطريق ؟ فللت إليها ، وإذا شاب <sup>٢</sup> حسن الوجه ، فصيح اللسان .

قال لي : يابن العم ؟ أين تريدين ؟ قلت : أردت حاجة لي في بعض المدن ، وما أظنني إلا قد ضللت الطريق . قال : أجل . إن بينك وبين الطريق مسيرة أيام ، فانزل حتى تستريح وتطمئن وتريح فرسك .

فنزلت فرمي لفرسي حشيشاً ، وجاء إلى بثريد كثير وأبن ، ثم قام إلى كبس فذبحه ، وأجعج فارا <sup>(٣)</sup> ؛ وجعل يُكَبِّ <sup>(٤)</sup> لي ، ويطعمني حتى اكتفيت .

فلما جتنى الليل قام وفرش لي ، وقال : قم فارم بنفسك ؟ فإن النوم أذهب لتعبك ، وأرجح لنفسك .

فقمت ووضعت رأسي ، فيينا أنا نائم إذا أقبلت جارية لم تر عيناي مثلها قط .

\* المحسن والأضداد : ٧٠ ، مسامرات الأبرار : ٢ - ٦٠ ، نهاية الأرب : ٢ - ١٩٦ .

(١) راوي القصة في نهاية الأرب جيل المذر . (٢) أشعـل . (٣) أي يجعل في اللحم كبابا .

حُسْنَا وَجَالَا ، فَقَعَدَتْ إِلَى الْفَقْيِ وَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَشْكُو إِلَى صَاحِبِهِ مَا يَلْقَى  
مِنَ الْوَجْدَدِ بِهِ ؛ فَأَمْتَنَعَ عَلَى النَّوْمِ لِحَسْنِ حَدِيبِهِمَا . فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ السَّرَّارِ ، قَامَتْ  
إِلَى مِنْزَلِهِمَا ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا دَنْوَتُ مِنْهُ ، قَوْلَتْ لَهُ : مَنْ أَنْدَلَ الرَّجُلُ ! قَالَ : أَنَا فَلانُ ابْنُ  
فَلانٍ ؟ وَانْتَسَبْتُ لِي فَعْرَفَتْهُ ، قَوْلَتْ لَهُ : وَيَمْحُكَ ! إِنَّ أَبَاكَ لَسَيِّدَ قَوْمِهِ ، فَاخْلَكَ  
عَلَى وَضْعِكَ نَفْسَكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ ! قَوْلَ : أَنَا وَاللَّهُ أَخْبُرُكَ :

كَنْتُ عَاشِقًا لِابْنَةِ عَمِيْ هَذِهِ الَّتِي رَأَيْتَهَا ؛ وَكَانَتْ هِيَ أَيْضًا لِي وَامِّةً<sup>(١)</sup> ،  
فَشَاعَ خَبَرُهَا فِي النَّاسِ ، فَأَتَيْتُ عَمِيْ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَزْوُجَنِيهَا ، قَوْلَ : يَا بْنِي ؟ وَافْتَهَ  
مَا سَأَلَتْ شَطَطًا<sup>(٢)</sup> ، وَمَا هِيَ بِآمَّةٍ عَنْدِي مِنْكَ ؟ وَلَكِنَ النَّاسُ قَدْ تَحْدَثُوا بِشَيْءٍ<sup>(٣)</sup> ،  
وَعَمْكَ يَكْرَهُ الْمَقَالَةَ الْقَبِيحةَ ؛ وَلَكِنَ انْظُرْ غَيْرَهَا فِي قَوْمِكَ ، حَتَّى يَقُومَ عَمْكَ  
بِالْوَاجِبِ لَكَ .

قَوْلَتْ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا ذَكْرٌ ، وَتَحْمَلْتُ<sup>(٤)</sup> عَلَيْهِ بِجَمَاعَةِ مِنْ قَوْمِيْ ،  
فَرَدَّهُمْ وَزَوْجَهَا رَجُلًا مِنْ ثَقِيفِ لَهِ رِيَاسَةً وَقَدْرًا ؛ فَهَلَّهَا إِلَى هَنَا – وَأَشَارَ  
بِيَدِهِ إِلَى خَيْرِ كَثِيرٍ بِالْقَرْبِ مِنَّا – فَضَاقَتْ عَلَى الدِّينِيَا بِرُحْبِهَا ، وَخَرَجَتْ فِي  
إِثْرِهَا ؛ فَلَمَّا رَأَتْنِي فَرَحْتُ فَرْحَةً شَدِيدًا ، قَوْلَتْ لَهَا : لَا تَخْبِرِي أَحَدًا أَنِّي مِنْكَ  
بِسَبِيلٍ ، ثُمَّ أَتَيْتُ زَوْجَهَا ، وَقَوْلَتْ : أَنَا رَجُلُ مِنَ الْأَزْدِ ، أَصْبَحْتُ دَمًا وَأَنَا خَائِفٌ ،  
وَقَدْ قَصَدْتُكَ لِمَا أَعْرَفُ مِنْ رَغْبَتِكَ فِي اصْطَنَاعِ الْمَعْرُوفِ ، وَلِي بَصَرٌ بِالْغَمْ ؛ إِنَّ  
رَأَيْتَ أَنْ تُعْطِينِي مِنْ غَنِمِكَ شَيْئًا فَأَكُونَ فِي جَوَارِكَ وَكَنْفِكَ فَاغْفِلْ . قَالَ : نَعَمْ  
وَكَرَامَةً . فَأَعْطَانِي مَائِنَةً شَاةً وَقَالَ لِي : لَا تَبْعُدْ بِهَا مِنَ الْحَيِّ ، وَكَانَتْ ابْنَةُ عَمِيْ

(١) وَامِّةً : مَحْبَةً . (٢) شَيْئًا بِيمِدَا . (٣) تَحْمَلَتْ عَلَيْهِ : أَيْ أَتَيْتُهُ بِقَوْمٍ يَشْفَعُونَ لِي عَنْهُ .

تخرج إلى كل ليلة في الوقت الذي رأيتَ وتنصرف ؟ فلما رأى حسنَ حال الغنمِ  
أعطاني هذه ، فرضيتُ من الدنيا بما ترى .

قال الطفيلي : فأقت عنده أيامًا فيبنت أنا نائمٌ إذ نبهني ، وقال : يا أخا بني عامر .  
قلت له : ما شأنك ؟ قال : إن ابنة عي قد أبطأتْ ولم تسكن هذه عادتها ، ووالله  
ما أظن ذلك إلا لأمر حادث ، خذني ، بخلعت أحذثه ، فأنشا يقول :

ما بال مية لا تأتي كمادها هل هاجها طرب<sup>(١)</sup> أو صدّها شغل ؟  
لكن قابي لا يعنيه غيرهم حتى المات ولا لي غيرهم أمل  
لو تعلمين الذي بي من فراغكم لما اعتلت ولا طابت لك العيل  
نفسى فداوك اقد هيجحت لي سقما تقاد من حرته الأعضاء تنفصل  
لو كان عادي منه على جبل لزال وانهد من أركانه الجبل  
فوالله ما أكتتحل بغمضي ، حتى انفجر عمود الصبح ، وقام ومر نحو الحى  
فأبطأ عنى ساعة ، ثم أقبل ومعه شى ، وجعل يبكي عليه . قلت له : ما هذا ؟  
قال : هذه ابنة عي افترسها السبع ، فأكل بعضها ، ووضعها بالقرب مني ، فأوجع  
والله قلبي !

نم تناول سيفه ومر نحو الحى فأبطأ هذئه ، ثم أقبل إلى ، وعلى عاتقه ليث  
كانه حمار ؛ قلت له : ما هذا ؟ قال : صاحبى ، قلت : وكيف عالمته ؟ قال : إنى  
قصدت الموضع الذى أصحابها فيه ، وعلمت أنه سيعود إلى ما فضل منها ؛ فجاء  
قادماً إلى ذلك الموضع ، فعلمته أنه هو ، فحملت عليه قتله ؛ ثم قام فحفر في

(١) الطرب : خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور .

الأرض فَأَمْعَنَ ؛ وَأَخْرَجَ ثُوَبًا جَدِيدًا ؛ وَقَالَ : يَا أَخَا بْنِي عَامِرٍ ؛ إِذَا أَنَا مِتْ  
فَادْرُجْنِي <sup>(١)</sup> مَعَهَا فِي هَذَا الثُّوْبِ ؛ ثُمَّ ضَعَنَا فِي هَذِهِ الْحَفْرَةِ ، وَأَهْلِ التَّرَابِ <sup>(٢)</sup> ،  
وَأَكْتَبَ هَذِينَ الْبَيْتَيْنَ عَلَى قُبْرِنَا وَعَلَيْكَ السَّلَامُ :

كُنَّا عَلَى ظُهُورِهَا وَالْمَيْشُ فِي مَهْلِي      وَالدَّهْرُ يَجْمِعُنَا ، وَالدَّارُ وَالْوَطَنُ  
نَفَقْنَا الدَّهْرُ فِي تَفْرِيقِ الْفَتِنَ      وَالْيَوْمُ يَجْمِعُنَا فِي بَطْنِهَا الْكَافَنُ  
ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى الأَسْدِ وَقَالَ :

أَلَا أَيَّهَا الْلَّيْثُ الْمُدِلُّ بِنْفَسِهِ      هَلَّكْتَ ، لَقَدْ جَرَّتْ يَدَ الْكَانَاحُزْ نَّا  
وَغَادَرْتِنِي فَرَدَادًا      وَصَبَرْتَ كَنْتُ آفَافًا  
أَلْحَبُّ دَهْرًا خَانَنِي بِفَرَاقِهِما      مَعَذَ إِلَهِي أَنْ أَكُونَ لَهُ خِدْنَانًا <sup>(٣)</sup>

ثُمَّ قَالَ : يَا أَخَا بْنِي عَامِرٍ ؛ إِذَا فَرَغْتَ مِنْ شَأْنِنَا فَصَسِّحْ فِي أَدْبَارِ هَذِهِ الْفَنِيمِ  
فَرُدَّهَا إِلَى صَاحِبِهَا .

ثُمَّ مَاتَ ، فَقَمَتْ فَادْرُجْتُهُمَا فِي ذَلِكَ الثُّوْبِ ؛ وَوَضَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْحَفْرَةِ ؛  
وَكَتَبْتَ الْبَيْتَيْنَ عَلَى قُبْرِهِمَا ، وَرَدَدْتُ الْفَنِيمَ إِلَى صَاحِبِهِمَا . وَسَأَلْتُ الْقَوْمَ ، فَأَخْبَرْتُهُمْ  
الْخَبْرُ ؛ نَخْرُجُ جَمَاعَةً مِنْهُمْ فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَنْ تَنْجُونَ عَلَيْهِ ؛ نَظِيْلَاهُ ، نَخْرُجُوا ؛ وَأَخْرُجُوا  
مَائَةً نَاقَةً ؛ وَتَسَامَعَ النَّاسُ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْنَا ؛ فَنَحْرَتْ ثُمَّ انْصَرَفَنَا .

---

(١) ادرجي : اطوني معها . (٢) هال التراب وأهاله : صبه . (٣) خدنا : صديقا .

## \* ٦ - العِفَةُ فِي الْحُبِّ .

سَمِعَتْ أُمَّةٌ لِبُدْئِينَةَ بِهَا إِلَى أَيْمَانِهَا وَأَخْيَاهَا ، وَقَالَتْ لَهَا : إِنَّ جَمِيلًا<sup>(١)</sup> عِنْهَا اللَّيْلَةَ ، فَأَتَيْهَا مُشَقَّمِينَ عَلَى سَيْفَيْنِ ، فَرَأَيْهَا جَالِسًا حَجَرَةً<sup>(٢)</sup> مِنْهَا يَمْدُدُهَا وَيُشَكِّوُ إِلَيْهَا بَشَّهَ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : يَا بُشَيْنَة ؟ أَرَأَيْتَ وَدِّي إِيَّاكَ ، وَشَغَفَتْ بِكَ ، أَلَا تَمْجِزِّنِيهِ ؟ قَالَتْ : بِعَاذًا ؟ قَالَ : بِمَا يَكُونُ بَيْنَ الْمُتَحَابِيْنِ ، قَوْلَاتِ لَهُ : يَا جَمِيل ؛ أَهْذَا تَبْغِي إِنَّ اللَّهَ لَقَدْ كَنْتَ عَنِّي بَعِيدًا مِنْهُ ، وَلَنْ عَاوَدْتَ تَعْرِيضاً بِرِبِّيَّةٍ لَا رَأَيْتَ وَجْهِي أَبْدَا .

فَضَحِّكَ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا قَلْتُ لَكِ هَذَا إِلَّا لِأَعْلَمَ مَا عَنِّدِكِ فِيهِ ، وَلَوْ عَلِمْتَ أَنِّكِ تُجْبِيَنِي إِلَيْهِ لَعْلَمْتُ أَنِّكِ تُجْبِيَنِي غَيْرِي ، وَلَوْ رَأَيْتُ مِنْكِ مَسَاعِدَةً عَلَيْهِ لَضَرَبْتُكَ بِسَيْفِي هَذَا مَا اسْتَمْسَكَ فِي يَدِي ، وَلَوْ أَطَاعْتُنِي نَفْسِي لَمْ جَرَنِكَ هِجْرَةُ الْأَبْدِ ، أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلِي :

وَإِنِّي لَا زَرَّى مِنْ بُدْئِينَةَ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرْهُ الْوَاثِي لَقَرَتْ بِلَامِهِ<sup>(٣)</sup>

\* الأغانى: ٨ - ١٠٥

(١) هو جيل بن عبد الله بن معمر العذري ، كان شاعراً فصيحاً مقدماً جاماً للشعر والرواية . اشتهر بمحبه بنتنة ابنة عمده ، وكان يجتمع بها سراً عن أهليها ، فألحوا بالشكوى عليه ، فقر إلى البين ثم اتجه أهل بنتنة الشام ، فرحل جيل إليهم فتصدوه وشكواه إلى عشيرته ، ففتحه أهله ومددوه ، فاقطعوا عنها ، وأخيراً بلأ إلى مصر وعاملها عبد العزيز بن مروان ، فأحسن وفادته ، ومرض هناك ومات بها سنة ٨٢ هـ . (٢) حجرة : ناحية منفرداً . (٣) البلابل : وسوس الصدر .

بِلَا وَبِلَا أَسْتَطِيعُ وَبِالْمُنْهَى  
وَبِالْأَمْلِ الْمَرْجُواً قَدْ خَابَ آمِلُهُ  
وَبِالنَّظَرَةِ الدَّجْلَى وَبِالْحَوْلِ تَفَقَّضَى  
أَوَاخِرُهُ لَا نَأْتَقِي وَأَوَانِلُهُ  
فَقَالَ أَبُوهَا لِأَخِيهَا : قُمْ بِنَا ؛ فَايْنَبَعِي لَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ أَنْ نَمْنَعَ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ  
لَقَائِهَا ؛ فَانْصَرَفَ وَتَرَكَاهَا .

## ٦١ - حدیث جمیل و بُشیرة\*

قال مَعْبُدٌ : خَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ فِي طَلَبِ لِقَاءِ الْفَرِيقِ<sup>(١)</sup> ، وَقَدْ بَلَغْتُ حَسْنَهُ  
غَنَائِهِ فِي لَحْنِهِ :

وَمَا أَنْسَ مِنِ الْأَشْيَاءِ<sup>(٢)</sup> لَا أَنْسَ شَادِنَا بِمَكَّةَ مَكْحُولًا أَسِيلًا مَدَامِعهُ  
وَقَدْ كَانَ بَلْغَنِي أَنَّهُ أَوْلَى نَحْنَ صَنْعَهُ، وَأَنَّ إِلْجَنَّ تَبَهَّهُ أَنْ يَفْتَنَهُ لِأَنَّهُ قَنْ  
طَائِفَةً مِنْهُمْ، فَاتَّقْلُوا عَنْ مَكَّةَ مِنْ أَجْلِ حُسْنِهِ.

فَلَا قَدْمَتْ مَكَةَ سَأَلَتْ عَنْهُ، فَدُلِّلَتْ عَلَى مَنْزَلَهُ؛ فَأَتَيْتَهُ فَقَرَعَتْ الْبَابَ فَإِنَّمَا أَحَدَ، فَسَأَلَتْ بَعْضَ الْجِبَارِانَ قَوْلَتْ: هَلْ فِي الدَّارِ أَحَدٌ؟ قَالُوا لِي: نَعَمْ، فِيهَا الْفَرِيضُ، قَوْلَتْ: إِنِّي قَدْ أَكْثَرْتُ دَقَّ الْبَابِ، فَا أَجَابَنِي أَحَدٌ! قَالُوا: إِنَّ الْفَرِيضَ هَنَاكَ، فَرَجَمَتْ فَدَقَقَتْ الْبَابَ فَلَمْ يَجِدْنِي أَحَدٌ، قَوْلَتْ: إِنَّ فَعْنَى غَنَائِي يَوْمًا فَعَنَّى الْيَوْمَ، فَفَنَّيْتُ لَعْنَى فِي شِعْرٍ جَمِيلٍ:

عَلِقْتُ الْمَوْى مِنْهَا وَلِيَدَا فَلَمْ يَرْكَلْ . إِلَى الْيَوْمِ يَنْفَعِي حَبْهَا وَبَزِيدُ  
فَوَاللهِ مَا تَسْمِيْتُ حَرْكَةَ الْبَابِ ، قَلْتُ : بَطَلْ سِخْرِيٌّ<sup>(۲)</sup> وَضَاعَ سَقَرِيٌّ ،  
وَجَثَتْ أَطْلَبُ مَا هُوَ عَسِيرٌ عَلَيَّ ، وَاحْتَقَرَتْ نَفْسِي وَقَلْتُ : لَمْ يَتَوَهْمِي<sup>(۴)</sup> لَضَعْفِ

\* الأغاني : ٢ - ٣٨٧ ، تزيين الأسواق :

(١) مغن مشهور ، أخذ الفناء عن أبي سريح وبرع فيه ، واسمه عبد الملك ، والتراث لقبه ، قال ابن الكلبي : شيه بالاغريض ، وهو الحمار فسمى به ، ثم نقل على الألسنة ، لفظت الآلاف منه.

(٢) أصله: من الأشياء . (٣) بطل سعري: ضاعت حيلتي . (٤) لم يتوهمني: لم يعرفني .

غناي عنده ، فأشعرت إلا بصائم يصبح : يا مَعْبُدَ الْمَفْنِي ؟ افهْمْ وتأقَّ عن شعرَ  
جميل الذي تُفْنَى فيه يا شقَّ البَحْثَ ، وَغَنَّى :

وَمَا أَنْسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا      وَقَدْ قَرَبَتْ نِصْوِي<sup>(١)</sup> : أَمْسَرْتَ رِيدُومْ  
وَلَا قَوْلَمَا : لولا العيونُ الَّتِي تَرَى      أَتَيْتُكَ فَاعْذِرْنِي فَدَنْتَكَ جُدُودُمَا  
خَلِيلِيَّ مَا أَخْفِيَ مِنَ الْوَاجْدِ بَاطِنَّ      وَدَمْعِيَ بِمَا قَلْتُ الْغَدَاءَ شَهِيدُ  
يَقُولُونَ : جَاهِدْ يَا جَيْلِ بِغَزْوَةِ      وَأَئِي جِهَادِ غَيْرَهُنَّ أَرِيدُ  
لَكُلِّ حَدِيثِيْ عَنْهُنَّ بَشَاشَةَ      وَكُلِّ قَتِيلِ يَنْهَنَ شَهِيدُ

فَسَمِعْتُ شَيْئًا لَمْ أَسْمَعْ أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَقَصَرَ<sup>(٢)</sup> إِلَيَّ نَفْسِي ؛ وَعِلْمُ فَضْلِيَّتِهِ عَلَى  
بِمَا أَحْسَنَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَقَلْتُ : إِنَّهُ لَحَرَى بِالْاسْتِنْارَ مِنَ النَّاسِ تَنْزِيهِاً لِنَفْسِهِ ، وَتَعْظِيْمَا  
لِقَدْرِهِ ، وَإِنَّ مَثَلَهُ لَا يَسْتَحْقُ الْابْتِذَالَ ، وَلَا أَنْ قَدَاوَهُ الرَّجَالُ ؛ فَأَرْدَتُ  
الْأَنْصِرَافَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَاجِعًا .

فَلَمَا كَنْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِذَا بَصَائِمُ يَصِيفُ بِي : مَعْبُدُ ؟ انتَظِرْ أَكَمْكَ ، فَرَجَمْتُ  
فَقَالَ لِي : إِنَّ الْفَرِيضَ يَدْعُوكَ ؟ فَأَسْرَعْتُ فِرْحَانَا ، فَدَنْتُ مِنَ الْبَابِ ، فَقَالَ لِي :  
أَتَحِبُ الدُّخُولَ ؟ فَقَلْتُ : وَهُلْ إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلِ ؟ فَقَرَأَ عَلَيَّ الْبَابَ فَفُتْحَ ، فَقَالَ لِي :  
ادْخُلْ وَلَا نُطْلِي الْجَلْوَسَ .

فَدَخَلْتُ فَإِذَا شَمْسُ طَالِعَةُ فِي بَيْتِ ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَ السَّلَامَ ، ثُمَّ قَالَ : اجْلِسْ  
فَلَسْتُ ، فَإِذَا أَنْبَلُ النَّاسَ ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجْهًا وَخَلْقًا وَخُلْقًا ؛ فَقَالَ : يَا مَعْبُدُ ؟ كَيْفَ

(١) النَّصْوُ : المَزْوَلُ مِنَ الإِبلِ . (٢) قَصَرْ لِكَ نَفْسِي : صَفَرْهَا فِي عَيْنِي .

طَرَأْتُ<sup>(١)</sup> إِلَى مَكَةَ ؟ فَقَلَتْ : جَعَلْتُ فَدَاءَكَ ! وَكَيْفَ عَرَفْتَنِي ؟ فَقَالَ : بِصَوْتِكَ ؛  
فَقَلَتْ : وَكَيْفَ وَأَنْتَ لَمْ تَسْمِعْهُ قَطْ ؟ قَالَ : لَا غَيْرَتِ عِرْفَكَ بِهِ وَقَلَتْ : إِنْ كَانَ  
مَعْبُدُ الدِّينِيَّا فَهُذَا . فَقَلَتْ : جَعَلْتُ فَدَاءَكَ ! فَكَيْفَ أَجْبَتْنِي بِقَوْلِكَ ؟  
وَمَا أَنْسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ قَوْلَاهَا . وَقَدْ قَرَأَتْ نِصْوَى : أَمْضِرَ تَرِيدَ ؟  
فَقَالَ : لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَرِيدُ أَنْ أُسْعِمَكَ صَوْتِي :  
وَمَا أَنْسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ شَادِنَا . بِعَكَةِ مَكْحُولِهِ أَسِيَّلَ مَدَامِعِهِ  
وَلَمْ يَكُنْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلُ . لَأَنَّهُ صَوْتٌ نَهِيَّتُ أَنْ أَغْنِيَهُ ، فَقَنَّيْتُكَ هَذَا  
الصَّوْتَ جَوَابًا لِمَا سَأَلْتَ وَغَنَيْتَ ؛ فَقَلَتْ : وَاللَّهِ مَا عَدْوَتَ مَا أَرْدَتُ . فَقَالَ لِي :  
يَا أَبَا عَبَادَ ؛ لَوْلَا مَلَلَةُ الْحَدِيثِ ، وَنَقْلُ إِطَالَةِ الْجَلوسِ لَا سَكَثَرَتُ مِنْكَ فَاعْذِرْنِي .  
خَرَجْتُ مِنْ عَنْدِهِ ، وَإِنَّهُ لِأَجْلِ النَّاسِ عِنْدِي ، وَرَجَعْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَتَحَدَّثَتِ  
بِمَحْدِيَّهِ ، وَعَجَبْتُ مِنْ فِطْنَتِهِ وَقِيَافَتِهِ<sup>(٢)</sup> ، فَرَأَيْتُ إِنْسَانًا إِلَّا وَهُوَ أَجْلُّ مِنْهُ  
فِي عَيْنِي .

وَذَكَرَتْ جَيْلَانِي وَبُشَيْرَتْنِي فَقَلَتْ : لِيَقْنِي عَرَفْتُ إِنْسَانًا يَحْدُثُنِي بِقَصَّةِ جَيْلِي وَخَبْرِي  
الشِّعْرِ فَأَكُونُ قَدْ أَخْذَتُ بِفَضْيَلَةِ الْأُمُورِ كَلَّهُ فِي الْفَنَاءِ وَالشِّعْرِ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ  
فَإِذَا الْحَدِيثُ مُشْهُورٌ ، وَقِيلَ لِي : إِنْ أَرْدَتَ أَنْ تُخَبِّرَ بِخَبْرِهِ فَاتِّ بْنِ حَنْظَلَةَ ،  
فَإِنَّ فِيهِمْ شَيْخًا مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ : فَلَانُ ، يُخَبِّرُكَ الْخَبْرَ .

فَأَتَيْتُ الشَّيْخَ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ : نَعَمْ ؟ بَيْنَا أَنَا فِي إِبْلِي فِي الرَّبِيعِ إِذَا أَنَا بِرَجْلِ  
مُنْطَوِي عَلَى رَحْلِهِ كَأَنَّهُ جَانِي<sup>(٣)</sup> ، فَسَلَمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ فَقَلَتْ :

(١) طَرَأْتُ : أَفْبَلْتُ بُغَاءً . (٢) قَافُ الْأَثْرِ قِيَافَةٌ : تَبَعِيهِ وَعِرْفَهُ . (٣) حَيَةٌ لَا تُؤْذَى ، كَثِيرَةٌ  
فِي الدُّورِ .

أحد بني حنظلة ، قال : فانتسبتُ حتى بلغتُ إلى فخذلِي الذي أنا منه ؟ ثم سألني عن بني عذرَة أين نزلوا ؟ قلت له : هل ترى ذلك السفح ؟ فإنهم نزلوا من ورائه ؛ قال : يا أخَا بني حنظلة ؛ هل لك في خير تصطنه إلى ؟ فوالله لو أعطيني ما أصبحتَ تسوق من هذه الإبل ما كنتُ باشْكَرَ مني لاتَّ عليه ، فقلت : نعم ، ومن أنت أوَّلا ؟ قال : لاتسألني من أنا ولا أخبرك لوسأتأتني ؟ غير أني رجلٌ يبني وبين هؤلاء القوم ما يكونُ بين بني العم ، فإن رأيتَ أن تأتيَهُم فإنك تجد القوم في مجلسهم ، فتنشدُهُم<sup>(١)</sup> بـكُرَّةً أَدْمَاء تجُرُّهُ خَفِيفاً غُفْلًا من السمة<sup>(٢)</sup> ، فإن ذكروا لك شيئاً فذاك ، وإلا استأذنْتُهم في البيوت وقلتَ : إن المرأة والصبي قد يرَيان مالا يرَى الرجال فتنشدُهُم ولا تدع أحداً تصيبه عينك ولا يهْتَمْ من بيتهما إلا نشدها فيه .

فأتيتَ القومَ فإذا هم على جَزْوِي<sup>(٣)</sup> يقتسمونها ، فسلمتُ وانتسبتُ لهم ونشدتهم صالحَي ، فلم يذكروا لي شيئاً ، فاستأذنْتُهم في البيوت وقلتَ : إنَّ الصبيَّ والمرأة يريان ما لا يرَى الرجال ، فإذا نُوا ، فأتَيْتُ أقصاها بيتكا ، ثم استقرْتَهُـا بيتكا بيتكا أنشدُهُم فلا يذكرون شيئاً ، حتى إذا اتصفَ النهار ، وأذانَ حِرَ الشَّمْسِ وعَطِشتَ وفرغتُ من البيوت ، وذهبتُ لأنصرفَ حانتْ مني العفافَـةـ فإذا بشِـلَانَةـ أبيات قلتَ : ما عندَ هؤلاء إلَّا ما عندَ غيرِهم ، ثم قلتَ لنفسي : سوءَةً وَثِقَـةـ بـيـ رـجـلـ وزعمَ أن حاجته تعديل مالي ، ثم آتَيه فأقولُ : عَجَزْتُ عن ثلاثة أبياتِـ

(١) نشدهم : تناذفهم وتأسلهم عنها ، والبكرة : الفتية من الإبل ، والأدم من الإبل : الأبيض .

(٢) السمة : العلامَة ، وغفلانَ السمة : أى ليس فيها علامَة . (٣) المبزور من الإبل يقع على الذكر والأثني .

فانصرفتْ عائداً إلى أعظمها بيتاً، فإذا هو قد أرْخى مُؤَخِّرَه ومقدمةً،  
غسلتْ فُرْدَّا علىَ السلام، وذكرتْ ضالتي، فقالتْ جارية منهم : يا عبدَ الله ؛  
قد أصبتَ ضالتكَ، وما أظنكَ إلا قد اشتدَّ عليكَ الحرَّ، واشتكيتَ الشرابَ ؟  
قلتْ : أجلْ ؟ قالتْ : ادخلْ ؛ فدخلتْ ؛ فأتني بصحفَةٍ فيها تَمْرٌ هجَرَ<sup>(١)</sup>  
وقدحٌ فيه لبنٌ، والصحفَةُ مصريةٌ مُفَضَّبةٌ، والقدحُ مُفَضَّسٌ لم أرْ إلَيْهِ قطُّ  
أحسنَ منهَ، فقالتْ : دونكَ . فتجمعَتْ وشربتْ من اللبن حتى رَوَيْتُ، ثم قلتْ :  
يا أمةَ الله ؛ والله ما أتيتُ الْيَوْمَ أَكْرَمَ مِنْكَ ولا أحقَ بالفضل ؟ فهل ذكرتِ منْ  
ضالتكَ شيئاً ؟ فقالتْ : هل ترى هذه الشجرة فوق الشرفَ<sup>(٢)</sup> ؟ قلتْ : نعم ؛ قالتْ :  
فإنَّ الشَّمْسَ غَرَبَتْ أَمْسَ وَهِيَ تُطِيفُ حَوْلَهَا ، نَمَّ حَالَ اللَّيلُ بَيْنِهَا وَبَيْنَهَا ؛ فَقَمَتْ  
وَجْزِيهَا الْخَيْرَ ، وَقَلَتْ : وَاللهِ لَقَدْ تَفَدَّيْتُ وَرَوَيْتُ .

فخرجتْ حتى أتيتُ الشجرة فاعطفتُ بها ، فوالله ما رأيتُ منْ أثْرٍ ؛ فأتَيْتُ  
صاحبِي فإذا هو متَّسِخٌ في الإبلِ بكسائه ورافعٌ عَقِيرَتَه<sup>(٣)</sup> يَغْنِي . قلتْ : السلام  
عليكَ . قالَ : وعليكَ السَّلام ، ما وراءكَ ؟ قلتْ : ما ورائي منْ شَيءٍ ؛ قالَ : لا  
عليكَ ! فأخبرني بما فعلتَ ، فاقْتَصَبْتُ عليه القصةَ حتى انتهيتُ إلى ذِكرِ المرأة  
وأخبرته بالذِّي صنعتَ ؛ فقالَ : قد أصبتَ طَلِبَتَكَ ؛ فوجئتُ منْ قوله وأنا لم أجده  
شيئاً .

(١) هجر : بلد بالعين مشهورة بالتمر . (٢) الشرف : المكان العالى . (٣) عقيرة الرجل : صوته إذا أغنى أو بكى .

ثُمَّ سأله عن صِفَةِ الْإِنَاءِينَ : الصَّحْفَةُ وَالْقَدَحُ ؟ فَوَصَفَهُمَا لَهُ ، فَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءَ  
وَقَالَ : قَدْ أَصْبَتَ طَلْبَتِكَ ، وَيَخْتَكَ إِنْمَا ذَكَرْتُ لَهُ الشَّجَرَةَ وَأَنْهَا رَأَتْهَا تُطْيِفُ بِهَا  
قَلْلَ : حَسْبُكَ ! فَكَثُرْتُ حَتَّى أَوْتَ إِبْلِي إِلَى مَبَارِكَهَا وَدَعْوَتُهُ إِلَى الْعَشَاءِ فَلَمْ يَدْنُ  
مِنْهُ ، وَجَلَسَ مِنْ بَعْدِ جَرَّ (١) الْكَلْبَ .

فَلَمَّا ظَنَّ أَنِّي قَدْ نَمْتُ رَمَقْتَهُ ، قَامَ إِلَى عَيْبَةَ (٢) لَهُ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا بُزْدَنَ  
فَأَتَزَرَ بِأَحْدَاهَا وَتَرَدَّى بِالْآخِرَ ، ثُمَّ افْطَلَقَ عَامِدًا نَحْوَ الشَّجَرَةِ . وَاسْتَبْطَنَتُ الْوَادِيَ  
فَجَعَلَتْ أَخْفِي نَفْسِي ، حَتَّى إِذَا خَفَتْ أَنْ يَرَانِي ابْطَحَتْ ؛ فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى  
سَبَقْتَهُ إِلَى شَجَرَاتِ قَرِيبَةٍ مِّنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، بِحِيثُ أَسْمَعَ كَلَامَهُمَا ، فَاسْتَرَتْ  
بِهِنَّ ، وَإِذَا صَاحَبَتْهُ عَنْدَ الشَّجَرَةِ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى كَانَ مِنْهَا غَيْرُ بَعِيدٍ ، قَالَتْ : اجْلِسْ ؛  
فَوَاللهِ لَكَأَنَّهُ لَصِيقٌ بِالْأَرْضِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا أَكْرَمَ سُؤَالَ ، وَأَبْعَدَهُ  
عَنْ كُلِّ رِبَّةٍ ، وَسَأَلَهُ مِثْلَ مَسَأْلَتِهِ ؛ ثُمَّ أَمْرَتَ جَارِيَةً مَعْهَا ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ طَعَاماً ،  
فَلَمَّا أَكَلَ وَفَرَغَ ، قَالَتْ : أَنْشَدْنِي مَا قَلْتَ ، فَأَنْشَدَهَا :

عَلِقْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَلِيَدَا فَلَمْ يَزَلْ إِلَى الْيَوْمِ يَنْمَى حَبْهَا وَيُزِيدُ  
ثُمَّ لَمْ يَرِزَ الْأَيَّلَادُ ثَانَ ، مَا يَقُولُانِ فُحْشَا وَلَا هُبْجَرَا ، حَتَّى التَّفَقَتِ التَّفَاتَةَ ،  
فَنَظَرَتْ إِلَى الصِّبَعِ ، فَوَدَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِّنْهَا صَاحِبَهُ أَحْسَنَ وَدَاعَ مَا سَمِعَتْ بِهِ  
قَطَّ ، ثُمَّ انْصَرَفَ .

فَقَمَتْ فَضَيْتُ إِلَى إِبْلِي ، فَاضْطَجَعْتُ ، وَكُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهَا يَمْشِي خَطْوَةً ثُمَّ يَلْتَفِتُ  
إِلَى صَاحِبِهِ ، بَخَاءً بَعْدَ مَا أَصْبَحَهُنَا فَرْفَعَ بُرْدَيْهُ ثُمَّ قَالَ : يَا أَخَا بْنِي تَمِيمَ ؛ حَتَّى مَتِي

(١) أَيْ جَلْسٌ بَعِيدٌ . (٢) العَيْبَةُ : وَعَاءٌ مِّنْ جَلْدٍ يَكُونُ فِيهِ الْمَنَاعُ .

تنَامْ ! قَفْتُ وَتَوْضَأْتُ وَصَلَيْتُ، وَحَلَبْتُ إِبْلِي، وَأَعْانَتِي عَلَيْهَا، وَهُوَ أَظْهَرُ النَّاسِ سِرْوَرًا، ثُمَّ دَعَوْتَهُ إِلَى الْفَدَاءِ فَقَدَدَى ؛ ثُمَّ قَامَ إِلَى عَيْبَتِهِ فَاقْتَحَمَهَا فَإِذَا فِيهَا سِلاحٌ وَبُرْزَادَانْ مَا كَسَهُ الْمُلُوكُ، فَأَعْطَانِي أَحَدُهَا وَقَالَ : أَمَا وَاللهِ لَوْ كَانَ مَعِي شَيْءٌ مَا ذَخَرْتُهُ عَنْكَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثَهُ وَأَنْتَسَبْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَمِيلُ بْنُ مَعْتَمِرٍ وَالْمَرْأَةُ بُنْيَّةُ، وَقَالَ لِي : إِنِّي قَلْتُ أَبِيَاتًا فِي مُنْصَرٍ فِي مَنْعَنَهَا، فَهَلْ لَكَ إِنْ رَأَيْتَهَا أَنْ تُنْشِدَهَا؟ قَلْتُ : نَعَمْ ؟ فَأَنْشَدَنِي :

وَمَا أَنْسَ مِنِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ قَوْلَاهَا  
وَقَدْ قَرَّبَتْ نِصْوَى : أَمْصَرَ تُرِيدُ  
أَنْتَنِكَ فَاعْدِرْنِي فَدَنْكَ جُدُودُ  
خَلِيلِيَّ مَا أَخْفِي مِنَ الْوَجْدِ بَاطِنِيَّ  
وَدَمْعِي بِمَا قَلْتُ الْفَدَاءَ شَهِيدُ  
يَقُولُونَ : جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بَغْرَوَةَ  
وَأَيْ جَهَادِيَّ غَيْرُهُنَّ أَرِيدُ  
وَكُلُّ حَدِيثِيَّ عَنْهُنَّ بَشَاشَةَ  
لَكُلِّ حَدِيثِيَّ عَنْهُنَّ شَهِيدُ  
ثُمَّ وَدَعْنِي وَانْصَرْفَ .

فَكَثُرْتُ حَتَّى أَخَذَتِ الإِبْلُ مِرَانَهَا، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى دُهْنِ كَانَ مَعِي فَدَهَنْتُ  
بِهِ رَأْسِي، ثُمَّ ارْتَدَيْتُ بِالْبَرْدِ وَأَتَيْتُ الْمَرْأَةَ، قَلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ؟ إِنِّي جَئْتُ أَمْسِ  
طَالِبًا وَالْيَوْمَ زَائِرًا، أَفَتَأْذِنُونَ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَسَمِعْتُ جُوَيْرَيَّةَ تَقُولُ لَهَا : يَا بُنْيَّةَ ؟  
عَلَيْهِ وَاللهِ بُرْدَ جَمِيلٌ، فَجَعَلْتُ أَنْتِي عَلَى ضَيْفِي وَأَذْكَرْتُ كُرْفَصَلَهُ، وَقَلْتُ : إِنَّهُ ذَكْرُكِ  
فَلَحْسَنَ الذَّكْرِ، فَهَلْ أَنْتَ بَارِزَةً حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْكِ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَلَبَسْتُ ثِيَابَهَا ثُمَّ  
بَرَزَتْ وَدَعَتْ لِي بَطْرَفَ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَخَا بْنِ تَمِيمٍ، وَاللهِ مَا تَوَبَّ إِلَى هَذَا بَلْ شَتَّى بَيْنِ  
وَدَعَتْ بِعَيْبَتِهَا، فَأَخْرَجْتُ لَيْ مِلْحَفَةَ<sup>(١)</sup> مَرْوِيَّةَ مُشْبِعَةَ مِنَ الْعَصْفَرِ، ثُمَّ قَالَتْ :

(١) الملحفة : الالباس الذي فوق الالباس من دثار البرد ونحوه، ومروية : لسبة إل مرو .

أقسمت عليك لتقومَنَ إلَى كِسْرِ الْبَيْتِ وَتَخْلُمَنَ مِدْرَعَتَكَ<sup>(١)</sup> ، ثُمَّ لَتَأْتِرَنَ بِهَذِهِ  
الملحفة ، فهُنَّ أَشْبَهُ بِبُزْدَكٍ ، فَقَعْدَتُ ذَلِكَ ؛ وَأَخْذَتْ مِدْرَعَتِي بِيَدِي ؛ فَجَعَلْتُهَا إِلَى جَانِبِي ،  
وَأَنْشَدْتُهَا الْأَيْتَاتِ ؛ فَدَمَعْتُ ، وَتَحْدَثَنَا طَوِيلًا مِنَ النَّهَارِ ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَى إِلَيْهِ  
بِمُلْحَفَةِ بُثِينَةٍ وَبِرُودٍ جَمِيلٍ وَنَظَرَةٍ مِنْ بُثِينَةٍ .

قال معبد : فجزيتُ الشیخ خیراً ، وانصرفت من عنده وأنا والله أحسن الناس  
حالاً بینظرة من الفریض واستماع لفنائه وعلم بحديث جمیل وبثینة فيما غنیتُ  
أنا به ، وفيما غنی به الفریض على حق ذلك وصدقه ؛ فما رأیتُ ولا سمعتُ بزوجین  
قط أحسن من جمیل وبثینة ، ومن الفریض ومني .

---

(١) المدرعة : نوع من الثياب ، ولا تكون إلا من الصوف .

## \* ٦٢ - عِتَابٌ بَيْنَ مُبَيْنَةٍ وَجَيْلَ \*

لَقِي جَيْلَ بُدْنِينَهُ بَعْدَ تَهَاجِرٍ<sup>(١)</sup> كَانَ يَنْهَمَا طَالَتْ مُدْنَهُ ، فَعَمَّا تَبَا طَوِيلًا ؛  
فَقَالَتْ لَهُ : وَيَخْكَ يا جَيْلَ ! أَتَزْعُمُ أَنَّكَ هَوَانِي وَأَنْتَ الَّذِي تَقُولُ :  
رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِي بُثِينَةً بِالْقَذَى وَفِي النُّرُّ مِنْ أَنْيَا بِهَا بِالْقَوَادِحِ<sup>(٢)</sup>  
فَأَطْرَقَ طَوِيلًا يَمْسَكِي ، ثُمَّ قَالَ : بَلْ أَنَا الْقَائِلُ :  
أَلَا كَيْتَنِي أَغْنَى أَصْمَ ثَقَوْدِنِي بُثِينَةً لَا يَخْفِي عَلَى كَلَامِهَا  
فَقَالَتْ لَهُ : وَيَخْكَ ! مَا حَمَلْتَ عَلَى هَذِهِ الْمُنَى ! أَوْلَيْسَ فِي سَعَةِ الْعَافِيَةِ  
مَا كَفَانَا جَمِيعًا !

---

\* الأغاني : ٨ - ١٠٤

(١) التهاجر : الن詑اط.

(٢) القوادح : سواد يظهر في الأسنان .

## \* ٦٣ - يتذاكرَانِ الشِّعْرَ والْمُوَى \*

التحق جليلٌ وكثيرٌ فتذاكرَا النسيب ؛ فقالَ كثيرون : يا جليل ؛ أترَى بُلْهَيَةً  
لم تسمعْ بقولك :

يَقِيمُكِ جَمِيلٌ كُلَّ سُوءٍ، أَمَّا لَهُ لَدِيكِ حَدِيثٌ أَوْ إِلَيْكِ رَسُولٌ  
وَقَدْ قَلْتُ فِي حَجَّ لِكُمْ وَصَبَّأَتِي مُحَاسِنَ شَرِيْذِنْ كُرُونْ يَطْلُونْ  
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَوْلِي رَضَاكِ فَمَلَى هُبُوبَ الصَّبَا يَا بَشْنُ كَيْفَ أَقُولُ  
فَأَغَابَ نَعْنَ عَيْنِي خِيَالُكِ لَحْظَةً وَلَا زَالَ عَنْهَا، وَانْخِيَالُ يَزُولُ

قالَ جليل : أترَى عَزَّةً يَا كثيرونَ لم تسمعْ بقولك :

يَقُولُ الْعِدَا : يَا عَزَّ قَدْ حَالَ دُونَكُمْ شُجَاعٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ مَصْمُومٌ<sup>(١)</sup>  
قَلْتُ لَهَا : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ دُونَكُمْ جَهَنَّمُ مَا رَأَتْ فَوَادِي جَهَنَّمُ  
وَكَيْفَ يَرَوْعُ القَلْبَ يَا عَزَّ رَائِعَ وَمَا ظَلَمْتَكِ النَّفْسَ يَا عَزَّ فِي الْمُوَى  
فَلَا تَنْقِسِي حُجَّيْ فَا فِيهِ مَنْفَعٌ فَبَكَيَّا قَطْمَةً مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ انْصَرَفَ.

## ٦٤ - لا أزالُ أبْرِكِيهُ إِلَى الْمَاتِ \*

حدَّثَتْ بُنْيَّةً - وكانت صدوقَةَ اللسان ، جَيْلَةَ الْوَجْهِ ، حَسْنَةَ الْبَيَانِ ، عَفْيَةً - قالت : والله ما أرَادَنِي جَيْلِي - رحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ - بِرِيَةٌ قَطُّ ، وَلَا حَدَّثَتْ أَنَا نَفْسِي بِذَلِكَ مِنْهُ ، وَإِنَّ الْحَيَّ اتَّجَعَوْا مَوْضِعًا ، وَإِنِّي لَنِي هَوَذَاجِ لِي أَسِيرًا إِذَا أَنَا بِهَا تِفْ يُنْشِدُ أَبِيَاتًا .

فلم أَتَمَالَكْ أَنْ رَمِيتُ بِنَفْسِي ، وَأَهْلُ الْحَيَّ يَنْظَرُونَ ، فَبَقِيَتْ أَطْلَابُ الْمُنْشِدِ غَلَمْ أَقْفَ عَلَيْهِ ، فَنَادَيْتُ : أَيْهَا الْهَاتِفُ بِشَعْرِ جَيْلِي ، مَا وَرَاءَكَ مِنْهُ ! وَإِنِّي أَحْسَبَهُ قدْ قَضَى نَجْبَهُ وَمَضَى لِسَبِيلِهِ - فلم يَجْبَنِي جَيْلِي ، فَنَادَيْتُ ثَلَاثَةً ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ لَا يَرِدُ عَلَى أَحَدٍ شَيْئًا ، قَالَتْ صَوَّاحِيَّاتِي : أَصَابَكَ يَا بُنْيَّةً طَافِفًا مِنَ الشَّيْطَانِ ! فَقَلَّتْ : كَلَّا ، لَقَدْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ ! قَلَنْ : نَحْنُ مَعْكِ وَلَمْ نَسْمَعْ ، فَرَجَمْتُ فَرَكِبَتْ مَطَيِّقِي وَأَنَا حَيْرَى ، وَالْمَهْمُ العَقْلُ ، كَاسِفَةُ الْبَالِ .

نَمْ سَرَنَا ، فَلَمَا كَانَ فِي الْلَّيْلِ سَمِعْتُ ذَلِكَ الْهَاتِفَ يَهْتَفِ بِذَلِكَ الشَّعْرِ بِعِينِهِ فَرَمِيَتْ بِنَفْسِي ، وَسَعَيْتُ إِلَى الصَّوْتِ ؛ فَلَمَا قَرَبَتُ مِنْهُ انْقَطَعَ ؛ قَلَّتْ : أَيْهَا الْهَاتِفُ ! ارْحَمْ حَيْرَتِي ، وَسَكَّنْ عَبْرَتِي بِخَبْرِ هَذِهِ الْأَبِيَاتِ ؛ فَإِنْ لَهَا شَأْنًا أَفْلَمْ بَرُّدَ عَلَى شَيْئًا !

فَرَجَمْتُ إِلَى رَحْلِي فَرَكِبَتْ وَسِرْنَتْ وَأَنَا ذَاهِبَةُ الْعَقْلِ ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ لَا تَخْبِرَنِي صَوَّاحِيَّاتِي أَهُنْ سَمِعْنَ شَيْئًا .

فَلَمَا كَانَتِ الْلَّيْلَةُ الْقَابِلَةُ نَزَّلْنَا وَأَخْذَ الْحَىٰ مُضَاجِعَهُمْ وَنَامَتِ كُلُّ عَيْنٍ ، فَإِذَا  
الْهَافُ يَهْتِفُ بِي وَيَقُولُ : بَا بَيْنَتِهِ ؟ أَقْبَلَ إِلَى أَنْبِيثِكَ عَمَّا تَرِيدِينَ ، فَأَقْبَلَتُ نَحْوِ  
الصَّوْتِ ؟ فَإِذَا شِيفُ كَانَهُ مِنْ رِجَالِ الْحَىٰ ؟ فَسَأَلْتُهُ عَنْ اسْمِهِ وَبَيْتِهِ ، قَالَ : دَعِى  
هَذَا ، وَخَدِي فِيمَا هُوَ أَمْ عَلَيْكَ ، قَلَتْ لَهُ : وَإِنْ هَذَا لَمَا يَهْمِنِي . قَالَ : اقْنِعْ بِمَا  
قَلْتَ لَكَ . قَلَتْ لَهُ : أَنْتَ الْمَنْشِدُ الْأَبْيَاتِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَلَتْ : فَاخْبِرْ جَيْلِ ؟  
قَالَ : نَعَمْ ! فَارْقَطْتُهُ وَقَدْ قَضَى نَحْبَهُ ، وَصَارَ إِلَى حُفْرَتِهِ - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ .

فَصَرَخَتْ صَرْخَةً آذَيْتُ مِنْهَا الْحَىٰ ، وَسَقَطَتْ لَوْجِهِي ؛ فَأَغْمَيْتُ عَلَى ،  
فَكَانَ صَوْتِي لَمْ يَسْمَعْهُ أَحَدٌ ، وَبَقِيَتْ سَائِرَ لَيْلَتِي ، ثُمَّ أَفَقْتُ عِنْدَ طَلَوْعِ الْفَجْرِ ،  
وَأَهْلِي يَطْلُبُونِي فَلَا يَقِفُونَ عَلَى مَوْضِعِي ، وَرَفَعْتُ صَوْتِي بِالْمَوْبِيلِ وَالْبَكَاءِ وَرَجَعْتُ  
إِلَى مَكَانِي ، قَالَ لِي أَهْلِي : مَا خَبِرُكَ ؟ وَمَا شَأْنُكَ ؟ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِمْ الْقَصْةَ ، قَالُوا :  
يَرْحَمُ اللهُ جَيْلًا ، وَاجْتَمَعَ نَسَاءُ الْحَىٰ وَأَنْشَدْتُهُنَّ الْأَبْيَاتِ فَأَسْعَدْتُنِي بِالْبَكَاءِ<sup>(١)</sup> ،  
فَلَمْ نَزَّلْ كَذَلِكَ لَا يَفْارِقُنِي نَلَاثَةً ، وَتَحْزَنُ الرِّجَالُ أَيْضًا ، وَبَكَوْنَا وَرَثَوْهُ ،  
وَقَالُوا كُلُّهُمْ : يَرْحَمُ اللهُ إِنَّهُ كَانَ عَفِيفًا صَدُوقًا .

فَلَمْ أَكْتَحِلْ بَعْدَهُ يَائِنَدَ<sup>(٢)</sup> ، وَلَا فَرَقْتُ رَأْسِي بِخِيطٍ وَلَا مُشْطٍ وَلَا دَهْنَتَهِ  
إِلَّا مِنْ صُدَاعٍ خَفْتُ عَلَى بَصَرِي مِنْهُ ، وَلَا لَبَسْتُ خَارِاً مَصْبُوْغاً وَلَا إِزارًا ،  
وَلَا أَزَالُ كَذَلِكَ أَبْسِكِيهِ إِلَى الْمَمَاتِ !

(١) بَكِينَ مَعِي .

(٢) الإِنَادُ : حَجَرٌ يَكْتَحِلُ بِهِ .

## ٦٥ — فَحَىٰ وَيَنْهَكَ مَنْ حَيَاكَ يَا جَلٌ\*

أراد زوج عزة أن يحج بها؛ فسمع كثيرون الخبر؛ فقال : والله لأحسن ،  
لعل أفوز من عزة بنظرة .

فيينا الناس في الطواف ، إذ نظر كثير عزة ، وقد مضت إلى جله ، فحيته ،  
ومسحت بين عينيه ، وقالت : حُبِيت يا جل . فبادر ليلحّقها ، فقاته فوقف على  
الجل وقال :

حَيَّتِكَ عَزَّةُ بَعْدَ الْحَجَّ وَانْصَرَفْتُ فَحَىٰ وَيَنْهَكَ مَنْ حَيَاكَ يَا جَلُ  
لَوْ كَتْ حَيَّتِهَا مَا زَلْتَ ذَامِقَةً<sup>(١)</sup> عَنْدِي وَلَا مَسْكَ الإِدَلَاجَ<sup>(٢)</sup> وَالْعَمَلُ  
لِيَتِ التَّحْيَةَ كَانَتْ لِي فَأْشَكَرُهَا مَكَانٌ يَا جَلٌ حُبِيتَ يَا رَجُلُ  
فَسَمِعَهُ الْفَرْزَدُقُ ، فَقَبَسَ ؛ وَقَالَ لَهُ : مَنْ تَكُونُ يَرْحَكُ اللَّهُ ! قَالَ : أَنَا كَثِيرُ  
عَزَّةٍ . فَنَأْتَ يَرْحَكُ اللَّهُ ! قَالَ : أَنَا الْفَرْزَدُقُ بْنُ غَالِبٍ التَّمِيعِيُّ ! قَالَ :  
أَنْتَ الْقَائِلُ :

رَحَلَتْ جَاهِلَّمُ بِكُلِّ أَسِيلَةٍ<sup>(٣)</sup> تَرَكَتْ فَوَادِكَ هَائِمًا مَخْبُولاً  
لَوْ كَنْتْ أَمْلَكُهُمْ إِذَا لَمْ يَرْحُوا حَتَّى أَوْدَعَ قَلْبِي التَّبُولَا<sup>(٤)</sup> !  
سَارُوا بِقَلْبِي فِي الْحَدُودِ<sup>(٥)</sup> وَغَادَرُوا جَسْمِي بِعَالِجِ زَفَرَةً وَعَوِيلاً

\* المستطرف : ٢ : ١٧٩ .

(١) المقة : المحبة . (٢) أدلاج : سار من أول اللبل . (٣) أسيل الحمد : ابن الحمد طوباه .

(٤) التبول : الداهم . (٥) الحدو : جمع حدج ، وهو مركب للنساء كالخلفة .

قال الفرزدق : نعم . قال كثيرون : والله لو لا أتى في البيت الحرام لأصيحنَ  
صيحةً أفرِعُ هشام بن عبد الملك ، وهو على سرير مُدكَّه ؛ قال الفرزدق :  
والله لا يُعرِفَنَّ بذلك هشاماً .  
ثم تَوَادعاً وافترقاً .

ولما وصل الفرزدق إلى دمشق دخل إلى هشام بن عبد الملك ، فعْرَفَه  
بما اتفق له مع كثيرون ، فقال له : أكتب إليك بالحضور عندنا لنطلق عَزَّةَ من زوجها  
ونزوجَه إياها ، فـ كتب إليه بذلك .

خرج كثيرون بريد دمشق ، فلما خرج من حيّه وسار قليلاً رأى غرابةً على  
بانة<sup>(١)</sup> ، وهو يفلن نفسه ، وريشه يتتساقط ؛ فاصفر لونه ، وارتاع من ذلك وجده  
في السير ، ثم إنه مال ليسقى راحلته من حيّ بني نهد<sup>(٢)</sup> - وهم زَجَّةُ الطير - فبَصَرَ  
به شيخٌ من الحيّ ، فقال : يا بن أخي ؟ أرأيتَ في طريقك شيئاً فَرَاعَك ؟ فقال :  
نعم ياعم ، رأيت غرابةً يتكلّم وينتفِّر ريشه ، فقال له الشيخ : أما المزرابُ فإنه  
اغتراب ، والبانة فرقاً !

فازداد كثيرون حزناً على حُزْنِه ، لما سمع من كلام الشيخ ، وجد في السير ، إلى  
أن وصل إلى دمشق ، ودخل من أحد أبوابها ، فرأى الناس يصلّون على جنازة ،  
فنزل وصَلَّى معهم ؛ فلما قصّيت الصلاة صاح صانع : لا إله إلا الله ! ما أغفلَك  
يا كثيرون عن هذا اليوم ! فقال له كثيرون : ما هذا اليوم ؟ فقال : إن هذه عزة  
قد ماتت وهذه جنازتها !

(١) البان : شجر .

(٢) نهد : قبيلة بالبين ، وهناك رواية أخرى لهذه القصة ، وفيها أنه قدم على حي من « لمب »  
(انظر : ١ - ١٣٦ من هذا الكتاب ، والأغاني : ص ٣٤ ج ٩) .

نَحْرَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ أَنْشَا يَقُولُ :

هَا أَعْرَفُ الْأَنْهَدَى ! لَا دَرَّ دَرَه ! وَأَزْجَرَهُ لِلطَّيْرِ لَا عَزَّ نَاصِرَهُ  
رَأَيْتُ غَرَابًا قَدْ عَلَا فَوْقَ بَانَةٍ يُنْتَفَ أَعْلَى رِيشِهِ وَيُطَاهِرِهِ  
فَقَالَ : غُرَابُ اغْتَرَابٍ مِّنَ النَّوْيِ وَبَانَةٌ بَيْنِ مِنْ حَبِيبٍ تُعَاشِرَهُ  
ثُمَّ شَهَقَ شَهَقَةً فَارَقَتْ رُوحُ الدُّنْيَا ، وَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ وَدُفِنَ مَعَ عَزَّةٍ فِي  
يَوْمٍ وَاحِدٍ .

## ٦٦ - إلى الخلوات يأنس فيك قلبِي \*

قال يونس الساكت :

كَنَا يَوْمًا مُتَنَزَّهِينَ بِالْقِيقِ أَنَا وَجَاهَةٌ مِنْ قُرْيَشٍ ، فَيَنْدَعُ عَلَى حَالِنَا إِذَا  
أَقْبَلَ ابْنُ عَائِشَةَ<sup>(١)</sup> يَمْشِي وَمَعْهُ غَلَامٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ ، وَهُوَ مُتَوَكِّلٌ عَلَى يَدِهِ ،  
فَلَمَّا رَأَى جَاهَتْنَا وَسَعَنِي أَغْنِيَ جَاءَنَا فَسَلَّمَ ، وَجَلَسَ إِلَيْنَا ، وَتَحْدَثَ مَعْنَا ، وَكَانَ  
الْجَاهَةُ تَعْرِفُ سَوْءَ خُلُقِهِ وَغَضَبَهِ إِذَا سُئِلَ أَنْ يُنْفَى ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ  
يَتَحَدَّثُونَ بِأَحَادِيثِ كُثِيرٍ وَجَيِيلٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الشِّعْرِ ، يَسْتَجِرُونَ بِذَلِكَ أَنْ  
يَطْرُبَ فَيُغَنَّى ، فَلَمْ يَمْجُدُوا عَنْهُ مَا أَرَادُوا .

فَقَاتَ لَهُمْ : لَقَدْ حَدَّثَنِي الْيَوْمُ بَعْضُ الْأَعْرَابِ حَدِيثًا يَا كُلُّ الْأَحَادِيثِ ، فَإِنْ  
شَتَّمْ حَدَّثَكُمْ إِيَاهُ ؛ قَالُوا : هَاتِ ، قَلْتَ : حَدَّثَنِي هَذَا الرَّجُلُ أَنَّهُ مِنْ بَنَاحِيَةِ  
الرَّبَّذَةِ<sup>(٢)</sup> إِذَا صَبَّيَانَ يَقْنَاطُسُونَ فِي غَدِيرِ ، وَإِذَا شَابَ جَيِيلَ مَهْوَكَ الْجَسْمِ ،  
عَلَيْهِ أَثْرُ الْعِلَةِ وَالثَّحُولِ فِي جَسِيمِهِ بَيْنَ ، وَهُوَ جَالِسٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ  
فَرَدَّ عَلَى السَّلَامِ وَقَالَ : مَنْ أَينَ وَضَحَ<sup>(٣)</sup> الرَّاكِبُ ؟ قَلْتَ : مَنْ الْحَمِيُّ ، قَالَ :  
وَمَتِي عَهْدُكَ بِهِ ؟ قَلْتَ : رَاجِحًا ، قَالَ : وَأَينَ كَانَ مَبِيتُكَ ؟ قَلْتَ : بِبَنِي فَلَانَ ،

\* سبط اللآلی : ١ - ٢ - ٢٣٢ - ١٥٢ ، الأمالی : ٣٨

(١) هو محمد بن عائشة، يكنى أبا جعفر، ولم يكن يعرف له أبا، فكان ينسب إلى أمها، وكان حسن الفتاء، غالباً بنفه، طريف المجلس، طيب الحديث على سوء في خلقه، وته في طبعه، توف نحو سنة ١٠٠ هـ.

(٢) الربذة: قرية على ثلاثة أميال من المدينة.

(٣) أي من أين بدا وطلع.

قال : أَوْهُ أَوْلَى بِنَفْسِهِ عَلَى ظَبْرِهِ ، وَتَنَفَّسَ الصَّمَدَاءَ قَالَتْ : إِنَّهُ قَدْ خَرَقَ حِجَابَ قَلْبِهِ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

سَقَى بَلَدًا أَمْسَتْ سُلَيْمَى تَحْمِلُهُ  
مِنَ الْمُزْنِ مَا يَرَوْى بِهِ وَيُسِيمُ<sup>(١)</sup>  
وَإِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْ قَاطِنِيهِ فَإِنَّهُ  
يَحْمُلُ بِهِ شَخْصًا عَلَى كَرِيمٍ  
أَلَا حَبَّذَا مَنْ لَيْسَ يَعْدِلُ قُرْبَاهُ  
لَدَىٰ - وَإِنْ شَطَّ الْمَزَارُ - نَعِيمٌ  
وَمَنْ لَامَنِي فِيهِ حَمِيمٌ وَصَاحِبٌ  
ثُمَّ سَكَنَ كَالْمَغْشَى عَلَيْهِ ، فَصَحَّتْ بِالصَّبَّيْةِ ، فَأَتَوْا بِمَاءِ ، فَصَبَّبَتْهُ عَلَى وَجْهِهِ ؛  
فَاقَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِذَا الصَّبُّ الْفَرِيبُ رَأَى خُشُوعَ  
وَأَقْسَاسِي تَزَيَّنَ بِالْخُشُوعِ  
وَلِي عَيْنٌ أَنْزَرَ بِهَا الْعِقَانِي  
إِلَى الْأَجْزَاعِ<sup>(٢)</sup> مُلْقَةً الدَّمْوعَ  
إِلَى الْخَلَوَاتِ يَأْنَسُ فِيكِ قَلْبِي  
كَأَنِّسَ الْغَرِيبُ إِلَى الْجَمِيعِ  
فَقَلَتْ لَهُ : أَلَا أَنْزَلْ فَأَسْاعِدَكِ ، أَوْ أَنْكُرْ عَوْدِي عَلَى بَدْئِي إِلَى الْحَمِيمِ إِنَّ  
كَانَتْ لَكَ فِيهِ حَاجَةٌ أَوْ رِسَالَةٌ ؟ فَقَالَ : جُزِيتَ خَيْرًا وَصَحِيقَتْ السَّلَامَةُ أَمْضِ  
لِطَيْبَتِكَ<sup>(٣)</sup> ، فَلَوْ أَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ تُنْفَى عَنِ شَيْئَنَا لَكُنْتَ مَوْضِعًا لِلرَّغْبَةِ وَحَقِيقَتَا  
بِإِسْعَافِ الْمَسْأَلَةِ ، وَلَكِنْكَ أَدْرَكْتَنِي فِي صُبَابَةِ مِنْ حَيَاةِي يَسِيرَةً ، فَانْصَرَفْتُ وَأَنَا  
لَا أَرَاهُ يُمْسِي لِي لَهِ إِلَّا مِيتًا .

قال القوم : ما أَعْجَبَ هَذَا الْحَدِيثُ ! وَانْدَفَعَ ابْنُ عَائِشَةَ فَقَنَى فِي الشِّعْرِيْنِ  
جَمِيعًا ، وَطَرَبَ وَشَرَبَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ، وَلَمْ يَرُلْ يَقْنِيْنَا إِلَى أَنْ اَنْصَرَفَنَا .

(١) يَسِيمُ : يَكُونُ صَالِحًا لِلْأَسَامَةِ بِمَا يَكُونُ مِنْ خَصْبٍ وَكَلَّا . (٢) الْأَجْزَاعُ جَمْ جَزْعُ : وَهُوَ جَانِبُ الْوَادِي وَمَنْطَقَهُ . (٣) لِطَيْبَتِكَ : لِوَجْهِتِكَ .

٦٧ — من لم يقِيدْ جوارِه أَنْعَبْ قلْبَه ! \*

حج عبد الملك بن مروان ، وحج معه خالد<sup>(١)</sup> بن يزيد بن معاوية - وكان من رجالات قريش المعدودين وعلمائهم ، عظيم القدر ، جليل المنزلة ، مهيب المجلس ، موقراً مُعظماً عند عبد الملك ، فبينما هو يطوف بالبيت إذ بصر برملة بنت الزبير ابن العوام . فمشقها عِشْقاً شديداً ، وأخذت بجميع قلبه ، وتغير عليه الحال ، ولم يملك من أمره شيئاً ، فلما أراد عبد الملك القُفُول هم خالد بالخلف عنه ، فبعث إليه فسأله عن أمره ، فقال : يا أمير المؤمنين ؟ رملة بنت الزبير رأيتها تطوف بالبيت ، فاذهلت عقلى ! فوالله ما أبديت لك ما بي إلا حين عيل صبرى ، ولقد عرّضت النوم على عيني فلم تقبله ، والسلو على قلبي فامتنع منه .

فأطال عبد الملك التعجب من ذلك ، وقال : ما كنت أقول : إن الموى يستأنس<sup>ُ</sup> مثلك ، فقال خالد : وإنني لأشد تمجيماً من تعجبك مني ، فقد كنت أقول : إن الموى لا يتسكن إلا من صنفين من الناس : الأعراب والشعراء ، أما الشعراء فإنهم أثزوا قلوبهم الفكر في النساء والغزل ، فقال طبعهم إلى النساء ، فضفت قلوبهم عن دفع الموى ، فاستسلموا له مُتقادين . وأما الأعراب فإن أحداً منهم باعمرأة فلا يكون الغالب عنده إلا حبّه لها .

وجلة أمرى : أنى ما رأيت نظرة حسنت عندي ركب الإنم مثل نظرى هذه .

\* محاضرات الأبرار : ٢٦ - ٢٧ ، الأناني : ١٦ - ٨٥

(١) هو خالد بن يزيد كان من رجالات قريش سخاء وعارضه وفصاحة ، وكان قد شغل نفسه بطلب الكتباء ، فأفني بذلك عمره ، وأدخل ذكره ، توفى سنة ٨٥ هـ .

فَقَبِسْمَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : أَوْ كُلُّ هَذَا بَلَغَكَ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عَرَفْتَ هَذِهِ  
البَلِيَّةَ قَبْلَ وَقْتِيِّ هَذَا .

فُوجِهَ عَبْدُ الْمَلِكَ إِلَى آلِ الزَّبِيرِ يَخْطُبُ رَمْلَةَ عَلَى خَالِدٍ ، فَذَكَرُوا لَهَا ذَلِكَ ،  
قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ أَوْ يُطْلَقُ نِسَاءُهُ ، فَطَلَقَ امْرَأَيْنِ كَانَتَا عَنْهُ ، وَتَزَوَّجَهَا وَظَمِنَ بِهَا  
إِلَى الشَّامِ ، وَفِيهَا يَقُولُ :

وَفِ كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَحَبِّنَا فَرُبَّا  
بِنَالِيَّسْ خَرْفًا<sup>(١)</sup> مِنْ هَامَةً وَنَقْبَا<sup>(٢)</sup>  
إِلَيْنَا وَإِنْ كَانَتْ مَنَازِلُهَا حَرْبًا  
وَلَانْ نَزَاتْ مَاءَ وَإِنْ كَانَ قَبْلَهَا  
مَلِيْحًا<sup>(٣)</sup> وَجَدْنَا مَاءَهُ بَارِدًا عَذْبًا  
لَرَمْلَةَ خَلْخَالًا يَجُولُ وَلَا قُلْبَا<sup>(٤)</sup>  
تَجَوَّلُ خَلَاخِيلُ النِّسَاءِ وَلَا أَرَى  
أَقْلُوْا عَلَى اللَّوْمِ فِيهَا فَإِنِّي  
أَحِبُّ بَنِي الْعَوَامَ طَرَّأْ لَهُّا  
وَمِنْ حَبْهَا أَحِبَّتْ أَخْوَاهَا كَلْبَا

أَلِيسْ يَزِيدُ السَّيْرُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ  
أَحِنَّ إِلَى بَنْتِ الزَّبِيرِ وَقَدْ عَدَتْ  
إِذَا نَزَلتْ أَرْضًا تُحَبِّبُ أَهْلَهَا  
وَلَانْ نَزَاتْ مَاءَ وَإِنْ كَانَ قَبْلَهَا  
مَلِيْحًا<sup>(٣)</sup> وَجَدْنَا مَاءَهُ بَارِدًا عَذْبًا  
لَرَمْلَةَ خَلْخَالًا يَجُولُ وَلَا قُلْبَا<sup>(٤)</sup>  
تَجَوَّلُ خَلَاخِيلُ النِّسَاءِ وَلَا أَرَى  
أَقْلُوْا عَلَى اللَّوْمِ فِيهَا فَإِنِّي  
أَحِبُّ بَنِي الْعَوَامَ طَرَّأْ لَهُّا  
وَمِنْ حَبْهَا أَحِبَّتْ أَخْوَاهَا كَلْبَا

فَلَمَّا وَقَفَ عَبْدُ الْمَلِكَ عَلَى هَذِهِ الْأَبِيَّاتِ نَظَمَ بِيَتًا وَدَسَّهُ لِيَكِيدَ بِهِ خَالِدًا ؛ لَأَنَّهُ  
كَانَ يَرُومُ الْخَلَافَةَ كَأَيِّهِ يَزِيدُ وَجَدَهُ مَعَاوِيَةَ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : يَا خَالِدَ ؛  
أَنْتَ الْقَائِلُ :

فَإِنْ تُسْلِمِي أُسْلِمَ وَإِنْ تَنْتَصِرَى تَنْهَطْ رَجَالٌ بَيْنَ أَعْيُّنِهِمْ صَلَبًا !

فَقَالَ خَالِدٌ : لَعْنَ اللَّهِ قَائِلِهِ ! فَخَجَّلَ عَبْدُ الْمَلِكَ وَلَامَ نَفْسَهُ .

(١) الْخَرْقُ : الْفَلَةُ الْوَاسِعَةُ . (٢) النَّقْبُ : الْطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ . (٣) الْمَلِيْحُ : الْمَلَحُ ، ضَدُّ  
الْعَذْبِ . (٤) الْقُلْبُ : سَوَارُ الْمَرْأَةِ ، يَرِيدُ أَنْ سَاقِهَا مَلِيْحَةً ، وَيَدِهَا عَبْلَةً ، فَلَا سَبِيلٌ إِلَى الْجَوْلِ .  
(٥) فَلَهَا صَفَاتُ النِّسَاءِ الْحَسَانَ ، كَمَا سَبِقَ ، وَلَهَا قَلْبٌ كَثُوبَ آلِ الزَّبِيرِ طَهَارَةً ، وَحَفَاظَ عَهْدَهُ .

## ٦٨ — غداً يكثر الباكون مِنَا وَمِنْكُمْ \*

---

قال أبو رِيحَانَة حاجب عبد الملك<sup>(١)</sup> بن مروان : كان عبد الملك يجلس في كل أسبوع يومين جلوساً عاماً للناس ؛ فيبنا هو جالس في مستشرف<sup>(٢)</sup> له ، وقد أدخلت عليه القصص إذ وقعت في يده قصة ، فيها : « إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريَّه فلانة أن تنتهي ثلاثة أصوات ، ثم يُنفِذ في ما شاء من حكمه فعل ! »

فاستشاطَ من ذلك غضباً ، وقال : يارَبَّاح ؟ علىَّ بصاحب هذه القصة !  
نفرج الناس جيماً ، وأدخل عليه غلامٌ من أجل الفتيان وأحسنهم ، فقال له عبد الملك : ياغلام ؛ أهذه قِصَّتك ! قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : وما الذي غررك مني ، والله لأمثلنَّ بك ولا زدَعَنَّ بك نُظَرَاءُك من أهل الجلسارة ! ثم قال : على بالخارية ، فحي ، بها كأنها فلقة قمر ا وبيدها عودها فطريح لها الكرسي ، فلست ، فقال عبد الملك : مُرْها ياغلام ؛ فقال لها : غنيمي يا جارية بشعر قيس ابن ذريع :

لقد كنت حَسْبَ النفس ، لو دام وُدُّنا ؛ ولكنَّ الدُّنيا متعَّدُ غرورِ  
وَكَنَا جيماً قبل أن يَظْهَرَ الموى بِأَنْمَ حَالَ غبْطَةٍ وَسُرُورٍ  
فَابْرَحَ الْاَشْوَانَ حَتَّى بَدَأْتُ لَنَا بِطُونُ الْهَوَى مَقْلُوبَةً لِظُهُورٍ

\* مصارع المشاق : ٢٥٣ ، نهاية الأرب . ٢٠ - ١٦٠

(١) عبد الملك بن مروان : من أعظم الخلفاء ، ثنا في المدينة فقيهاً واسع العلم وتوفى سنة ٥٨٦.

(٢) استشرف العيء : رفع بصره إليه ، والسكن مستشرف ، والمراد مجلسه العالى .

فَقَتَتْ ، بِخُرُجِ الْفَلَامُ بِجُمِيعِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنِ الثِّيَابِ تَخْرِيقًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ  
عَبْدُ الْمَلِكَ : مُرْهَا تُغْنِنَكَ الصَّوْتَ الثَّانِي ، قَالَ : غَنِينِي بِشِعْرِ جَمِيلٍ :  
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي ! هَلْ أَبَيْتَ لِيَلَةً بِوَادِي الْقُرْيَ ؟ إِنِّي إِذَنْ لِسَعِيدِ  
 إِذَا قُلْتُ : مَا بِي يَا بُتْنَيْنَةَ فَاتِلِي  
 مِنِ الْحَبِ ! قَالَتْ : ثَابِتْ وَيْزِيدُ  
 وَإِنْ قُلْتُ : رُدْدَى بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ  
 فَلَا أَنَا مَرْدُودٌ بِمَا جَثَتْ طَالِبًا  
 يَعْوِتُ الْمَوَى مَنْيَ إِذَا مَا لَقِيْتُهَا ، وَيَحْيَا إِذَا فَارَقْتُهَا فَيَمُودُ  
 فَقَتَتْ الْجَارِيَةُ ؛ فَسَقَطَ الْفَلَامُ مُغْشِيًّا عَلَيْهِ سَاعَةً ، ثُمَّ أَفَاقَ ؛ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكَ :  
 مُرْهَا فَلَقَتَنِكَ الصَّوْتَ الْثَّالِثَ ؛ قَالَ : يَا جَارِيَةً ؛ غَنِينِي بِشِعْرِ قَيْسِ بْنِ الْمَلَوْحِ :  
 وَفِي الْجَيْرِ الْفَادِيْنَ مِنْ بَطْنِ وَجْرَةٍ<sup>(١)</sup> غَزَالٌ غَصِيبِضُّ الْمُقْلَنَيْنِ رَبِيبٌ  
 فَلَا تَحْسَبِي أَنَّ الْفَرِيْبَ الَّذِي نَأَى وَلَكِنَّ مَنْ تَنَائِنَ عَنْهُ غَرِيبٌ !  
 فَقَتَتْ الْجَارِيَةُ ، فَطَرَحَ الْفَلَامُ نَفْسَهُ مِنَ الْمُسْتَشَرَفِ ، فَلَمْ يَصُلْ إِلَى الْأَرْضِ  
 حَقَّ قَطْعَهُ ؛ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : وَيَحْمَهُ ! لَقَدْ عَجَّلَ عَلَى نَفْسِهِ ! وَلَقَدْ كَانَ تَقْدِيرِي فِيهِ  
 غَيْرَ الَّذِي فَعَلَ ! وَأَمْرَ فَأُخْرِجَتِ الْجَارِيَةُ مِنْ قَصْرِهِ ؛ ثُمَّ سُأَلَ عَنِ الْفَلَامِ ؛ قَالُوا :  
 غَرِيبٌ لَا يُعْرَفُ إِلَّا أَنَّهُ مِنْذِ ثَلَاثَ يَنَادِي فِي الْأَسْوَاقِ وَيَدُهُ عَلَى رَأْسِهِ :  
 غَدًا يَكْثُرُ الْبَاكُونُ مِنَا وَمِنْكُمْ وَتَزَادُ دَارِي مِنْ دِيَارِكُمْ بَعْدًا

(١) وجْرَة: موضع بين مكة والبصرة.

٦٩ - وذو الشوق القديم وإن تعزى

## مشوقٌ حينَ يلقي العاشقينا\*

بِينَا عُمَرَ<sup>(١)</sup> بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ يطوفُ بِالبيتِ فِي حَالٍ نُسْكِهِ - وَكَانَ قَدْ حَفِظَ أَلَّا يَقُولُ بِيتَ شِعْرٍ إِلَّا أَعْنَقَ رَقْبَةَ - فَإِذَا هُوَ بِشَابٍ قَدْ دَنَا مِنْ شَابَةَ ظَاهِرَةِ الْجَمَالِ فَأَلْقَى إِلَيْهَا كَلَامًا ، قَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ؛ فِي بَلْدَ اللَّهِ الْحَرَامِ وَعَنْدَ بَيْتِهِ تَصْنَعُ هَذَا ! قَالَ : يَا عَمَّاهَ ؛ إِنَّهَا ابْنَةُ عَمِّي ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ؛ وَإِنِّي عَنْهَا لَكَذَلِكَ ، وَمَا كَانَ بِيْنِي وَبِنَهَا مِنْ سُوءٍ قَطُّ أَكْثَرُ مَا رَأَيْتَ ، قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا فَلانُ بْنُ فَلانٍ ، قَالَ : أَفَلا تَنْزَوْجُهَا ؟ قَالَ : أَبَيْ عَلَىٰ أَبُوهَا . قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : يَقُولُ : لِيْسَ لَكَ مَالٌ ؟ قَالَ : انْصِرْفْ وَالْقَنِيْ .

فَلَقِيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَدَعَا بِيَغْلِيْتَهُ فَرَكَبَهَا ؛ ثُمَّ أَتَى عَمَّ الفَقِيْفِي فِي مَنْزِلِهِ نَخْرُجُ إِلَيْهِ ، وَفَرَحَ بِمَجِيْئِهِ ، وَرَحِّبَ وَقَرَّبَ ، ثُمَّ قَالَ : مَا حَاجَتُكَ يَا أَبا الْخُطَابِ ؟ قَالَ : لَمْ أُرْكِنْ مِنْذُ أَيَّامٍ فَاشْتَفَتُ إِلَيْكَ ! قَالَ : فَانْزَلْ . فَانْزَلَهُ وَأَلْطَافَهُ<sup>(٢)</sup> ، قَالَ لَهُ عُمَرُ فِي بَعْضِ حَدِيثِهِ : إِنِّي رَأَيْتُ ابْنَ أَخِيَّكَ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ جَمَالِهِ وَشَبَابِهِ ، قَالَ لَهُ : أَجَلَ ! مَا يَفِيْبُ عَنْكَ أَفْضَلُ مَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : فَهَلْ لَكَ مِنْ وَلَدٍ ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا

\* الأغاني : ١ - ١٤٥ ، الحسان والأضداد : ٣٥٩ ، العقد الفريد : ١ - ٩

(١) كان عمر بن أبي ربعة أشعراً قريشاً ، ولكنه اختفى في شعره بوصف النساء ، ولم يصف سواهن ، ولوه في التشبيب طريقة عرفت باسمه سلوكها الشعراً ، وشيب بكثيرات من النساء ، توفى سنة ٩٣ هـ . (٢) ألطافه : بره.

فلانة . قال : فما يمنعك أن تزوجه إياها ؟ قال : إنه لا مال له ، قال : فإن لم يكن له مال فلك مال ، قال : فإني أضيق به عنه . قال : لكنني لا أضيق به عنه ، فزوجها الفتى . واحتستكم ، قال : مائة دينار ، قال : نعم ! فدفعها عنه ، وتزوجها الفتى .

وانصرف عمر إلى منزله ، فقامت إليه جارية من جواريه ، فأخذت رداءه ، وألق بنفسه على الفراش وجعل يتقلب ، فأنته بطعام فلم يتعرّض له ؟ فقالت له : إن لك لأمراً ، أو أراك ترید أن تقول شعراً ، فقال : هاتي الدواة فكتب :

تقول وليسني لما رأتهني طربت<sup>(١)</sup> وكنت قد أقصرت<sup>(٢)</sup> حيناً  
أراك اليوم قد أحذنت شوقاً وهاج لك الهوى داء دفينا  
وكلت زعمت أنك ذو عزاء إذا ما شئت فارقت القرينا  
بربك هل أتاك لها رسول<sup>(٣)</sup> فشافت أم لقيت لها خدينا<sup>(٤)</sup> ؟  
فقلت : شكا إلى أخْ حب<sup>(٥)</sup>  
فقص على ما يلقي بهندي<sup>(٦)</sup>  
وذو الشوق القديم وإن تعزى مشوق حين يلقي العاشقينا  
وكم من خلة<sup>(٧)</sup> أعرضت عنها لغير قلبي وكنت بها ضئينا  
أردت بعادها فصدت عنها ولو جنَّ الفؤاد بها جنونا  
نم دعا نسمة من رقيقة فاعتقهم لـ كل بيت واحد !

(١) طربت : حزنت . (٢) أقصرت : نزعت عنه وأنا قادر عليه ، وكفت . (٣) الخدين : الصديق ، ومنه الخدن ، وهو محدث الجارية ، وكانت العرب لا يتنعون من خدن يحدث الجارية ، بغاء الإسلام بهمده . (٤) الخلبة : الخلبلة .

## ٧٠ — قضى كل ذي دين فوقَ غَرِيمَه وعزَّة مَطْولٌ مُعْنَى غَرِيمَه \*

---

كان أول علاقة كثيرة<sup>(١)</sup> بعزة أنه خرج من منزله خلفَ غنمٍ يسوقها إلى الجار<sup>(٢)</sup>؛ فلما كان بالخربت<sup>(٣)</sup> وقفَ على نسوةٍ من بني ضمرة؛ فسألها عن الماء، قلنَ لعزَّة - وهي جاريةٌ حبَّ كَبَ<sup>(٤)</sup> تَدِيَاها : أَرْشِدِيهِ إِلَى الماء ، فأشدتهُ وأعجبتهُ .

فيينا هو يسوق غنمَه إذ جاءتهُ عزَّة بدر ابراهيم ، فقالت : يقلنَ لك النسوةُ : يعني بهذه الدراما كيشاً من ضائقتك . فأمرَ الغلامَ فدفعَ إليها كيشاً ، وقال لها : رُدّي الدراما وقولي لهنَّ : إذا رحتُ بكنَ اقتضيتُ حقَّ .

فلا راح مرَّ بِهِنَّ ؛ فقلنَ له : هذا حقُّك فخذله . فقال : عزَّة غَرِيمِي ، ولستُ أقضى حقَّ إلا منها . فزَحْنَ معه ، وقلنَ : ويحيى ! عزَّة جاريةٌ صغيرة ، وليس فيها وفاةٌ لحقُّك فاحله على إحدانا ، فإننا أَمْلأَ به وأسرعَ له أداء . فقال : ما أنا بِمُحِيلِ حقَّ عنها . ومضى لوجهه ، ثم رجع إليها حين فرغ من بيع جلبه<sup>(٥)</sup> فأنسدهنَ فيها :

---

\* الأغانى : ٩ - ٢٥

(١) هو كثير بن عبد الرحمن ، كان رافضياً شديداً في التعصب لآل أبي طالب ، ومعشوقة عزة بنت حيد من ضمرة ، وكانت من أجمل النساء وأدبهن وأعقلهن ، ويقال إنه لم ير لها وجهها ، إلا أنه استهام بها لما ذكر له عنها ، توفي سنة ١٠٥ هـ . (٢) الجار : موضع بساحل البحر قريب من المدينة . (٣) الخربت : الوادي العميق الضيق . (٤) نهد تدياها . (٥) الجلب : ما جلب من الملوان .

نظرتُ إِلَيْهَا نَظَرَةً وَهِيَ عَارِيَّةٌ<sup>(١)</sup>  
عَلَى حِينَ أَنْ شَبَّتْ وَبَانَ نُهُودُهَا  
وَقَدْ دَرَّعُوهَا<sup>(٢)</sup> وَهِيَ ذَاتُ مُؤَصَّدٍ<sup>(٣)</sup>  
جَحْوَبٌ<sup>(٤)</sup> وَلَمَّا يَلْبَسَ الدَّرْعَ رِبْدُهَا<sup>(٥)</sup>  
مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ وَدَ جَلِيسُهَا  
إِذَا مَا أَنْقَضْتَ أَخْدُوتَةً لَوْ تُسِيدُهَا  
وَقَالَ :

فَقَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوْقَى غَرِيمَهَا  
وَعَزَّةُ سَمْطُولٍ مَعْنَى غَرِيمَهَا  
فَقُلْنَ لَهُ : أَبِيتَ إِلَّا عَزَّةً ! وَأَبْرَزْنَهَا إِلَيْهِ وَهِيَ كَارِهَهُ . ثُمَّ أَحْبَبْتَهُ عَزَّةَ بَعْدِ  
ذَلِكَ أَشَدَّ مِنْ حُبِّهِ إِلَيْهَا .

---

(١) العائق : المخارية أو أول ماندوك . (٢) الدرع : القبيع . (٣) المؤسد : صدار تلبسه الفتاة الصغيرة فإذا أدركت درعت . (٤) الجحوب : الذي له جيب . (٥) الريد : الترب واللند .

## ٧١ - تُفْنِيه فيموت \*

كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجهها، وأكلهم عقلاً، وأفضلهم أدباً، قرأت القرآن ورأت الأشعار، وتعلمت القراءة، فوجئت عند يزيد<sup>(١)</sup> بن عبد الملك، فأخذت بمجامع قلبه؛ فقال لها ذات يوم: ويحك! أمّا لك قرابة أو أحد يحسن أن أصنطنه، أو أسدّي إليه معرفة؟ قالت: يا أمير المؤمنين؛ أمّا قرابة فلا، ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لولائي، كنت أحِب أن ينالهم من خير ما صرت إليه.

فسكت إلى عامله بالمدينة في إشخاصهم، وأن يعطي كلَّ رجل منهم عشرة آلاف درهم، وأن يُعجل بسرّاجهم إليه.

فعمل عامل المدينة ذلك؛ فلما وصلوا إلى باب يزيد استأذنوا، فأذن لهم، وأكرمهم، وسالم حواجهم؛ فأمّا الانسان فذكرا حواجهما فقضاهما لهما؛ وأمّا الثالث فسأله عن حاجته، فقال: يا أمير المؤمنين؛ مالي حاجة. قال: ولم؟ ألسْت أقدر على حواجك؟ قال: يا أمير المؤمنين، ولكن حاجتي لا أحسبك تقضيها، قال: ويحك! فسلني فإنك لا تسألني حاجة أقدر عليها إلا قضيتها، قال: ولِي الأمانُ يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، وكرامة. قال: إن رأيت أن تأمر جاريتك فلانة

\* العقد الفريد: ٤ - ١٢٥

(١) يزيد بن عبد الملك: من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد في دمشق، وتوفي بها سنة ١٠٠ هـ.

التي أكرمتنا لها أن تغتني ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال فافعل .

ففجأً وجه يزيد؛ وقام من مجلسه - فدخل على الجارية ، فأعلمها ، فقالت :  
وما عليك يا أمير المؤمنين ! افعل ذلك ، فلما كان من الغد أمر بالفتى فأخضر ،  
وأمر ثلاثة كراسى من ذهب فأليقى ، فقد يزيد على أحدها ، وقدت الجارية  
على الآخر ، وقد الفتى على الثالث ، ثم دعا بطعام ف Gundawa جيما ، ثم دعا بصنوف  
الرياحين والطيب فوُضعت ، ثم أمر ثلاثة أرطال فلئت ، ثم قال الفتى : قل  
ما بدأ لك ، سل حاجتك ، قال : تأمرها أن تغتني :

لا أستطيع سُوا عن موتها      أو يصنع الحب في فوق الذي صنعا  
أدعوا إلى هجرها قلبي فيسعدني      حتى إذا قلت : هذا صادق نزعا  
فأمرها فغنت ؛ فشرب يزيد ، وشرب الفتى ، ثم شربت الجارية ، ثم أمر  
بالأرطال فلئت ، ثم قال الفتى : سل حاجتك . قال : تأمرها أن تغتني :  
تخبرت من نعمان<sup>(١)</sup> عود أراكة هند ، ولكن من يبلغه هندا  
ألا عرجابي ؟ بارك الله فيكما وإن لم تكن هند لأرضكما قصدا  
فغنت بهما ، وشرب يزيد ، ثم الفتى ، ثم الجارية . ثم أمر بالأرطال فلئت ،  
ثم قال الفتى : سل حاجتك . قال : يا أمير المؤمنين ، مُرها تغتني :  
من الواصال ومنكم المجر حتى يفرق بيننا الدهر  
والله ما أسلوكم أبداً ما لاح نجم أو بدا فجر

---

(١) نعمان : اسم واد.

فلم تأتِ على آخر الأبيات حتى خرَّ الفتى مُفْشِيًّا عليه . فقال يزيد للبخارية : انظري ما حاله ؟ فقامت إليه ، فخرَّ كته فإذا هو ميَّت ، فقال لها : ابكِيه . قالت : لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حيٌّ . قال لها : ابكِيه ، فوالله لو عاش ما انصرف إلَّا بكِ ؛ فبَكَتْه ، وأمر بالفتى فاحسِنْ جهازه ودفنه<sup>(١)</sup> !

---

(١) روى أن مثل هذا حصل مع جارية للرشيد (انظر صفحة ١٦٣ ج ٢ من نهاية الأربع) .

٧٢ — فَاصْنَتْ نَفْسُهَا عَلَيْهِ \*

قال محمد بن قينس :

وَجَهْنِي عَامِلُ الْمَدِينَةِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ - وَهُوَ إِذْ ذَاكَ خَلِيفَةً - فَلَا  
خَرَجَتُ عَنِ الْمَدِينَةِ إِذَا أَنَا بِأَمْرِ امرأَةٍ جَالِسَةٍ عَلَى الطَّرِيقِ، وَشَابٌ نَّاَمٌ، وَهُوَ يَتَلوُ  
وَرَأْسَهُ يَسْقُطُ فِي حِجْرَاهَا، وَكَلَّا سُقْطَهُ أَعْدَتْهُ مَكَانَهُ . فَسَلَّتْ، فَرَدَّتِ السَّلَامَ  
وَالشَّابُ مُشْفُولٌ بِنَفْسِهِ - فَسَأَلَتُهَا عَنْهُ، قَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ هَلْ لَكَ فِي الْأَجْرِ  
وَالْمَثُوبَةِ ؟ قَلَتْ : لَا أَبْنَى سَوَاهَا .

قَالَتْ : هَذَا وَلَدِي، وَكَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ عَمْ تَرْبَيَّاً مَعَا، وَشُفِّفَتْ بِهِ، وَشُفِّفَتْ بِهَا،  
وَعْلَمَ بِذَلِكَ أَبُوهَا، وَعْلَمَ بِهَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ؛ فَجَبَّهَا عَنْهُ، وَكَانَ يَأْتِي المَوْضَعَ وَالْخِلَابَاءَ<sup>(١)</sup>  
فِيَسْكِنِي، ثُمَّ خَطَبَهَا مِنْ أَيْمَانِهَا، فَأَبَى أَنْ يَزُوَّجَهُ؛ لَأَنَّا نَرَى ذَلِكَ عَيْنًا، أَنْ تُزَوَّجَ  
امْرَأَةً لِرَجُلٍ كَانَ يَحْبُبُهَا . ثُمَّ خَطَبَهَا رَجُلٌ غَيْرُهُ؛ فَزَوَّجَهَا أَبُوهَا مِنْهُ مِنْذَ خَسْتَةِ أَيَّامٍ،  
وَهُوَ عَلَى مَاتِرِي؛ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ وَلَا يَعْقِلُ، فَلَوْ نَزَّلْتَ إِلَيْهِ، وَتَحْدَثَتْ مَعَهُ  
وَوَعْظَتْهُ وَسَلَيَّتْهُ، فَلَعَلَّهُ يَسْكُنُ إِلَى حَدِيثِكَ، وَيَتَقوَّتُ بِشَىءٍ مِنَ الْطَّعَامِ !

قال محمد : فَنَزَّلْتُ وَدَنَوْتُ مِنْهُ، وَنَطَقْتُ بِهِ؛ فَرَجَعَ إِلَى طَرْفَةَ وَقَالَ بِصَوْتِ  
حَزِينٍ :

\* المختار من نوادر الأخبار ، نهاية الأرب : ٢ - ١٨٧

(١) الخباء من الأبنية ، يكون من وبر أو صوف أو شعر .

أَلَا مَا لِلْمُلِيهَةِ لَا تَعُودُ !  
 أَبْجُلُّ بِالْمَلِيْحَةِ أَمْ صَدُودُ ؟  
 مَرْضَتُ فَعَادَنِي أَهْلِ جَيْعَانَ  
 فَاللَّكِ لَا نَرَى فِيمَنْ يَعُودُ ا  
 قَدْنَتُكِ بَيْنَهُمْ فَبِكِيمْ شَوَقَّاً،  
 وَفَقْدُ الْإِلْفِ يَاسَلِي شَدِيدُ  
 وَمَا اسْتَبْطَلَتْ غَيْرَكِ فَاعْلَمِيهِ  
 وَحَوْنَى مِنْ ذَوِي رَحْمَى عَدِيدُ  
 فَلَوْ كَنْتِ الْمَرِيْضَةَ كَنْتُ أَسْعَى  
 إِلَيْكِ وَلَمْ يُنْهَنْهَى الْوَعِيدُ !

ثُمَّ سَكَنَ ، فَنَظَرَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى وَجْهِهِ وَصَرَخَتْ وَقَالَتْ : وَاللهِ فَاضَتْ نَفْسُهُ !  
 قَالَتْهَا وَاللهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ . فَفَشَلَنِي مِنْ ذَلِكَ هُمْ وَغَمْ . وَلَمَّا رَأَتِ الْمَجْوَزَ مَا حَلَّ بِي  
 عَلَيْهِ مِنَ الْحَزَنِ قَالَتْ : يَا وَلَدِي ؟ هُوَنِ عَلَيْكِ ، وَاللهِ لَقَدْ اسْتَرَاحَ مَا كَانَ فِيهِ ،  
 عَاشَ بِأَجْلِي ، وَمَاتَ بِقَدْرِي ، وَقَدِيمٌ عَلَى رَبِّ كَرِيمٍ ، وَاسْتَرَاحَ مِنْ تَبَارِيْحِهِ وَغُصَصِهِ  
 فَهَلْ لَكَ فِي اسْتِكَالِ الْأَجْرِ ؟ قَلَتْ : قَوْلِي مَا أَحْبَبْتُ ، قَالَتْ : هَذَا الْحَيَّ مِنْكَ  
 قَرِيبٌ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَنْفَعَ لِمَالِهِمْ تَنْعِيْهَهُمْ ، وَتَسَأَلُهُمُ الْحَضُورَ لِيُعِينُونِي عَلَى  
 مُوَارَّاتِهِ فَافْعُلْ .

قَالَ مُحَمَّدٌ : فَرَكَبْتُ وَأَتَيْتُ الْحَيَّ ، فَنَعِيْتُهُ لَهُمْ ، وَأَخْبَرْتُهُمْ بِصُورَةِ أَمْرِهِ ، فِيْنَا  
 أَنَا أَدُورُ فِي الْحَيَّ إِذَا أَنَا بِأَمْرِهِ خَرَجْتُ مِنْ خِبَائِهَا تَجْرِيْخَارَهَا ، نَاسِرَةَ شَعْرَهَا ،  
 قَوْلَاتِ لِي : أَيْهَا النَّاعِي ؟ مَنْ تَنْعَيَ ؟ قَلَتْ : فَلَانُ ، فَقَالَتْ : بِاللهِ عَلَيْكُ ، مَاتَ ا  
 قَلَتْ : نَعَمْ ، قَالَتْ : هَلْ سَمِعْتَ مِنْهُ شَيْئًا قَبْلَ مَوْتِهِ ؟ قَلَتْ : نَعَمْ ، وَأَنْشَدَهَا الشِّعْرُ ،  
 فَاسْتَعْبَرَتْ بِأَكِيَةٍ ، وَأَنْشَأَتْ تَقْوِيلَ :

عَدَانِي أَنْ أَزُورَكِ يَا حَمِيَّيِي  
 معاشرَ كُلِّهِمْ وَاشِي حَسُودُ  
 أَشَاعُوا مَا عَلِمْتَ مِنْ الرِّزاِيَا  
 وَعَابُونَا ، وَمَا فِيهِمْ رَشِيدٌ

فَأَمَا إِذْ ثَوَّيْتِ الْيَوْمَ لَهُدًا فَدُورُ النَّاسِ كُلُّهُمْ لَهُودٌ  
فَلَا طَابَتْ لِي الدِّينِا حَيَاةً وَلَا سَحَّتْ عَلَى الْأَرْضِ الرُّعُودُ  
نَمْ خَرَجَتْ مَعَ الْقَوْمِ ، وَهِيَ تُوَلِّهِ حَتَّى انتَهَيْنَا إِلَى الْفَلَامِ ، فَفَسَلَنَاهُ وَصَدَّيْنَا  
عَلَيْهِ وَدَفَنَاهُ ، فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا عَنْ قَبْرِهِ جَمِلَتْ تَصْرُخُ وَتَلْطُمُ .  
ثُمَّ رَكِبْتُ وَمَضَيْتُ ، وَهِيَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . فَأَتَيْتُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَنَاوْلَهُ  
الْكِتَابَ ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ أُمُورِ النَّاسِ وَمَا رَأَيْتُهُ فِي طَرِيقِي ، فَأَخْبَرَهُ أَخْبَرَهُ أَخْبَرَهُ ، فَقَالَ لِي :  
يَا مُحَمَّدٌ ؛ امْضِ السَّاعَةَ قَبْلَ أَنْ تَشْتَغِلَ فِي غَيْرِ هَذَا حَتَّى تَمْرَ بِأَهْلِ الْفَتِي وَبْنِ عَمِّهِ  
وَتَمْضِي بَعْدِهِمْ إِلَى عَامِلِ الْمَدِينَةِ ، فَتَأْمِرَهُ أَنْ يُشَبِّهَهُمْ فِي شَرْفِ الْعَطَاءِ ، وَإِنْ كَانَ  
أَصَابَ الْجَارِيَةَ مَا أَصَابَهُ فَافْعُلْ بِأَهْلِهِ كَمَا فَعَلْتَ بِأَهْلِهِ ؛ وَارْجِعْ حَتَّى تَخْبَرَنِي بِالْخَبَرِ  
وَتَأْخُذْ جَوَابَ الْكِتَابِ .

قَالَ مُحَمَّدٌ : نَفَرَجْتُ حَتَّى انتَهَيْتُ إِلَى قَبْرِ الْفَلَامِ ، فَوَجَدْتُ بِجَانِبِهِ قِبْرًا آخَرَ ،  
فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، قَالُوا : هَذَا قِبْرُ الْجَارِيَةِ ، لَمْ تَزُلْ تَصْرُخُ وَتَلْطُمْ حَتَّى فَاضَتْ نَفْسُهَا ،  
وَدُفِنَتْ بِجَانِبِهِ ، فَدَفَعْتُ أَهْلَهُمَا وَمَضَيْتُ بَعْدِهِمْ إِلَى عَامِلِ الْمَدِينَةِ ، فَأَنْبَتَهُمْ فِي شَرْفِ  
الْعَطَاءِ ، وَعُدْتُ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَأَجَازَنِي عَلَى ذَلِكَ جَائِزَةً حَسَنَةً .

---

## \* ٧٣ — يوتن في وقت واحد\*

قال أبو مالك الراوية :

سمعتُ الفرزدقَ<sup>(١)</sup> يقول : أبْنَى<sup>(٢)</sup> غلاماً لرجلٍ مَنَا يقال له الأَخْضَرُ، فَدَنَّتِي  
قال : خرَجْتُ فِي طَلَبِهِمَا ، وَأَنَا عَلَى نَاقَةٍ عَيْسَاءَ كَوْمَاءَ<sup>(٣)</sup> أَرِيدُ الْيَامَةَ ، فَلَا  
صَرَّتْ فِي مَاءِ لَبْنِي حَنِيفَةَ ارْتَقَعْتُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَّقَتْ وَأَرْخَتْ عَزَّ إِلَيْهَا<sup>(٤)</sup> ;  
فَعَدَلَتْ إِلَى بَعْضِ دِيَارِهِمْ وَسَأَلَتِ الْقِرَائِيَّ ؟ فَأَجَابُوا .

فَدَخَلْتُ دَارَ الْمَمْ، وَأَنْخَتُ النَّاقَةَ، وَجَلَسْتُ تَحْتَ ظُلْلَةَ<sup>(٥)</sup> لَمْ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ،  
وَفِي الدَّارِ جُوَيْرِيَّةَ لَمْ سُودَاءَ ؛ فَدَخَلْتُ جَارِيَةَ كَانَهَا سَبِيْكَةَ فَضْلَةَ، وَكَانَ عَيْنِيهَا  
كَوْكَبَانَ دُرْيَانَ ؛ فَسَأَلَتِ الْجَارِيَّةَ : لَمْنَ هَذِهِ الْعَيْسَاءَ ؟ « تَعْنِي نَاقَتِي » . قَالَتْ :  
لَضِيقَكُمْ هَذَا .

فَعَدَلَتْ إِلَيْيَّ قَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَرَدَدَتْ عَلَيْهَا السَّلَامُ ؛ قَالَتْ لِي : مَنْ  
الرَّجُلُ ؟ قَلَتْ : مَنْ بَنِي حَنْظَلَةَ . قَالَتْ : مَنْ أَبْيَهُمْ ؟ قَلَتْ : مَنْ بَنِي نَهْشَلَ .  
فَبَسَّتْ وَقَالَتْ : أَنْتَ إِذْنَ مَنْ عَنَاهُ الْفَرْزَدُقُ بِقَوْلِهِ :  
إِنَّ الَّذِي سَمَّكَ<sup>(٦)</sup> السَّمَاءَ بَنِي هَلَّا بِيَقَانَ دَعَائِمَهُ أَعَزَّ وَأَطْوَلَ

\* الأغاني : ٨ - ٤ \*

(١) الفرزدق : همام بن غالب ، من صعصعة ، شاعر عظيم الأثر في اللغة ، وهو صاحب الأخبار  
مع جرير والأخطل ، توفي سنة ١١٠ هـ . (٢) أبْنَى : هرب . (٣) الميساء من الإبل :  
التي يضرب لونها إلى الأدمة ، والكوماء : عظيمة السنام طويته . (٤) العزالى : جمع عزلاء ، والزلاء  
في الأصل : مصب الماء من القربة والراوية . (٥) الظللة : الشيء يستتر به من المطر والبرد .  
(٦) سَمَّك السَّمَاءَ : رفِّها .

يَسِّرْ بَنَاءً لَنَا الْلَّهِكُ وَمَا بَنَى مَلْكُ السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ لَا يُنَقْلِّ  
 يَسِّرْ زُرَارَةً مُخْتَبِ بِفِنَائِهِ وَمُجَاشِعَ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهَشَلَ<sup>(١)</sup>  
 قَلْتَ : نَعَمْ ، جَعَلْتُ فَدَاكِ ا وَأَعْجَبْنِي مَا سِيمَتْ مِنْهَا . فَضَحَكَتْ وَقَالَتْ :  
 فَإِنَّ ابْنَ الْخَطَافَ<sup>(٢)</sup> قَدْ هَدَمْ عَلَيْكُمْ يَقِيمَكُمْ هَذَا الَّذِي فَخَرَّمْ بِهِ حِيثُ يَقُولُ :  
 أَخْزَى الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ مُجَاشِعًا وَبَنَى بَنَاءَكَ بِالْحَضِيرِ الْأَسْفَلِ  
 يَسِّرْ يُحَمِّمَ قَيْمَكُمْ<sup>(٣)</sup> بِفِنَائِهِ دَرِسًا مَقَاعِدُهُ خَبِيثَ الْمَدْخَلِ  
 فَوَجَّهْتُ .

فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ فِي وِجْهِي ؛ قَالَتْ : لَا عَلَيْكَ ! فَإِنَّ النَّاسَ يَقَالُ فِيهِمْ وَيَقُولُونَ .  
 نَعَمْ قَالَتْ : أَيْنَ تَوْمَ<sup>(٤)</sup> ؟ قَلْتَ : الْيَمَامَة . فَتَنَفَّسَتِ الصَّعْدَاءِ ؛ نَعَمْ قَالَتْ : هَاهِي تِلْكَ  
 أَمَامَكَ ؛ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

تَمَدَّ كَرْمِي بِلَادًا خَيْرًا أَهْلِي بِهَا أَهْلُ الْمُرْوَةِ وَالْكَرَامَةِ  
 أَلَا فَسَقِي إِلَاهًا أَجَشَ صَوْبَا<sup>(٥)</sup> يَسْحَعْ بَدْرَهُ بَلَدَ الْيَمَامَةِ  
 وَحِيَّا بِالسَّلَامِ أَبَا تُجَيْدِي فَاهْلَ لَتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِةِ  
 قَالَ : فَأَنِسْتُ بِهَا وَقَلْتُ لَهَا : أَذَاتُ خِدْنَ أَمْ ذَاتُ بَعْلٍ ؟ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :  
 إِذَا رَقَدَ النَّيَامَ فَإِنَّ عَمَرًا تُورَّقُهُ الْمَهْمُومُ إِلَى الصَّبَاحِ  
 تُقطَعُ قَلْبَهُ الذَّكْرِي وَقَلْبِي فَلَا هُوَ بِالْخَلِيلِ وَلَا بِصَاحِبِ  
 سَقِيَ اللَّهِ الْيَمَامَةَ دَارَ قَوْمٌ بِهَا عَمْرٌ وَيَخِنُ إِلَى الرَّوَاحِ

(١) زُرَارَة وَمُجَاشِع وَنَهَشَل : مِنْ سَادَةِ تَمِيم ، قَوْمِ الْفَرْزَدقِ .

(٢) جَرِير . (٣) يُحَمِّم : يَسْخَن ، وَالْقَيْن : الْحَدَاد ، يُثْبِرُ إِلَى أَنْ مُجَاشِعًا قِبَلَةِ الْفَرْزَدقِ كَانَ قِيَوْنًا لَعِيدًا كَانَ لِصَعْصَعَةَ بْنَ نَاجِيَة ، فَنَسَبَ جَرِيرَ غَالِبًا أَبَا الْفَرْزَدقِ إِلَى الْقَيْن . (٤) تَقَدَّد .

(٥) الصَّوْب : بَعْجِي " السَّمَاوَاتِ بِالْمَطْرِ ، وَالْأَجْشُ : الصَّوْتُ الْمُرْتَفَعُ .

فقلت لها : مَنْ عَرَوْهُ هَذَا ؟ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :

سَأَلَتْ ، وَلَوْ عَلِمْتَ كَفَتَّ عَنْهُ وَمَنْ لَكَ بِالْجَوَابِ سَوَى الْخَبِيرِ ؟  
فَإِنْ تَكُّ ذَا قَبُولٍ إِنَّ عَمْرًا هُوَ الْقَمْرُ الْمُضِيُّ الْمُسْتَنِيرُ<sup>(١)</sup>  
وَمَا لِي بِالْتَّبَعُّلِ<sup>(٢)</sup> مُسْتَرَاحٌ وَلَوْ رَدَّ التَّبَعُّلُ لِي أَسْيَرِي  
ثُمَّ سَكَتَ سَكْنَةً كَانَهَا تَنْسِمُ إِلَى كَلَامِيْ ، ثُمَّ تَهَافَتَتْ<sup>(٣)</sup> وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :  
يُخَيِّلُ لِي هَيَا عَرَوْ بْنُ كَعْبٍ كَانَكَ قدْ حُمِّلْتَ عَلَى سَرِيرِي  
بِسِيرِ بَكَ الْمَوْيَنِيِّ الْقَوْمُ لَمَّا رَمَاكَ الْحَبَّ بِالْعَلَقِ<sup>(٤)</sup> الْعَسِيرِ  
فَإِنْ تَكُّ هَكَذَا يَا عَمْرُو إِنِّي مُبَكِّرَةٌ عَلَيْكَ إِلَى الْقَبُورِ  
ثُمَّ شَهَقَتْ شَهَقَةً فَخَرَّتْ مَيِّتَةً .

فقلت لهم : مَنْ هَذِه ؟ قَالُوا : هَذِه عَقِيلَةُ بْنُ الضَّحَّاكِ . فقلت لهم : فَنْ عَرَوْ  
هَذِه ؟ قَالُوا : ابْنُ عَمِّهَا ، فَارْتَحَلَتْ مِنْ عَنْهُمْ .  
فَلَمَّا دَخَلَتِ الْيَمَامَةَ سَأَلَتْ عَنْ عَمْرِي وَهَذَا ؛ فَإِذَا هُوَ قَدْ دُفِنَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ  
الَّذِي قَالَتِ فِيهِ مَا قَالَتْ ।

(١) فِي الْبَيْتِ إِلْقَاءِ ، وَهُوَ اخْتِلَافُ حَرْكَةِ الرَّوْيِ . (٢) تَبَعَّلَتِ الْمَرْأَةُ : أَطَاعَتْ بِعْلَهَا أَوْ تَزَينَتْ لَهُ .

(٣) تَسَاقَطَتْ مِنْ ضَعْفِهَا وَخُورَهَا . (٤) الْعَلَقُ : الْمَوْيَنِيُّ ، يَكُونُ لِلرَّجُلِ فِي الْمَرْأَةِ .

## ٧٤ — رحلت ميّة ولم ييق إلـا الـديار\*

قال أبو صالح الفزارى : تَذَكَّرْ نَا يوْمًا ذَا الرَّمَّةِ<sup>(١)</sup> ؟ فقال لنا عِصْمَةُ بْنُ مَالِكَ الفزارى - وكان قد بلغ عشرين ومائة سنة : إِيَّاهُ فَاسْأَلُوا عَنْهُ ؟ كَانَ حُلُونِيَّا، خَفِيفَ الْعَارِضِينَ، بَرَاقَ التَّنَابِيَا، وَاضْحَى الْجَبِينَ، حَسْنَ الْحَدِيثَ، إِذَا أَنْشَدَ بَرْ بَرْ وَجَشَ صَوْتَهُ<sup>(٢)</sup> .

جَعْنِي وَإِيَّاهُ مُرْتَبَعُ<sup>(٣)</sup> مَرَّةً، فَأَتَانِي قَالَ لِي : هَيَا عِصْمَةُ، إِنَّ مَيَّةَ مِنْقَرِيَّةٍ وَمِنْقَرِ أَخْبَثُ حَىٰ، وَأَقْوَفُهُ<sup>(٤)</sup> لِأَثْرٍ، وَأَثْبَتُهُ فِي نَظَرٍ، وَقَدْ عَرَفُوا آثارَ إِبْلِيٍّ، فَهَلْ مِنْ نَاقَةٍ نَزَدَارٍ عَلَيْهَا مَيَّةٌ ؟ قَالَتْ : إِيَّاهُ ؛ الجَوْذَرُ، بَنْتُ يَمَانِيَّةِ جَلْدِيَّ لِيٍّ. قَالَ : أَلَىٰ بَهَا .

فَأَتَيْتُهُ بَهَا فَرَكَبَ وَرَدِفَهُ، حَتَّىٰ إِذَا أَثْرَفْنَا عَلَىٰ مَنْزِلِ مَيَّةٍ ؛ فَإِذَا الْحَىٰ خُلُوفُ<sup>(٥)</sup> ، فَأَمْهَلْنَا وَتَقْوَضَنَا النِّسَاءَ مِنْ بَيْتِهِنَّ إِلَى بَيْتِ مَيَّةٍ، وَإِذَا فِيهِنَّ طَرِيقَةُ جَمِيعِهِنَّ فَزَلَنَا بَهَا ؛ فَقَالَتْ : أَنْشَدَنَا يَا ذَا الرَّمَّةِ ؟ قَالَ : أَنْشَدَهُنَّ يَا عِصْمَةَ - وَكَانَ عِصْمَةَ رَاوِيَّهُ - فَأَنْشَدَهُنَّ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

\* المحسن : ٢٢٤ ، العقد : ٤ - ٣٦٦ ، الأغانى : ١٦ - ١٢٤ ، المصارع : ١٣٧  
ذيل الأمالي : ١٢٤ ، تزيين الأسواق : ١٩

(١) ذُو الرَّمَّةِ : هو غيلان بن عقبة الكنانى، كان شاعراً رقيقاً خيراً بأحوال العشق، والرمءة: جبل يجعل في عنق البعير، وكان كثيراً ما يجعله في عنقه، ولذلك سمي به، وصاحبته مية بنت مقاتل المنقري. وكان كثير المدح لبلال بن أبي بردة، وكان أحسن شعراء عصره تسبيبة، كامرئ القيس في الجاهلية . توفي سنة ١١٧ هـ . (٢) البربرة : التغليط في الكلام مع غصب وتفور . والأجش : الغليظ الصوت . (٣) المربع : الموضع الذي ينزل فيه أيام الربيع . (٤) من ذات الأثر : إذا عرفه . (٥) خلوف : غائبون .

نظرتُ إلَى أطْعَانِ<sup>(١)</sup> مَيْ كَأْنَهَا  
ذُرَّا النَّخْلِ أَوْ أَثْلَلَ مَهْمِيلَ ذَوَابِهِ  
فَأَسْبَلَتِ الْعَيْنَانِ وَالصَّدْرُ كَاتِمٌ  
بَعْرَوْرِقٌ نَمَتْ عَلَيْهِ سَوَاكِبِهِ  
بَكَاءَ الْفَتِي حَافَّ الْفَرَاقَ وَلَمْ تَجْلِ  
جَوَاثِلَهَا أَسْرَارُهُ وَمَعَابِهِ

---

قالت الظرفية : فالآن فلتَجُلْ ! فقالت لها مية : قاتلك الله ؟ ما تجيبيين به منذ  
اليوم ؟ ثم أنشدت حتى بلغت إلى قوله :  
إذا سرحت من حُبِّ مَيْ سَوَارِحُ عن القلب آبَتْهُ بَلِيلٌ عَوَازِبُهُ  
قالت لها الظرفية : قاتلته ، قاتلك الله ! فقالت مي : إنه لصحيح ،  
وهنيئا له .

فتنفس ذو الرئمة تنفساً كاد يطير حرّ شعر وجهي ، ثم أنشدت حتى بلغت  
إلى قوله :

وقد حَلَّفَتْ بِاللَّهِ مِيَةً مَا الَّذِي أَنَا كَادِبُهُ  
إِذْنَ فَرْمَانِ اللَّهِ مِنْ حِيثِ لَا رَأْيٍ وَلَا زَالَ فِي أَرْضِي عَدُوٌّ أَحَارِبُهِ  
قالت مي : خَفْ عَاقِبَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَا عَيْلَانَ ، قال : ثم أنشدت حتى بلغت  
إلى قوله :

إِذَا نَازَعْتَكَ الْقَوْلَ مِيَةً أَوْ بَدَأَ لَكَ الْوِجْهُ مِنْهَا أَوْ نَضَأَ الدَّرْعَ سَالِبُهُ  
فِيَا لَكَ مِنْ خَدِّ أَسِيلٍ وَمِنْطَقَ رَحِيمٍ وَمِنْ خَلَقَ تَعَلَّ جَادِبُهُ<sup>(٢)</sup>  
قالت الظرفية : هذا الوجه قد بدأ ، وهذا القول قد تُنَوَّزُ فيء ؟ فَنَلَّا أَنْ  
يَنْضُو الدَّرْعَ سَالِبُهُ ؟ فقالت مي : ما أَنْكَرَ مَا تجيبيين به منذ اليوم !

---

(١) أطعمان : جمع طعينة : المودج كانت فيه امرأة أم لا . (٢) الجادب : العاثب ، ويريد أن الناظر إليها لا يجد في خلقها مفرزا ؛ فيتعلل بالباطل ، وبالشيء يعييه وليس بعيوب .

قامت الظريفة وقُمنَّ معاها ؛ فقالت : دَعْوَهُم ؛ فَإِنْ لَمْ لَشَأْنَا ؛ فَقَمْتُ بِخَلْسَتِ  
نَاحِيَةً ؛ وَجَلَسَ بِحِيثِ نَرَاهَا وَلَا نَسْمَعَ مِنْ كَلَامِهِمَا إِلَّا حَرْفَ بَعْدَ حَرْفٍ ، وَوَاللهِ  
مَا رَأَيْتُهُمَا بِرِحَامِ مَكَانِهِمَا ، وَسَمِعْتُهُمَا تَقُولُ لَهُ : كَذَبْتُ ، فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا الَّذِي  
كَذَبْتُ فِيهِ إِلَى السَّاعَةِ .

نَمْ خَرَجَ وَمَعْهُ قَارُورَةٌ فِيهَا دُهْنٌ وَقَلَائِدٌ ، قَالَ : يَا عِصْمَةُ ! هَذِهِ دُهْنَةٌ طَبِيعَةٌ  
أَخْفَقْتَنَا بِهَا مَعِيَ ، وَهَذِهِ قَلَائِدُ قَلْدَنَتْهَا مَعِيَ الْجَوَذَرُ<sup>(١)</sup> ، وَلَا وَاللهِ لَا قَلْدَنَتْهُنَّ بَعِيرًا أَبْدًا ،  
فَقَدْهُنَّ فِي ذُوَّابَةِ سَيِّفِهِ ، وَانْصَرَفَا .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ أَتَانِي ، قَالَ : هَيَا عِصْمَة ؟ قَدْ رَحَلتَ مَعِي ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الدِّيَارُ  
وَالنَّظَرُ فِي الْآثارِ ؛ فَانْهَضَ بِنَا نَظَرٌ إِلَى آثارِهَا ، فَرَكِبَ وَتَبَعَّثَ ؛ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى  
الْمَرْتَبَيْمَ قَالَ :

أَلَا يَا اسْلَى يَا دَارِمَى عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا<sup>(٢)</sup> بِجَرْعَائِيكَ<sup>(٣)</sup> الْقَطْرُ  
وَلَمَّا نَمْ لَمْ تَكُونِي غَيْرَ شَامٍ<sup>(٤)</sup> بِقَفْرَةٍ تَجْرُّ بِهَا الْأَذِيَالَ صَيْفِيَّةٌ<sup>(٥)</sup> كُدْرَى<sup>(٦)</sup>  
نَمْ انْفَضَحَتْ عَيْنَاهُ بِالْبَكَاءِ ؛ فَقَلَتْ : مَهْ يَا ذَا الرَّمَةِ ! قَالَ : إِنِّي جَلَدْتُ عَلَى  
مَاتِرِى ، وَإِنِّي لَصَبَّورُ !

فَأَرَأَيْتَ أَشَدَّ صَبَابَةً ، وَلَا أَحْسَنَ عِزَاءَ مِنْهُ .

نَمْ افْتَرَقْنَا ؛ فَكَانَ آخرَ الْعَهْدِ بِهِ .

---

(١) اسْمُ النَّاقَةِ الَّتِي سَارَ عَلَيْهَا . (٢) مُنْهَلًا: نَازِلاً . (٣) الْجَرْعَاءُ: الرَّمْلُ الْمُسْتَوِيُّ لَأَنْتَبَتْ شَبَيْهًا .

(٤) الشَّامُ : جَمْ شَامَةٌ ، وَهِيَ بَقْعَةٌ تَخَالَفُ لَوْنَ الْأَرْضِ . (٥) الصَّيْفِيَّةُ : رِيَاحُ الصَّيفِ .

(٦) الْكُدْرَى : جَمْ كَدْرَاءٌ ، وَهِيَ الَّتِي فِي لَوْنِهَا غَبْرَةٌ .

## ٧٥ — صباة ابن الطئريَّة\*

أصاب الناس سَنَةُ وجَدْبُ ، فَأقبلَ جماعةٌ من جَرْمٍ<sup>(١)</sup> يريدون بني قُشِيرَ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا عَدَاوَةٌ وَحَرَبٌ عَظِيمَةٌ ، وَلَكُنْهُمْ لَمْ يَجِدُوا بُدَّاً مِنْ ذَلِكَ ، لَمَّا قَدْ سَاقُوهُمْ مِنَ الْجَذْبِ وَالْمَجَاعَةِ وَرِقَةِ الْأَمْوَالِ ، وَمَا أَشْرَفُوا عَلَيْهِ مِنَ الْهَدْكَةِ ، فَنَصَبَتْ<sup>(٢)</sup> قُشِيرٌ لِمُهْرِبِ الْحَرَبِ . فَقَاتَ جَرْمٌ : إِنَّا جَعْنَا مُسْتَجِيرِينَ غَيْرَ مُحَارِبِينَ . قَالُوا : مِمَّ؟ قَالُوا : مِنَ السَّنَةِ وَالْجَذْبِ وَالْهَدْكَةِ الَّتِي لَا باقِيَّةَ لَهَا . فَأَجَارُوهُمْ قُشِيرٌ وَسَالَمَتْهُمْ وَأَرْغَتْهُمْ طَرْفًا مِنْ بِلَادِهَا .

وَكَانَ فِي جَرْمٍ فَتَّى يُقالُ لَهُ مَيَادُ الْجَرْمِيُّ ، وَكَانَ غَزِيلًا حَسَنَ الْوَجْهَ تَامَ الْقَامَةَ، آخِذًا بِقُلُوبِ النِّسَاءِ - وَالْفَزَلُ فِي جَرْمٍ جَائِزٌ حَسَنٌ ، وَهُوَ فِي قُشِيرٍ نَائِرٌ<sup>(٣)</sup> فَلَمَّا نَازَلتْ جَرْمٍ قُشِيرًا وَجَاءَوْرَتْهَا أَصْبَحَ مَيَادُ الْجَرْمِيُّ يَنْدُو إِلَى الْقُشِيرِيَّاتِ يَطْلُبُ مِنْهُنَّ الْفَزَلَ وَالصَّبَا وَالْحَدِيثَ عَنْ دِيَّةِ الرِّجَالِ، وَاشْتَفَاهُمْ بِالسَّقَى وَالرُّعْيَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؟ فَدَفَعْتُهُمْ عَنْهُنَّ وَأَمْعَنْتُهُمْ مَا يَكْرُهُ .

وَرَاحَتْ رِجَالُهُنَّ عَلَيْهِنَّ وَهُنَّ مُفَضِّبَاتٍ ؛ فَقَاتَتْ عِجَافُهُنَّ مِنْهُنَّ : وَاللَّهِ مَا نَدْرَى

\* الأغانى : ٨ - ١٥٧

اسمه يزيد بن الصمة ، والطئريَّةُ أمه ، كان حسن الوجه والشعر ، حلَّ الحديث ، غزلًا آخذًا بقلوب النساء ، وقد أحب امرأةً من جرم ، وقاسى في سبيلاً من الوجد ما قاسى مثله من المتبين في الحب ، ونظم فيها الشعر الرقيق ، وتوفَّ سنة ١٢٦ هـ . (١) بطن في طي . (٢) نصب له المرب : وضعها . (٣) النائرة : العداوة والشحنة ، أي أن الفزل في قشیر سبب العداوة .

أَرْعَيْتِمْ جَرْمًا الْمَرْعَى أَمْ أَرْعَيْتُمْ نِسَاءً كَمْ ! فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ قَالُوا : وَمَاذَا ؟ قُلْنَ : رَجُلٌ مِنْذَ الْيَوْمِ ظَلَّ بُحْرِرًا<sup>(١)</sup> لَنَا مَا يَطْلُمُ مِنْ رَأْسٍ وَاحِدَةٍ ، يَدْوُرُ بَيْنَ بَيْوْنَنَا .

قَالَ بَعْضُهُمْ : بَيْتُوْا جَرْمًا فَاضْطَلُّوْهَا<sup>(٢)</sup> . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : قَبِحٌ . قَوْمٌ قَدْ سَقَيْتُمُوهُمْ مِيَاهَكُمْ ، وَأَرْعَيْتُمُوهُمْ مَرَاعِيَكُمْ ، وَخَلَطْتُمُوهُمْ بِأَنْفُسِكُمْ ، وَأَجْرَيْتُمُوهُمْ مِنَ الْقَاطِنِيْتِ وَالسَّنَةِ ، تَفَتَّأْتُونَ<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِمْ هَذَا الْافْتِيَاتِ ! لَا تَقْعُلُوْا وَلَكُنْ تُصْبِحُوْا<sup>(٤)</sup> وَقَدَّمُوا إِلَى هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ فِي هَذَا الرَّجُلِ ، فَإِنَّهُ سَفِيهٌ مِنْ سَفَاهِهِمْ ، فَلَيَأْخُذُوْهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ يَفْعُلُوْا فَأَتَيْوُا لَهُمْ إِحْسَانَكُمْ ، وَإِنْ يَمْتَنِعُوْا وَيُقْرِبُوْا مَا كَانَ مِنْهُ بِحَلَّ لَكُمُ الْبَسْطُ<sup>(٥)</sup> عَلَيْهِمْ ، وَتَنْخَرُجُوْا مِنْ ذِمَّتِهِمْ . فَأَجْمَعُوْا عَلَيْهِ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَصْبَحُوْا غَدَارَنَفَرَ مِنْهُمْ إِلَى جَرْمٍ قَالُوا : مَا هَذِهِ الْبِدْعَةُ الَّتِي قَدْ جَاؤَرْتُمُونَا بِهَا ! إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْبِدْعَةُ سَجِيَّةً لَكُمْ فَلِيَسْ لَكُمْ عِنْدَنَا إِرْعَالٌ وَلَا إِسْفَاءٌ ، فَابْعُدُوْا عَنِّنَا أَنْفُسَكُمْ ، وَأَذَّنُوْا<sup>(٦)</sup> بِحَرْبٍ . وَإِنْ كَانَ افْتِنَانًا فَنَفِرُوْا<sup>(٧)</sup> عَلَى مَنْ فَعَلَهُ .

فَقَامَ رِجَالٌ مِنْ جَرْمٍ قَالُوا : مَا الَّذِي نَالَكُمْ ؟ قَالُوا : رِجَلٌ مِنْكُمْ أَمْسَى ظَلَّ<sup>(٨)</sup> بِحَرْبٍ أَذْيَالَهُ بَيْنَ أَبِيَاتِنَا ، مَا نَدْرِي عَلَامَ كَانَ أَمْرُهُ ! فَقَهَقَّتْ جَرْمٌ مِنْ جَمَائِهِ الْقَشِيرِيْنَ وَعَجَرَرَقِهِا وَقَالُوا : إِنَّكُمْ لَتَحْسُونَ مِنْ نِسَائِكُمْ بِيَلَاءَ ، أَلَا فَابْعَثُوْا إِلَى بَيْوْنَنَا رَجَلًا وَرَجَلًا .

(١) مِنْ أَجْحُرِهِ ، إِذَا أَلْزَمَهُ أَنْ يَدْخُلْ جَحْرَهُ . (٢) اسْتَأْصُلُوهَا . (٣) افْتَاتَ عَلَيْهِ : اخْتَلَقَ عَلَيْهِ الْبَاطِلُ . (٤) الْلَامُ لَامُ الْأَمْرِ . (٥) بَسْطَ يَدِهِ عَلَيْهِ : سَلْطَتَهُ عَلَيْهِ . (٦) كَوْنُوا عَلَى عِلْمٍ بِعَرْبٍ . (٧) فَنِرُوا : أَئِ ازْجَرُوهُ وَأَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ مَاقْفَلَهُ .

قالوا : والله ما نحسّ من نسائلنا ببلاء ، وما نعرفُ منها إلا العفة والكرم ،  
ولكن فيكم الذي قاتم .

قالوا : فإنّا نبعث رجلاً إلى بيوتكم ، يابني قشير ، إذا غدت الرجال وأخْلِفَ  
النساء ، وتبعثون رجلاً إلى البيوت ، وتحالفوا أنه لا يتقدّمُ رجلٌ منها إلى زوجة  
ولا أخت ولا بنت ، ولا يعلمُها بشيءٍ مما دار بين القوم ؟ فيظلُّ كلامها في بيوت  
أصحابه حتى يرِدَا علينا عَشِيًّا الماء وتُخلِّي لها البيوت ، ولا تبرُّز عليهمما امرأة ، ولا  
تصادِقُ منها واحداً إلا بمُؤْمِنٍ يأخذُه عليها وعلامةٌ تكون معه منها !

قالوا : اللهم نعم . فظلوها يومَهم ذلك وبأتواليتهم ، حتى إذا كان من الغد  
غَدوَا إلى الماء وتحالفوا أنه لا يعودُ إلى البيوتِ منهم أحدٌ دون الليل .

وَغَدا مَيَادَ الْجَرْمِيَّ إِلَى الْقُشَيْرِيَّاتِ ، وَغَدا يَزِيدُ بْنُ الطَّبَشِيرِيَّةِ الْقُشَيْرِيَّ إِلَى  
الْجَرْمِيَّاتِ ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا وَأَطْيَبِهِمْ حَدِيثًا ، فَظَلَّ عَنْهُنَّ بِأَكْرَمِ  
مَظَلَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ إِلَّا افْتَنَتْ بِهِ وَتَابَتْ إِلَيْهِ الْمَوَدَّةُ وَالإخْاءُ ، وَقَبضَ  
مِنْهَا رَهْنًا ، وَسَأَلَتْهُ أَلَا يَدْخُلُ مِنْ بَيْتِ جَرْمٍ إِلَّا يَدِهَا ؟ فَيَقُولُ لَهَا : وَأَيْ شَيْءٌ  
تَخَافِينَ وَقَدْ أَخْذَتِ مِنِ الْمَوَانِيقِ وَالْمَهْوِدِ ، وَلَيْسَ لَأَحَدٍ فِي قَلْبِي نَصِيبٌ غَيْرِكِ ،  
حتى صُلُّيَّتِ الْعَصْرِ .

فَانْصَرَفَ يَزِيدُ بِفَتَّاخٍ<sup>(١)</sup> كَثِيرٌ وَبِرَاقِعٍ ، وَانْصَرَفَ مَكْحُولًا مَذْهُونًا شَبَعَانَ  
رِيَانَ مُرَجَّلَ اللَّهَ<sup>(٢)</sup> . وَظَلَّ مَيَادَ يَدْوُرُ بَيْنَ بَيْتِ الْقُشَيْرِيَّاتِ مَرْجُومًا مُفْعَى

(١) الفتاخ واحدة فتخة ، وهي حلقة من فضة لا فس لها فإذا كان فيها فس فهي الخام .

(٢) اللامة : الشعر المجاور شحمة الأذن .

لا ينقربُ إلى بيتٍ إلا استقبلته الولائِدُ بالعمَدِ<sup>(١)</sup> والجندلَ؛ فتهالكَ لهُنَّ، وظنَّ  
أنَّهُ ارتيازٌ<sup>(٢)</sup> منهنَّ لهُ، حتَّى أخذَهُ ضربٌ كثيرٌ بالجندلَ، ورأى اليأسَ مُنْهَنَّ،  
ووجهَهُ المطشَّ؛ فانصرفَ حتَّى جاءَ إلى سُمْرَةٌ<sup>(٣)</sup> قريباً إلى نصف النهارِ؛ فتوسَّدَ  
يدهَ ونامَ تحتها نُوئِمةً حتَّى أفرَجَتْ عنهُ الظُّمْرَةُ، وفاقت الأظلَالَ، وسكنَ  
بعضُ ما بهِ مِنْ ألمِ الضربِ، وبِرُدَّ عطشِهِ قليلاً.

ثم قرب إلى الماء حتى وردَ على القوم قبلَ يزيدَ، فوجد أمةً تذودُ غنمًا في بعض الظعن<sup>(٤)</sup>، فأخذ برقعها، فقال : هذا برقع واحدة من نسائكم ، فطرأه بين يدي القوم ، وجاءت الأمة تَمْدُو فتعلقت بيرقعها فَرَدَّ عليها ، وخجل مياد خجلاً شديداً .

و جاء يزيدُ مُنْسِيًّا وقد كاد القوم أن يقْفِرُوا ، فَتَبَرَّعَ كُمَّهُ بين أيديهم ملآن  
براقع وفَعَخَا ، وقد حَلَفَ الْقَوْمُ أَلَا يَعْرِفُ رَجُلَ شِيتَا إِلَّا رَفْهَهُ .

فَلَمَّا نَثَرَ مَا مَعَهُ أَسْوَدَتْ وِجْهَهُ جَرْمٌ، وَأَمْسَكَوَا<sup>(٥)</sup> بِأَيْدِيهِمْ لِامْسَاكَةٍ. قَالَتْ  
قُشْيَرٌ: أَنْتُمْ تَعْرُفُونَ مَا كَانَ يَنْتَنِي أَمْسَ منَ الْعَهْدِ وَالْمَوْاْتِيقِ وَتَخْرُجِ الْأَمْوَالِ  
وَالْأَهْلِ؟ فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى حَرَامٍ فَلْيَمْسِكْ يَدَهُ، فَبَسْطَ كُلُّ رَجُلٍ يَدَهُ إِلَى  
مَا عَرَفَ فَأَخْذَهُ، وَتَفَرَّقُوا عَنْ حَرَبٍ؛ وَقَالُوا: هَذِهِ مَكْيَدَةٌ يَا قُشْيَرَ.

وُبْلِي يَزِيد بِعِشْق جَارِيَة مِن جَرْم فِي ذَلِك الْيَوْم يُقَال لَهَا وَحْشِيَّة ، وَكَانَتْ مِن أَحْسَن النِّسَاء . وَنَافَرَ جَرْم فِيمَ يَمْدُد إِلَيْهَا سَبِيلًا ، فَصَارَ مِنَ الْمُشْقَى إِلَى أَنْ

(١) العمدة: قضبان الحديد . (٢) ارتياح: طلب . (٣) السمرة : شجرة عظيمة . (٤) الظنون:

سيء الادية لاتجاهه . (٥) يريد أنهم قبضوا أيديهم ، ولم يعودوا على شيء مما نثر أمامهم .

أشْرَفَ على الموت ، وَاشْتَدَّ بِالْجَهَدِ ، فَجاءَ ابْنُ عَمِّهِ يَقَالُ لَهُ : خَلِيفَةُ بْنُ بَوْزَلَ ،  
بَعْدَ اخْتِلَافِ الْأَطْبَاءِ إِلَيْهِ وَيَا سِيمِّهِ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا بْنَ عَمِّكَ ؟ قَدْ تَعْلَمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَى  
هَذِهِ الْمَرْأَةِ سَبِيلٌ ، وَأَنَّ التَّعَزَّزَ أَجْمَلُ ، فَأَرَبَّكَ فِي أَنْ قُتْلَ فَسَكَ وَنَائِمٌ  
عَنْ دُرْبِكَ !

قَالَ : وَمَا هُنَّ يَا بْنَ عَمِّي بِنْفَسِي وَمَا لِي فِيهَا أَمْرٌ وَلَا هَنَّ ؟ وَلَا هُنَّ إِلَّا فَسَنْ  
الْجَرْمِيَّةُ ؟ فَإِنَّ كُنْتَ تَرِيدُ حَيَاةً فَأَرِنِيهَا . قَالَ : كَيْفَ الْحَيَاةُ ؟ قَالَ : تَحْلِفُ  
إِلَيْهَا ؛ فَحَمَلَهُ إِلَيْهَا وَهُوَ لَا يَطْمَعُ فِيهَا ، إِلَّا إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قَالُوا لَهُ نَذْهَبُ بِكَ إِلَى  
وَحْشِيَّةَ أَبَلَّ قَلِيلًا ، وَإِذَا أَئِسَّ مِنْهَا اشْتَدَّ بِهِ الْوَجْعُ .

تَفَرَّجَ بِهِ خَلِيفَةُ بْنُ بَوْزَلَ خَمْلَهُ فَتَخَلَّ بِهِ الْيَنِّ ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ فِي قَبِيلَةِ  
أَنْتَسِبُ إِلَى أُخْرَى وَهُوَ يَخْبُرُ أَنَّهُ طَالِبٌ حَاجَةً . وَأَبَلَّ حَتَّى صَلَحَ بَعْضُ الصَّالِحِ ؛  
وَطَمَعَ فِي ابْنِ عَمِّهِ ، وَصَارَ بَعْدَ زَمَانٍ إِلَى حَيَّ وَحْشِيَّةَ ، فَلَقِيَ الرَّؤْعَيْانَ<sup>(١)</sup> ، وَكَانَا  
فِي جَبَلٍ مِنَ الْجَبَالِ . فَجَعَلَ خَلِيفَةُ بَيْنِزِلُ فَيَتَعَرَّضُ لِرَعَيَانِ الشَّاءِ فِي سَأَلَتْهُمْ عَنْ  
رَاعِي وَحْشِيَّةَ ، حَتَّى لَقِيَ غَلَامَهَا وَغَنَمَهَا ؛ فَوَاعْدُهُمْ مَوْعِدًا ، وَسَأَلُمُّ مَا حَالَ وَحْشِيَّةَ ؟  
قَالَ غَلَامُهَا : هَىٰ وَاللَّهِ بَشَرٌ ؟ لَا حَفْظَ اللَّهِ بْنِ قُشَيْرٍ وَلَا يَوْمًا رَأَيْنَاهُ فِيْهِ افْزَالَتْ  
عَلِيَّةَ مِنْذَ رَأَيْنَاهُمْ - وَكَانَ بِهَا طَرَفٌ مِمَّا بَابَنِ الطَّاثِرِيَّةِ .

قَالَ : وَيَنْحَكَ ! فَإِنَّ هَاهُنَا إِنْسَانًا يُدَآوِيهَا ، فَلَا تَقْلِلْ لِأَحَدٍ غَيْرُهَا . قَالَ : نَعَمْ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) جم راع .

فأعلمها الراعن ما قال له الرجل حين صار إليها ، فقالت له : ويحك ! لجيء به .  
ثم إنه خرج فلقيه ، فأعلمه ، وظل عنده يرمي غنه ، وتأخر عن الشاء حتى  
قدمته الشاء وجَّحَ الليل ، وانحدر بين يديه ، حتى أراهما . ومشى فيها يزيد  
حين قربت من البيت على أربع ، وتجلى شملة سوداء بلون شاة من الفم !  
فصار إلى وحشية ، فسررت به سروراً شديداً ، وجمعت عليه من ترق به من  
صواحتها وأتربتها ؛ وقد كان عهد إلى ابن عمه أن يقيم في الجبل ثلاثة ليال ،  
فإن لم يرها فلينصرف .

فأقام يزيد ثلاثة ليال ، ورجع إلى أصح ما كان عليه ، ثم انصرف فصار  
إلى صاحبه . فقال : ما ورائك يا يزيد ؟ ورأى من سروره وطيب نفسه ما سره .  
قال :

لو آنَكَ شاهدت الصبا يابنَ بوزَلِ  
بفرعِ الفضا إذراجتني غياطِله<sup>(١)</sup>  
لشاهَدْتَ هُوَ بَعْدَ شَحْطٍ مِنَ النَّوْيِ  
عَلَى سَخْطِ الْأَعْدَاءِ حُلُوَاً شَمَائِلَهِ  
بِنَقْسِيَّ مَنْ لَوْ مَرَّ بَرَزُ بَنَائِهِ  
عَلَى كَبِدِي كَانَ شَفَاءُ أَنَامِلَهِ  
وَمَنْ هَا بَنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ وَهِبْتُهُ فَلَا هُوَ يَعْطِينِي وَلَا أَنَا سَائِلُهُ

---

(١) الغياط : جم غيطة ، وهي الظلمة المراكمة ، استعارها هنا لبعض الصلبات .

## ٧٦ — معبد الصغير وأحد العشاق \*

قال معبد<sup>(١)</sup> الصغير المغني : كنت منقطعاً إلى البرامكة آخذ منهم وألازمهم؛ فيينا أنا ذات يوم في منزلي فإذا بابي يدقّ ، خرج غلامٌ ثم رجع إلى ، فقال : على الباب فتى ظاهر المروءة ، يستأذنُ عليك ، فأذنت له .

فدخل على شابٍ ما رأيت أحسن وجهها ، ولا أنظر ثواباً ، ولا أجل زيناً منه ، دَنْف<sup>(٢)</sup> ، عليه آثار السقم ظاهرة ، فقال لي : إني أرجو لقاءك منذ مدة ، فلا أجد إليه سبيلاً ، وإن لي حاجة ، قلت : ماهي ؟ فآخر ج نلائمة دينار فوضها بين يديه ، ثم قال : أسألك أن تقبّلها ، وتصنم في بيتين قلّهما لحناً تغنى به . قلت : هاتما ؛ فأنشدتها وقال :

بالله يا طرفي الجانى على بدئى لتطفنى بدمى لوعة الحزن  
لَا أبُون حنّ حتى يمحجو اسكنى فلا أراه ولو أذرحت في كفني  
قال معبد : فصنعت فيهما لحناً ، ثم غنّيته إيه ، فاغمى عليه ، حتى ظننته قد  
مات ، ثم أفاق ، فقال : أعد فديتك ! فناشدته الله في نفسه وقلت : أخشى  
أن تموت ؟ قال : هيّات ! أنا أأشقى من ذاك ! وما زال يخضم لي وبتضرع حتى  
أعدته ، فصعق صعقاً أشد من الأولى حتى ظننت أنّ نفسه قد فاضت .

\* الأغاني : ١٢ - ١٦١ ، تزيين الأسواق : ١٢٥

(١) كان معبد الصغير غلاماً مولداً من مولدى المدينة ، شدّا بها ، وأخذ الفتاء عن جماعة من أهلها ، وعن جماعة أخرى من علية المفنيين بالعراق ، مثل إسحاق وابن جام ، وكان أكثر اقطاعه إلى البرامكة . (٢) دَنْف : مريض .

فَلَمَا أَفَاقَ رَدَدَتُ الدَّنَانِيرَ عَلَيْهِ ، وَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَلَّتْ : يَا هَذَا ؛ خَذْ  
دَنَانِيرَكَ ، وَانْصَرَفْ عَنِي ، فَقَدْ قُضِيَتْ حَاجَتَكَ ، وَبَلَغْتَ مَا أَرْدَتَهُ ، وَلَسْتُ أَحْبَبُ  
أَنْ أَشْرَكَ فِي دَمْكَ ، قَالَ : يَا هَذَا ؛ لَا حَاجَةَ لِي فِي الدَّنَانِيرَ ، قَلَّتْ : لَا وَاللَّهُ  
وَلَا بُشْرَةَ أَصْعَافُهَا إِلَّا عَلَى ثَلَاثَ شَرائطَ ، قَالَ : وَمَا هَذَا ؟ قَلَّتْ : أُولَاهَا أَنْ تَقِيمَ  
عِنْدِي وَتَحْرَمَ بَطْعَامِي ، وَالثَّانِيَةُ أَنْ تَشْرَبَ أَقْدَاحَهَا مِنَ النَّبِيِّ يَشُدُّ قَلْبِكَ ،  
وَيُسْكِنُ مَابِكَ ، وَالثَّالِثَةُ أَنْ تَحْدِثَنِي بِقَصْتَكَ ، قَالَ : أَفْعَلُ مَا تَرِيدُ .

فَأَخْذَتُ الدَّنَانِيرَ ، وَدَعَوْتُ بَطْعَامَ فَأَصَابَ مِنْهُ ، ثُمَّ دَعَوْتُ بِالنَّبِيِّ فَشَرَبَ  
أَقْدَاحَهَا ، وَغَنِيَّتِه بِشَعْرِ غَيْرِه فِي مَعْنَاهُ ، وَهُوَ يَشْرَبُ وَيَسْكِنُ ، ثُمَّ قَالَ : الشَّرْطُ أَعْزَّكَ  
اللَّهَ . فَغَنِيَّتِه ، فَجَعَلَ يَسْكِنُ أَحْرَّ بَكَاءً ، وَيَنْشِجُ أَشَدَّ نَشِيجٍ وَيَنْتَحِبُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ  
مَابِه قَدْ خَفَّ عَمَّا كَانَ يَلْتَهُ ، وَرَأَيْتَ النَّبِيَّ قَدْ شَدَّ مِنْ قَلْبِه كَرَرْتُ عَلَيْهِ صَوْتَه  
مَرَارًا ، ثُمَّ قَلَّتْ : حَدَّثْنِي حَدِيثُكَ ، قَالَ :

أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ خَرَجْتُ مُتَنَزِّهًا فِي ظَاهِرِهِ ، وَقَدْ سَالَ الْعَقِيقَ ،  
فِي فِتْيَةٍ مِنْ أَقْرَانِي وَأَخْدَانِي ؟ فَبَصَرْنَا بِفَتِيَاتٍ قَدْ خَرَجْنَ لِمُثْلِّ ما خَرَجْنَا لَهُ ،  
خَلَاسِنَ حَجَرَةَ<sup>(١)</sup> مَنَا ، وَبَصَرْتُ فِيهِنَّ بِفَتَاهَ كَأَنَّهَا قَضِيبَ<sup>(٢)</sup> قَدْ طَلَّهُ النَّدَى ،  
تَنْظَرَ بَعْنَيْنِ مَا ارْتَدَ طَرْفُهُمَا إِلَّا بِنَفْسِهِمَا ، فَأَطْلَنَا وَأَطْلَنَنَا حَتَّى تَفَرَّقَ  
النَّاسُ ، وَانْصَرَفْنَ وَانْصَرَفْنَا ، وَقَدْ أَبْقَتَ بِقَلْبِي جُرْحًا بَطِينًا أَنْدِمَالُهُ ، فَمَدَتُ إِلَيْهِ  
مَنْزِلِي وَأَنَا وَقِيدَ<sup>(٣)</sup> .

وَخَرَجْتُ مِنَ الْفَدِ إِلَى الْعَقِيقِ وَلِيَسْ بِهِ أَحَدٌ ، فَلَمْ أَرَهَا وَلَا لِصَوَاعِدِهَا أَثْرًا ؛ ثُمَّ  
جَعَلْتُ أَتَبْعَهَا فِي طَرَقِ الْمَدِينَةِ وَأَسْوَاقِهَا ، فَكَأَنَّ الْأَرْضَ أَصْمَرَتْهَا ، فَلَمْ أَحْسَهَا

(١) حَجَرَةٌ : بَعِيدًا . (٢) الْقَضِيبُ : النَّصْنُ . (٣) الْوَقِيدُ : الشَّدِيدُ الْمَرْضُ الْمُشْرِفُ .

بعين ولا أثر ، وسقمت حتى أيس مني أهلي ، ودخلت ظُلْمِری<sup>(١)</sup> ، فاستعملتني حالي ، وضيّنت لى السعي فيها أحبيه منها ؛ فأخبرها بقصتي ؛ فقالت : لا بأس عليك ، هذه أيام الربيع ، وهي سنة خصب ، وليس يبعد عنك المطر ؛ وهذا العقيق ، فتخرج حينئذ وأخرج معلمك ، فإن النسوة سيفتحن ، فإذا فعلت ورأيتها اتبعتها حتى أعرف موضعها ، ثم أصل بينك وبينها ، وأسمى لك في تزويجها ؛ فكان نفسى اطمأنت إلى ذلك ، ووقفت به ، وسكنت إليه ، ثم قويت وطمعت ، وتراجعت نفسى . وجاء مطر فأسال الوادى ، وخرج الناس ؛ وخرجت مع إخوانى إليه ، فجلسنا مجلسنا الأول بعئنه ؛ فاكُنَا والنسوة إلا كفرسى رهان ، وأومأت إلى ظُلْمِری فجلست حَجْرَةً منا ومنهن ، وأقبلت على إخوانى ، قلت : لقد أحسن القائل حيث قال :

رَمَتِنِي بِسَهْمٍ أَفْصَدَ الْقَلْبَ وَانْشَتَ      وقد غَادَرْتُ جُرْحًا به وَنُدُوبًا<sup>(٢)</sup>  
فَأَقْبَلَتْ عَلَى صَوَاحِبَاهَا ، قَالَتْ : أَحْسَنَ وَاللهُ الْقَاتِلُ ، وَأَحْسَنَ مَنْ أَجَابَه  
حيث يقول :

بَنَامِثْلٍ مَا نَشَكُو فَصِبْرًا لَعْنًا      نَرِى فَرْجًا يَشْفِي السَّقَامَ قَرِيبًا  
فَأَمْسَكَتْ عَنِ الْجَوَابِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَظْهُرَ مَا يَفْضُحُنِي وَإِيَاهَا ، وَعَرَفَتْ  
مَا أَرَادَتْ ، ثُمَّ تَفَرَّقَ النَّاسُ وَانْصَرَفَنَا .

وَتَبَعَّثَهَا ظُلْمِری حَتَّى عَرَفَتْ مِنْهُمَا ، وَصَارَتْ إِلَيْهِ ، فَأَخْدَتْ يَدِي ، وَمُضِيَّنا  
إِلَيْهَا فَمَا تَزَلَّ تَنْلَطِفُ حَتَّى وَصَلَّتْ إِلَيْهَا ، فَتَلَاقَيْنَا ، وَشَاعَ حَدِيثُنَا وَظَهَرَ

(١) الظلمر : العاطفة على ولد غيرها ، المرض له . (٢) الندوب : جمع ندبة ، أثر الجرح الباق على الجلد .

ما يبني ويديها ، فحججها أهلها ، وتشدّدَ عليها أبوها ؛ فما زلتُ أجتهدُ في لقائِها  
فلا أقدرُ عليه ، وشكوتُ إلى أبي لشدةِ ما نالني ؛ وسألته في خطبتها لي فغضى  
أبي ومشيخةُ أهلِ إلَى أبيها ، فخطبُوها ؛ فقال : لو كان بدأً بهذا الأسفافُ بما المنسَ،  
ولكنه قد شَرَّها<sup>(١)</sup> ، فلم أكن لأُحَقّ قولَ الناس فيها بتزويمِه إياها ؛ فانصرفتْ  
على يأسِ منها ومني نفسِي .

قال معبُد : ثم صارت بيننا عشرة ، وجاء جعفر بن يحيى للشرب ،  
فأنتبه ؛ فكان أولَ صوتٍ غنِيَّةً صوتي في شعر الفتى ؛ فظرب عليه طرباً شديداً ،  
وقال : وينْحَك ! إن هذا الصوت حديثاً فما هو ؟ خذْتهُ به ، فأمر بإحضار الفتى  
فأخضر من وقتِه ، واستعاده الحديثَ فأعاده عليه ، فقال : هي في ذمَّتي حتى أزوّجك  
إياها ، فطابتْ نفسه ، وأقام معنا ليلتَنا حتى أصبحَ ؛ وغداً جعفر إلى الرشيد ، فحدَّثهُ  
الحديث ، فعجب منه ، وأمر بإحضارنا جميعاً فأحضرنا ، وأمر بأنْ أغنىَّه الصوت ،  
فنَّيَّتهُ وشرب عليه ، وسمع الحديثَ الفتى ، فأمر من وفته بالكتاب إلى عاملٍ  
المجاز بإشخصاص الرجل وابنته ، وجميع أهله إلى حضرةِه ، فلم يمضِ إلا مسافة  
الطريق حتى أخضر ، فأمر الرشيد بإصاله إليه فأوصل ، وخطب إليه الجارية للفتى  
وأقسم عليه ألا يخالف أمره ، فأجابه ، وزوجَه إياها ، وحملَ إليه الرشيد ألف دينار  
لجهازِها ، وألفَ دينار لفقةِ طريقةٍ ؛ وأمر لفتى بآلف دينار ، وأمر جعفر للفتى  
بألف دينار ؛ وكان بعد ذلك في جملة نُداماء<sup>(٢)</sup> جعفر بن يحيى .

---

(١) الشهرة : ظهور الشئ في شفاعة . (٢) جمع نديم .

## ٧٧ — نَبِيُّ الْفَرَابُ بِفِرَاوِهِمَا \*

قال زيد بن عمّان الغطيفاني : كنّا بباب بعض ولاة المدينة فغرضنا<sup>(١)</sup> من طول الثوّاء<sup>(٢)</sup> ، فإذا أعرابي يقول : يامعشر العرب ؟ أمّا منكم رجل يأتيني أعلم إذ غرّضنا من هذا المكان فأخبره عن أم جحدر وعنى !

لخشت إليه فقلت : من أنت ؟ قال : أنا الرماح<sup>(٣)</sup> بن أبرد . قلت : فأخبرني بيدك أمريكا ؟ قال : كانت أم جحدر من عشيقى فأعجبتني ؛ وكانت بيني وبينها خلة<sup>(٤)</sup> ، ثم إنّ عقبت عليها في شيء بلغنى عنها ؛ فأتيتها فقلت : يا أم جحدر ؟ إنّ الوصل عليك مردود ؟ قالت : ما قضى الله فهو خير . فلخشت على تلك الحال سنة .

وذهبت بهم مجتمعة فتباعدوا . واشتقت إليها شوقاً شديداً ؛ فقلت لأمرأة أخرى لى : والله لئن دانت دارنا من أم جحدر لآتيتها ؛ ولأطلبن إيماناً تردّ الوصل بيني وبينها ، ولئن ردته لا نقضته أبداً .

ولم يكن يوماً حتى رجعوا ، فلما أصبحت غدوت عليهم ، فإذا أنا بيتبين نازلين إلى سند<sup>(٥)</sup> أبرق طويل ، وإذا امرأتان جالستان في كساء واحد بين

\* الأغاني : ٢ - ٢٧٣

(١) غرضنا : ضجرنا . (٢) الثوّاء : طول الإقامة . (٣) كان الرماح بن أبرد أشهر غطافن في الجاهلية والإسلام ، عاصر الوليد بن يزيد ومنده ، وأدرك أول الدولة العباسية ، فدح التصور واشتهر بحسبته إلى أمه ميادة . توفي نحو سنة ١٤٠ هـ . (٤) الخلة : الصدقة . (٥) السند : ما ارتفع من الأرض قبل الجبل أو الوادي . والأبرق من الجبال : ما كان لهونان من سواد وبيان .

البيتين ؟ فجئتُ فسلمتُ ؛ فردَتْ إحداها ولم ترد الأخرى ، وقالت : ماجاء بك يارمّاح إلينا ؟ ما كتنا حسِبنا إلا أنه قد انقطع ما بيننا وينفك . قلت : إن جعلتُ على نَذراً لِئن دنتْ بِأَمْ جَحْدَرْ دار لاتِنَهَا ، ولأطلبَنَ منها أن ترُدَّ الوصلَ بيني وبينها ، ولئن هي فَعَلَتْ لا نَفْضُهُ أبداً - وإذا التي تكلمني امرأةٌ أخيها ، وإذا الساكِنةُ أُمُّ جَحْدَرْ .

قالت امرأةٌ أخيها : فادخل مُقدَّمَ الْبَيْتِ ، فدخلتُ ، وجاءتْ من مؤخره فَدَنَتْ قليلاً ، ثم إذا هي قد برَزَتْ ، فساعة برَزَتْ جاء غراب فَنَعَبَ على رأس الأُبُرق<sup>(١)</sup> ، فنَظَرَتْ إِلَيْهِ ، وشَهَقَتْ وَتَغَيَّرَ وَجْهُهَا ، قلتُ : ما شأْنُك ؟ قالت : لاشى ، قلتُ : بالله إلا أخْبَرْتَنِي ؟ قالت : أَرَى هَذَا الغرَابَ يَخْبُرُنِي أَنَا لَا بِخُتْمٍ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَّا بِلَدٍ غَيْرَ هَذَا الْبَلَدِ ، فَتَقَبَّضَتْ نَفْسِي ، نَمَ قلتُ : جارِيَةٌ والله ما هي في بيت عِيَافَةٍ<sup>(٢)</sup> ولا قِيَافَةٍ<sup>(٣)</sup> .

نَمْ تَرَوْخَتْ<sup>(٤)</sup> إِلَى أَهْلِي ، فـكَثُتْ عِنْهُمْ يوْمَيْنِ ، نَمْ أَصْبَحْتُ غَادِيَاً إِلَيْهَا ، قالت لى امرأةٌ أخيها : وَيَحْكَ يارمّاح ! أين تذهب ؟ قلت : إِلِيْكُمْ ، قالت : وما ترِيد ؟ قد والله زُوْجَتْ أُمُّ جَحْدَرْ الْبَارِحةَ ، قلت : بِمَنْ ؟ وَيَحْكَ ! قالت : بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ أَهْلِ بَيْهَا ، جَاءُهُمْ مِنْ الشَّامِ فَخَطَبَهَا فَزُوْجَهَا ، وقد حِلَّتْ إِلَيْهِ !

---

(١) الأُبُرق : مكان مرتفع فيه حجارة ورمل وطين . (٢) العِيَافَة : زجر الطير والتفاول بأسمائها وأسماتها وبرها ، المعروف بالعيادة من العرب بنو أسد وبنو هب . (٣) القيَافَة : تتبع الآثار ومعرفتها ، المعروف بالقيافة بنو مدلج . (٤) تَرَوْخَتْ : سرت في وقت الرواح .

فضيتُ إليهم فإذا هو قد ضرب سُرّادقات ، فجلستُ إليه فأنشدته، وحدّثته  
وعدتُ إليه أيامًا ، ثم إنها احتملها ، فذهب بها ؛ فقلت :

أُجَارْنَا إِنَّ الْخَطُوبَ تَنُوبُ<sup>١</sup> عَلَيْنَا ، وَبَعْضَ الْآمِنِينَ تُصِيبُ  
أُجَارْنَا لَسْتُ الْفَدَاةَ بِيَارِحٍ  
فَإِنْ تَسْأَلِنِي هَلْ صَبَرْتُ فَإِنِّي  
جَرِي بِانْبِيَاتٍ<sup>٢</sup> الْحَبْلِ مِنْ أُمّ جَحَدٍ  
نَظَرْتُ فَلَمْ أَعْفَ<sup>٣</sup> وَعَافَتْ فِيَّنَتْ  
فَقَالَتْ : حَرَامٌ أَنْ نُرَى بَعْدَ هَذِهِ  
أُجَارْنَا صَبَرْأً ؛ فَيَارُبُّ هَالِكٍ تَقْطُعُ  
نَمَ انْحَدَرْتُ فِي طَلْبِهَا ، وَطَمَعْتُ فِي كَلْمَهَا : « إِلَّا أَنْ نَجْتَمِعَ فِي بَلَدٍ غَيْرِ  
هَذَا الْبَلَدِ ». .

فَجَئْتُ فَدُرْتُ الشَّامَ زَمَانًا ، فَتَلَقَّنِي زُوْجُهَا ، فَقَالَ : مَالِكُ لَا تَفْسِلْ نِيَابِكِ  
هَذِهِ ! أَرْسَلْ بَهَا إِلَى الدَّارِ تَفْسِلْ ؛ فَأَرْسَلْتُ بَهَا .

نَمَ إِنِّي وَقْتُ أَنْتَظِرُ خَرْوَجَ الْجَارِيَةَ بِالْيَابِ ، فَقَالَتْ أُمُّ جَحَدِرْ لِجَارِيَتِهَا :  
إِذَا جَاءَ فَأَعْلَمِنِي ؛ فَلَمَّا جَئْتُ إِذَا أُمُّ جَحَدِرْ وَرَاءَ الْبَابِ ، فَقَالَتْ : وَيَحْكُ يَارِمَاجِ  
قَدْ كَنْتُ أَحْسَبَ أَنْ لَكَ عَقْلًا ! أَمَا تَرَى أَمْرًا قَدْ حِيلَ دُونَهِ ، وَطَابَتْ أَنْفُسَنَا

(١) عَسِيبٌ : اسْمَ جِيلٍ بِعَالِيَةِ نَجْدٍ ، يَقَالُ : لَا أَفْلَى كَذَا مَا أَقَامَ عَسِيبٌ ، أَى لَا أَفْعَلَهُ أَبْدًا.

(٢) الصَّلِيبُ : الشَّدِيدُ . (٣) انبِياتٍ : انْقِطَاعٌ . (٤) عَافُ الطَّيْرُ : زَجْرُهَا ، وَهُوَ أَنْ يَعْتَدُ

بِأَسْمَائِهَا وَمَسَاقِطِهَا فَيَسْعُدُ أَوْ يَتَعَاصِمُ .

عنه؟ انصرف إلى عشيرتك فإني أستحبي لك من هذا المقام . فانصرفت  
وأنا أقول :

عسى إن حَجَجْنَا أَنْ نُرَى أَمْ جَهَدْرِ  
وَيَجْعَلُنَا مِنْ نَخْلَقَيْنِ<sup>(١)</sup> طَرِيقُ  
وَنَصْطَكُ أَعْضَادُ الْمَطَىٰ وَيَبْنَانَا<sup>(٢)</sup>  
حَدِيثُ مُسَرَّدٍ دُونَ كُلِّ رَفِيقٍ

---

(١) النَّفَلَتَانُ : وَادِيَانٌ .

(٢) فِي الْبَيْتَيْنِ لِاقْوَاءٍ .

## ٧٨ — نَخْلَتَ حُلوان

قال مُطِيع<sup>(١)</sup> بن إِياس : كُنْتُ بِالرَّأْيِ<sup>(٢)</sup> مَعَ سَالِمَ بْنَ قَتَبَةَ، وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ  
يُقالُ لَهَا جُودَانَةٌ .

وَكُنْتُ أَنْتَشِّقُ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ الدَّهَاقِينَ<sup>(٣)</sup>، كُنْتُ نَازِلًا إِلَى جَنْبِهِافِ دَارِهِ،  
فَلَمَّا خَرَجْ إِبْرَاهِيمَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسْنِ - كَتَبَ الْمُنْصُورُ إِلَى سَالِمَ يَأْمُرُهُ بِاستِخْلَافِ  
رَجُلٍ عَلَى عَمَلِهِ وَالْقَدْوُمِ عَلَيْهِ فِي خَاصَّيْهِ عَلَى الْبَرِيدِ، فَأَمْرَنَى سَالِمَ بِالْخُروْجِ مَعَهُ،  
فَاضْطُرِرَتْ إِلَى بَيْعِ الْجَارِيَةِ، فَبَعُثْهَا، ثُمَّ نَدِمَتْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى خَرْوَجِهِ، وَتَنَبَّتْ  
أَنْ أَكُونَ أَقْمَتْ .

ثُمَّ نَزَلَتْ حُلوانَ<sup>(٤)</sup>، فَجَلَسَتْ عَلَى الْعَقَبَةِ أَنْتَظَرَ تَقَلَّ، وَعِنَانُ دَابِقِي فِي يَدِيِ،  
وَأَنَا مُسْتَنِدٌ إِلَى نَخْلَةِ الْعَقَبَةِ، وَإِلَى جَانِبِهَا نَخْلَةٌ أُخْرَى، فَتَذَكَّرَتْ الْمَرْأَةُ وَاشْتَقَتْهَا  
وَقَلَتْ :

أَسْمِدَانِي يَا نَخْلَتِيْ حُلوانَ وَابْكِيَا لِيْ مِنْ رَبِّ هَذِهِ الْزَّمَانِ  
وَاعْلَمَا أَنَّ رَبِّيَّهُ لَمْ يَزِلْ يَفْرَقُ بَيْنَ الْأَلَافِ وَالْجِيَارِاتِ  
وَلَمَرِيْ لَوْ ذُقْمَأْ أَلَمَ الْفُرْ<sup>٥</sup> قَةَ أَبْكَا كَمَا الَّذِي أَبْكَانِي

\* مِعْجمُ الْبَلَادَنَ : ٣ - ٣٢٣ ، الْأَغْنَىَ : ١٢ - ١٠٣

(١) مطِيع بن إِياس : عَرَبِيُّ الأَصْلِ يَرْجِمُ نَسِيْهَ إِلَى كَنَانَةَ، عَاصِمُ الدُّولَتَيْنِ : الْأُمُوْرِيَّةُ وَالْعَبَاسِيَّةُ،  
كَانَ مَاجِنَا خَلِيْعَا طَرِيقَا مَلِيسِعَ النَّادِرَةِ . وَلَكِنَّهُ مَتَّهَمًا بِالْزِنْدَقَةِ وَالْفَجُورِ، تَوْفِيَ سَنَةُ ١٦٦ هـ

(٢) الرَّى : مَدِيْنَةٌ عَظِيمَةٌ بِيَلَادِ الْبَجَالِ؛ تَخْرُجُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ عَظَيْمَاءِ الْمُسْلِمِينَ . (٣) الْدَّهَاقَانَ :  
الْتَّاجِرُ، وَزَعِيمُ فَلَاحِي الْمَجْمُ، وَرَئِيسُ الْإِقْلِيمِ (مَعْرُوبٌ) وَجَمِيعُ دَهَاقِينِهِ . (٤) حُلوانَ : مَدِيْنَةٌ  
كَانَتْ مُشْهُورَةً بِالْعَرَاقِ، وَهِيَ غَيْرُ حُلوانَ مَصْرُ.

أَسْمَدَانِي وَأَبْقَنَا نَحْنَا سُوفَ يَلْقَا كَا فَفَتَرْفَان  
 كَمْ رَمْقَنِي صَرْوَفُ هَذِي الْيَالِي  
 بِفَرَاقِ الْأَحْبَابِ وَالْخِلَان  
 غَيْرِ أَنِي لَمْ تَلْقَنَّ نَفْسِي كَمَا  
 قَيْتُ مِنْ فُرْقَةِ ابْنَةِ الدَّهْقَان  
 جَارَةَ لِي بِالرَّئَى تُذَهِّبُ هَمَّيْ  
 فَجَعَنِي الْأَيَامُ أَغْبَطُ مَا كُنْتُ بَصَدْعَ<sub>١</sub> الْبَيْنِ غَيْرِ مُدَانِي  
 وَبِرْغَنِي أَنْ أَصْبَحَتُ لَا تَرَاهَا الْمَعْنَى مِنِيْ  
 إِنْ تَكُنْ وَدَعْتُ فَقَدْ تَرَكْتُ بِي لَمَبَّا فِي الضَّمِيرِ لِيَسْ بِوَانِ  
 كَعْرِيقِ الْفَرَامِ فِي قَصْبِ الْفَا بِرَمَّةِ رِيحَانِ<sub>٢</sub> مُخْتَلِفَانِ<sup>(١)</sup>  
 وَسَعْنِي سَالِمْ فَقَالَ : وَيْلَكَ ! فَيَمِنْ هَذِهِ الْأَبِيَاتِ ؟ أَفِي جَارِيَتَكَ ؟ فَاسْتَحِيَتِ  
 أَنْ أَصْدِقَهُ فَقَلَتْ : نَعَمْ .

فَكَتَبَ مِنْ وَقْتِهِ إِلَى خَلِيفَتِهِ أَنْ يَتَاعِهِ إِلَى ، فَلَمْ أُلْبِثْ أَنْ وَرَدَ كِتَابَهُ : إِنِي  
 وَجَدْتُهَا قَدْ تَداوَلُهَا الرِّجَالُ فَمَرَّتْ نَفْسِي عَنْهَا .

(١) روی أن المهدی قال : قد أکثر الشعرا في نخلتي حلوان ، وله سمت أن آمر بقطعهما ،  
 فبلغ قوله النصور ، فكتب إليه : بلغنى أنك همت بقطع نخلتي حلوان ، ولا فائدة لك في قطعهما ،  
 ولا ضرر عليك في بقائهما ، فأنا أعيذك بالله أن تكون النحس الذي يلقاها فتفرق بينهما .

## ٧٩ — وَارَاحَتَا لِلعاشِقِينَ ! \*

قال الجاحظ<sup>(١)</sup> : ذُكرتُ لأمير المؤمنين المتوكّل للناديب بعض ولده ، فلما رأى استبشعَ مَنْظَرِي ، فأمر لى بعشرة آلاف درهم وصرفني .

وخرجتُ من عنده ، فلقيتُ محمد بن إبراهيم وهو يُريِدُ الانصراف إلى مدينة السلام ، فعرض على الخروج معه ، والانحدار في حراقة<sup>(٢)</sup> ، فرَكِبنا فيها ، فلما أتيينا نَهْرَ القاطُول<sup>(٣)</sup> ، وخرجنا من سَامِرَاء<sup>(٤)</sup> نصب سِتَّارَتَه ، وأمر بالفناء ، فاندفعت عَوَادَة ففنت :

كُلُّ يَوْمٍ قطِيعَةٌ وعَتَابٌ ينقضي دهْرَنَا ونَحْنُ غَضَابٌ  
لَيْتَ شِعْرِي أَنَا خُصِّصْتُ بِهَذَا دُونَ ذَا الْخُلُقِ أَمْ كَذَا الْأَحَبَابُ !

وَسَكَتَتْ ، فَأَمْرَ الطَّنبُورِيَّة ففنت :

وَرَاحَتَا لِلعاشِقِينَا مَا إِنْ أَرَى لَهُ مُعِينًا  
كُمْ يُهَجِّرُونَ وَيُصَرَّمُونَ نُوِيْقَطَمُونَ فَيَصْبِرُونَا

\* المسعودي : ٢ - ٣٧٨ ، نهاية الأرب : ٢ - ١٩٥

(١) هو أبو عثمان عمرو بن بحر ، وعرف بالجاحظ لجحظ عينيه ، كان إمام الأدباء في العصر البشّي ، وله أساليب ومذاهب وآراء في الأدب واللغة ، خاصة به ، ومؤلفاته كثيرة ، وتوفى سنة ٢٥٥ هـ . (٢) الحراقة : نوع من السفن . (٣) القاطُول : نهر يتفرع من دجلة ، حفره الرشيد . (٤) بلد على نهر دجلة بناء المقتصم سنة ٢٢١ هـ ، حينما ضاقت بغداد بأهلها .

قالت هذه الموَادَةُ : فيصنِّعونَ ماذا ؟ قالت : هَكُذا يُصْنِعُونَ ، وَضَرَبَتْ  
يَدِهَا إِلَى الستارَةِ فَهَسَكَتْهَا ، وَبَرَزَتْ كَأْنَاهَا فِلْقَةُ قَرْفَ ، فَزَجَّتْ بِنَفْسِهَا إِلَى الْمَاءِ ،  
وَمَلَ رَأْسُ مُحَمَّدٍ غَلَامٍ يُضَاهِيهَا فِي الْجَالِ ، وَبِيَدِهِ مِذَبَّةٌ ، فَأَتَى الْمَوْضِعَ ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا ،  
وَهِيَ تَمَرَّ بَيْنَ الْمَاءِ ، فَأَنْشَأَ يَقُولَ :

**أَنْتِ الَّتِي غَرَقْنَا بَعْدَ الْقَضَاءِ لَوْ تَعْلَمُنَا**

وَزَجَّ بِنَفْسِهِ فِي أُثْرِهَا ، فَأَدَارَ الْمَلَاحَ الْخَرَّاقَةَ ، فَإِذَا بِهَا مُعْتَقَانَ ، ثُمَّ غَاصَّا

فلم يُرِيَا!

فهالَ حَمْدًا ذَلِكَ وَاسْتَعْظُمُهُ وَقَالَ : يَا عَزْرُو ، لَتَحْدِثُنِي حَدِيثًا يُسْلِيفٍ عَنْ قَدْ  
هَذِينَ ؛ وَإِلَّا أَلْخَتَنُكَ بِهِمَا .

حضرني حديث يزيد بن عبد الملك ، وقد قَدَّ المظالم ، وعُرِضَتْ عليه  
القصص ، فرَأَتْ به قصةً فيها : « إِن رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَعْزَهُ اللَّهُ - أَنْ يَخْرُجَ  
جَارِيَتَهُ فُلَانَةً حَتَّى تَفْنِيَنِي ثَلَاثَةُ أَصْوَاتٍ فَعَلَ » ؛ فَاغْتَاظَ يَزِيدُ ، وَأَمْرَ مَنْ يَخْرُجَ  
إِلَيْهِ ، وَيَأْتِيهِ بِرَأْسِهِ ، ثُمَّ أَمْرَ أَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ بِرَسُولِ آخَرَ يَأْمُرُهُ أَنْ يُدْخِلَ إِلَيْهِ  
الرَّجُلُ ؟ فَلَا وَقْتَ بَيْنَ يَدِيهِ قَالَ لَهُ : مَا الَّذِي حَلَّكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : التَّقْةُ  
بِحَسْنِكَ ، وَالاِتْكَالُ عَلَى عَفْوِكَ . فَأَمْرَهُ بِالجلوس ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِّنْ بَنِي أُمِّيَّةِ  
إِلَّا خَرَجَ ، ثُمَّ أَمْرَ فَأَخْرَجَتِ الْجَاهِرَةُ وَمَعَهَا عُودَهَا ، قَالَ لَهَا الْفَتِيَّ غَنِيَّ :  
أَفَاطَمْ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلِيلِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرْمَعْتِ صَرْمِيَ فَأَنْجِلِيَّ  
فَفَتَّنَتْهُ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : قَلْ ، قَالَ : غَنِيَ :

**تألق البرق تجذّيأ قلت له يأيها البرق ؟ إني عنك مشغول**

ففنته ، فقال : قل ، قال : تأمر لى بـرطل سـنـر ، فـاـسـتـمـ شـرابـهـ حتىـ وـثـبـ وـصـدـ عـلـىـ أـعـلـىـ قـبـةـ لـيـزـيدـ ، فـرـمـىـ بـنـفـسـهـ عـلـىـ دـمـاغـهـ فـاتـ !

قال يزيد : إـنـاـ لـهـ وـإـنـاـ إـلـيـهـ رـاجـعـونـ ! أـتـرـاهـ الـأـحـقـ الـجـاهـلـ ظـلـنـ أـنـيـ أـخـرـجـ إـلـيـهـ جـارـيـتـيـ وـأـرـدـهـاـ إـلـىـ مـالـيـ ، يـاـ غـلـمـانـ : خـذـواـ يـدـهـاـ ، وـاحـمـلـوـهـاـ إـلـىـ أـهـلـهـ إـنـ كـانـ لـهـ أـهـلـ ، وـإـلـاـ فـيـعـوـهـاـ وـتـصـدـقـوـهـاـ بـشـمـنـهـاـ عـنـهـ .

فـانـطـلـقـوـاـ بـهـاـ ، فـلـمـاـ توـسـطـتـ الدـارـ ، نـظـرـتـ إـلـىـ حـفـرـةـ فـيـ دـارـ يـزـيدـ قـدـ أـعـدـتـ لـلـمـطـرـ ، فـجـذـبـتـ نـفـسـهـاـ مـنـ أـيـدـيـهـمـ ، وـأـنـشـأـتـ تـقـولـ :

مـنـ مـاتـ عـشـقـاـ فـلـيـمـتـ هـكـذـاـ ! لـاـ خـيـرـ فـيـ عـشـقـ بـلـامـوـنـ

نـمـ زـجـّـتـ بـنـفـسـهـاـ عـلـىـ دـمـاغـهـ فـاتـ .

فـسـرـىـ عـنـ مـحـمـدـ ، وـأـخـسـنـ صـلـتـىـ .

## ٨٠ — اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي كَمِدْ

قال أبو العباس المبرد<sup>(١)</sup> : دخلت في حداثي أنا وصديق لي من أهل الأدب إلى دير لننظر إلى مجانين وصفوا لنا فيه ، فرأيت منهم عجائب ، حتى انتهينا إلى شاب جالس حجرة<sup>(٢)</sup> منهم ، نظيف الوجه والثياب على حصير نظيف ، بيده مرآة ومشط وهو ينظر في المرآة ، ويُسرح لحيته ، فقلت : ما يُقْعِدُكَ هاهنا وأنت مُبَيِّن<sup>(٣)</sup> لهؤلاء ؟ فرفع طرفاً وأمال آخر وأنشأ يقول :

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي كَمِدْ لَا أُسْتَطِعُ أَبْثُ مَا أَجِدْ  
نَفَسَانَ لِي : نَفْسٌ تَضَمِّنُهَا بَلْدٌ وَأَخْرَى حَازَهَا بَلْدٌ  
وَأَرَى الْمَقِيمَةَ لِيْسَ يَنْفَعُهَا صَبْرٌ وَلَا يَقْوِي لَهَا جَلْدٌ  
وَأَظْنَنُ غَائِبَتِي كَشَاهِدَتِي فَكَانَهَا تَجْدُ الدِّيْنَ أَجِدْ

قلت له : أراك عاشقاً . قال : أجل ، قلت : لمن ؟ قال : إنك لستون ! قلت : محسن وإن أخبرتَ . قال : إن أبي عقد لي على ابنة عمٍ لي فتوّق قبل أن تزف إلى ، وخلف لي مالاً عظيماً ، فقبض عَمّ على جميع المال ، وحَبَسني في هذا الدَّيْرِ ، وزعم أنّي مجنون ، وقيم الدار في خلال ذلك يقول لنا : احضروه فإنه الآن يتغير . ثم قال لي : بالله أنشدْتَني شيئاً ، فإني أظنك من أهل الأدب ، فقلت : لرفيقِي :

\* أمال الزجاجي : ١٠٥ ، نهاية الأرب : ٢ - ١٩٠

(١) هو أبو العباس محمد بن يزيد ، كان في عصره شيخ أهل النحو والمرية ، وإليه انتهى علمهما ، وكان قوى الذاكرة حسن العبارة ، فصبح اللسان ، توفي سنة ٢٧٥ هـ . (٢) حجرة : ناحية .

(٣) مبَيِّن : مقايير .

أنشدَهُ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

قبلتُ فَاهَا عَلَى خَوْفٍ مُخَالَسَةً كفافِ النَّارِ لَمْ يَشْعُرُ مِنَ الْعَجْلِ  
ماذَا عَلَى رَصْدٍ<sup>(١)</sup> فِي الدَّارِ لَوْ غَفَلُوا عَنِ قَبْلَهَا عَشْرًا عَلَى مَهْلِ  
غُصَّى جَفُونَكِ عَنِ وَانْظَرِي أَمَّا<sup>(٢)</sup> فَإِنَّمَا افْضَحَ العَشَاقَ بِالْمُقْلَ  
فَقَالَ لِي : أَبُو مَنْ أَنْتَ ؟ جَعَلْتَ فَدَاكَ ! فَقَلْتَ : أَبُو الْعَبَاسِ ، قَالَ : يَا أَبَا  
الْعَبَاسِ : أَنَا وَهَذَا الْفَتَى فِي طَرَفِينِ ؟ هَذَا مَجَاوِرٌ مِنْ يَهُوَاهِ ، مُسْتَقْبِلٌ لِمَا يَنْهَا مِنْهُ ،  
وَأَنَا نَاءٌ مَقْصِيٌّ ، فِيَاهُ أَنْشَدَنِي أَنْتَ شَيْئًا ، فَلَمْ يَحْضُرْنِي غَيْرُ قَوْلِ ابْنِ أَبِي رِبِيعَةَ :  
قَالَتْ سُكِينَةُ وَالدَّمْوَعُ ذَوَارَفُ تَجْرِي عَلَى الْخَدَيْنِ وَالْجَلَابَ :  
لَيْتَ الْمُغَيْرَى الَّذِي لَمْ أَجِزْهُ فِيمَا أَطَالَ تَصَبَّرِي وَطَلَابِي  
كَانَتْ تَرْدَ لِنَا الْمَنَى أَيَامَنَا إِذْ لَا أَلَامُ عَلَى هَوَى وَتَصَابِ  
خَبَرْتُ مَا قَالَتْ فَبِتَ كَانَمَا يُرْمَى الْحَنَّا بِصَوَابِ النَّشَابِ  
أَسْكَنَنِي مَا مَاهَ الْفُرَاتُ وَطَيْبُهُ مِنِّي عَلَى ظَمَارِ وَحْبٍ شَرَابُ  
بِالْذَّمِنَكَ وَإِنْ نَأْيَتِ وَقَلَمَا يَرْعَى النَّسَاءُ أَمَانَةَ الْفَيَابِ  
ثُمَّ قَلْتَ لَهُ : أَنْشِدْنَا شَيْئًا آخَرَ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَبِنْ لِي أَهِي الْطَّلَلُ عَنِ الْأَحَبَابِ مَا فَلُوا  
تَرَى سَارُوا ؟ تَرَى تَرَى زَلُوا بِأَرْضِ الشَّامِ أَوْ رَحْلُوا ؟

فَقَالَ لَهُ رَفِيقٌ - مَجَوَّنَا وَلَعْبَانَا : مَاتُوا ، فَقَالَ : وَبِلَكَ ! مَاتُوا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ !  
مَاتُوا ، فَاضْطَرَبَ وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ الْأَرْضَ ، وَيَقُولُ : وَبِلَكَ !  
مَاتُوا ؟ حَتَّى هَالَنَا أَمْرُهُ ، وَانْصَرَفَنَا عَنْهُ ، ثُمَّ عَدْنَا بَعْدَ أَيَامٍ فَسَأَلَنَا صَاحِبُ الدِّيرِ ،  
فَقَالَ : مَا زَالَتْ تَلَكَ حَالَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ .

(١) الرَّصْدُ : الرَّاصِدُونَ ، أَيُّ الْمَرَاقِبُونَ . (٢) الْأَمَمُ : الْبَيْسِرُ .

## ٨١ — في دار المجانين\*

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : ذُكِرتْ لِلْمَتَوَكِّلْ مَنَازِعَةً جَرَتْ يَقْنَى  
وَبَيْنَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ فِي تَأْوِيلِ آيَةِ ، وَتَنَازُعِ النَّاسِ فِي قِرَاءَتِهَا ، فَبَعْثَ إِلَى مُحَمَّدِ  
ابْنِ الْقَاسِمِ - وَكَانَتْ إِلَيْهِ الْبَصْرَةُ ، فَحَمَلَنِي إِلَيْهِ مَكْرَمًا .

فَلَمَّا اجْتَزَّتْ بِنَاحِيَةِ النَّعَانِ بَيْنَ وَاسْطَ وَبَغْدَادِ ، ذُكِرَ لِي أَنْ بِدَيْرَ هَرْقَلَ  
جَاهَةً مِنَ الْمَجَانِينَ يَعْلَجُونَ ، فَلَمَّا جَاءَ يَتَهُ دَعَّتْنِي نَفْسِي إِلَى دُخُولِهِ ؛ فَدَخَلْتُهُ وَمَعِي  
شَابٌ مِنْ يُرْجَمَ إِلَيْهِ فِي دِينِ وَأَدَبِ ، فَإِذَا أَنَا بِمَجْعُونَ مِنَ الْمَجَانِينَ قَدِدْنَا إِلَيْهِ ؛ فَقَلَتْ :  
مَا يَقْعُدُكَ بِيَنْهُمْ ، وَأَنْتَ بِائْنُ عَنْهُمْ ؟ فَكَسَرَ جَفْنَهُ وَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ<sup>(١)</sup> وَأَنْشَأَ يَقُولَ :

إِنْ وَصَفْوَنِي فَنَاحِلُّ الْجَسَدِ	أَوْ فَتَشَوْنِي فَأَبِيضُ الْكَبَدِ
أَضْعَفَ وَجْدِي وَزَادَ فِي سَقْمِي	أَنْ لَسْتُ أَشْكُوُ الْمَوْى إِلَى أَحَدِ
وَضَمَتْ كَفِي عَلَى فَوَادِيَ مِنْ	حَرَّ الْأَسْىِ ، وَانْطَوِيَتْ فَوْقَ يَدِي
آهِ مِنْ الْحَبِ آهِ مِنْ كَبَدِي	إِنْ لَمْ أَمْتَ فِي غَدِ فَبَعْدَ غَدِ
كَانَ قَلْبِي إِذَا تَذَكَّرُهُمْ فَرِيسَةً	بَيْنَ سَاعِدَيِّي أَسْدِ

فَقَلَتْ : أَحْسَنْتَ ، اللَّهُ دَرَّكَ ! زِدْنِي ، فَأَنْشَأَ يَقُولَ :

أَوْجَعَ قَدْ الْحَبِيبُ لِلْكَبَدِ !	مَا أَقْلَلَ الْبَيْنَ لِلنَّفَوْسِ ! وَمَا
أَسْرَفَ فِي مُهْجَتِي وَفِي جَلَدِي	عَرَضَتْ نَفْسِي مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا
بَيْنَ اعْتَلَاجِ الْمَهْمُومِ وَالْكَمَدِ	يَا حَسْرَتِي أَنْ أَمُوتَ مَعْتَلًا

فقلت : أحسنت ، لا فُضَّلْ فوك ! زِدْنِي ، فأنشاً يقول :

الله يعْلَمْ أنتي كد	لاإستطاعِي أبَثْ ما أجد
فسان لى: نفس تضمّنها	بلدُ وأخرى حازَها بَلَدُ
وأرَى المقيمة ليس ينفعُها	صبرٌ؛ وليس بعينها جَلَدٌ
وأطن غائبتي كشاهدتني أَجِد	فـكـاـنـهـاـتـجـدـالـذـيـأـجـدـ

فقلت : والله لقد أحسنت . فاستَزَدْتُه ، فقال : أراكَ كلاً أنشدتك استزدتنى ،  
وما ذاك إلا لفرطِ أدب ، وفارق شجن ، فأنشدته أنت أيضاً ، فقلت للذى معى :  
أنشده ؟ فأنشد يقول :

عَذْلُّ وَبَيْنُ وَتَوْدِيعُ وَمُرْتَحِلُّ	أَيِّ العَيْوَنْ عَلَى ذَا لِيسْ تَهْمَلُ ؟
تَاهَلُّ مَا جَلَدَى مِنْ بَعْدِمْ جَلَدُ	وَلَا اخْتِزانَ دَمْوعَى عَنْهُمْ بُخْلُ
وَدَدَتُ أَنَّ الْبَحَارَ السَّبِعَ لِي مَدَدُ	وَأَنَّ جَسْمِي دَمْوعَ كَلْهَا هَمَلُ
وَأَنَّ لَيْلَةَ دَرَّ النَّوْيَ لَوْ صَادَفَتْ جَبَلًا	فِي كُلِّ جَارِحةِ بَوْمِ النَّوْيِ مُقْلُ
الْهَجْرُ وَالْبَيْنُ وَالْوَاشُونُ وَالْإِبَلُ	لَا نَهَدَّهُ مِنْهَا وَشِيكَاً ذَلِكَ الْجَبَلُ

قال المجنون : أحسنت ! وقد حضرتَ في معنى ما أنشدت إلى شعر ،  
أَفَأَنْشَدَه ؟ قلت : هات ؟ فأنشاً يقول :

تَرَحَّلَوْا ثُمَّ نَيَطَتْ دُونَهُمْ سُجْفُ	لَوْ كَنْتُ أَمَا كَمْبُومَا لَمَارَحَلُوا
يَا حَادِيَ الْمَيْسَ ، مَهْلَكَى نُودِعَهَا	رَفَقاً ؛ قَلِيلًا ؛ فَقِي تَوْدِيعَهَا الْأَجَلُ

ماراعنى اليوم شىء غير قدهم حتى استقلت وطال الدهر ، ما فعلوا  
 فقال الفتى الذى معى : ماتوا ، فقال الجنون : آه ، آما إن ماتوا فسوف أموت ؟  
 وسقط ميتا ، فما برح حتى غسل وكفن ؛ وصليت عليه ودفنته .  
 ووردت مُرَأة من رأى ، فأدخلت على التوكل ؛ فسئلته عن بعض ما وردت له  
 فأجبت ، وبين يدي التوكل البحترى الشاعر ؛ فابتداً ينشده قصيدة يمدحه بها ،  
 وفي الجلس أبو العنبس الصيمرى <sup>(١)</sup> فأنشده البحترى :

عن أى نَفْرٍ تبَسِّمُ	وبأى طَرْفٍ تَخْتَكِمُ
حَسَنٌ يضىءُ بمحسنه	والحسن أشبه بالكرم
بابانى المجد الذى	قد كان قوْضَنَ فانهدم
اسْلَمَ لِدِينِ مُحَمَّدٍ	إِذَا سَلَمَتْ فَقَدْ سَلَمَ
نَلَنا اَهْمَدَى بعْدَ الْعَدْمِ	بكَ وَالغَنِيَ بعْدَ الْعَدْمِ

فلما أنهى مشى القهقرى للانصراف ، فوثب أبو العنبس ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؟ تأمر برده ؟ فقد - والله - عارضته في قصيده هذه !

فأمر برده ، فأخذ أبو العنبس ينشد :	
منْ أَىْ سَلْحٍ تلتقمُ	وبأى كفٍ تلتقطُ
أَبَى عِبَادَةً فِي الرَّحِيمِ	

(١) محمد بن إسحاق بن إبراهيم الصيمرى ، نديم التوكل ، كان أدبياً ظريفاً عارفاً بالنجوم شاعراً هجاء ، وهو من أهل الكوفة ، ولـ قضاة الصيمرة فنسب إليها . توف سنة ١٧٥ هـ .

ووصل ذلك بما أشبهه من الشّتم ، فضحك التوكيل حتى استلقى على قفاه ، وشخص برجله اليسرى ، وقال : يُدفع إلى أبي العنبس عشرة ألف درهم ؛ فقال الفتح : يا سيدى ، البحترى الذى هجى وأسمع المكروه ينصرف خائباً ! قال : ويُدفع إلى البحترى عشرة ألف درهم ؛ قال : يا سيدى ، وهذا البصرى الذى أشخَصناه من بلده لا يشرِّكهم فيها حصلوه ؟ قال : ويُدفع إليه عشرة ألف درهم ! فانصرفنا كلنا في شفاعة الم Hazel ، ولم ينفع البحترى جده واجتهاده وحزمه .

نعم قال التوكيل لأبى العنبس : أخبرنى عن حمارك ووفاته ، وما كان من شعره في الرؤيا التي رأيتها ! قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ كان أعقل من القضاة ، ولم يكن له جريمة ولا زلة ، فاعتقل على غفلة ، فمات منها ، فرأيته فيها يرى النائم قلت له : يا حمارى ؟ ألم أبْرِدْ لك الماء ، وأنقذ لك الشعير ، وأحسن إليك جهدي ؟ فلم مت على غفلة ! وما خبرك ؟ قال : نعم ! لما كان في اليوم الذى وقفت على فلان الصيدلاني تُكلمه في كذا وكذا ، مرت بي أتان حسناء ، فرأيتها فأخذت بجماع قابي فعشقتها واشتقت وجدي بها ، فت كذا متأسفاً . قلت له : يا حمارى ؟ فهل قلت في ذلك شعراً ؟ قال : نعم ، وأنشدني :

هام قلى بأتان عند باب الصيدلاني  
تيمقنى يوم رحنا بثناياها الحسان

وَبِخَيْرٍ ذِي دَلَالٍ مُثْلِّهِ الشَّنْفَرَانِي  
فَبِهِمَا مِتَّ وَلَوْ شَتَّى إِذْنَ طَالِهِ مَوَانِي

قلت : يا حمار ! فما الشنفراني ؟ فقال : هـذا من غريب الحير ؟ فطرب  
المتوكل وأمر الملهمين والمعتنيين أن يَقْنُوا ذلك اليوم بشعر الحمار، وفرح في ذلك اليوم  
فرحاً وسروراً لم يُرَأِ مثله ، وزاد في تكرمة أبي العَنَبَسِ وجائزته .

---

\* - عتاب ٨٢

قال أبو الحسن البهفاء :

يَنِّي أَنَا وَصَدِيقٌ لِي مِنْ قُرَيْشٍ نَمَشِي بِالْبَلَاطِ<sup>(١)</sup> لِيَلَّا ، إِذَا بَظَلَّ نِسْوَةً فِي  
القَمَرِ ؛ فَسَمِعْتُ إِحْدَاهُنَّ تَقُولُ : أَهُوَ هُوَ ! فَقَالَتْ لَهَا أُخْرَى مَعْهَا : إِمَّا وَاللَّهِ إِمَّا  
لَهُ هُوَ ! فَدَنَتْ مِنِّي ثُمَّ قَالَتْ : يَا كَسْهُلُ ، قُلْ لَهُذَا الَّذِي مَكَثَ :  
لَيْسَ لِيَلِيكَ فِي خَانِ<sup>(٢)</sup> بِعَائِدَةَ كَمَا عَهَدْتَ وَلَا أَيَامَ ذِي سَلَمَ<sup>(٣)</sup>  
فَقَلَتْ : أَجِبْ قَدْ سَمِعْتَ . فَقَالَ : قَدْ وَاللَّهِ قُطِعْ بِي وَأَرْتَجْ عَلَيْ فَأَجِبْ  
عَنِي ، فَقَلَتْ :

فَقَلَتْ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ مَصِيرَةٍ إِذَا وُطِّنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ  
ثُمَّ مَضِينَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِغُرْقِ طَرِيقَيْنِ مَضِيَ الْفَتَى إِلَى مَنْزَلِهِ ، وَمَضِيتُ إِلَى  
مَنْزَلِي ، فَإِذَا أَنَا بِجُوَيْرِيَةِ تَجْدِبُ رَدَائِي ، فَالْتَّفَتْ ، فَقَالَتْ لِي : الْمَرْأَةُ الَّتِي كَلَّبَهَا  
تَدْعُوكَ ، فَضَيَّتُ مَعْهَا حَتَّى دَخَلْتُ دَارًا وَاسْعَةً ، ثُمَّ صَرَّتُ إِلَى بَيْتِي فِي حَصِيرٍ ،  
وَقَدْ ثَنَّتْ لِي وَسَادَةٌ فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا . ثُمَّ جَاءَتْ جَارِيَةٌ بِوَسَادَةٍ مَمْتَنِيَةٍ فَطَرَحَتْهَا ،  
ثُمَّ جَاءَتِ الْمَرْأَةُ فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ لِي : أَنْتَ الْجَيْبُ ، قَاتُ : نَعَمْ ، قَالَتْ :

---

\* الأغاني : ٢ - ٥٨

(١) البلاط : مكان بالمدينة . (٢) موضع يقال له : روضة خان بين الحرمين .

(٣) ذو سلم : موضع .

ما كان أَفْظَّ جوابك وأَغْلظه ! فقلت لها : ما حضرني غيره ، فسكتت ، ثم قالت : لا ، والله ما خلق الله خلقاً أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ مَعَكَ ! فقلت لها : أنا الصامِنُ لِكَ عَنْهُ مَا تَحْبِبُنِي ، فقالت : هيهاتَ أَنْ يَقْعُ بِذَلِكَ وَفَاءً ! فقلت : أنا الصامِنُ وَعَلَى أَنْ آتَيْكَ بِهِ فِي الْلَّيْلَةِ الْمُقْبَلَةِ .

فَانْصَرَفْتُ فَإِذَا الْفَقِيرِيَّابِيُّ ، فقلت : ما جاء بك ! قال : ظننتُ أَنَّهَا سَتَرْسِيلُ إِلَيْكَ ، وَسَأَلْتُ عَنْكَ فَلَمْ أَعْرِفْ لَكَ خَبْرًا ، فَظَنَنتُ أَنَّكَ عِنْدَهَا ، فَجَلَستُ أَنْتَظُرُكَ ، فقلت له : وَقَدْ كَانَ النَّذِيْنِيَّ ظَنِنتَ ، وَقَدْ وَعَدْتُهَا أَنْ آتَيْكَ فَأَمْضِيَّ بِكَ إِلَيْهَا فِي الْلَّيْلَةِ الْمُقْبَلَةِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَنَا هَيَّاً نَا وَانتَظَرْنَا الْمَسَاءَ ، فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ رَحَلْنَا إِلَيْهَا ، فَإِذَا الْجَارِيَّةُ مُنْتَظَرَةٌ لَنَا ، فَضَطَّتْ أَمَامَنَا حِينَ رَأَيْنَا حَتَّى دَخَلْتُ تِلْكَ الدَّارَ وَدَخَلْنَا مَعْهَا ، فَإِذَا رَأْحَمَّةُ طَبِيعَةٍ وَمَجْلِسٌ قَدْ أُعِدَّ وَنُصَدَّ ، فَجَلَسْنَا عَلَى وَسَائِدٍ قَدْ ثُبَّيْتَ لَنَا ، وَجَلَستْ مَلِيئَةً نَمْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ ، فَعَاتَبَتْهُ ثُمَّ قَالَتْ :

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَقْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي      وَأَشَمْتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلْوُمُ  
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي      لَمْ غَرَضاً أَرْزَمَنِي وَأَنْتَ سَلِيمُ  
فَلَوْ كَانَ قَوْلٌ يَكْلُمُ الْجَلَدَ قَدْ بَدَا      بِحِلْدِيَّ مِنْ قَوْلِ الْوَشَاهَ كُلُومُ

ثُمَّ سَكَتَ وَسَكَتَ الْفَقِيرِيَّهُ ثُمَّ قَالَ :

غَدَرْتِ وَلَمْ أَغْدِرْ وَخُنْتِ وَلَمْ أَخُنْ      وَفِي بَعْضِ هَذَا الْمَحْبَّ عَزَاءٍ  
جَزِيْتُكِ ضَعْفَ الْوُدِّ ثُمَّ صَرَّمْتِنِي      فَخَبِيكِ مِنْ قَلْبِي إِلَيْكِ أَدَاءٍ<sup>(١)</sup>

(١) أَدَاءٌ تَأْدِيَةٌ : أَوْصَلَهُ وَقْنَاهُ ، وَالْأَسْمَاءُ الْأَدَاءَ .

فالتفت إلى قالت : ألا تسمع ما يقول أقد خبرتُك ، فَقَمْزَتُهُ أَنْ كُفَّ  
فَكَفَّ ، ثم أقبلت عليه وقالت :

فهلا صرمتَ الحبل إِذْ أَنَا أَبْصِرُ  
تَعْجَلْتَ وَصْلِي حِينَ جَدَتْ<sup>(١)</sup> عَمَّا بَيْتَ  
وَلِي مِنْ قَوَى الْخَبِيلِ الَّذِي قدْ قطعْتَهُ  
وَلَكُمَا آذَنْتَ بِالصَّرْزَمِ بِنَقَّةَ  
وقال :

لَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي - وَأَنْتَ اجْتَرْمَتِهِ  
وَكَنْتَ أَعْزَّ النَّاسِ - عَنْكَ نَطَيْبُ  
فَبَكَتْ ، ثم قالت : أَوْ قَدْ طَابَتْ نَفْسَكِ ! لَا ، وَاللهِ مَا فِيكَ بَعْدَهَا خَيْرٌ  
ثُمَّ التفتَ إلىَّ وَقَالَتْ : قَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَا تَنْفِي بِضْمَانِكِ ، وَلَا يَنْفِي بِهِ عَنْكِ .

---

(١) جَدَبِهِ الْأَمْرُ : اشْتَدَ ، وَالْمَاهِيَّةُ : النَّوَايَةُ وَالْأَصْلَالُ .

## \* ٨٣ - يا غَرِيبَ الدارِ عن وطْنِهِ \*

قال جماعةٌ من أهل البصرة : خرجنا نريدُّ الحج ، فلما كنا ببعض الطريق  
إذا غلام واقفٌ على المحجة<sup>(١)</sup> ، وهو ينادي : أيها الناس ؟ هل فيكم أحدٌ من أهل  
البصرة ؟ فقلنا إليه وقلنا له : ما تريده ؟ قال : إن مولاي لما به يريد أن يوصيكم ،  
فقلنا معه ، فإذا شخص ملقى على بُعد من الطريق تحت شجرة لا يحيطُ جواباً ،  
فجلسنا حوله ، فأحسنَّا بنا ، ورفع طرفه وهو لا يكاد يرتفع ضفافاً ، وأنشأ يقول :  
يا غَرِيبَ الدارِ عن وطْنِهِ مُفرداً يبكي على شجنه  
كلا جَدَّ الْبُكاءِ به دَبَّتِ الأَسْقَامُ فِي بَدَنِهِ  
ثُمَّ أَغْنَى عَلَيْهِ طَوِيلًا ؛ وإنما جلوس حوله إذ أقبل طائر، فوقع على أعلى الشجرة ،  
وجعل يُغَرِّد ، ففتح الفتى عينيه ؛ وجعل يسمع تغريد الطائر ثُمَّ قال :  
ولقد زاد الفؤاد شجّي طائر يبكي على فنه  
شفهَ ما شفني فبكى كلُّا يبكي على سكتهِ  
ثُمَّ تنفس تنفساً فاضت نفسه منه ، فلم يبرح من عنده حتى غسلناه وكفناه ،  
وتولينا الصلاة عليه ، فلما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه ، فقال : هذا العباس  
ابن الأحنف<sup>(٢)</sup>

\* المسعودي : ١ - ٢٨٥ ، نثار الأزهار : ٨٢

(١) المحجة: جادة الطريق، والجاده: معظم الطريق. (٢) كان العباس بن الأحنف عربياً شريف النسب ، لم يتكتب بالشعر ، وإنما ينظم ما يعيش في خاطره ، وأكثره في الفزل ، ولم يتجاوزه إلى مدح أو شهاد ، وكان له مذهب حسن ، ولديباقة شعره رونق ، ولعله عذوبة ولطف ، توف



## البَابُ الْثَالِثُ

---

فِي الْقَصْصِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَيْهَا أَنْ تَصْفُوا بِهِ مِنْ شَدَّةِ الغَيْرَةِ  
عَلَى الْحَرِيمِ ، وَبِالْمُخَافَةِ مِنِ التَّهْمَةِ ، إِغْلَاءِ بِالشَّرْفِ  
وَضْمَانًا لِوَفْرَةِ الْعَرْضِ ، وَمَا جَرَهُ بعْضُ ذَلِكَ مِنْ إِزْهَاقِ  
الْأَرْوَاحِ وَسْفَكِ الدَّمَاءِ ، دَرِيًّا لِلظَّنَّةِ ، وَاتِّقاءً لِلسَّمَعةِ .

---

## ٨٤ — لا أحد أذل من جديس\*

كانت منازل طَسْمٌ في موضع البِيَامَةِ<sup>(١)</sup> ، وكان يملّكهم عَنْلِيقٌ ، وكانت معهم جَدِيسٌ ، ولكنَّ عَمْلِيقاً في أول مُلْكِه قد تَمَادَى في الظُّلْمِ والغَشِّ<sup>(٢)</sup> والسيرة بغیر الحق .

وكانَت امرأةً من جَدِيسٍ يقال لها هُرَيْلَةٌ ، ولما زوجَ يقال له مَاشِقٌ ، فطلّقها وأرادَ أَخْذَ وَلَدِهَا مِنْهَا ، ف Paxاصَّمَتْهُ إِلَى عَمْلِيقٍ ، فَقَالَتْ : يَا إِيَّاهَا الْمَلِكُ ؟ إِنِّي حَلَّتْ نَسَعًا ، وَوَضَمَّتْهُ دَفْنًا ، وَأَرْضَعْتَهُ شَفَعًا ؛ حَتَّى إِذَا تَمَّتْ أُوصَالُهُ ، وَدَنَافِصَالُهُ ، أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْ كَوْهَهَا ، وَيَتَرَكِي مِنْ بَعْدِهِ وَزَهَهَا<sup>(٣)</sup> .

فَقَالَ لِزَوْجِهَا : مَا حَجَّتُكَ ؟ قَالَ : حُجَّتِي أَيْهَا الْمَلِكُ أَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُهُ الْمَهْرَ كَاملاً ، وَلَمْ أَصِبْ مِنْهَا طَائِلًا ، إِلَّا وَلِيَدًا خَامِلًا ، فَاقْفُلْ مَا كَنْتْ فَاعْلَاءً . فَأَمْرَ بالغَلامَ أَنْ يُنْزَعْ مِنْهَا جَهِيْمًا وَيُجْعَلْ فِي غَلْمَانَهُ . فَقَالَتْ هُرَيْلَةٌ :

أَتَيْنَا أَخَا طَسْمٍ لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا فَأَنْفَذَ حَكْمًا فِي هُرَيْلَةَ ظَالِمًا

لِعُمْرِي لِقَدْ حَكَمَ لِأَمْتَوْرَعًا وَلَا كَنْتْ فِيهَا يُبَرِّمُ الْحُكْمَ عَالِمًا

نَدَمْتُ وَلَمْ أَنْدَمْ وَأَنِّي لَعْنَتِي وَأَصْبَحَ بَعْلِي فِي الْحَكْمَةِ نَادِمًا

فَلَمَّا سَمِعَ عَمْلِيقٌ قَوْلَهَا أَمْرَ أَلَا تَزْوَجَ بَكْرًا مِنْ جَدِيسٍ وَتَهْدِي إِلَى زَوْجِهَا

\* مهدب الأغانى : ١ - ١ ، ابن الأثير : ١ - ٢٣ ، الخزانة : ٢ - ٢٣٥.

(١) البِيَامَةُ : بلد كبير فيه قرى وحصون وعيون ونخل (الراشد) .

(٢) النَّمْ : الظُّلْمُ .

حتى يَرَاهَا هو قبل زوجها ، فلَقُوا من ذلك بِلَاءً وجهداً وذللاً ، فلم يَزِل يَفْعَلُ هذا حق زوجت الشَّمْسِ ، فلما أَرَادُوا حَمْلَهَا إِلَى زوجها انطَلَقُوا بِهَا إِلَى عَمِيقِ وَمَعَا<sup>القيان يَقْنَعُنِينَ :</sup>

ابْدَئِي بِعَمِيقِ وَقَوْمِي فَارِكَبِي      وَبَادِرِي الصِّبَحِ لِأَمْرِ مُجَبِّ  
فَسُوفَ تَلَقَّنِ الَّذِي لَمْ تَطْلُبِي      وَمَا لِبَكْرٍ عَنْهُ مِنْ مَهْرَبِ  
فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَلَّ سَبِيلَهَا ، نَفَرَجَتْ إِلَى قَوْمِهَا شَاقَةً دِرْعَهَا وَهِيَ فِي أَقْبَحِ  
مَنْظَرٍ ، وَهِيَ تَقُولُ :

لَا أَحَدٌ أَذَلُّ مِنْ جَدِيسِ      أَهْكَذَا يُفْعَلُ بِالْعَرْوَسِ !  
يَرْضِي بِهَذَا يَالْقَوْمِي حَرَّ      أَهْدَى وَقَدْ أَعْطَى وَسِيقَ الْمَهْرِ  
لِأَخْذَةِ الْمَوْتِ كَذَا لِنَفْسِهِ      خَيْرٌ مِنْ آنَ يُفْعَلَ ذَا بِعْرِسِهِ

وَقَالَتْ - تَحْرِضُ قَوْمَهَا فِيمَا أَتَى إِلَيْهَا :  
أَيْجَمُلُ مَا يُؤْتَى إِلَى فَتِيَانِكُمْ      وَأَنْتُمْ رِجَالٌ فِي كُمْ عَدَدُ النَّمَلِ  
وَتَصْبِحُ تَمْشِي فِي الدَّمَاءِ عُفَيْرَةً      عَشِيَّةَ زُفَّتْ فِي النَّسَاءِ إِلَى بَعْلِ  
وَلَوْ أَنَا كَنَا رِجَالًا وَكُنْتُمْ      نَسَاءً لَكُنَا لَا تُقْرَبُ بِذَا إِقْتَلِ  
فَوَتُوا كِرَامًا أَوْ أَمْيَتُوا عَدُوًّا كَمِ      وَدِبُّوا لِنَارِ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزَلِ<sup>(١)</sup>  
وَإِلَّا فَخَلَوْا بَطْنَهَا ، وَنَحْمَلُوا      إِلَى بَلْدِي قَفْرِي وَمَوْتُوا مِنَ الْمَزَلِ  
فَلَلَّبَّيْنِ خَيْرٌ مِنْ تَمَادٍ عَلَى أَذَى      وَلِمَوْتٍ خَيْرٌ مِنْ مَقَامٍ عَلَى الذَّلِّ  
فَكَوْنُوا نَسَاءً لَاتَّعَابٌ مِنَ الْكَنْخَلِ      وَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَنْضِبُوا بَعْدَ هَذِهِ

(١) الحطب الجزل : الياس ، أو الفليظ منه .

ودونكم طيبُ العَرُوسِ فَإِنَّمَا خُلِقْتُم لِأَنْوَابِ الْعَرُوسِ وَلِلَّنْسِ  
فُبُعدًا وَسُخْنًا لِلَّذِي لَيْسَ دَافِعًا وَيَخْتَالُ يَعْشِي بِيَنْتَانِ مِشْيَةً الْفَجْلِ  
فَمَا سَمِعَ أَخْوَاهَا الْأَسْوَدَ - وَكَانَ سَيِّدًا مَطَاعًا - قَالَ لِقَوْمِهِ : يَا مَعْشِرَ  
جَدِيسِ ، إِنَّ هُؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَيْسُوا بِأَعْزَّ مِنْكُمْ فِي دَارِكُمْ إِلَّا بِمَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ صَاحِبِهِمْ  
عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ ، وَلَوْلَا عَجَزْنَا وَإِدْهَانُنَا<sup>(١)</sup> مَا كَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَيْنَا ، وَلَوْلَا مَقْنَعْنَا  
لَكَانَ لَنَا مِنْهُ النَّصْفُ<sup>(٢)</sup> ، فَأَطْعِمُونِي فِيهَا آمَرْكَمْ بِهِ ؛ فَإِنَّهُ عَزُّ الدَّهْرِ ، وَذَهَابُ ذُلْلَ  
الْعَرِ ؛ وَاقْبِلُوا رَأْيِي .

وَقَدْ أَحْيى جَدِيسًا مَا سَمِعُوا مِنْ قَوْلِهَا ، قَالُوا : نُطِيعُكَ ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ  
أَكْثَرُ وَأَنْجَحُ وَأَقْسَوِي . قَالَ : إِنِّي أَصْنَعُ لِلْمَلَكِ طَعَامًا نَمْ أَدْعُوهُمْ لِهِ جَمِيعًا ،  
إِنَّمَا جَاءُوكُمْ يَرْفُلُونَ فِي الْخَلَلِ ثُرُنَا إِلَى سِيَوْفَنَا ، فَأَهْمَدْنَاهُمْ بِهَا . قَالُوا :  
نَفْعَلُ .

وَصَنَعَ طَعَامًا كَثِيرًا ، وَخَرَجَ بِهِ إِلَى ظَهَرِ بَلْدِهِمْ ، وَدَعَا عَلَيْهِمَا وَسَأَلَهُمْ أَنْ يَتَغَدَّى  
عَنْهُهُ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ؛ وَخَرَجَ إِلَيْهِ مَعَ أَهْلِهِ يَرْفُلُونَ فِي الْخَلَلِ  
وَالْخَلَلِ ، حَتَّى إِذَا أَخْذُوا بِمَا لَهُمْ ، وَمَدُوا أَيْدِيهِمْ إِلَى الطَّعَامِ أَخْذُوا سِيَوْفَهُمْ  
مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ ، فَشَدَّ الْأَسْوَدُ عَلَيْهِ فَقُتِلَ ، وَكُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَلَى جَلِيسِهِ  
حَتَّى أَمَاتُوهُمْ ؛ فَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ الْأَشْرَافِ شَدُوا عَلَى السَّفَلَةِ ، فَلَمْ يَدَعُوْمَا مِنْهُمْ أَحَدًا ،  
وَقَالَ الْأَسْوَدُ فِي ذَلِكَ :

ذُوقِ بَيْغِيكِي يَا طَسْمَ بَجَلَلَةَ قَدْ أَنْيَتِ لِعْمَرِي أَعْجَبَ الْعَجَبِ

(١) الإدهان : إظهار خلاف ما يضر ، والغض .. (٢) النصفة : العدل في الأمور .

إِنَا أَتَيْنَاكُمْ فَنْفُكَ تَقْتَلُهُمْ  
وَالبَّغْيَ هِيجٌ مِنَا سَوْرَةُ الْفَضْبِ  
وَلَنْ يَعُودَ عَلَيْنَا بِغَيْرِهِمْ أَبْدًا  
وَلَمْ يَكُونُوا كَذِي أَنْفِي وَلَا ذَنْبٌ  
وَإِنْ رَعَيْتُمْ لَنَا قُرْبَى مُؤْكِدَةً  
كَنَّا الْأَقْارِبَ فِي الْأَرْحَامِ وَالنَّسَبِ

### \* ٨٥ - آبي الذل \*

قال عمرو بن <sup>(١)</sup> هند صاحب الحيرة يوماً جلساته : هل تعلمون أن أحداً من العرب من أهل ملكتي يألف أن تخدم أممه أهي؟ قالوا . ما نعرفه إلا أن يكون عمرو <sup>(٢)</sup> بن كلثوم التغلبي ، فإن أممه ليلي بنت مهمل بن ربعة وعمها كليب ، وزوجها كلثوم ، وابنها عمرو . فسكت عمرو على ما في نفسه ، وبعث إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ، ويأمره أن تزور أممه ليلي أممه هند بنت الحارث .

قدم عمرو بن كلثوم في فرسان بني تغلب ، ومعه أممه ليلي ، فنزل على شاطئ الفرات ، وبلغ عمرو بن هند قدومه ، فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات ، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته ، وصنع لهم طعاماً ، ثم دعا الناس إليه ، فقرب إليهم الطعام على باب السرادق ، وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخاصص أصحابه في السرادق ، وليلي أم عمرو بن كلثوم معها في القبة ، وقال عمرو لأمه : إِذَا فرغ الناس من الطعام ، ولم يبق إلا الطرف <sup>(٣)</sup> فتحى خدامك عنك واستخدمي ليلي ومربيها

\* ابن الأثير : ١ - ٢٣١ ، بلوغ الأربع : ٢ - ١٤٢

(١) عمرو بن هند : ملك الحيرة في الماجاهية ، عرف بنسبته إلى أممه هند . ويلقب بالحرن ، وهو صاحب صحيفه المتلمس ، وقاتل طرفة بن العبد ، وكان شديد البأس ، كثير الفتوك ، هابته العرب وأطاعته القبائل . وتوفي سنة ٥٧٨ م

(٢) عمرو بن كلثوم : صاحب المعلقة المشهورة <sup>١</sup> ، وينتهي نسبه إلى تغلب ، وكان فارساً شاعراً ، وهو أحد فتاك العرب ، ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن . (٣) الطرف : جمع طرفة : ماتعطيه غيرك ويراد به ما ينتقل به بعد الطعام .

فَلَتُنَاوِلُك الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ ؟ فَقَعَلَتْ هَنْدَ مَا أَمْرَهَا بِهِ ابْنُهَا ، فَلَمَّا اسْتَدْعَى الْطَّرَفَ قَالَتْ هَنْدَ لِلْبَلِيلِ : نَاوَلْنِي الطَّبِيقَ ! قَالَتْ : لِتَقْعُمْ صَاحِبَةُ الْحَاجَةِ إِلَى حَاجَتِهَا ! فَأَلْحَتْ عَلَيْهَا ، قَالَتْ لِلْبَلِيلِ : وَادْلَاهْ يَا آلَ تَغْلِبَ ! فَسَمِعَهَا وَلَدُهَا عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ ؛ فَثَارَ الدَّمُ فِي وَجْهِهِ ؛ وَالْقَوْمُ يَشْرَبُونَ ، فَعُرِفَ عَمْرُو بْنُ هَنْدَ الشَّرَّافِ وَجْهَهُ ، وَثَارَ ابْنُ كَلْثُومٍ إِلَى سَيْفِ ابْنِ هَنْدٍ وَهُوَ مَعْلَقٌ بِالسُّرَادِقِ - وَلَيْسَ هَنْاكَ سَيْفٌ ثَغِيرَهُ - فَأَخْذَهُ ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ رَأْسَ عَمْرُو بْنَ هَنْدٍ فَقُتِلَهُ ، وَخَرَجَ فَنَادَى : يَا آلَ تَغْلِبَ ! فَانْتَهَبُوا مَالَهُ وَخَيْلَهُ ، وَسَبَّوَا النِّسَاءَ ، وَسَارُوا فَلَحِقُوكُمْ بِالْحَيْرَةِ<sup>(١)</sup> .

---

---

(١) فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ قَالَ عَمْرُو بْنُ كَلْثُومَ مَعْلَقَتُهُ الْمُشْهُورَةُ :  
أَلَا هِيَ بِصَحْنِكَ فَاصْبِحْنَا      وَلَا تَبْقِي خُورَ الْأَنْدَرِينَا  
وَقَالَ فِيهَا :

بَأْيِ مُشِيشَةِ عَمْرُو بْنِ هَنْدِ  
بَأْيِ مُشِيشَةِ عَمْرُو بْنِ هَنْدِ  
تَهَدَّدَنَا وَتَوَعَّدَنَا رَوِيدَا  
تَطْبِعُ بِنَا الْوَشَّةَ وَتَزْدَرِينَا  
مَتِّي كَنَا لِأَمْكَ مَقْتُوبِنَا

## ٨٦ — أَجْبَنُ النَّاسَ وَأَحْيَلَ النَّاسَ وَأَشْجَعَ النَّاسَ

دخل عمرو<sup>(١)</sup> بن معد يكرب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر : يا عمرو ؟ أخبرني عن أشجع من لقيت . فقال : والله يا أمير المؤمنين لأخبرناك عن أَجْبَنَ النَّاسَ وَأَحْيَلَ النَّاسَ ، وَأَشْجَعَ النَّاسَ : خرجت مرة أريده الفارة ، فبينما أنا أُسِيرُ إِذْ بِفَرْسٍ مَشْدُودٍ ، وَرُمْحٍ مَرْكُوزٍ ، وَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ ، وَهُوَ كَأَعْظَمِ مَا يَكُونُ مِنَ الرِّجَالِ خَلْقًا ، وَهُوَ خُتَّابٌ بِسِيفٍ .

قلت له : خذ حذرك فإني قاتلتك . فقال : ومن أنت ؟ قلت : أنا عمرو ابن معد يكرب ، فشهق شهقة ، فمات . فهذا أَجْبَنُ مَنْ رأَيْتُ يا أمير المؤمنين .

وخرجت يوماً حتى انتهيت إلى حيٍّ ، فإذا أنا بفرسٍ مشدودٍ ، ورمحٍ مركوزٍ ، وإذا صاحبه في وفدة يقضى حاجة .

قلت : خذ حذرك فإني قاتلتك . قال : من أنت ؟ قلت : أنا عمرو بن معد يكرب . قال : أبا نور<sup>(٢)</sup> ، ما أَنْصَفْتَنِي أَنْتَ عَلَى ظَهِيرٍ فرسك ، وأنا في بئر ، فاعطني عهداً أنك لا تقتلني حتى أركب فرسى ، وآخذ حذري ؛ فأعطيته عهداً آلاً أقتله حتى يركب فرسه ، ويأخذ حذره .

\* نهاية الأرب : ٢ - ١٢٦ ، الغرر : ٢٢٧

(١) عمرو بن معد يكرب : فارس مشهور صاحب وقائع مذكورة ، في الجاهلية والإسلام . توفي سنة ٢١ هـ . (٢) أبو نور : كنية عمرو .

فخرج من الموضع الذى كان فيه ، حتى احتبى بسيفه وجلس . قلت له : ما هذا ؟ قال : ما أنا براكب فرسى ، ولا بقاتلك ، فإن نكثت عهلك فأنت أعلم ، فتركته ومضيت .

فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت ا

ثم إنني خرجت يوما آخر ؛ حتى انتهيت إلى موضع كنت أقطع فيه ، فلم أر أحداً ، فأجريت فرسى يميناً وشمالاً ، فظهر لي فارس .

فلما دنا مني إذا هو غلام قد أقبل نحو العيامة . فلما قرب مني سلمَ ؛ فرددت عليه وقلت : من الفتى ؟ قال : أنا الحارث بن سعد ، فارم الشهباء<sup>(١)</sup> ؛ قلت له : خذ حذرك ، فإني قاتلك ، فقال : الويل لك ! من أنت ؟ قلت : أنا عمرو بن معدىكرب . قال : الحقير الذليل ؟ والله ما يعننى مِنْ قاتلك إلا استصغارك ، فتصاغرتْ نفسى إلى وعزم عندي ما استقبلنى به .

قلت له : خذ حذرك ، فوالله لا ينصرف إلا أحدنا . قال : اغرب<sup>(٢)</sup> ، نَكِلْتُكَ أُمْكَ ! فإني من أهل بيت ما نَكَلْنَا<sup>(٣)</sup> عن فارمِ قط ! قلت : هو الذى تسمع . قال : اختر لنفسك : إما أن تُطرد<sup>(٤)</sup> لي ، وإما أن أُطرد بك ؛ فاغتنمتها منه ، قلت : أُطرد لي . فأطرد ، وحملت عليه ، حتى إذا لقيت : إني وضعت الرمحَ بين كتفيه ، إذا هو قد صار حِزاماً لنرسه ، ثم اتبغى ، فَقَرَعَ بالقناة رأسي ، وقال : يا عمرو ؛ خذها إليك واحدة ، فوالله لو لا أنى أكره قتلَ مثلك لقتلتك ؟

(١) الشهباء : علم على فرس . (٢) اغرب : تبع .

(٣) مانكلنا : ماحتنا . (٤) أطردت الرجل : جعلته طريداً لا يأمن .

فتصاغرت إلى نفسي ، وكان الموت - والله يا أمير المؤمنين - أحب إلى مما رأيت ،  
قلت : والله لا ينصرف إلا أحدنا ، فقال : اختر لنفسك ؟ قلت : أطردلي .

فأطردلي ؛ فظننت أنى قد تمكنت منه ، واتبعته حتى إذا قلت : إنى قد  
وضعت الرمح بين كتفيه ؛ فإذا هو قد صار لبباً<sup>(١)</sup> لفرسه ، ثم اتبعني فرع رأسى  
بالقناة ، وقال : يا عمرو ؛ خذها إليك ثانية . فتصاغرت إلى نفسي ؛ قلت : والله  
لا ينصرف إلا أحدنا .

قال : اختر لنفسك . قلت : أطردلي . فأطرد حتى إذا قلت : إنى وضعت  
الرمح بين كتفيه وثب عن فرسه ، فإذا هو على الأرض ؛ فاختلطاته ومضيت .  
فاستوى على فرسه ، واتبعني فرع بالقناة رأمى ، وقال : يا عمرو ؛ خذها إليك  
ثالثة . ولو لا أنى أكره قتل مثلك لقتلتك .

قلت له : أقتلني ، فإن الموت أحب إلى مما أرى ببني ، وأن تسمع فتیان  
العرب بهذا . فقال : يا عمرو ؛ إنما العفو ثلاثة ، وإنى إن استمكت منك الرابعة  
تعلقك وأنسا يقول :

وَكَدْنَا أَغْلَاظًا مِنَ الْأَيْمَانِ إِنْ عُذْتَ بِأَعْمَرَ إِلَى الطَّعَانِ  
لَتَوْجَرَنَّ<sup>(٢)</sup> لَهَبَ السَّنَانَ<sup>(٣)</sup> أَوْلًا ، فَلَسْتُ مِنْ بْنِ شِيبَانِ !

فما قال هذا كرهت الموت ، وهبته هيبة شديدة ، وقلت : إن لي إليك  
حاجة . قال : وما هي ؟ قلت : أكون لك صاحبا ، ورضيت بذلك يا أمير المؤمنين !

(١) اللبب: ما يشد في صدر الدابة ليمعن استئخار الرجل . (٢) أوجره الرمح: طعنه به في فيه .

(٣) السنان: طرف الرمح .

قال : لستَ من أصحابي . فـكـان ذـلـك وـالـه أـشـدـاً عـلـى وأـعـظـمـاً مـا صـنـع .

فـلـم أـزـلـ أـطـلـبـ إـلـيـهـ حـتـىـ قـالـ : وـيـحـكـ ! وـهـلـ تـدـرـىـ أـينـ أـرـيدـ ؟ قـلـتـ : لـاـ .

قال : أـرـيدـ الـمـوـتـ عـيـانـاـ . قـلـتـ : رـضـيـتـ بـالـمـوـتـ مـعـكـ . قـالـ : اـمـضـ بـنـاـ ؛ فـسـرـنـاـ جـيـعـ يـوـمـنـاـ وـلـيـلـتـنـاـ حـتـىـ جـنـنـاـ الـلـيلـ ، وـذـهـبـ شـطـرـهـ .

فـورـدـنـاـ عـلـىـ حـىـ مـنـ أـحـيـاءـ الـعـرـبـ ، قـالـ لـىـ : يـاـ عـمـرـوـ ، فـيـ هـذـاـ الـحـىـ الـمـوـتـ .

ثـمـ أـوـمـأـ إـلـىـ قـبـةـ فـىـ الـحـىـ ، قـالـ : وـفـىـ تـلـكـ الـقـبـةـ الـمـوـتـ الـأـحـرـ ؛ فـإـمـاـ أـنـ تـمـسـكـ عـلـىـ فـرـسـىـ ؛ فـأـنـزـلـ ، فـأـتـىـ بـمـاجـتـىـ ، وـإـمـاـ أـنـ أـمـسـكـ عـلـيـكـ فـرـسـكـ ؛ فـتـنـزـلـ فـأـتـىـ بـمـاجـتـىـ . قـلـتـ : لـاـ ، بـلـ اـنـزـلـ أـنـتـ ؛ فـأـنـتـ أـعـرـفـ بـمـوـضـ حـاجـتـكـ ؛ فـرـمـىـ إـلـىـ بـعـنـانـ الـفـرـسـ وـنـزـلـ ، فـرـضـيـتـ لـنـفـسـيـ يـاـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ أـنـ أـكـونـ لـهـ سـائـساـ .

ثـمـ مـضـىـ حـتـىـ دـخـلـ الـقـبـةـ ؛ فـاسـتـخـرـجـ مـنـهـ جـارـيـةـ ، لـمـ تـرـ عـيـنـاـيـ قـطـ مـثـلـهاـ حـسـناـ وـجـالـاـ ؛ فـحـلـمـاـ عـلـىـ نـاقـةـ ، ثـمـ قـالـ : يـاـ عـمـرـوـ . قـلـتـ : لـبـيـكـ ! قـالـ : عـلـيـكـ بـزـمـامـ الـنـاقـةـ .

وـسـرـنـاـ بـيـنـ يـدـيهـ ، وـهـوـ خـلـفـنـاـ حـتـىـ أـصـبـحـنـاـ ، قـالـ لـىـ : يـاـ عـمـرـوـ . قـلـتـ : لـبـيـكـ ! مـاـ تـشـاءـ ؟ قـالـ : الـقـيـفـتـ ، فـانـظـرـ هـلـ تـرـىـ أـحـدـاـ ؟ فـالـتـفـتـ ، وـقـلـتـ : أـرـىـ جـالـاـ ، قـالـ : أـغـدـ السـيرـ<sup>(١)</sup> ، ثـمـ قـالـ لـىـ : يـاـ عـمـرـوـ . قـلـتـ : لـبـيـكـ ! قـالـ : اـنـظـرـ ، فـإـنـ كـانـ الـقـوـمـ قـلـيلاـ ، فـالـجـلـدـ وـالـقـوـةـ وـالـمـوـتـ . وـإـنـ كـانـواـ كـثـيرـاـ فـلـيـسـواـ بـشـىـ . فـالـتـفـتـ ، قـلـتـ : هـمـ أـرـبـعـةـ أـوـ خـمـسـةـ . قـالـ : أـغـدـ السـيرـ ، وـسـمـ وـقـعـ الـخـلـيلـ ، قـالـ لـىـ : يـاـ عـمـرـوـ ،

(١) أـغـدـ السـيرـ : أـسـرـعـ فـيـهـ .

قلت : لَبِّيْك ! قال : كُنْ عَلَى يَمِينِ الطَّرِيقِ وَقِفْ ، وَحَوَّلَ وُجُوهَ دَوَابِنَا إِلَى  
الطَّرِيق ؟ فَقَعَلَتْ ، وَوَقَفَتْ عَلَى يَمِينِ الرَّاحِلَةِ وَوَقَفَ هُوَ عَنْ يَسَارِهَا .

وَدَنَا الْقَوْمُ مِنَا ؛ فَإِذَا هُمْ ثَلَاثَةٌ نَفَرُ فِيهِمْ شَيْخٌ ، وَهُوَ أَبُو الْجَارِيَةِ وَأَخْوَاهُ  
وَهُمْ غَلَامَانِ شَابَانِ ؛ فَسَلَّمُوا فَرَدَدُنَا السَّلَامُ ، وَوَقَفُوا عَنْ يَسَارِ الطَّرِيقِ .

فَقَالَ الشَّيْخُ : خَلَّ عَنِ الْجَارِيَةِ يَابْنَ أَخِي ؟ فَقَالَ : مَا كُنْتُ لَأُخْلِيَّهَا ، وَلَا  
هَذَا أَخْذَتُهَا ! فَقَالَ لَأَصْفَرِ ابْنِي : اخْرُجْ إِلَيْهِ ؛ نَفْرَجْ وَهُوَ يَمْجُرُ رَحِمَهُ ، وَحَلَّ عَلَيْهِ  
الْحَارِثُ ، وَهُوَ يَقُولُ :

مِنْ دُونِ مَاتَرٍ جُوْهَ خَضْبُ الدَّاَبِلِ<sup>(١)</sup>      مِنْ فَارِسٍ مُسْتَقْلِمِ<sup>(٢)</sup>      مَقَاتِلُ  
يُنْعَى إِلَى شَيْبَانَ خَيْرٍ وَائِلٍ      مَا كَانَ سَيْرِي نَحْوَهَا بِيَاطِلِي !  
نَمْ شَدَّ عَلَيْهِ ؛ فَطَعَنَهُ طَعْنَةً ، دَقَّ مِنْهَا صَلْبَهُ ؛ فَسَقَطَ مِيتًا .

فَقَالَ الشَّيْخُ لَابْنِهِ الْآخَرَ : اخْرُجْ إِلَيْهِ يَابْنِي ، فَلَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ عَلَى النَّذْلِ ،  
نَفْرَجْ إِلَيْهِ وَأَقْبَلَ الْحَارِثُ يَقُولُ :

لَقَدْ رَأَيْتَ كَيْفَ كَانَتْ طَعْنَتِي !      وَالظَّعْنُ لِقَرْنِ الشَّدِيدِ هَمْتِي  
وَالْوَلُوتُ خَيْرٌ مِنْ فِرَاقِ خَلْتِي      فَقَتَلَتِي الْيَوْمُ وَلَا مَذْلَتِي  
نَمْ شَدَّ عَلَيْهِ ، فَطَعَنَهُ طَعْنَةً ، سَقَطَ مِنْهَا مِيتًا .

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : خَلَّ عَنِ الظَّعْنِي<sup>(٣)</sup> يَابْنَ أَخِي ؟ فَإِنِّي لَسْتُ كَمْ رَأَيْتَ . قَالَ :  
مَا كُنْتُ لَأُخْلِيَّهَا وَلَا هَذَا قَصْدَتِي . قَالَ لَهُ الشَّيْخُ : اخْتَرْ يَابْنَ أَخِي ، فَإِنْ شَتَّ

(١) الدَّاَبِلُ : الْقَنَا الرَّقِيقُ ، وَيَقْصُدُ بِخَضْبِهِ غَمْسَهُ فِي الدَّمِ . (٢) اسْتِلَامُ الْفَارِسِ : لِبْسُ الْلَّاَمَةِ

وَهِيَ الدَّرْعُ . (٣) الظَّعْنِيَةُ : الْمَرْأَةُ مَا دَامَتْ فِي الْمَوْدِجِ .

طاردتَك ، وإن شئت نازلتَك ؛ فاغتنمها الفتى ونزل . ونزل الشيخ ، وهو يقول :

ما أرْتَجِي بِمَدْفَأَهُ عُمْرِي ؟ سأجعل السنين مثل الشهر  
شيخ يحامي دون بيض الخدر<sup>(١)</sup> إِنَّ اسْتِبَاحَ الْبَيْضَ قَصْمُ الظَّهَرِ  
سوف ترى كيف يكون صبْرِي

فأقبل الحارث ، وهو يقول :

بعد ارْتِحَالِي وطُولِيلِ سَفْرِي وقد ظفِرتُ وشفَيتُ صَدْرِي  
والموتُ خيرٌ من لِياسِ الْغَدَرِ والعَارُ أَهْدِيهِ لَهُ بَكْرٌ

ثم دنا ، فقال له الشيخ : يا بنَ أخي ؛ إن شئت نازلتَك ، وإن بقيتَ فيك  
قوة ضربتني ؛ وإن شئت فاضربني ؛ فإنْ بقيتْ فـ قوة ضربتك .  
فاغتنمها الفتى ، فقال : وأنا أبدؤك . قال : هات . فرفع الحارث السيف ،  
فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به إلى رأسه ، ضرب بطنَه ضربةً فقدَ معاه ، ووَقْتَ  
ضربةُ الحارث في رأسه ؛ فسقطا ميتين .

فأخذتُ يا أمير المؤمنين أربعة أفراس ، وأربعة أسياف . ثم أقبلت إلى الناقة  
فقدتْ أعنَة الأفراس بعضها إلى بعض وجملتْ أقوادُها . فقالت الجارية : يا عمرو ؟  
إلى أين ؟ ولستَ لي بصاحب ، ولستَ كمن رأيت ، ولو كنتَ صاحبي لسلكت  
سبيلهم ! قلت : اسْكُتِي ؛ قالت : فإنْ كنتَ صادقاً فأعطي سيفاً ورحماً ؛ فإنْ  
غلبتَنِي فأنا لكَ ، وإنْ غلبتَك قتلتُك .

---

(١) بيض الخدر : يريد به النساء .

فقلت لها: ما أنا بمعطيك ذلك، وقد عرفت أصلك، وجرأة قومك وشجاعتهم،

فرمت نفسها عن البعير، وهي تقول:

أَبَعْدَ مَا شَيْخِي وَبَعْدَ إِخْرَى أَطْلَبُ عِيشًا بَعْدَهُ فِي لَذَّةٍ؟

هَلْ لَا تَكُونُ قَبْلَ ذَاهِنِي؟

وأهوت إلى الرُّمح، فكادت تنزعه من يدي. فلما رأيت ذلك خفت إن

هي ظفرت بي أنْ تقتلني، فقتلتها.

فهذا أشدُّ ما رأيته يا أمير المؤمنين. فقال عمر بن الخطاب: صدقت يا عمرو!

## ٨٧ — خَل سَبِيلَ الْمُحْرَةِ الْمَنِيَّةِ \*

خرج دُرِيدُ<sup>(١)</sup> بن الصمة في فوارس بنى جسم يريد الفارة على بنى كنانة ، فلما كان بوادي كنانة رفع له رجل من ناحية الوادى معه ظعينة<sup>(٢)</sup> . فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه : صِح به أن خل عن الظعينة وانج بنفسك - وهو لا يعرفه - فانهوى إليه الرجل وألح عليه ؛ فلما أبى ألقى زمام الراحلة ، وقال للظعينة :

سيرى على رسليك سير الأمين سير رداح<sup>(٣)</sup> ذات جاش ساكن  
إن اثنيني دون قرنى<sup>(٤)</sup> شائنى<sup>(٥)</sup> أبلى بلاوى واخمرى وعاينى  
ثم حمل على الفارس فصرعه ، وأخذ فرسه فأعطاه الظعينة . فبعث دُرِيد  
فارسا آخر لينظر ما صنع صاحبه ؛ فرأه صريحاً ، فصالح به ، فتصام عنه فظن  
أنه لم يسمع فتشيه ، فألقى زمام الراحلة إلى الظعينة ، ثم حمل على الفارس فصرعه ،  
وهو يقول :

خَل سَبِيلَ الْمُحْرَةِ الْمَنِيَّةِ إِنَكَ لَاقِ دُونِمَارَيَّةِ

\* الأغاني : ٤ - ١٢٩ ، الأمالى : ٢ - ٢٧١ ، السبط : ٢ - ٩١٠ ، العقد الفريد : ٣ - ٣٢٤

(١) دريد بن الصمة : سيد بنى جسم وفارسهم وقائدتهم : كان مظفراً ميمون النقية ، غزا نحو مائة غزوة مأذخن في واحدة منها ، وأدرك الإسلام ولم يسلم . توفي سنة ٨٠ هـ . (٢) الظعينة . المرأة مادامت في المهدج . (٣) امرأة رداح : عجزاء نقية الأوراك ناتمة الحلق . (٤) القرن : اللكفاء . (٥) شائنى : يعيىنى .

فِي كَفَّهُ خَطْلَيَةَ<sup>(١)</sup> مُطِيعَهُ أَوْلًا فَخُذْهَا طَعْنَةَ سَرِيعَهُ  
فَالظَّعْنُ مِنْ فِي الْوَغْنَى شَرِيعَهُ

ثُمَّ حَلَّ عَلَيْهِ فَصَرَعَهُ .

فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى دُرِيدَ بُثَّ فَارسًا آخَرَ ؛ لِيَنْظُرَ مَا صَنَعَا ، فَانْهَى إِلَيْهِمَا ، فَرَآهُمَا  
صَرِيعَيْنِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ يَقُودُ ظَعِينَتَهُ ، وَيَجْزُرُ رُمْحَهُ ، قَالَ لِهِ الْفَارِسُ : خَلَّ عَنِ  
الظَّعِينَةِ . قَالَ لَهَا رِبِيعَةُ : اقْصِدْيَ قَصْدَ الْبَيْوَتِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَالَ :  
مَاذَا تَرِيدُ مِنْ شَتِيمٍ<sup>(٢)</sup> عَابِسٍ أَمْ تَرِيدُ الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ  
أَرْدَاهَا عَامِلٌ رُمْحٌ يَابِسٍ

ثُمَّ طَعْنَهُ فَصَرَعَهُ ، فَانْكَسَرَ رِمْحُهُ .

فَارْتَابَ دُرِيدُ ، وَظَنَّ أَنَّهُمْ قَدْ أَخْذُوا الظَّعِينَةَ وَقَتَلُوا الرَّجُلَ ، فَلَحِقَ بِهِمْ  
فُوجِدَ رِبِيعَةَ<sup>(٣)</sup> بْنَ مَكْدَمَ لَا رُمْحَ مَعَهُ وَقَدْ دَنَا مِنَ الْحَيَّ ، وَوُجِدَ أَحْبَابُهُ قَدْ  
قُتِلُوا ، قَالَ لِهِ دُرِيدَ : أَيُّهَا الْفَارِسُ ؟ إِنَّ مَلِكَ لَا يُقْتَلُ ، وَإِنَّ الْخَيلَ نَاثِرَةً  
بِأَحْبَابِهَا ، وَلَا أَرَى مَعَكُمْ رُحْمًا ، وَأَرَاكَ حَدِيثَ السَّنَّ فَدُونَكَ هَذَا الرَّمْحُ ، فَإِنِّي  
رَاجِعٌ إِلَى أَحْبَابِي ، فَثَبَطَهُمْ عَنِّكَ .

فَأَتَى دُرِيدَ أَحْبَابَهُ ، قَالَ : إِنَّ فَارِسَ الظَّعِينَةَ قَدْ حَمَاهَا وَقُتِلَ فَوَارِسِكَ وَانْتَزَعَ  
رُحْمُهُ وَلَا طَمَعَ لَكُمْ فِيهِ ؛ فَانْصَرَفَ الْقَوْمُ ، وَقَالَ دُرِيدَ :  
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ حَامِي الظَّعِينَةِ فَارسًا لَمْ يُقْتَلْ

(١) يُرِيدُ رَحْمًا ، وَالرَّماحُ نَسْبَةُ الْحَطَّ ، ثَنَرُ بِالْجَرِينِ . (٢) الشَّتِيمُ : الْأَسْدُ الْعَابِسُ .

(٣) رِبِيعَةُ بْنُ مَكْدَمٍ : هُوَ أَحَدُ فَرَسَانِ مَضْرِعِ الْمَدُودِينِ ، وَشَجَعَ عَنْهُمُ الْمُفْهُورِينَ . تَوْفِيقُ سَنَةٍ ٥٥٨ م.

أَرْدَى فُوَارِسَ لَمْ يَكُونُوا نَهْزَةً<sup>(١)</sup> ثُمَّ اسْتَمَرَ كَانَهُ لَمْ يَقْعُدْ  
 مَتَهِلًا تَبَدُّو أَسِرَّةً وَجِهَاتِهِ<sup>(٢)</sup> مِثْلُ الْحَسَامِ جَلَّتُهُ أَبْنَى الصَّيْقَلَ<sup>(٣)</sup>  
 مَتَوَجِّهًا يَمْنَاهُ نَحْوَ النَّزْلِ<sup>(٤)</sup> بُزُّجِي ظُفَينَتَهُ وَيَسْحَبُ رَحْمَتَهُ  
 مِثْلَ الْبُغَاثِ<sup>(٥)</sup> خَشِينَ وَقَعَ الْأَجْدَلَ<sup>(٦)</sup> وَتَرِي الْفُوَارِسَ مِنْ نَخَافَةِ رَحْمِهِ  
 يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ أَبُوهُ وَأَمْهُ؟<sup>(٧)</sup> يَا صَاحِبِي مَنْ يَمْهُلَهُ لَا يَجْهَلَهُ  
 قَالَ رَبِيعَةُ :

إِنْ كَانَ يَنْفَعُكَ الْيَقِينُ فَسَأْتَلِي  
 إِذْ هِيَ لِأَوْلِ مَنْ أَتَاهَا نَهْزَةُ  
 إِذْ قَالَ لِي أَدْنَى الْفُوَارِسِ مِيَتَهُ :  
 فَصَرَفْتُ رَاحْلَةَ الظُّعِينَةِ نَحْوَهُ  
 وَهَتَكْتُ بِالرَّمْحِ الطَّوِيلِ إِهَابَهُ<sup>(٨)</sup>  
 وَمَنْحَتُ آخَرَ بَعْدَهُ جِيَاشَهُ  
 وَلَقَدْ شَفَقْتُمَا بَآخِرِ ثَالِثٍ  
 ثُمَّ لَمْ يَلْبِثْ بَعْدَ ذَلِكَ بْنُو مَالِكَ بْنَ كَنَانَةَ رَهْطَ رَبِيعَةَ بْنَ مُكَدَّمَ أَنَّ أَغَارُوا  
 عَلَى بْنِي جَشَمَ رَهْطِ دَرِيدَ ، فَقَتَكُوا وَأَسْرُوا وَغَنَمُوا ، وَأَسْرُوا دَرِيدَ بْنَ الصَّمَةَ ،  
 فَأَخْفَى نَسْبَهُ ، فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَهُ إِذَا جَاءَ نَسْوَةٌ يَتَهَادَيْنَ إِلَيْهِ ، فَصَرَخَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ  
 قَالَتْ : هَلْ كُمْ وَأَهْلَكُمْ ، مَاذَا جَرَّ عَلَيْنَا قَوْمُنَا؟ هَذَا وَاللَّهُ الَّذِي أَعْطَى رَبِيعَةَ

(١) النَّهْزَةُ : الشَّيْءُ الَّذِي هُولَكَ مَعْرِضَ كَالْقَنْيَمَةِ ، يَقَالُ : فَلَانَ نَهْزَةُ الْخَلْسِ ، أَى صَبَدَ لَكَ أَحَدَ . (٢) الصَّيْقَلُ : جَلَامُ السَّيْفِ وَشَحَادَّهَا . (٣) الْبُغَاثُ : طَائِرُ أَغْبَرٍ . (٤) الْأَجْدَلُ : الصَّقْرُ . (٥) إِهَابَهُ : جَلْدُهُ . (٦) الضَّجْعُ : عَوْجُ الْفَمِ ، وَمِيلُ الشَّدَقِ . وَيَشَبَّهُ الْمَرْحُ الوَاسِعُ بِالْفَمِ الْأَضْجَعِ .

رُمْحَةُ يَوْمَ الظُّعِينَةِ، ثُمَّ أَلْقَتْ عَلَيْهِ نُوبَهَا وَقَالَتْ: يَا آلَ فِرَاسٍ، أَنَا جَارَةُكُمْ، هَذَا صَاحِبُنَا يَوْمَ الْوَادِيِّ، فَسَأْلُوهُ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَنَا دُرَيْدَ بْنُ الصَّمَّةِ، هَا فَعَلْ رَبِيعَةُ بْنُ مُكَدَّمَ؟ قَالُوا: قُتْلَتْهُ بْنُو سُلَيْمَ، قَالَ: فَمَنِ الظُّعِينَةُ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ؟ قَالَتِ الرَّأْةُ: رَبِيعَةُ بْنَتُ جِذْلٍ وَأَنَاهِي، فَخَبَسَهُ الْقَوْمُ، وَآمَرُوا أَنفُسَهُمْ<sup>(١)</sup> وَقَالُوا: لَا يَنْبَغِي أَنْ تُكَفَّرَ نَعْمَةُ دُرَيْدٍ عِنْدَنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَاللَّهِ لَا يَخْرُجُ مِنْ أَيْدِينَا إِلَّا بِرَضَا الْمُخَارِقِ الَّذِي أَسْرَهُ . فَانْبَعَثَتِ الرَّأْةُ فِي اللَّيلِ قَالَتْ:

سَنَجْزِي دُرَيْدًا عَنْ رَبِيعَةَ نِعْمَةَ وَكُلُّ فَتَّى يُجْزَى بِمَا كَانَ قَدَّمَما  
فَإِنْ كَانَ خَيْرًا كَانَ خَيْرًا جَزَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا كَانَ شَرًّا مَذَّمَّا  
سَنَجْزِيَهُ نِعْمَةً لَمْ تَكُنْ بِصَفِيرَةٍ قَدْ أَدْرَكَتْ كَفَاهُ فِينَا جَزَاءُهُ  
بِإِعْطَائِهِ الرَّمْحَ السَّدِيدَ الْمُقَوْمًَا قَدْ أَدْرَكَتْ كَفَاهُ فِينَا جَزَاءُهُ  
وَأَهْلَهُ بِأَنْ يُجْزَى الَّذِي كَانَ أَنْعَمَّا فَلَا تَكْفُرُوهُ حَقَّ نِعْمَاهُ فِي سَكُمْ  
فَإِنْ كَانَ حَيَا لَمْ يَضِيقْ بِثَوَابِهِ قَدْ أَدْرَكَتْ كَفَاهُ فِينَا جَزَاءُهُ  
وَلَا تَجْعَلُوا الْبُؤْسَى إِلَى الشَّرِّ سُلَمًا فَأَصْبَحَ الْقَوْمُ، فَتَعَاوَنُوا بَيْنَهُمْ فَأَطْلَقُوهُ، وَكَسْتَهُ رَبِيعَةُ وَجْهُهُ تَهْ، وَلَحَقَ بِقَوْمِهِ  
وَلَمْ يَزِلْ كَافِأً عَنْ غَزْوِ بَنِي فِرَاسٍ حَتَّى هَلَكَ .

(١) آمَرُوا أَنفُسَهُمْ: تَشَوَّذُوا .

## ٨٨ — عند الموت\*

مُحَمَّلَ هُدْبَةُ بْنَ خَشْرَمَ (١) الْعَذْرِيُّ إِلَى معاوِيَةَ، وَكَانَ قَدْ قُتِلَ (٢) زِيَادَةَ بْنَ زِيدَ الْمُدْرِيِّ؛ وَقَدْمَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أخْوَ زِيَادَةَ؛ فَادْعَى عَلَيْهِ قَالَ لَهُ معاوِيَةَ: مَا تَقُولُ؟ قَالَ: أَتَحْبُّ أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ شِعْرًا أَمْ نَثَرًا؟ قَالَ: بَلْ شِعْرًا؛ فَإِنَّهُ أَمْتَعٌ! قَالَ هُدْبَةُ:

فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّمَا هِيَ ضَرْبَةُ  
مِنَ السِّيفِ أَوْ إِغْصَاهُ عَيْنِ عَلَى وَتْرِ<sup>(٣)</sup>  
عَدْتُ لِأَمْرٍ لَا يُعَيِّرُ وَالَّذِي  
خَزَّأَيْتُهُ<sup>(٤)</sup> وَلَا يُسَبِّ بِهِ قَبْرِيِّ  
رُمِيْنَا فَرَامِيْنَا فَصَادَفَ سَهْمِيَا  
مَنِيْتَهُ نَفْسِيِّ فِي كِتَابِ وَفِي قَدْرِ  
وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا نَسَا  
وَرَاءَكَ مِنْ مَعْدَى وَلَا عَنْكَ مِنْ قَصْرِ  
فَإِنْ نَكُ فِي أَمْوَالِنَا لَا نَضِيقُ بِهَا ذِرَاعًا وَإِنْ صَبَرْ<sup>(٥)</sup> فَنَصِيرُ لِلصَّابِرِ

فَقَالَ لَهُ معاوِيَةَ: أَرَأَكَ قَدْ أَفْرَنْتَ يَا هُدْبَةَ؟ قَالَ: هُوَ ذَلِكُ، قَالَ لَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ:  
أَقْدَنْتِي<sup>(٦)</sup>؟ فَكَرِهَ ذَلِكَ معاوِيَةَ، وَضَنَّ<sup>\*</sup> بِهِ هُدْبَةَ عَنِ القَتْلِ.

\* رغبة الأمل : ٢ - ٢٣٩ ، الكامل : ٢ - ٣٠٣

(١) هدبة : شاعر إسلامي فصيح متقدم من بادية الحجاز ، وكان راوية للخطب ، وكان جيل راوية هدبة . وأما زيادة فينتهي نسبه إلى الحارث بن سعد ، وكلها شاعر إسلامي كان في عهد النبي أئية ، توفي سنة ٥٤ هـ . (٢) كان من أمر قتل هدبة لزيادة أنهاها أقبلًا من الشام في ركب من قومها وكانت يتعاقبان سوق الإبل ، فرجز كلها بأخت الآخر بما يقع ذكره ، ففضي هدبة حتى أصاب منه غرة فقتله . (٣) الوتر : الأنار . (٤) المزاية : الاستحياء ، ويقال : رجل خزان ، وهو الذي عمل أمراً فيحًا فاشتد لذلك حياؤه وخرايته . (٥) الصبر هنا : الحبس حتى يموت . (٦) أفاد القاتل بالقتل : قتله به .

وكان ابن زيادة صغيراً فوجئ به إلى المدينة ؛ وقال : يحبس إلى أن يبلغَ .

فلا بلغ كان والي المدينة سعيد بن العاص .

**فَمَا وُقِفَ عَلَيْهِ مِنْ قَسْوَتِهِ قَوْلُهُ :**

وَلَمَّا دَخَلْتُ السُّجْنَ يَا أُمَّ مَالِكٍ ذَكْرُ تُكَ وَالْأَطْرَافُ فِي حَلَقِ سُنْرٍ<sup>(١)</sup>

وَعِنْدَ سَعِيدٍ غَيْرُ أَنْ لَمْ أَبْعُجْ بِهِ ذَكْرُ تُكَ، إِنَّ الْأَمْرَ يُذَكَّرُ بِالْأَمْرِ

فُسْتَلَ عن هذا القول ، فقال : لما رأيت نفر<sup>(٢)</sup> سعيد ، ذكرت به ثغراها .

ثُمَّ لَمْ يَرْعِضْ<sup>(٣)</sup> عَلَى ابْنِ زِيَادَةَ عَشْرَ دِيَاتٍ ؛ فَأَبَى إِلَّا الْقَوَادَ ، فَلَمَّا خَرَجَ

بِهِدَّبَةٍ لِيُقَادَ بِالْحَرَّةِ<sup>(٤)</sup> ، جَعَلَ يُنْشِدُ الْأَشْعَارَ ، فَقَالَتْ لَهُ حَبِي<sup>(٥)</sup> الْمَدِينَيَّةُ : مَا رَأَيْتُ

أَقْسَى قَلْبًا مِنْكَ ! أَنْذُشِدُ الْأَشْعَارَ وَأَنْتَ يُمْضِيَ بِكَ إِلَى الْقَتْلِ ، وَهَذِهِ خَلْفَكَ كَانَهَا

ظَلَبِيُّ عَطْشَانُ تُوْلُولَ - نَعْنَى امْرَأَهُ ؛ فَوَقَفَ وَوَقَفَ النَّاسُ مَعَهُ ، فَأَقْبَلَ عَلَى

**حَبِيَّ قَالَ :**

مَا وَجَدَتْ وَجْدِي بِهَا أُمٌّ وَاحِدٌ      لَا وَجْدَ حَبِي بِابنِ أُمٍّ كَلَاب<sup>(٦)</sup>

رَأَتْهُ طَوْبِيلَ السَّاعِدَيْنَ شَمْرَدَلَا<sup>(٧)</sup>      كَمَا انتَعَقَتْ<sup>(٨)</sup> مِنْ قَوَّةِ وَشَابَابِ

فَأَغْلَقَتْ حَبِي الْبَابَ فِي وَجْهِهِ وَسَبَّتْهُ .

(١) الأطراف : يزيد يديه ورجليه ، والملق السمر : القيود والأغلال . (٢) كان سعيد من أحسن الناس ثغرا . (٣) كان من عرض الديات عليه الحسين بن علي ، وعبد الله بن جعفر ، وسعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم ، وسائر القوم من قريش والأنصار . (٤) موضع بالمدينة . (٥) حبي : اسم امرأة كانت معروفة بالمدينة ، والمدينية يأتيا بالياء ، نقل ياقوت : أنه يقال : مدنى ، لمن تحول عن المدينة وكان منها ، ومديني لمن أقام فيها . (٦) ابن أُمٍّ كلاب : زوج حبي ، وكان شاباً تزوجته وكانت عجوزاً . (٧) الفتى القوى . (٨) المنتع من الدواب والناس : الوصوف بما يفضلها على غيرها (السان - مادة نمت) .

وعرض له عبد الرحمن بن حَسَان ؛ فقال : أَنْشَدَنِي ، فقال له : أَعْلَى هَذِهِ  
الحَالِ ! قال : نَمْ ، فَأَنْشَدَهُ :

وَلَسْتُ بِمُفْرَاحٍ إِذَا الْدَّهْرُ سَرَّنِي  
وَلَا جَازَعٌ مِنْ صَرْفَهُ<sup>(١)</sup> الْمُتَقَلِّبُ  
وَلَا أَتَبْغِي الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكٌ  
وَلَكِنْ مَتَى أُنْهَى عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبِ  
وَحَرَّةَ بَنِي<sup>(٢)</sup> مَوْلَايٌ حَتَى غَشِيقَتِهِ  
مَتَى مَا يُحِرِّبُكَ ابْنُ عَمِّكَ تَهْرِبِ  
فَلَمَا قُدِّمَ نَظَرَ إِلَى امْرَأَتِهِ ، فَدَخَلَتْهُ غَيْرَةُ<sup>(٣)</sup> ، وَقَدْ كَانَ جُدِّعَ فِي حِرْبِهِ ،  
قال :

فَإِنْ يَكُ أَنْفِي يَانَ<sup>(٤)</sup> مِنْهُ جَاهُلُهُ  
فَإِنْ حَسَبِي فِي الصَّالِحِينَ بِأَجْدَعَهَا  
فَلَا تَنْكُحُ إِنْ فَرَقَ الدَّهْرَ بَيْنَنَا<sup>(٥)</sup>  
أَعْمَ<sup>(٤)</sup> الْقَوْلَ وَالْوَجْهِ لِيُسْأَلُنَا<sup>(٦)</sup>  
فَقَالَتْ : قِفُوا عَنِّهِ سَاعَةً<sup>(٧)</sup> ، ثُمَّ مَضَتْ وَرَجَمَتْ . وَقَدْ اصْطَلَمْتُ<sup>(٨)</sup> أَنْهَا  
قَالَتْ : أَهْذَا فَعْلُ مَنْ لَهُ فِي الرِّجَالِ حَاجَةٌ ؟ فَقَالَ : الآن طَابَ الْوَتْ !

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَبُوَيْهِ فَقَالَ :

أَبْلِيَانِ الْيَوْمَ صَبِرًا مِنْكَا<sup>(٩)</sup>  
إِنَّ حُزْنًا مِنْكَا الْيَوْمَ لَشَرَ<sup>(١٠)</sup>  
مَا أَظْنُ الْمَوْتَ إِلَّا هِينَى<sup>(١١)</sup>  
إِنَّ بَعْدَ الْمَوْتِ دَارٌ لِلْمُسْتَقْرَرِ<sup>(١٢)</sup>

ثُمَّ قَالَ :

(١) صرف الدهر : حدثاته ونواتيه . (٢) حربي : حلني على التضب . (٣) يان : هنا  
اقضل وذهب عنه . (٤) الفم : سيلان الشعر حتى تصفيق به الجبهة والفم . (٥) النزع : انحسار  
الشعر من جانبي الجبهة . (٦) الصلم : قطع الأذن والأذن من أصله . واصطلمه : استأصله .

أَذَا الْعَرْشِ إِنِّي عَائِدٌ بِكَ مُؤْمِنٌ  
مُقْرِئٌ بِزَلَّاتِي إِلَيْكَ فَقِيرٌ  
وَإِنِّي وَإِنْ قَالُوا : أَمِيرٌ مُسْلَطٌ  
وَحُجَّابٌ أَبْوَابٌ لَهُنَّ صَرِيرٌ  
لَا يَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ أَمْرُكَ إِنْ تَدِينُ<sup>(١)</sup>  
فَرَبٌ وَإِنْ تَنْفِرْ فَإِنْتَ غَفُورٌ  
نَمْ قَالَ لَابْنِ زِيَادَةَ : أَثْبِتْ قَدْمِيْكَ ، وَأَجِدُ الضَّرَّبَةَ ، فَإِنِّي أَيْتَمْتُكَ صَغِيرًا ،  
وَأَرْمَنْتُ أَمْكَ شَابَةً !

---

(١) تَدِينَ : تَجَازِي .

## ٨٩ - تَعْدُ الذَّابِحَةَ عَلَى مَنْ لَا كَلَابَ لَهُ \*

حجَّ أبو الأسود<sup>(١)</sup> الْدُّؤْلِي وَمَعْهُ امْرَأَتُهُ - وَكَانَتْ جَمِيلَةً - فَبَيْنَمَا هِيَ تَطَوَّفُ بِالْبَيْتِ إِذَا عَرَضَ لَهَا عَرْبٌ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَأَتَتْ أَبَا الْأَسْوَدَ فَأَخْبَرَهُ ، فَأَتَاهُ الْأَسْوَدُ فَهَاتَهُ ، قَالَ لَهُ عَرْبٌ : مَا فَعَلْتُ شَيْئًا ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى الْمَسْجِدِ عَادَ فَكَلَمَهَا ؛ فَأَخْبَرَتْ أَبَا الْأَسْوَدَ ، فَأَتَاهُ فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ مُعْقَبٌ قَوْمٌ جَالِسٌ قَالَ لَهُ :

وَإِنِّي لَيَتَنَاهُنِّي عَنِ الْجَهَلِ وَالْخَلَنَةِ وَعَنْ شَمْ أَقْوَامٍ خَلَاثَقُ أَرْبَعُ حِيَاءً وَإِسْلَامٌ وَبُقْيَا<sup>(٢)</sup> وَأَنِّي كَرِيمٌ ، وَمِثْلِي قَدْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ فَشَتَّانَ ما بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِنِّي عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْتَقِيمُ وَتَظَلَّمُ<sup>(٣)</sup>

قَالَ لَهُ عَرْبٌ : لَسْتُ أُعُودُ يَاعَمْ لِكَلَامِهَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ ، ثُمَّ عَادَ فَكَلَمَهَا ؛ فَأَتَتْ أَبَا الْأَسْوَدَ فَأَخْبَرَهُ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ :

أَنْتَ الْفَقِيْ وَابْنُ الْفَقِيْ وَأَخُو الْفَقِيْ وَسِيدُنَا لَوْلَا خَلَاثَقُ أَرْبَعُ نَكْوُلُّ عَنِ الْجَلَلِ ، وَقَرْبُ مَنْ أَخْلَنَةَ وَبَخْلُ عَنِ الْجَدْوَنِ ؛ وَأَنْكَ تَبْعَ<sup>(٤)</sup> ثُمَّ خَرَجَتْ وَخَرَجَ مَعْهَا أَبُو الْأَسْوَدَ مُسْتَقِلًا عَلَى سِيفٍ ، فَلَمَّا رَأَاهَا عَرْبٌ أَعْرَضَ عَنْهَا ، فَتَمَثَّلَ أَبُو الْأَسْوَدُ :

تَعْدُ الذَّابِحَةَ عَلَى مَنْ لَا كَلَابَ لَهُ وَتَقْسِي صَوَّلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الْحَامِي

\* الأغانِي : ١ - ١٤٨

(١) هو ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلي الكنانى صاحب على وواسع النحو، وصاحب التوادر المتمعة في الآداب العربية . توفي سنة ٦٩ هـ . (٢) يقال : أبقيت عليه بقية : أشقت عليه ورجته . (٣) ظلم : عرج وغمز في مثيته . (٤) يقال : هو تبع نساء ، إذا جد في طلبهن .

## ٩٠ - الأحوص وابن حزم الأنباري\*

شَبَّبُ الْأَحْوَصُ<sup>(١)</sup> بِأَمْرِ امْرَأٍ يَقَالُ لَهَا: أُمُّ جَعْفَرٍ، فَقَالَ فِيهَا: أَدُورُ وَلَوْلَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ بِأَيَّاتِكُمْ مَا دَرْتُ حَيْثُ أَدُورُ وَمَا كُنْتُ زَوَارًا وَلَكِنْ ذَا الْمَوْى إِذَا لَمْ يُزَرْ لَا بَدَّ أَنْ سِيْزُورُ وَكَانَ لِأُمَّ جَعْفَرٍ أَخٌ يَقَالُ لَهُ أَيْمَنُ، فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ ابْنُ حَزْمَ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ وَالِيُّ الْمَدِينَةِ لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَبَعَثَ ابْنُ حَزْمٍ إِلَى الْأَحْوَصِ فَأَتَاهُ - وَكَانَ ابْنُ حَزْمَ يُبَيِّضُهُ - قَالَ: مَا تَقُولُ فِيمَا يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: وَمَا يَقُولُ؟ قَالَ: يَزْعُمُ أَنَّكَ تُشَبَّهُ بِأَخْتِهِ، وَقَدْ فَضَّحْتَهُ وَشَهَرْتَ بِهِ! فَأَنْكَرَ الْأَحْوَصُ ذَلِكَ.

قَالَ لَهَا: قَدْ اشْتَبَهَ عَلَيَّ أَمْرُكَا؛ وَلَكِنِي أَدْفَعَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكَا سُوْطَاهُ ثُمَّ اجْتَلَدَاهُ - وَكَانَ الْأَحْوَصُ قَصِيرًا نَحِيفًا، وَكَانَ أَيْمَنُ طَوِيلًا ضَخْمًا - فَاجْتَلَدَا، فَلَبِّلَ أَيْمَنُ الْأَحْوَصَ فَضَرَبَهُ حَتَّى صَرَعَهُ وَأَخْنَهَهُ.

فَلَمَّا رَأَى الْأَحْوَصَ تَحَمَّلَ ابْنَ حَزْمٍ عَلَيْهِ امْتَدَحَ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكَ، ثُمَّ شَخَصَ إِلَيْهِ فِي الشَّامِ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَأَنْشَدَهُ:

أَهْوَى أُمِيَّةً إِنْ شَطَّتْ وَإِنْ قَرَبَتْ  
يُومًا وَأَهْدَى لَهَا نَصْحَى وَأَشْعَارِي

\* المقذ الغريد : ٣ - ٢٩١ ، الأغاني : ٤ - ٢٣٨

(١) كان الأحوص شاعراً سمع الطبع ، سهل الكلام ، صحيح معانى الشعر ، ولشعره رونق ودببة صافية ، مع حلاوة وعذوبة ألفاظ ، إلا أنه كان قليل المروءة والدين ، هجاء للناس .

ولو وردتُ عَلَيْهَا الْفَيْضُ<sup>(١)</sup> ماحفلت  
لا ترثينَ لِحْزِيَّ رأيتَ به ضُرًّا ولو أُلْقَى لِحْزِيَّ فِي النَّارِ  
النَّاخِسِينَ<sup>(٢)</sup> بِمَرْوَانِ بْدِي خُشْبِ<sup>(٣)</sup> وَالْمَقْحِمِينَ عَلَى عَمَانَ فِي الدَّارِ

قال له الوليد : صدق ، والله لقد كنا غفلنا عن حَزْمٍ وآل حَزْمٍ . ثم دعا  
كتبه قال : اكتب عهد عثمان بن حَيَّانَ الْأَرْتَى على المدينة واعزل ابنَ حَزْمَ ،  
وَاكْتُبْ بِقَبْضِ أَمْوَالِهِ وَأَمْوَالِ آلِ حَزْمٍ ، وإسقاطهم أجمعين من الديوان ، ولا  
يأخذوا الْأَمْوَالِ عَطَاءً أَبْدَأَ . ففعل ذلك ، فلم يزالوا في الحرمان للعطاء مع ذهاب  
الأموال والضياع حتى انقضت دولة بنى أمية ، وجاءت دولة بنى العباس .

فما قام أبو جعفر المنصور بأمر الدولة ، قدم عليه أهلُ المدينة ، فجلس لهم ،  
وأمر حاجبه أن يتقدم إلى كلَّ رجل منهم أنْ ينتسب له فإذا قام بين يديه ،  
فلم يزالوا على ذلك يفعلون حتى دخل عليه رجلٌ قصير قبيح الوجه؛ فلما مات بين يديه  
قال له : يا أمير المؤمنين ؟ أنا ابن حَزْمِ الْأَنْصَارِيُّ الَّذِي يقول فينا الأَخْوَصُ :  
لا ترثينَ لِحْزِيَّ رأيتَ به ضُرًّا ولو أُلْقَى لِحْزِيَّ فِي النَّارِ  
النَّاخِسِينَ بِمَرْوَانِ بْدِي خُشْبِ وَالْمَقْحِمِينَ عَلَى عَمَانَ فِي الدَّارِ  
ثم قال : يا أمير المؤمنين ؟ حرمنا العطاء منذ سنين ، وقبضت أموالنا وضياعنا .  
قال المنصور : أَعِدْ عَلَى الْبَيْتَيْنِ ، فَأَعْادَهَا عَلَيْهِ ، قال : أَمَا وَاللهِ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ

---

(١) الفيض : نهر بالبصرة . (٢) الناخسين بروان : يزيد الطاردين لروان والمزعجين له .  
يقال : تخسوا بفلان ، إذا نحسوا دابته من خلفه ، وطردوه حتى سiroه في الآفاق . (٣) ذو خشب :  
واد على سيرة ليلة من المدينة ، وكان مروان بن الحكم في المدينة في ثلاثة يزيد ، ولما كانت وقة  
المطر أخرج الشاوروں هو وعثمان بن محمد بن أبي سفيان وبقية بنى أمية من كان يقيم بالمدينة ،  
وكان في الشاوروں محمد بن عمرو بن حزم .

ضرّكم في ذلك الحين لينفعنكم اليوم . ثم كتب إلى عامل المدينة أن يردّ جميع ما اقتطعه بنو أمية من ضياع بني حَزْم وأموالهم ، ويحسب لهم ما فاتهم من عطاهم ، وما استغلّ من غلائهم من يومئذ إلى اليوم ، فيخالف لهم جميع ذلك من ضياع بف مروان ، ويفرض لكل واحدٍ منهم في شرف العطاء<sup>(١)</sup> . ثم قال : على الساعة عشرة آلاف درهم تُدفع إلى هذا الرجل لنفقته ؛ فخرج من عنده بما لم يخرج به أحدٌ مِّن دخلوا عليه .

---

(١) كان شرف العطاء يومئذ مائة دينار في السنة .



## البَابُ الرَّابِعُ

---

فِي الْقَصْصِ الَّتِي أَرَادَ بِهَا الْكِتَابُ تَصْوِيرَ حَالَةً ،  
أَوْ شَخْصٍ ، أَوْ مَجْلِسٍ ، وَاخْتَرُوا لَهَا مِنَ الْكَلَامِ  
مَا يُلْغِي إِرَادَتِهِمْ ، وَيُدْخِلُ فِي ذَلِكَ الْبَابِ مَا وَضَعُوهُ  
عَلَى أَلْسُنَةِ الطَّيْرِ وَالْبَهَائِمِ ، وَأَنْوَاعِ الْحَيْوَانِ مِنْ مَحَاوِرَاتِ  
وَأَحَادِيثِ تَحْمِلُ فِي أَثْنَائِهَا الْعَبْرَةُ وَالْمَظَاهَرُ وَالنَّصْحُ .

## ٩١ - أَكِلْتُ يَوْمًا كُلَّ الثُورِ الْأَيْضَ \*

قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه : إنما مثلى ومثل عمان  
كثُل أنوار ثلاثة كن في الأمة : أبيض ، وأسود ، وأحمر ؛ ومعهم فيها أسد ،  
فكان لا يقدر منهن على شيء لا جماعهن عليه .

قال للثور الأسود والثور الأحمر : لا يدل علينا في أجمعنا إلا الثور الأبيض ،  
فإن لونه مشهور ، ولو نهى على لونكم ، فلو تركتمي آكله صفت لنا الأمة ،  
قال له : دونك فكله ، فأكله .

فلم مضت أيام ، قال للأحمر : لو نهى على لونك فدعني آكل الأسود لتصفو لنا  
الأمة ! فقال له : دونك فكله ، فأكله .

ثم قال للأحمر : إن آكلك لا محالة ، قال : دعني أنا ذي ثلاثة ، فقال : أفل ؟  
فأداري : ألا إن أكليت يوماً كيل الثور الأبيض ؟ ثم قال على رضى الله عنه :  
ألا إن أهنت يوم قتيل عمان ! يرفع بها صوته !

---

\* بضم الأمثال : ١ - ٢٣  
(١) الأمة : الشجر الكثير المتف .

## ٩٢ — حديث السقيفة\*

قال أبو حيّان<sup>(١)</sup> على بن محمد التّوحيدى البغدادى : سَمِعْنَا لِيَلَةَ عِنْدِ القاضى أَبى حامِدِ أَحْمَدَ<sup>(٢)</sup> بْنِ بُشْرٍ الْمَرْوُزِيَّ بِبَغْدَادٍ ، فَتَصَرَّفَ فِي الْحَدِيثِ كُلَّ مُتَصَرِّفٍ ، وَكَانَ غَزِيرَ الرَّوَايَةِ ، لطِيفَ الدِّرَايَةِ ، فَجَرِى حَدِيثُ السَّقِيقَةِ ؛ فَرَكِبَ كُلَّ ثِرَكَبًا ، وَقَالَ قَوْلًا ، وَعَرَضَ بَشِّىءًا ، وَنَزَعَ إِلَى فَنِّ .

قال : هل فيكم من يَحْفَظُ رِسَالَةَ أَبى بَكْرٍ الصَّدِيقِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِلَى عَلَىَّ أَبِي طَالِبٍ كَرَمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وَجَوابَ عَلَيِّ عَنْهَا ، وَمُبَاهِيَتَهُ إِيَاهُ عَقِيبَ تِلْكِ الْمَنَاظِرِ ؟ فَقَالَ الْجَمَاعَةُ : لَا وَاللَّهُ ، فَقَالَ : هَىٰ وَاللَّهُ مِنْ بَنَاتِ الْخَلَائِقِ ، وَمُخْبَاتِ الصَّنَادِيقِ ، وَمِنْذَ حَفِظْتُهَا مَارَوَيْتُهَا إِلَى أَبِي مُحَمَّدِ الْمَهَابِيِّ فِي وزَارَتِهِ ، فَكَتَبَهَا عَنِ يَدِهِ وَقَالَ : لَا أَعْرِفُ رِسَالَةً أَعْقَلَ مِنْهَا وَلَا أَبْيَانَ ، وَإِنَّهَا لَتَدْلُلُ عَلَى عِلْمٍ وَحْلَمٍ ، وَفَصَاحَةٍ وَنِبَاهَةٍ ، وَبُعْدِ غَوْرٍ ، وَشَدَّةِ غَوْصٍ .

قال له العبادانى : أَيْهَا القاضى ؟ فَلَوْ أَتَمْتَ الْمِنَةَ عَلَيْنَا بِرِوايَتِهَا ؟ أَسِمِّعْنَاها ؟ فَنَحْنُ أَوْعَى لَكَ مِنَ الْمَهَابِيِّ ، وَأَوْجَبُ ذِيَّمَانًا عَلَيْكَ ، فَانْدَفَعَ ، وَقَالَ :

حدَثَنَا عِيسَى بْنُ دَأْبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ مُولَى أَبَا عُبَيْدَةَ يَقُولُ : لَمَّا اسْتَقَامَتِ الْخَلَافَةُ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، بَعْدَ فَتْنَةِ كَادِ الشَّيْطَانُ

\* ابن أبي الحديد : ٢ - ٥٩٣ ، صبح الأعشى : ٢ - ٢٧٣ ، نهاية الأرب : ٧ - ٢١٣

(١) فيلسوف متصرف ، ولد في نيسابور ، وأقام مدة ببغداد ، وانتقل إلى الرى فصحب ابن العميد والصاحب بن عباد ، توفي نحو سنة ٤٠٠ هـ .

(٢) قاض من أكابر الفقهاء أصحاب الشافعى ، أقام زمناً بالبصرة ، ثم رحل إلى بغداد . توفي سنة ٥٣٦ هـ .

بها ، فدفع الله شرها ، ويسّر خيراها ، بلغ أبا بكر عن علي تلکو وشماس<sup>(١)</sup> ، وتهشم<sup>(٢)</sup> ونیاس<sup>(٣)</sup> ، فَكَرِهَ أَنْ يَتَمَادَى الْحَالُ فَبَدَأَ الْمُورَةَ ، وَتَشَقَّعَ الْجَرَةَ ، وَتَفَرَّقَ ذَاتُ الْبَيْنِ ؛ فدعاني بحضوره في خلوةٍ - وكان عنده عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه وحده - فقال : يا أبا عبيدة ؟ ما أيمان ناصيتك ، وأبينَ الخيرَ بين عينيك ! طالما أعزَ الله بك الإسلام ، وأصلح شأنه على يديك ، ولقد كنتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحوط ، وال محل المغبوط ؛ ولقد قال فيك في يوم مشهود : « لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ، وَأَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عَبِيْدَةَ » ، ولم تزل للدين مُلْتَجَا ، وللمؤمنين مُرْتَجِي ، ولأهلَكَ رُكْنًا ، ولإخوانكِ ردًا .

قد أردتُك لأمرٍ خطره مخوف ، وإصلاحه من أعظم المعروف ، ولئن لم يندمل جرمُه يمسارك ويفقلك ، ولم تنجُ<sup>(٤)</sup> حيَّةً برُفْقِيتك ، وقعَ اليأسُ ، وأغضَلَ البَيْسَنَ ، واحتَاجَ بعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا هُوَ أَمْرٌ مِنْهُ وَأَعْلَقُ ، وأعْسَرُ مِنْهُ وَأَغْلَقُ ، والله أَسْأَلُ تَمَامَهُ بِكَ ونظامَه على يديك ، فَتَأَتَ<sup>(٥)</sup> له أبا عبيدة وتاطف فيه ، وانصَحَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولهذه العِصَابَةِ غَيْرَ آلِ جَهَادٍ ، ولا قال حمدًا ، والله كائِنُكَ وناصرُك ، وهاديك ومبصرُك إن شاء الله .

امض إلى على ، واخفِض له جناحك ، واغضُض عنده صوتَك ، واعلم أنه سلامه أبي طالب ، ومكانه من فَقَدَنَاه بالأمس - صلى الله عليه وسلم - مكانه

---

(١) الشماس : المعاندة والمعاداة . (٢) التهم : من تهم الشيء : طلبه وتحمسه . (٣) نافس في الشيء : رغب فيه على وجه البارزة والمفاخرة . (٤) تنجي : تقطع . (٥) تأت : تهيا له وأنه من وجهه .

وقل له : البحر مَفْرَقة ، والبَرُّ مَفْرَقة ، والجَوَاءُ كُلَّفَ<sup>(١)</sup> ، واللَّيلُ أَغْدَفَ<sup>(٢)</sup> ، والماء جَوَاءَ<sup>(٣)</sup> ، والأرض صَلَعَاءَ<sup>(٤)</sup> ، الصَّمودُ مَتَمَذِّرٌ ، الْهَبُوطُ مَقْتَسِرٌ ، وَالْحَقُّ عَطُوفٌ رَّوْفٌ ، وَالْبَاطِلُ عَنُوفٌ عَسُوفٌ ، وَالْجُنُبُ قَدَّاحَةُ الشَّرِّ ، وَالضَّفْنُ رَانِدُ الْبَوَارِ ، وَالتَّعْرِيْضُ شِجَارُ الْفَتَنَةِ ، وَالْقِحَّةُ نَقْوَبُ<sup>(٥)</sup> الْعَدَاوَةِ ؛ وَهَذَا الشَّيْطَانُ مُتَكَبِّرٌ ؛ عَلَى شِمَالِهِ ، مُتَحَيِّلٌ<sup>(٦)</sup> بِيمِينِهِ ، نَافِخٌ حَضْنِيَّةً<sup>(٧)</sup> ، يَنْتَظِرُ الشَّتَّاتَ وَالْفُرْقَةَ ، وَيَدِبِّ بَيْنَ الْأَمَّةِ بِالشَّحْنَاءِ وَالْعَدَاوَةِ ، عِنَادًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْلًا ، وَلَآدَمَ ثَانِيًّا ، وَلِتَبَيِّهٍ . صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَدِينِهِ ثَالِثًا ، يُوسُوْسُ بِالْغُخُورِ ، وَيَدَلِّي بِالْفَرُورِ ، وَيَمْنَى أَهْلَالِ الشَّرَورِ ، يُوحِي إِلَى أُولَائِهِ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غَرُورًا بِالْبَاطِلِ ، دَأْبًا لَهُ مِنْذُ كَانَ عَلَى عَهْدِ أَيْنَا آدَمَ ، وَعَادَةً لَهُ مِنْذُ أَهَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سَالِفِ الْدَّهْرِ ، لَا مَنْجَى مِنْهُ إِلَّا يَعْصِي النَّاجِذَ<sup>(٨)</sup> عَلَى الْحَقِّ ، وَغَضَّ الْطَّرْفَ عَنِ الْبَاطِلِ ، وَوَطَءَ هَامَةً عَدُوَّ اللَّهِ بِالْأَشَدِّ ، فَالْأَكْدِ فَالْأَكْدِ ، وَإِسْلَامُ النَّفْسِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ابْتِغَاءِ رِضَاهِ .

وَلَا بدَّ الآنَ مِنْ قَوْلٍ يَنْفَعُ إِذْ قَدْ أَفْسَرَ السَّكُوتَ ، وَخِيفَ غَيْبَهُ ؛ وَلَقَدْ أَرْشَدَكَ مَنْ أَفَاءَ<sup>(٩)</sup> ضَالَّتَكَ ، وَصَاقَاكَ مِنْ أَحْيَاءِ مُودَّتِهِ يُعْتَابُكَ ، وَأَرَادَ لَكَ الْخَيْرَ مَنْ آتَرَ الْبَقاءَ مَعَكَ .

ما هذا الذي تسُوّلُ لَكَ نَفْسُكَ ؟ وَيُدَوِّي<sup>(١٠)</sup> بِقَلْبِكَ ، وَيَلْتَوِي عَلَيْهِ رَأْيِكَ ،

(١) أَكْلَفَ : أَسْوَدَ تَعْلُوهُ حَرَةً . (٢) أَغْدَفَ : مَظْلَمٌ . (٣) جَلَوَاءَ : مَصْحِيَّةٌ . (٤) صَلَعَاءَ : خَالِيَّةٌ لَا شَجَرٌ فِيهَا . (٥) نَقْوَبَ : مَا أَشْعَلَ بِهِ . (٦) التَّحَيِّلُ : الْأَخْتِيَالُ . (٧) نَافِخٌ حَضْنِيَّةً : أَيْ مُسْتَعْدَ لَأَنْ يَعْمَلُ عَمَلَهُ مِنَ الشَّرِّ . (٨) عَنْ عَلَيْهِ الْنَّاجِذُ ، أَيْ تَمْسَكَ بِهِ . (٩) أَفَاءَ : أَرْجَعَ . (١٠) دُوِيُ الطَّائِرُ : إِذَا دَارَ فِي طَيْرَانِهِ .

ويتغَاوِصُ<sup>(١)</sup> دونه طَرْفَكَ ، ويَسْرِي فِيهِ ظَمْنُكَ ، وَيَتَرَادُ مَعَهُ نَفْسُكَ ، وَتَكْثُرُ  
مَعَهُ صُدَادُوكَ ، وَلَا يَفِيضُ بِهِ لَسَانُكَ ؟ أَعْجَمَةُ بَدْ لِإِصْحَاحِ الْتَّلْبِيسِ<sup>(٢)</sup> بَعْدَ  
إِيْصَاحِهِ ؟ أَدِينُ غَيْرَ دِينِ اللَّهِ ؟ أَخْلُقُ غَيْرَ خُلُقِ الْقُرْآنِ ؟ أَهْدِي غَيْرَ هُدَى النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! أَمْثَلِي تَمْشِي لَهُ الضَّرَاءِ وَتَدِبُّ لَهُ الْخَمْرِ<sup>(٣)</sup> ! أَمْ مِثْلُكَ  
يَنْقَبِيْضُ عَلَيْهِ الْفَضَاءَ ، وَيُكَسِّفُ فِي عَيْنِهِ الْقَمَرَ ؟ مَا هَذِهِ الْقَعْدَةُ<sup>(٤)</sup> بِالشَّنَانِ<sup>(٥)</sup> !  
وَمَا هَذِهِ الْوَعْدَةُ بِاللَّسَانِ !

إِنَّكَ وَاللَّهُ جِدُّ عَارِفٍ بِاسْتِجَابَتِنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
وَبِخَرْجَنَا عَنْ أُوْطَانَنَا وَأُمَوَّالِنَا وَأُولَادِنَا وَأَحِبَّتِنَا ؛ هِجْرَةً إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،  
وَنُصْرَةً لِدِينِنَا فِي زَمَانٍ أَنْتَ فِيهِ فِي كِنٌْ الصَّبَا ، وَخِدْرُ الْغَرَارَةِ ، وَعُنْفُوانِ الشَّبِيَّةِ ،  
غَافِلٌ عَمَّا يُشِيبُ وَيُرِيبُ ، لَا تَعْلَمُ مَا يُبَرِّدُ وَيُشَادُ ، وَلَا تُحَصِّلُ مَا يُسَاقُ وَيُقادُ ،  
سُوْيَ مَا أَنْتَ جَارٍ عَلَيْهِ إِلَى غَايَتِكَ التِّي إِلَيْهَا عُدِيلَ بَكَ ، وَعِنْدَهَا حُطُّ رَحْمُكَ ،  
غَيْرَ مَجْهُولِ الْقَدْرِ ، وَلَا تَجْحُودِ الْفَضْلِ ؛ وَنَحْنُ فِي أَنْتَاهِ ذَلِكَ نَعَانِي أَحْوَالًا تُزِيلُ  
الرَّوَاسِيِّ ، وَنَقَاسِي أَهْوَالًا تُشِيبُ التَّوَاصِيِّ ، خَائِضِينِ غَارَهَا ، رَاكِبِينِ تِيَارَهَا ،  
تَنْجُرُّعُ صَابَهَا ، وَتَشْرَجُ<sup>(٦)</sup> عِيَابَهَا ، وَنُخْكِمُ أَسَاسَهَا وَنُبَرِّمُ أَمْرَاسَهَا<sup>(٧)</sup> ، وَالْعَيْونُ  
تُحَدَّجُ<sup>(٨)</sup> بِالْحَسْدِ ، وَالْأُنُوفُ تَمْطِسُ بِالْكِبْرِ ، وَالصُّدُورُ تَسْتَعِرُ بِالْغَيْظِ ، وَالْأَعْنَاقُ

(١) يَتَغَاوِصُ : يَفْضُ عن بصره . (٢) التَّلْبِيسُ : التَّخْلِيطُ . (٣) الضَّرَاءُ ، أَصْلُ الضَّرَاءِ : الشَّجَرُ الْمُلْتَفِ في الْوَادِي ، وَالْمَرَادُ الْاِسْتِخْفَاءُ . وَالْخَمْرُ : مَا وَارَاكَ مِنْ شَجَرٍ ، وَهُوَ مُثْلُ ضَرْبِ لِنْ يَخْدُمُ صَاحِبَهُ . (٤) الشَّنَانُ : جَمْ شَنُ ، وَهُوَ الْقُرْبَةُ الْمُلْقَى الصَّغِيرَةُ ، وَالْقَعْدَةُ : الصَّوْتُ . يَرِيدُ  
أَنْهَا لَا يَخْوِفُ بِتَهْلِيلِ هَذَا . (٥) أَشْرَجَ الْعَيْنَةَ وَشَرَجَهَا : ضَمْ بَعْضِ عَرَاهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَالْيَابِ : جَمْ عَيْنَةَ ،  
وَهِيَ وَعَاءُ مِنْ أَدْمَ تَبَعُلِ فِيهِ الشَّيْبَ . (٦) أَمْرَاسَهَا : جَمْ مَرَسُ كَكْتَفِهِ : وَهُوَ الْمَبْلُ . (٧) تَحْدِقُ .

تقطاول بالفَخْرِ ، والشُّفَارُ تُسْجَدُ بالمَكْرِ ، والأَرْضَ تَمِيدُ بِالخُوفِ ، لَا نَنْتَظِرُ عِنْدَ  
السَّاءِ صَبَاحًا ، وَلَا عِنْدَ الصَّبَاحِ مَسَاءً ، وَلَا نَدْفَعُ فِي نَحْرٍ أَمْرًا إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَحْسُو  
الْمَوْتَ دُونَهُ ، وَلَا نَبْلُغُ مُرَادًا إِلَّا بَعْدَ الْإِيَاسِ مِنَ الْحَيَاةِ عِنْدَهُ ، فَادِينَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ  
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَبِ وَالْأُمِّ ، وَالْخَالِ وَالْمَلِّ ، وَالْمَالِ وَالنَّشَبِ ، وَالسَّبَدِ  
وَاللَّبِدِ<sup>(١)</sup> ، وَالْمَلَهَ<sup>(٢)</sup> وَالْبَلَهَ ، بِطِيبِ أَنْفُسِهِ ، وَقُرْبَةِ أَعْيُنِهِ ، وَرُحْبِ أَعْطَانِهِ  
وَثَبَاتِ عَزَائِمِهِ ، وَصِحَّةِ عَقُولِهِ ، وَطَلاقَةِ أَوْجَهِهِ ، وَذَلَاقَةِ أَلْسُنِهِ .

هذا مع خَفَيَاتِ أَسْرَارِهِ ، وَمَكْنُونَاتِ أَخْبَارِهِ ، كَفَتَ عَنْهَا غَافِلًا ، وَلَوْلَا سِنْكِ  
لَمْ تَكُنْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا نَاكِلًا<sup>(٣)</sup> ، وَكَيْفَ وَفَوَادُكَ مَشْهُومٌ<sup>(٤)</sup> ، وَعُودُكَ مَعْجُومٌ !  
وَالآنْ قَدْ بَلَغَ اللَّهُ بِكَ ، وَأَنْهَضَ الْخَيْرَ لَكَ ، وَجَعَلَ مَرَادَكَ بَيْنَ يَدِيكَ ، وَعِنْ عَلَمِ  
أَقْوَلُ مَا تَسْمَعُ ، فَارْتَقَبْ زَمَانَكَ ، وَقَلَصَ أَرْدَانَكَ<sup>(٥)</sup> ، وَدَعَ التَّعَسُّسَ وَالتَّجَسُّسَ  
لِمَنْ لَا يَظْلَمُ<sup>(٦)</sup> لَكَ إِذَا خَطَا ، وَلَا يَتَزَحَّرُ عَنْكَ إِذَا عَطَا<sup>(٧)</sup> ؛ فَالْأَمْرُ غَضَّ ؛  
وَالنَّفُوسُ فِيهَا مَضَّ ، وَإِنَّكَ أَدِيمُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَلَا تَحْلِمَ<sup>(٨)</sup> لَجَاجَا ، وَسِيفُهَا  
الْعَصْبُ ، فَلَا تَنْبُتُ اعْوَجَاجَا ، وَمَأْوَاهَا الْعَذْبُ ، فَلَا تَحْمُلُ أَجَاجَا .

وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ، فَقَالَ لِي :  
يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ هُوَ مَنْ يَرْغِبُ عَنْهُ لَا مَنْ يَجْاهِشُ<sup>(٩)</sup> عَلَيْهِ ، وَمَنْ يَتَضَاءِلُ عَنْهُ لَا مَنْ

(١) السبد : الشعر . واللبد : الصوف . والمراد : تقديره بكل ما عنده . (٢) يقال : جاءنا فلان  
فلم يأتنا بهلة ولا بهلة : أي لم يأتنا بشيء ، فالهلة من الفرح والاستهلاك ، والبهلة من البلل والخير .

(٣) نكل عن الشيء : نكس وجب . (٤) مشهوم : ذكي متوق . (٥) الأردان : جمع ردن :  
وهو أصل الكلم أو الكلمة . (٦) ظلم في مثيده : عرج وغمز . (٧) عطا : مد إليك عنقه  
وأقبل نحوك . (٨) حلم الجلد : فسد وتنقب . (٩) يطلبه ويدافنه عنه .

يَنْتَهِيُّجُ<sup>(١)</sup> إِلَيْهِ ؛ هُوَ مَنْ يُقَالُ هُوَ لَكَ ، لَا مَنْ يَقُولُ هُوَ لَيْ.

وَلَقَدْ شَارَوْنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّهْرَ ، فَذَكَرَ فَتِيَانًا مِنْ قُرَيْشَ ، قَالَتْ : أَيْنَ أَنْتَ مِنْ عَلَى<sup>(٢)</sup> ! قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي أَكْرَهُ لِفَاطِمَةَ مَيْعَةَ<sup>(٣)</sup> شَبَابَيْهِ ، وَحَدَانَةَ سِنِّهِ . قَالَتْ لَهُ : مَتِي كَنْفَتَهُ يَدُكَ ، وَرَعَتْهُ عَيْنُكَ ، حَقَّتْ بِهِمَا الْبَرَكَةُ ، وَأُسْبَيْتَ عَلَيْهِمَا النَّعْمَةُ ؟ مِنْ كَلَامِ كَثِيرٍ خَاطَبَتْهُ بِهِ ؛ رَغْبَةً فِيْكَ ، وَمَا كَنْتُ عَرَفْتُ مِنْكَ فِي ذَلِكَ لَا حَوْجَاءَ<sup>(٤)</sup> وَلَا لَوْجَاءَ ، قَالَتْ مَا قَلْتُ وَأَنَا أُرَدِّي مَكَانَ غَيْرِكَ ، وَأَجْدُ رَائِحَةَ سِوَاكَ ، وَكَنْتُ إِذْ ذَاكَ خَيْرًا لَكَ مِنْكَ الْآنَ لِيَ .

وَلَئِنْ كَانَ عَرَضَ بِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، فَلَمْ يَكُنْ مُعْرِضاً عَنْ غَيْرِكَ ؛ وَإِنْ كَانَ قَالَ فِيْكَ فَاسْكَتَ عَنْ سِوَاكَ ؛ وَإِنْ تَلْجَلَجَ<sup>(٤)</sup> فِيْ نَسْكِ شَيْءٍ فَهُلَمُ<sup>(٥)</sup> ، فَالْحُكْمُ مَرْضَى<sup>(٦)</sup> ، وَالصَّوَابُ مَسْمُوعٌ ، وَالْحَقُّ مُطَاعٌ .

وَلَقَدْ تُقْلِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ عَنِ الْعَصَابَةِ رَاضٍ ، وَعَلَيْهَا حَدِيبٌ ، يُسْرِئِهِ مَا سَرَّاهَا ، وَيُسْوِئُهُ مَا سَاءَهَا ، وَيُسْكِيْدُهُ مَا كَادَهَا ، وَيُرْضِيهِ مَا أَرْضَاهَا ، وَيُسْخِطُهُ مَا أَسْخَطَهَا .

أَمَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَحْبَابِهِ وَأَقْارَبِهِ وَسُجَرَائِهِ<sup>(٥)</sup> ، إِلَّا أَبَانَهُ بِفَضْيَلَةِ ، وَخَصَّهُ بِهِزَيَّةٍ ، وَأَفْرَدَهُ بِحَمَالَةٍ ، لَوْ أَصْفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ لَأَجْبَلَهُ الْكَانَ عِنْهُ إِبَالَتَهَا

(١) يَطْلَعُ وَيَرْتَفِعُ إِلَيْهِ . (٢) مَيْعَةُ الشَّابِّ : أَوْلَهُ . (٣) أَيْ مَا كَنْتُ عَرَفْتُ مِنْكَ شَيْئًا .

(٤) تَلْجَلَجُ : تَرَدَّدُ . (٥) سُجَرَائِهِ : أَصْبَائِهِ .

وَكَفَالَّهَا<sup>(١)</sup> . أَتَظُنُّ أَنَّهُ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ الْأُمَّةَ سُدًّا بَدَادًا ؛ عَبَاهِل<sup>(٢)</sup> مِبَاهِلَ ، طَلَاحَى<sup>(٣)</sup> مَفْتُونَةً بِالْبَاطِلِ ، مَعْنَوَةً<sup>(٤)</sup> عَنِ الْحَقِّ ؛ لَا رَائِدَ وَلَا ذَائِدَ ، وَلَا ضَابِطٌ وَلَا حَانِطٌ ، وَلَا سَاقٌ وَلَا وَاقٍ ، وَلَا هَادِي وَلَا حَادِي ! كَلَا ! وَاللهُ مَا اشْتَاقَ إِلَى رَبِّهِ ، وَلَا سَأَلَهُ الصِّيرَاءَ إِلَى رِضْوَانِهِ وَقُرْبِهِ ؛ إِلَّا بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ اللَّدَى ، وَأَوْضَحَ الْمَدَى ، وَأَبَانَ الصُّوَرَى<sup>(٥)</sup> ؛ وَأَمَّنَ السَّالِكَ وَالْمَطَارِحَ ؛ وَسَهَّلَ الْمَبَارِكَ وَالْمَهَاجِعَ<sup>(٦)</sup> ؛ إِلَّا بَعْدَ أَنْ شَدَّخَ يَافُوخَ<sup>(٧)</sup> الشَّرُكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَشَرَمَ وَجْهَ النَّفَاقِ لِوَجْهِ اللَّهِ ، وَجَدَعَ أَنْفَ الْفَقْتَةِ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، وَتَقَلَّ فِي عَيْنِ الشَّيْطَانِ بِعُونِ اللَّهِ ، وَصَدَعَ بَلْءُ فِيهِ وَبَدِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَبَعْدُ فَهُؤُلَاءِ الْمَهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ عِنْدَكُمْ ؛ وَمَعْكُمْ فِي بُعْقَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَدارِي جَامِعَةٍ ، إِنَّ اسْتَقَالُونِي لَكُمْ وَأَشَارُوا عِنْدِي بِكُمْ ، فَأَنَا وَاضِعٌ يَدِي فِي يَدِكُمْ ، وَصَاثِرٌ إِلَى رَأْيِهِمْ فِيْكُمْ .

وَإِنْ تَكُنَّ الْآخَرِيَّ فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ ؛ وَكُنْ الْعُونَ عَلَى مَصَالِحِهِمْ ، وَالْفَاتِحَ لِمَغَارِبِهِمْ ، وَالْمُرْشِدَ لِضَالِّهِمْ ، وَالرَّادِعَ لِنَوَافِيْهِمْ ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ نَمَالِي بِالْتَّعَاوِنِ عَلَى الْبَرِّ وَالْتَّقْوَى ، وَالتَّنَاصِرِ عَلَى الْحَقِّ ، وَدَعْنَا نَفْضَى هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِصَدْورِ بَرِيَّةِ الْفِلَّ ؛ وَنَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى بِقُلُوبِ سَلِيمَةٍ مِنَ الْضُّفَنِ .

(١) أَسْفَقُوا عَلَى كَذَا : أَطْبَقُوا ، وَآلَّ عَلَى الْقَوْمِ إِيَّاهُ : وَلِي . (٢) عَبَاهِلَ مِبَاهِلَ : مَهْمَلَة.

(٣) الطَّلَاحِيَّ : الْكَلَّاَةُ الْمُعَيْيَةُ . (٤) مَعْنَوَةً ، مِنْ عَنْتَ الْفَرْسَ : حِبْسَتَهُ بِالْعَنَانِ . (٥) الصُّورَى :

الْأَعْلَامُ . (٦) الْمَهَاجِعُ : الْطَرَقُ . (٧) الْيَافُوخُ : مَلْقَعٌ عَظِيمٌ مَقْدَمُ الرَّأْسِ وَمَؤْخِرِهِ .

وبعد فالناس ثُمَّا مَّا (١) فَارْفَقْ بِهِمْ ؛ وَاخْنَ عَلَيْهِمْ ، وَلِنْ لَهُمْ ، وَلَا تُشْقِ  
نَفْسَكَ بِنَا خَاصَّةً مِنْهُمْ ؛ وَاتْرُكْ نَاجِمَ (٢) الْحَقِّ حَصِيدًا ؛ وَطَائِرُ الشَّرِّ وَاقِهًا ؛ وَبَابَ  
الْفَقْنَةِ مَفْلَقًا ، فَلَا قَالَ وَلَا قَيلَ ؛ وَلَا لَوْمَ وَلَا تُعْنِيْفَ ، وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ شَهِيدَ ،  
وَبِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ بَصِيرَ .

قال أبو عَبْيُودَةَ : فَلَمَا تَأْهَبْتُ لِلنَّهُوْضَ قَالَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كُنْ لَدَيْ  
الْبَابِ هَذِيْهَةَ ، فَلَيْ مَعَكَ دُورَّ منَ القَوْلِ ، فَوَقَفْتُ وَمَا أَدْرِي مَا كَانَ بَعْدِي ، إِلَّا  
أَنَّهُ لَقْنِي بِوْجِي يُبَدِّي هَلْلَا ، وَقَالَ لِي : قَلِ لِعَلِيَّ : الرَّقَادُ حَمَلَةَ ، وَالْمَهْوِي  
مَفْحَمَةَ (٣) ، وَمَا مَنَّا إِلَّاهَ مَقْامُ مَعْلُومَ ، وَحَقُّ مَشَاعِرَ أَوْ مَقْسُومَ ، وَنَبَّأَ ظَاهِرَ  
أَوْ مَكْتُومَ ؛ وَإِنَّ أَكْيَسَ السَّكِينَ مِنْ مَنْحَ الشَّارِدَ تَالُّفَاً ، وَقَارِبَ الْبَعِيدَ تَلْطِفَاً ،  
وَوَزَنَ كُلَّ شَيْءٍ بِمِيزَانِهِ ، وَلَمْ يَخْلُطْ خَبَرَهُ بِعِيَانِهِ ، وَلَمْ يَجْعَلْ فِتْرَهُ مَكَانَ شِبْرِهِ ؛  
دِيَنًا كَانَ أَوْ دُنْيَا ؛ ضَلَالًا كَانَ أَوْ هُدًى .

وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ مُسْتَعْمَلٍ فِي جَهَلِ ، وَلَا خَيْرٌ فِي مَعْرِفَةٍ مَشْوَبَةٍ بِنُسْكِنِ .  
وَلَسْنًا كَحِلْلَةٍ رُفْعٍ (٤) الْبَعِيرَ بَيْنَ الْمِعْجَانِ وَالْذَّنْبِ . وَكُلُّ صَالِ فَبِنَارِهِ ؛ وَكُلُّ  
سَيْلٍ فَإِلَى قَرَارِهِ . وَمَا كَانَ سَكُوتُ هَذِهِ الْمَصَابَةِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ لِعَيْنِ ، وَلَا  
كَلَامَهَا الْيَوْمِ لِفَرَقٍ أَوْ رِفْقٍ . وَقَدْ جَدَعَ اللَّهُ بِحَمْدِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ ذِيْكِبْرِ ،  
وَقَسْمٌ ظَهَرَ كُلُّ جَبَارٍ ؛ وَقَطْعَ لِسَانَ كُلُّ كَذَوْبٍ ، فَإِذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ !

(١) الثَّامِنَةُ : وَاحِدَةُ الْثَّامِنَ ، وَهُوَ نَبْتَ ضَعِيفٍ وَهُوَ عَلَى التَّشِيهِ . (٢) نَجْمٌ : طَلْعٌ وَظَهَرٌ ،  
وَالْمَحْصُودُ . (٣) قَحْمُ فِي الْأَمْرِ : بَرِى بِنَفْسِهِ فِي غَفَّةٍ بِلَارُوْيَةٍ . (٤) الرُّفْعُ : أَصْلُ  
الْفَخْذِ مِنْ بَاطِنِ ، وَالْمِعْجَانُ : الْأَسْتَ ، يَرِيدُ أَنْ مِزَانَهُمْ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ لِيُسْتَ حَقِيرَةٌ مَهِيَّةٌ .

ما هذه **الخنزروانة**<sup>(١)</sup> التي في فرَاش<sup>(٢)</sup> رأسِكَ ؟ ما هـذا الشَّجـا المـتـرـضـ في مـدارـجـ أـنـفـاسـكـ ؟ ما هـذه الـقـدـأـةـ الـتـيـ أـعـشـتـ نـاظـرـكـ ؟ وـما هـذـهـ الـوـحـرـةـ<sup>(٣)</sup> الـتـيـ أـكـلـتـ شـرـاسـيـفـكـ<sup>(٤)</sup> ؟ وـما هـذـاـ الـذـىـ لـبـسـتـ بـسـبـبـهـ جـلـدـ النـمـرـ ، وـاشـتـمـلـتـ عـلـيـهـ بـالـشـحـنـاءـ وـالـثـكـرـ ؟

ولـسـنـاـ فـيـ كـسـرـوـيـةـ كـسـرـيـ ، وـلـافـ قـيـصـرـيـ قـيـصـرـ ؟ تـأـمـلـ لـإـخـوـانـ فـارـسـ وـأـبـنـاءـ الـأـصـفـرـ ، قـدـ جـعـلـهـمـ اللـهـ جـزـرـاـ<sup>(٥)</sup> لـسـيـوـفـنـاـ ، وـدـرـيـثـةـ<sup>(٦)</sup> لـرـمـاحـنـاـ ، وـمـرـمـىـ لـطـعـانـنـاـ ، وـتـبـعـاـ لـسـلـطـانـنـاـ ؟ بـلـ نـحـنـ فـيـ نـورـ نـبـوـةـ ، وـضـيـاءـ رسـالـةـ ، وـنـفـرـةـ حـكـمـةـ ، وـأـثـرـ رـحـمـةـ ، وـعـنـوانـ نـعـمـةـ ، وـظـلـلـ عـصـمـةـ ، بـيـنـ أـمـةـ مـهـدـيـةـ بـالـحـقـ وـالـصـدـقـ ، مـأـمـونـةـ عـلـىـ الرـتـقـ وـالـفـتـقـ ، هـمـاـ مـنـ اللـهـ قـلـبـ أـبـيـ ، وـسـاعـدـ قـوـيـ ، وـبـدـ نـاصـرـةـ ، وـعـينـ نـاظـرـةـ .

أـنـظـنـ ظـنـنـاـ يـاـ عـلـىـ أـنـ أـبـاـبـكـ وـتـبـ عـلـىـ هـذـاـ الـأـمـرـ مـُفـتـاتـاـ عـلـىـ الـأـمـةـ ، خـادـعـاـ هـاـ أـوـ مـُتـسـلـطـاـ عـلـيـهاـ ! أـتـرـاهـ حلـ عـقـودـهاـ ، وـأـحـالـ عـقـولـهاـ ! أـتـرـأـمـ جـمـلـ نـهـارـهـاـلـيـلاـ ، وـوـزـنـهاـ كـيـلاـ ، وـيـقـظـتـهاـ رـقـادـاـ ، وـصـلـاحـهاـ فـسـادـاـ ! لـاـ وـاـلـهـ ! سـلـاـ عـنـهاـ فـوـلـهـتـ لـهـ ، وـتـطـامـنـ هـاـ فـلـاصـقـتـ بـهـ ، وـمـالـ عـنـهاـ فـالـتـ إـلـيـهـ ؛ وـاشـتـأـزـ دـوـنـهـاـ فـاشـقـمـلـتـ عـلـيـهـ ، حـبـوـةـ حـبـاءـ اللـهـ بـهـاـ ، وـعـاقـبـةـ بـلـغـهـ اللـهـ إـلـيـهـاـ ، وـنـعـمـةـ سـرـبـلـهـ اللـهـ جـالـلـهـاـ ، وـبـدـ أـوـجـبـ اللـهـ عـلـيـهـ شـكـرـهـاـ ، وـأـمـةـ نـظـرـ اللـهـ بـهـ إـلـيـهـاـ ، وـالـلـهـ أـعـلـمـ بـخـلـقـهـ ، وـأـرـأـفـ بـعـبـادـهـ ، يـخـتـارـ مـاـ كـانـ لـهـ الـخـيـرـةـ .

وـإـنـكـ بـحـيـثـ لـاـ يـجـهـلـ مـوـضـعـكـ مـنـ بـيـتـ النـبـوـةـ ، وـمـعـدـنـ الرـسـالـةـ ، وـلـاـ يـجـهـدـ

(١) الخنزروانة : **الـكـبـيرـ** . (٢) فـرـاشـ الرـأـسـ : عـظـامـ رـفـاقـ تـلـ القـعـفـ . (٣) الـوـحـرـةـ : وـزـغـةـ ، وـالـرـادـ العـداـوةـ وـالـحـقـدـ . (٤) الشـرـاسـيفـ : جـمـ شـرـسـوفـ ، وـهـوـ الـطـرفـ الـمـشـرـفـ عـلـىـ الـبـطـنـ منـ الضـلـعـ . (٥) الـجـزـرـ : كـلـ شـيـءـ مـبـاحـ لـذـيـعـ . (٦) الـدـرـيـثـةـ : الـحـلـقـةـ يـتـلـعـ عـلـيـهـ الـطـعـنـ وـالـرـىـ .

حَلَّكَ فِيهَا آتاكَ اللَّهُ؛ وَلَكِنْ لَكَ مَنْ يَزَاحِمُكَ بَنْسَكِبِ أَضْخَمَ مِنْ مَنْ كِبِكَ،  
وَقُرُبَنِي أَمْسَى مِنْ قُرْبَكَ، وَسِنِّي أَعْلَى مِنْ سِنِّكَ، وَشَيْبِي أَرْوَعَ مِنْ شَيْبِكَ،  
وَسِيَادَةِ هَا أَصْلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَفَرْعَوْنُ فِي الْإِسْلَامِ، وَمَوَاقِفَ لَيْسَ لَكَ فِيهَا جَلْلُ وَلَا  
نَافَةُ، وَلَا تُذَكِّرُ فِيهَا فِي مَقْدَمَةِ وَلَا سَاقَةِ<sup>(١)</sup>، وَلَا تُنْسِرِبُ فِيهَا بِذِرَاعٍ وَلَا إِاصْبَعٍ،  
وَلَا تُخْرُجُ مِنْهَا بِيَازِلٍ وَلَا هُبَّعَ<sup>(٢)</sup>، وَلَمْ يَزِلْ أَبُو بَكْرٍ حَبَّةَ قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَاقَةَ نَفْسِهِ، وَعَيْبَةَ سَرَّهِ، وَمَفْزَعَ رَأْيِهِ وَمَشْوَرَتِهِ، وَرَاحَةَ كَفَّهِ،  
وَمَرْمَقَ طَرَفِهِ، وَذَلِكَ كَلِمَةُ بِمَحْضِ الصَّادِرِ وَالْوَارِدِ مِنَ الْمَاهِرِيْنَ وَالْأَنْصَارِ؛  
شَهْرُتَهُ مَغْنِيَّةٌ عَنِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ.

وَلِعَمْرِي إِنَّكَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِرَابَةً، وَلَكِنْهُ أَقْرَبُ  
مِنْكَ قُرْبَةً<sup>(٣)</sup>، وَالْقِرَابَةُ لَحْمٌ وَدَمٌ، وَالْقُرْبَةُ نَفْسٌ وَرُوحٌ.

وَهَذَا فَرَقٌ عَرَفَهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَذِكَّرَ صَارُوا إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ . وَمِمَّا شَكَّنَتْ  
فِي ذَلِكَ، فَلَا تَشَكَّ فِي أَنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَرَضْوَانَهُ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ . فَادْخُلْ فِيهَا  
هُوَ خَيْرُ لَكَ الْيَوْمَ، وَأَنْفَعُ لَكَ غَدًا، وَالْفِيظُ مِنْ فِيكَ مَا يَعْلَقُ بِلِهَاتِكَ، فَإِنْ يَكُ  
فِي الْأَمْدِ طَوْلٌ، وَفِي الْأَجْلِ فُسْحَةٌ، فَسْتَأْكِلِهِ مَرِيَّتَا أَوْ غَيْرِ مَرِيَّهُ، وَسَتَشَرِّبُ  
هَنِيَّتَا أَوْ غَيْرِ هَنِيَّهُ، حِينَ لَا رَادَ لِقَوْلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ آيْسَا مِنْكَ، وَلَا تَابِعُ لَكَ إِلَّا  
مِنْ كَانَ طَامِعًا فِيكَ، يَمْضِي<sup>(٤)</sup> إِلَاهَابِكَ، وَيَعْرُكَ<sup>(٥)</sup> أَدِيمَكَ، وَيَزْرُرِي عَلَى  
هَدِيكَ، هَنَالِكَ تَقْرَعُ السَّنَنَ مِنْ نَدَمٍ، وَتَجْرِيَّعُ الْمَاءِ مِنْ زُوْجَا بَدْمٍ، وَحِينَئِذَ تَأْمَى<sup>(٦)</sup>

(١) ساقَةُ الْجَيْشِ : مَؤْخِرَهُ . (٢) الْبَازِلُ : الْجَلُ القَوِيُّ الَّذِي دَخَلَ فِي سِنْتِهِ التَّاسِعَةِ ،  
وَالْمَهْبِمُ : الْفَصِيلُ الَّذِي يَنْتَجُ فِي الصِّيفِ فَيُكَوِّنُ ضَيْقًا . (٣) الْقُرْبَةُ : الْوَسِيْلَةُ . (٤) يَمْضِي إِلَاهَابِكَ :  
يَحْرِقُ جَلْدَكَ . (٥) يَعْرُكَ أَدِيمَكَ : يَدِيكَ . (٦) تَأْسَى : تَحْزَنُ .

على ما مضى من عمرك ودارِّج قوتك ، ففودَّاً لو سقيت بالكأس التي أيتها ،  
ورُدِّدتَ إلى حالتك التي استغفريتها . والله تعالى فينا وفيك أمر هو بالغه ، وغيب  
هو شاهده ، وعاقبة هو المرجو لسرأها وضرأها ، وهو الولي الحميد ، الفغور  
الودود .

قال أبو عبيدة : فتمشيت متزملًا <sup>(١)</sup> ، أنوء كأنما أخطو على رأسي ، فرقا  
من الفرقَة ، وشفقا <sup>(٢)</sup> على الأمة حتى وصلت إلى على رضي الله عنه في خلاء ،  
فابتلاته <sup>(٣)</sup> بني كاه ، وبرثت إليه منه ، ورفقت به ؛ فلما سمعها ووعاها ، وسررت  
في مقاصله حبيها قال : حللت معلوطة <sup>(٤)</sup> ، وولت مخروطة <sup>(٥)</sup> ، وأنشأ يقول :  
إحدى لياليك فيهسي <sup>(٦)</sup> هيسى لا تتعنى الليلة بالتعريس <sup>(٧)</sup>  
نعم يا أبو عبيدة ، أكل هذا في نفس القوم ، ويحسون به ، ويضطئون <sup>(٨)</sup>  
عليه !

قال أبو عبيدة :

قالت : لا جواب لك عندى ، إنما أنا قاضٍ حقَّ الدين ، وراتقٌ فتقَ  
السلمين ، وسادٌ ثلمة الأمة ، يعلم الله ذلك من جلجلان <sup>(٩)</sup> قلبي ، وقراره  
نفسى .

قال على رضي الله عنه : والله ما كان قمودى في كسرٍ هذا البيت قصدًا للخلاف

(١) متزملًا : تزمل : تلف . (٢) الشفق : الشقة . (٣) أبنته السر : أظهرته له . والثالث :  
الحال . (٤) معلوطة : مقتحة من غير رؤية . (٥) مخروطة : مسرعة . (٦) هيسى : سيري  
أى سير كان . (٧) عرس القوم : نزلوا في آخر الليل للاستراحة . (٨) أى ينطون على الصفن  
وهو الحقد . (٩) جلجلان قلبي : أى جبته .

ولَا إِنْكَاراً لِلْمَعْرُوفِ ، وَلَا زِرَايَةٌ عَلَى مُسْلِمٍ ، بَلْ مَا قَدْ وَقَدَنِي<sup>(١)</sup> بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَرَاقِهِ ، وَأَوْدَعَنِي مِنْ الْحَزْنِ لِفَقْدِهِ . وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَشْهَدْ بَعْدِهِ مُشْهِداً إِلَّا جَدَّدْ عَلَى حَزْنِنَا ، وَذَكَرَنِي شَجَنَّا ، وَإِنَّ الشَّوْقَ إِلَى الْلَّحْاقِ بِهِ كَافٍ عَنِ الطَّعْمِ فِي غَيْرِهِ ، وَفَدَ عَكَفْتُ عَلَى عَهْدِ اللهِ أَنْظَرَ فِيهِ ، وَأَجْمَعَ مَا تَفَرَّقَ ، رَجَاهُ ثَوَابُ مُعَدٍّ لِمَنْ أَخْلَصَ اللهُ عَمَلَهُ ، وَأَسْلَمَ لِعَلَمِهِ وَمُشَيْطِهِ ، وَأَمْرَهُ وَنَهْيِهِ ، عَلَى أَنِّي مَا عَلِمْتُ أَنَّ الظَّاهِرَ عَلَى وَاقِعٍ ، وَلَا عَنِ الْحَقِّ الَّذِي سَيِّقَ إِلَيَّ دَافِعَ .

وَإِذْ قَدْ أَفْعَمَ الْوَادِيَ بِي ، وَحُشِدَ النَّادِيَ مِنْ أَجْلِي ، فَلَا مَرْحَبًا بِمَا سَاءَ أَهْدَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَسَرَنِي . وَفِي النَّفْسِ كَلَامٌ لَوْلَا سَابِقُ عَقْدِ وَسَالِفِ عَهْدِ ، لِشَفَقَتُ غَيْظِي بِخَنْصُرِي وَبِنَصْرِي ، وَخُضْتُ لُجْتَهِ بِأَخْمَصِي وَمَفْرُقِي ، وَلَكِنِي مُلْجَمٌ إِلَى أَنْ أَلْقَى اللهَ رَبِّي ، وَعِنْهُ أَحْتَسِبُ مَا نَزَلَ بِي . وَإِنِّي غَادَ إِلَى جَمَاتِكُمْ ، فَبِاعِي صَاحِبِكُمْ ، صَابِرٌ عَلَى مَا سَاءَنِي وَسَرَّكُمْ ، لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً .

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: فَعَدْتُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ التَّوْلُ عَلَى غَرَّهُ<sup>(٢)</sup> ، وَلَمْ أُخْتِرْ شَيْئاً مِنْ حُلُوِّهِ وَمُرُّهُ ، وَبَكَرْتُ غُدْوَةً إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا كَانَ كَانَ صَبَاحُ يَوْمِئِنِي إِذَا عَلَى يَمْتَرِقِ الْجَمَاعَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، فَبِاَيْمَهُ ، وَقَالَ خَيْرًا ، وَوَصَفَ جَمِيلًا ، وَجَلَسَ زَمِيَّاً ، وَاسْتَأْذَنَ لِلْقِيَامِ ، فَمَضَى وَتَبَعَهُ عَرَمُكُرِّمَالِهِ ، مُسْتَثِيرًا لِمَا عِنْدَهُ .

وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَيْهِ فَأَخْذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: إِنَّ عَصَابَةَ أَنْتَ مِنْهَا يَا أَبَا الْحَسْنِ

(١) وَقْدَهُ: تُوكَهُ عَلِيَّاً ، وَصَرْعَهُ . (٢) عَلَى غَرَّهُ: أَيْ كَاهُونُ ، وَكَافَسُ عَلَى .

لعمصومة ، وإن أمةً أنت فيها لمحومة ، ولقد أصبحتَ عزيزاً علينا ، كريماً لدينا ،  
خاف الله إذا سخطت ، ورجوه إذا رضيت ، ولو لا أني شدّهت<sup>(١)</sup> لما أجبتُ إلى  
ما دعيتُ إليه ، ولكنني خفتُ الفرقة ، واستئثار الأنصار بالأمر على قريش ،  
وأغحيت عن حضورك ومشاورتك ، ولو كنتَ حاضراً لباعتك ولم أعدِن بك ،  
ولقد خط الله عن ظهرك ما أتقل كاهلي به ، وما أسدَ من بنظر الله إليه بالكافية ؛  
ولما إليك لمحاجون ، وبفضلك عالمون ، وإلى رأيك وهديك في جميع الأحوال  
راغبون ، وعلى حاليك وحفيظتك<sup>(٢)</sup> معونون . ثم انصرف وتركه مع عمر ؛  
فالتقت على إلهي عمر فقال :

والله ما قعدتُ عن صاحبكم كارها ، ولا أتيته فرقة ، ولا أقول ما أقول

تعلة<sup>(٣)</sup> .

ولما لأعرف منتهى طرف ، ومحظى قدسي ، ومنزع قوسى ، وموقع سهمي ؛  
ولكن قد أزمنت<sup>(٤)</sup> على فأسى ؛ ثقة بربي في الدنيا والآخرة .

قال له عمر رضي الله عنه : كفِيكْ غرَبكَ ، واستوقفْ سربكَ ، ودع  
العصي بلعائهما ، والدلا على رشائهما<sup>(٥)</sup> ، فإنما من خلفها ووراءها ، إن قد دخنا  
أوزينا ، وإن متَحنا أزوينا ، وإن قرَحنا<sup>(٦)</sup> أدمينا ، ولقد سمعت أمانتيك<sup>(٧)</sup>  
التي لفَزَتْ بها صادرة عن صدرِ أكيل بالجوى ، ولو شئتْ لقلتْ على مقاتلك  
ما إن سمعته ندِمتْ على ما قلتَ ، وزعمتَ أنك قدْتَ في كنْ يبتلك لما وقذك  
به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فُقدِه ، فهو وقدك ولم يقدْ غيرك ! بل مصادبه

(١) شدّهت : دهشت . (٢) الحفيظة : اسم بمعنى الحافظة . (٣) التعلة : ما يتصل به .

(٤) أزم الفرس على فأس اللجام : إذا أغضها وبقى عليها ، وفأس اللجام : الجديدة المعرضة منه  
في الحنك ، يريد أنه كتم ما في نفسه . (٥) الرشاء : جبل الدلو . (٦) فرح : جرح .

(٧) أمانتيك : جمع أمثلة ، تعلل : إذا أشد بيتك ثم آخر ثم الأمثلة .

أعظم وأعم من ذلك ، وإن من حق مصابه ألا تندفع شمل الجماعة بفرقة لاعصام لها ، ولا يؤمن كيد الشيطان في بقائهما ، هذه العرب حولنا ، والله لو تداعت علينا في صبح نهار لم تلتقي في مسامئه .

وزعمت أن الشوق إلى اللحاق به كاف عن الطمع في غيرها فمِن علامَة الشوق إليه نُصرة دينه ، ومؤازرة أوليائه ، ومعاونتهم .

وزعمت أنك عكفت على عهـد الله تجتمع ما تفرق منه ؟ فنـ المـكـوف على عهـد الله النصيحة لعبـاد الله ، والرأفة على خلق الله ، وبذل ما يصلـحـون به ويرـشـدون عـلـيهـ .

وزعمت أنك لم تعلم أن التظاهر واقع عليك ، أى حق لـط<sup>(١)</sup> دونك ! قد سمعت وعلمت ما قال الأنصار بالأمس سرًا وجهرًا ، وتقلبت عليه بطـنـاً وظـهـرـاً ، فهل ذكرـتـك أو أشـادـتـ بك ، أو وجـدتـ رـضـامـ عنـك ؟ هل قال أحدـ منهم بـلـسانـه : إنـكـ تـصلـحـ هـذـاـ الـأـمـرـ ، أو أـوـمـاـ بـعـيـنـهـ ، أو هـ فـنـسـهـ ؟ أـنـظـنـ أـنـ الناسـ ضـلـلـواـ مـنـ أـجـلـكـ ، وـعـادـواـ كـفـارـاـ زـهـداـ فـيـكـ ، وـبـاعـواـ اللهـ تـحـالـلـاـ عـلـيـكـ ؟ لا والله ! لقد جاءـني عـقـيمـ بنـ زيـادـ الخـزـرجـيـ فـيـ نـفـرـ مـنـ أـصـحـابـهـ ، وـمـعـهـمـ شـرـخـيـلـ بنـ يـعقوـبـ الخـزـرجـيـ وـقـالـواـ : إـنـ عـلـيـاـ يـنـتـظـرـ الإـلـامـةـ وـيـزـعـمـ أـنـهـ أـولـيـ بـهـاـ مـنـ غـيرـهـ ، وـيـنـسـكـلـ عـلـىـ مـنـ يـعـقـدـ الخـلاـفةـ ؟ فـأـنـكـرـتـ عـلـيـهـمـ ، وـرـدـدـتـ القـوـلـ فـنـحـرـهـ حـيـثـ قـالـواـ : إـنـ يـنـتـظـرـ الـوـحـيـ ، وـيـتـوـكـفـ<sup>(٢)</sup> مـنـاجـةـ الـمـلـكـ .

فـقـلـتـ : ذـاكـ أـمـرـ طـوـاهـ اللهـ بـعـدـ نـبـيـهـ مـحـمـدـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، أـكـانـ الـأـمـرـ

(١) لـطـ : جـدـ . (٢) يـتـوـكـفـ : يـنـتـظـرـ .

معقوداً بأشوطة<sup>(١)</sup> ، أو مشدوداً بأطراف لبيطة<sup>(٢)</sup> ؟ كلا ! والله لا عجماء بحمد الله  
إلا أفتحت ، ولا شوكاء إلا وقد تفتحت .

ومن أعجب شأنك قوله : «ولولا سالف عهدي وسابق عقد، لشفيت غيظي»<sup>(٣)</sup> !  
وهل ترك الدين لأهله أن يشفعوا غيظهم بيد أو بسان ؟ تلك جاهلية ، وقد استأصل  
الله شأفتها ، واقتلع جرثومتها ، وهو ر<sup>(٤)</sup> ليلها ، وغور سيلها ، وأبدل منها  
الروح والريحان ، والمدى والبرهان . وزعمت أنك ملجم ؛ ولعمري إنَّ من اتقى  
الله ، وآثر رضاه ، وطلب ما عنده ، أمسك لسانه ، وأطبق فاه ، وجعل سعيه لما  
وراه .

وأما قوله : إنَّ لاعرف منزع قوى ، فإذا عرفت منزع قوسك عرف  
غيرك مضرب سيفه ومطمئن رمحه ؛ وأما ما تزعمه من الأمر الذي جعله رسول الله  
ذلك فتخلقت إعداداً إلى الله وإلى العارفة به من المسلمين ، فلو عرف المسلمون لجنحوا إليه  
وأصفقوا عليه ، وما كان الله ليجمعهم على العمى ، ولا يضرهم بالضلالة بعد المدى ،  
 ولو كان رسول الله فيك رأى ، وعليك عزم ، ثم بعثه الله ، فرأى اجتماع أمته على  
أبي بكر لمسفه آراءهم ، ولا ضلل أحلامهم ، ولا آثرك عليهم ، ولا أرضاك بسخطهم ،  
 ولا أمرك باتباعهم والدخول معهم فيما ارتفعوا لدعائهم .

قال علي رضي الله عنه : مهلا يا بابا حفص ، والله ما بذلت ماذلت وأنا أريد  
نكتة ، ولا أفررت ما أفررت وأنا أبتغي حولا عنه ؛ وإن أخسر الناس صفة

---

(١) الأشوطة : عقدة يسهل انخلالها إذا أخذ بأحد طرفيها افتتحت . (٢) الـبيطة : قشرة القصبة التي تليط بها أي ترق . (٣) هور : أذهب .

عند الله مَنْ آتَى النَّفَاقَ ، وَاحْتَصَنَ الشَّقَاقَ ، وَفِي الله خَلَفَ مِنْ كُلِّ فَاثِتَّ ،  
وَعِوَضٌ مِنْ كُلِّ ذَاهِبٍ ، وَسَلْوَةٌ عَنْ كُلِّ حَادِثٍ ، وَعَلَيْهِ التَّوْكِلُ فِي جَمِيعِ الْحَوَادِثِ .  
ارجع يا أبا حفص إلى مجلسك ناقعَ القلبَ ، مَبْرُودَ الغليلَ ، فسيح اللبان<sup>(١)</sup> ،  
فصيح اللسان ؟ فليس وراء ما سمعتَ وقلتُ إِلَّا مَا يَشَدُّ الأَزْرُ ، ويحطُ الْوِزْرُ ،  
ويُضْعِفُ الْإِصْرَ<sup>(٢)</sup> ، ويُجْمِعُ الْأُلْفَةَ بِمَشِيشَةِ اللهِ وَحْسَنِ تَوْفِيقِهِ .

قال أبو عبيدة : فانصرف على عمر رضي الله عنهمَا ، وهذا أصعب ما مر على  
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> .

---

(١) اللبان : الصدر . (٢) الإصر : الذنب والثقل . (٣) قال ابن أبي الحديد في نهاية هذه  
القصة : الذي يغلب على ظني أن هذه المراسلات والمحاورات والكلام كلها موضوع مصنوع ،  
 وأنه من كلام أبي حيان التوحيدى لأنه بكلامه ومذهبه في الخطابة والبلاغة أشبه ( انظر صفة  
٥٩٧ من ج ٢ ) .

٩٣ - يَعْنِي أَسْتَجِيرُ مِنْ جَوْرِكَ؟ \*

جلسَ معاويةُ بْنُ أَبِي سفيانَ فِي مَجْلِسٍ كَانَ لَهُ بِدْرِ مَشْقٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ مَفْتَحَ الْجَوَانِبِ يَدْخُلُ مِنْهُ النَّسِيمُ، فَبِينَمَا هُوَ جَالِسٌ يَنْظُرُ إِلَى بَعْضِ الْجَهَاتِ فِي يَوْمٍ شَدِيدٍ لِلنَّارِ، وَقَدْ اشْتَدَّ نَفْحُ الْمَجْبِرِ<sup>(١)</sup>، إِذَا نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَمْشِي نَحْوَهُ وَهُوَ يَتَلَطَّأُ بِالنَّارِ مِنْ حَرَّ التَّرَابِ، وَيَمْجُلُ فِي مَشْيِهِ حَافِيًّا، فَتَأْمَلَهُ مُعاوِيَةُ وَقَالَ لِلْجَلْسَاءِ: هَلْ خَلَقَ اللَّهُ أَشْقَى مِنْ يَحْتَاجُ إِلَى الْحَرْكَةِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟ قَالَ بِعْنَاهُمْ: لَعَلَّهُ يَقْصِدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ قَاصِدِي سَائِلًا لِأَعْطِيَتْهُ، أَوْ مُسْتَجِيرًا لِأَجِيرِهِ، أَوْ مُظْلومًا لِأَنْصَرَنَّهُ . . . يَا غَلامُ! قَفْ بِالْبَابِ؛ فَإِنْ طَلَبْتِ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ فَلَا تَمْنَعْنِي الدُّخُولُ عَلَيَّ.

فَخَرَجَ الْفَلَامُ فَوَافَى الْأَعْرَابِيُّ، وَقَالَ: مَا تَرِيدُ؟ قَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ: ادْخُلْ، فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَى مُعاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ الرَّجُلُ؟ قَالَ: مَنْ نَعَمْ، قَالَ: مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ؟ قَالَ: جَئْتُكَ مُشْتَكِيًّا وَبِكَ مُسْتَجِيرًا . قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: مَنْ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، ثُمَّ أَنْشَدَ هَذِهِ الْأَيْيَاتِ:

مُعاوِيَ، يَا ذَا الْفَضْلِ وَالْحُلْمِ وَالْعُقْلِ      وَذَا الْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْجُودِ وَالْبَذْلِ  
أَتَيْتُكَ لِمَا ضَاقَ فِي الْأَرْضِ مَذْهَبِي      وَأَنْكَرْتُ مَا قَدْ أَصْبَتُ بِهِ عَقْلِي  
فَرَرَّجْ - كَلَّاكَ اللَّهُ - عَنِّي فَإِنِّي      لَقِيتُ الدُّرْ لِمَ يَلْقَهُ أَحَدٌ قَبْلِي

\* المختار من نوادر الأخبار « مخطوط » ، نهاية الأربع : ٢ - ١٥٦

(١) المجبir : نصف النهار عند اشتداد الحر .

وَخُذْلِي - هَدَاكَ اللَّهُ - حَتَّىٰ مِنَ الَّذِي رَمَانِي بِسَهْمٍ كَانَ أَيْسَرَهُ قَتْلِي ١  
وَكُنْتُ أُرْجَى عَدْلَهُ إِنْ أَتَيْتُهُ فَأَكْثَرَ تَرَدَادِي مَعَ الْحَبْسِ وَالْكَبْلِ  
سَبَانِيَ سُعْدَى وَانْبَرَى لِغُصُومَتِي وَجَارٌ وَلَمْ يَعْدِلْ وَغَاصَبَنِي أَهْلِ  
فَطَلَّقَتُهَا مِنْ جَهْدِهِ مَا قَدْ أَصَابَنِي فَهَذَا ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ الْعَدْلِ ٢؟

فَلَمَّا سَمِعَ مَعَاوِيَةَ إِنْشَادَهُ وَالنَّارُ تَوَقَّدَ مِنْ فِيهِ قَالَ : مَهْلًا يَا أَخَا الْعَرَبِ ، اذْكُرْ  
قَصْتِكَ وَأَفْصِحْ عَنْ أَمْرِكَ .

قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَتْ لِي زَوْجَةٌ وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي وَكُنْتُ لَهَا مُحِبًّا وَبِهَا  
كِلْفًا ؛ وَكُنْتُ بِهَا قَرِيرَ الْعَيْنِ ، طَيِّبَ الْعِيشِ ، وَكَانَتْ لِي صِرْمَةٌ<sup>(١)</sup> مِنَ الْإِبْلِ  
أَسْتَعِنُ بِهَا عَلَى قِيَامِ حَالِي وَإِصْلَاحِ أَوَدِي<sup>(٢)</sup> ؛ فَأَصَابَتْنَا سَنَةً ذَاتَ قَحْظٍ شَدِيدٍ ،  
أَذْهَبَتِ الْخُفَّ وَالظَّلْفَ ، وَبَقِيَتْ لَا أُمْلِكُ شَيْئًا ؛ فَلَمَّا قَلَّ مَا بِيْدِي ؛ وَذَهَبَ حَالِي  
وَمَالِي ، بَقِيَتْ مُهَانًا ثَقِيلًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ قَدْ أَبْعَدَنِي مَنْ كَانَ يَشْتَهِي الْقُرْبَ  
مِنِّي ، وَازْوَرَّ عَنِّي مَنْ كَانَ يَرْغُبُ فِي زِيَارَتِي !

فَلَمَّا عَلِمَ أَبُوهَا مَا بِيْ مِنْ سَوْءِ الْحَالِ وَشَرَّ الْمَالِ أَخْذَهَا مِنِّي ، وَسَأَلَنِي الْفَرَاقُ  
وَجَحْدِنِي وَطَرْدِنِي ، وَأَغْلَظَ عَلَيْهِ ؛ فَأَنْتَيْتُ إِلَيْهِ عَامِلَكَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكْمَ مُسْتَضْرِخًا ،  
وَبَهْ راجِيًا لِيَنْصُرَنِي ، فَأَحْضَرَ أَبَاهَا وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِي ، فَقَالَ : مَا أَعْرَفُهُ قَبْلَ الْيَوْمِ ،  
فَقَلَّتْ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! إِنْ رَأَى أَنْ يَحْضُرَهَا وَيَسْأَلَهَا عَنْ قَوْلِ أَيْهَا فَلَيَفْعُلْ .

---

(١) الصرمة : القطعة من الإبل ، وهي ما بين المشربين إلى الثلاثاء . (٢) الأود : العوج .

فبعث إلية مَرْوَان وأحضرها مجلسه ، فلما وقفت بين يديه وقعت منه موقع  
الإعجاب ؛ فصار لـ خصماً على مُشكراً ! وانتهت وأظهرت الفضـ بـ وبـتـ بـ  
إلى السجن ، فبقيت كأنما خـ رـتـ من السماء في مكان سـ حـيقـ !

ثم قال لأـ بـها : هل لكـ أن تزوجـها منـي علىـ ألف دينـار وعـشرـة آـلـاف درـم  
لكـ ؟ وأـنا ضـامـنـ لكـ خـلاـصـها منـ هـذـا الأـعـرابـيـ . فـرغـبـ أـبـوهاـ فيـ الـبـذـلـ وأـجـابـهـ  
لـذـكـ !

فـلـماـ كانـ منـ الـفـدـ بـعـثـ إـلـىـ وـأـخـرـجـنـيـ منـ السـجـنـ ؛ وـأـقـفـنـيـ بـيـنـ يـدـيـهـ ، وـنـظـرـ  
إـلـىـ كـالـأـسـدـ الـفـضـيـانـ ؛ وـقـالـ : يـاـ أـعـرـابـيـ ، طـلـقـ سـعـدـيـ ؛ فـقـلـتـ : لـأـقـدرـ عـلـىـ هـذـاـ ،  
فـسـلـطـ عـلـىـ جـمـاعـةـ مـنـ غـلـمانـهـ ، فـأـخـذـواـ يـعـذـبـونـيـ بـأـنـوـاعـ العـذـابـ ، فـلـمـ أـجـدـ بـدـأـ مـنـ  
ذـلـكـ قـفـعـتـ ؛ ثـمـ عـادـوـاـ بـيـ إـلـىـ السـجـنـ ؛ فـكـثـتـ فـيـهـ إـلـىـ أـنـ اـنـقـضـتـ عـدـدـهـاـ ،  
فـتـزـوـجـهـاـ وـدـخـلـ بـهـاـ . وـقـدـ أـتـيـتـكـ مـسـتـجـبـيـأـ وـإـلـيـكـ مـلـتـجـئـاـ ، ثـمـ أـنـشـدـ :

فـالـقـلـبـ مـنـيـ نـارـ وـالـنـارـ فـيـهـ اـسـتعـارـ !  
وـالـجـسمـ مـنـيـ سـقـيمـ وـالـلـوـنـ فـيـهـ اـصـفـارـ  
وـفـؤـادـيـ جـمـرـ وـالـجـمـرـ فـيـهـ شـرـارـ  
وـالـعـيـنـ تـبـكـيـ بـشـجـوـ فـدـمـعـهـ مـدـرـارـ  
وـالـحـبـ دـاهـ عـسـيرـ فـيـهـ الطـبـيـبـ يـحـارـ  
حـمـلتـ مـنـهـ عـظـيـمـاـ فـاـ عـلـيـهـ اـصـطـبـارـ  
فـلـيـسـ لـيـلـىـ كـنـيلـ وـلـاـ نـهـارـاـ !

ثـمـ اـضـطـرـبـ وـخـرـ مـغـشـيـاـ عـلـيـهـ ، وـأـخـذـ يـتـلوـيـ كـالـحـيـةـ المـقـتـولـةـ ؛ فـلـماـ سـمـ كـلـامـهـ  
وـإـنـشـادـهـ قـالـ : تـعـدـيـ فـظـلـمـ مـرـوـانـ بـنـ الـحـكـمـ فـيـ حدـودـ الدـيـنـ ، وـاجـزـأـ عـلـىـ حـرـمـ

ال المسلمين ، ثم قال : رالله يا أعرابي ، لقد أتَيْتني بحديث لم أسمع به مثله قط ؛ ثم دعا بدواة وقرطاس ، وكتب إلى مروانة بن الحكم : قد بلغنى أنك اعتديت على رعيتك ، وانهكَت حُرْمَةً من حرم المسلمين ؛ وتمدَّت حدودَ الدين ، وينبغي لمن كان والياً أن يغضَّ بصرَه عن شهواته ، ويزجر نفسه عن لذاته ، وكتب في آخره :

رَكِبْتَ أَمْرًا عَظِيمًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ جَوْزِ اْمْرِي زَانِي  
قَدْ كَفَتَ تَشْبِهَ صَوْفِيَا لَهُ كُتُبٌ  
حَتَّى أَتَانِي الْفَقِيْهُ الْعُذْرَى مُنْتَجِبًا  
بِشَكْوِي إِلَى بَحْرِيْغَيْرِ بُهْتَانِ  
أُعْطِيَ إِلَيْهِ عَهْدًا لَا أَخِيْسُ بِهَا  
إِنْ أَنْتَ رَاجِعْتَنِي فِيهَا كَتَبْتُ بِهِ  
طَلْقَ سُعَادَ ، وَعِجْلَهَا مَجْهَزَةَ  
فَاسْمَعْتُ كَمْ بُلْفَتُ مِنْ عَجَبِي  
مَعَ الْكَمِيْتِ وَمَعَ نَصَرِ بْنِ ذِيْبَيْانِ

ثُمْ طوى الْكَتَابَ وَطَبَعَهُ بِخاتِّهِ ، وَاسْتَدَعَ الْكَمِيْتَ وَنَصَرَ بْنَ ذِيْبَيْانَ -  
وَكَانَ يَسْتَهْضِمُهُمَا فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ لِأَمَانَتِهِمَا - فَأَخْذَاهُ وَسَارَاهُ حَتَّى قَدْمَا الْمَدِيْنَةِ ؛  
وَدَخَلَا عَلَى مَرْقَانَ وَسَلَمَا إِلَيْهِ الْكَتَابَ ، فَقَضَاهُ وَقَرَأَهُ ، ثُمَّ ارْتَدَتْ فَرَائِصَهُ ،  
وَطَلَّقَهَا فِي الْحَالِ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَتَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ كَتَابًا فِيهِ :  
حُورَاءَ يَقْصُرُ عَنْهَا الْوَصْفُ إِنْ وُصِّفَتْ أَقْوَلُ ذَلِكَ فِي سَرِّ وَإِعْلَانِ  
فَلَمَا قَرَأَهُ قَالَ : لَقَدْ أَحْسَنَ فِي الطَّاعَةِ ؛ وَأَطْنَبَ فِي حَسْنِ الْجَارِيَةِ .

وَلَمَّا رَأَى مَعَاوِيَةَ الْجَارِيَةَ رَأَى صُورَةَ لِمَنْ يَرْمِلُهَا فِي الْحَسْنِ وَالْقَدْدِ وَالْجَالِ ؟  
وَخَاطَبَهَا فَوَجَدَهَا أَفْصَحَ النَّسَاءِ بِعُدُوَّةِ مَنْطَقَ ، ثُمَّ قَالَ : عَلَىَّ بِالْأَعْرَابِ ؛ فَأَنِّي إِلَيْهِ

وهو على غاية من سوء الحال ، فقال : يا أعرابي ؛ هل لك عنها من سلطة ، وأعوضك  
ثلاث جواري مع كل جارية ألف دينار ، وأقسم لك من بيت المال في كل سنة  
ما يكفيك ويعينك على صحبتهن ؟

فما سمع الأعرابي كلام معاوية شهقة ظن معاوية أنه قد مات ، ولما أفاق  
قال له : ما بالك ؟ قال : شرّ بال ، وأسوأ حال ؛ استجرت بعذلك من جور  
ابن الحكم ، فبِمَنْ أَسْتَجِيرُ مِنْ جَوْزِكَ ! ثم أنسد :

لَا تَجْعَلْنِيَّ وَالْأَمْثَالَ تُضْرِبُ بِي  
كَالْسَّتْجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ  
إِذْدُدُ سُعَادَ عَلَى حَيَّانِ مَكْتَبِي  
يُمْسِي وَيَصْبِحُ فِي هَرِّ وَتَذَكَّرِ  
قَدْ شَفَهَ قَلْقَ مَا مَشَلَهُ قَلْقَ  
وَأَسْعِرَ الْقَلْبَ مِنِّي أَيِّ إِسْمَارِ  
كَيْفَ السُّلُوُّ وَقَدْ هَامَ الْفَوَادُ بِهَا  
وَأَصْبَحَ الْقَلْبُ عَنْهَا غَيْرَ صَبَارِ !  
ثُمَّ قال : يا أمير المؤمنين ؟ لو أعطيني ما حوتة الخلافة ما اغتصبته دون  
سعدي .

قال معاوية : يا أعرابي ؛ إنك مُقرٌّ أنك طلقها ، ومروان مقرٌّ أنه طلقها ،  
ونحن نخينها ، فإن اختارت سواك زوجناها بها ، وإن اختارتك رجمنا بها إليك .  
قال : أفل ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم .

ودعاهما معاوية وقال لها : ما تقولين يا سعدي ؟ أى أحب إليك ؟ أمير المؤمنين  
في عزه وشرفه وسلطانه وقصوره وما تصيرين عنده ، أو مرwan بن الحكم في  
عُسْقَة وجوره ، أو هذا الأعرابي مع جوعه وفقره وسوء حاله ؟ فأنسد هذين  
البيتين :

هذا وإن كان في فقرٍ وإضرارٍ أعزُّ عنديَ مِنْ قومٍ ومن جاري !  
صاحبِ التاج أو مَرْوَانَ عَامِلِهِ وكلَّ ذي درهمٍ عندي ودينارٍ  
ثم قالت : والله يا أميرَ المؤمنين ؟ ما أنا بخاذله لحادثة الزمان ، ولا لغدراتِ  
الأيام ؛ وإنْ لِي مَعَهُ صحبةً قدِيمَةً لا تنسى ، ومحبةً لا تبلى ، وأنا أحقَّ مَنْ صبرَ  
معه على الصرَّاءِ ، كَمَا تَنْعَمْتُ مَعَهُ فِي السرَّاءِ .

فتعجبَ معاويةٌ من عقلها ومرءوها ، وأمرَ لها بعشرةَ آلاف درهم ، وردها  
بعقدٍ جديدٍ ، فأخذتها الأعرابي وانصرفَ يقول :  
خلوا عن الطريق للأعرابي ألم ترقوا ويحكم ، مما بي ا

## ٩٤ — خدعة معاوية\*

سمع يزيدُ بن معاوية بن أبي سفيان بمحامل زينب بنت إسحاق زوج عبد الله ابن سلام القرشي؛ وكانت من أجمل النساء في وقتها، وأحسنهن أدباً، وأكثرهن مالاً؛ ففتنت بها؛ فلما عيَّلَ صبره ذكر ذلك لبعض خاصة أبيه، واسمها رفيق، فذكر ذلك لمعاوية، وقال له: إنَّ يزيد قد صاق ذرْعه بها.

فبعث معاوية إلى يزيد، فاستفسره عن أمره؛ فبَثَّ له شأنه؛ فقال: مهلاً يا يزيد؛ فقال له: عَلَام تأمرني بالمهمل وقد اقطع منها الأمل؟ فقال له معاوية: فأين مروءتك وحيجاك وتقاك؟ فقال: قدْ عيَّلَ الصبرُ، ولو كان أحدٌ ينتفع فيما يبتلي به من الموى بتفاه، أو يدفع ما أقصده<sup>(١)</sup> بحِجَّاه، لكان أولى الناس به داود<sup>(٢)</sup> حين أبْتُلَّ به.

قال: أكْنُمْ يا بْنَى أمرك؛ فإنَّ البوحَ به غيرُ نافعك، والله بالغُ أمره فيك، ولا بدَّ مما هو كائن.

وأخذ معاوية في الاحتياط في تبليغ يزيد مُناه، فكتب إلى زوجها عبد الله ابن سلام - وكان قد استعمله على العراق: أن أقبل حين تنظر كتابي لأمرٍ فيه حظك إن شاء الله تعالى، فلا تتأخر عنه.

---

\* نهاية الأربب : ٦ - ١٨٠

(١) أقصده: أقصد الرجل إذا طعنته أو رميته باسم فلم تخطلي مقاتله. (٢) يشير إلى داود عليه السلام، حينما تزوج من خطيبة أحد جنوده، ولقد هابه الله في ذلك، فاستغفر له.

فَأَغْدَ<sup>(١)</sup> السِّيرَ وَقَدِيمٌ ، فَأَنْزَلَهُ معاوِيَةً مِنْزًا لَا كَانَ قَدْ هَيَّلَهُ ، وَكَانَ عِنْدَ معاوِيَةَ يَوْمَئِذٍ بِالشَّامِ أَبُو هُرَيْرَةَ وَأَبُو الدَّرْدَاءَ ، فَقَالَ لَهُمَا معاوِيَةً : إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَسَمَ بَيْنَ عِبَادِهِ قَسْمًا ، وَوَهُبْتُمْ نِعَمًا أُوجِبَ عَلَيْهِمْ فِيهَا شَكْرَهُ ، وَحَتَّىٰ عَلَيْهِمْ حَفْظَهَا ، فَبَيْانِي مِنْهَا عَزٌّ وَجَلٌ بِأَنَّمَا الشَّرْفَ وَأَفْضَلُ الذَّكْرِ ، وَأَوْسَعَ عَلَى الرِّزْقِ ، وَجَعَلَنِي رَاعِيَ خَلْقِهِ ، وَأَمِينَهُ فِي بَلَادِهِ ، وَالحاِكِمُ فِي أُمَّرِي عَبَادِهِ ، لِيَبْلُوَنِي أَشَكْرَ أَمَّا كُفُرُ اُولُو الْأَيْمَانِ فَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِلمرءِ أَنْ يَتَفَقَّدَ وَيَنْتَظِرَ مِنْ اسْتِرْعَاهُ اللَّهُ أَمْرَهُ ، وَمِنْ لَاغْفِي بِهِ عَنْهُ .

وَقَدْ بَلَفَتْ لِي ابْنَةُ أُرِيدُ زِوْجَهَا وَالنَّظَرُ فِي اخْتِيَارِ مَنْ يُبَاعُ لَهُمَا<sup>(٢)</sup> ، لَعْلَى مَنْ يَكُونُ بَعْدِي يَقْتَدِي فِيهِ بَهْدِيَّيْ ، وَيَتَبَعُ فِيهِ أُثْرِيَّ ؟ فَإِنَّهُ قَدْ يَلِي هَذَا الْمَلَكَ بَعْدِي مِنْ يَنْتَلِبُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ ، وَيَحْمِلُهُ عَلَى تَعْضِيلِ الْبَنَاتِ<sup>(٣)</sup> ؟ فَلَا يَرَوْنَ لَهَا كَفَشًا وَلَا نَظِيرًا . وَقَدْ رَضِيتُ لَهَا ابْنَ سَلَامَ الْقَرْشِيَّ ؛ لِدِينِهِ وَشَرْفِهِ وَفَضْلِهِ وَمَرْوِعَتِهِ وَأَدْبِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِرِعَايَةِ نَعْمَ اللَّهُ وَشَكْرَهَا ، وَظَلَّبَ مَرْضَاتَهُ فِيهَا اخْتَصَّهُ لَأَنَّتِ .

فَقَالَ لَهُمَا معاوِيَةً : فَإِذْ كُرِّأَ لَهُ ذَلِكَ عَنِي ! وَقَدْ كَفَتْ جَعْلُتُ لِمَا فِي نَفْسِي شُورَى ، غَيْرَ أَنِّي أَرْجُو أَلَا تَخْرُجُ مِنْ رَأْيِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ .  
نَخْرُجًا مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَتَيْا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامًا ، وَذَكَرَ لَهُ الْقَصَّةَ .

ثُمَّ دَخَلَ معاوِيَةُ عَلَى ابْنِهِ ، وَقَالَ لَهُ : إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْكَ أَبُو الدَّرْدَاءَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، فَعَرَضَ عَلَيْكَ أَمْرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامًا ، وَحَضَّاكَ عَلَى الْمَسَارِعَةِ إِلَى اتِّبَاعِ رَأْيِي فِيهِ ؟

---

(١) أَغْدَ السِّيرَ وَقَدِيمٌ : أَسْرَعُ . (٢) يُبَاعُ لَهُمَا : يَتَعَذَّمُ مَا زَوْجًا وَبِعْلًا . (٣) تَعْضِيلُ الْبَنَاتِ : حِبْسُهُنَّ عَنِ الزَّوْجِ ظَلَمًا .

قولي لها : إنه كفء كريم ، و قريب حميم ، غير أن تخته زينب بنت إسحاق ، وأخاف أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء ؛ فأتناول منه ما يسخط الله تعالى فيه ، فيعذبني عليه ، ولست بفاعلة حتى يفارقها .

فلا اجتمع أبو هريرة وأبو الدرداء بعد الله ، وأعلماء يقول معاوية ، ردتها إليه يخطبان له منه ، فأتياه ، فقال : قد علمت رضائي به ، وحرّضني عليه ، وكنت قد أعلمه كما الذي جعل لها في نفسها من الشورى ؟ فادخلًا عليها ، واعرضا عليها الذي رأيت لها .

فدخلًا عليها وأعلماءها ، فقالت لها ما قاله معاوية لها ؟ فرجعوا إلى ابن سلام ، وأعلماء بما قالته .

فلا ظن أنه لا يمنعها منه إلا فراق زينب أشهدهما بطلاقهما ، وأعادها إلى ابنة معاوية .

فأتيا معاوية ، وأعلماء بما كان من فراق عبد الله زوجته ؛ رغبة في الاتصال بابنته ؛ فأظهر معاوية كراهة فعله ، وفارقته زينب ، وقال : ما استحسنست له طلاق امرأته ، ولا أحبيته ؛ فانصرقا في عافية ، ثم عودا إليها ، وخذدا رضاها .

فقاما ثم عادا إليه ؛ فأمرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها ؛ وقال : لم يكن لي أن أذكرها ، وقد جعلت لها الشورى في نفسها .

فدخلًا عليها فأعلمها بطلاق عبد الله بن سلام امرأته ليسرها ؛ وذكرا من فضله وكمال مروءته وكرم تحنيده ؛ فقالت لها : إنه في قريش لرفع القدر ، وقد ترقان أن الأناء في الأمور أرقى لما يحاف من المذور ؛ وإني سائلة عنه حتى

أَعْرَفَ دِخْلَةً أَمْرَهُ ، وَأَعْلَمَ كَمَا بِالذِّي يُزِينُهُ اللَّهُ لِي ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَقَالُوا :  
وَقَنْتُ اللَّهُ ، وَخَارَ لِكَ . وَانصَرَ فَأَعْنَاهَا ، وَأَعْلَمَ عَبْدَ اللَّهِ بِقُوَّهَا ، فَأَنْشَدَ :  
فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلَىٰ فَإِنْ غَدَّاً لَنَاظِرِهِ قَرِيبُ

وَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِمَا كَانَ مِنْ طَلاقِ عَبْدِ اللَّهِ زَيْنِبَ ، وَخَطَبَتْهُ ابْنَةُ مَعَاوِيَةَ ،  
وَلَامُوهُ عَلَى مِبَادِرَتِهِ بِالطلاقِ قَبْلِ إِحْكَامِ أَمْرِهِ وَإِبْرَاهِيمَ .

نَمْ اسْتَحْثَتَ عَبْدَ اللَّهِ أَبَا هَرِيرَةَ وَأَبَا الدَّرَدَاءِ ؛ فَأَتَيْهَا وَقَالَا لَهَا : اصْنِعْ مَا أَنْتَ  
صَانِعٌ وَاسْتَخِيرِي اللَّهَ ، فَإِنَّهُ يَهْدِي مِنْ اسْتَهْدَاهُ ؛ فَقَالَتْ : أَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ  
قَدْ خَارَ لِي ، وَقَدْ اسْتَبَرَ أَمْرُهُ<sup>(١)</sup> وَسَأَلَتْ عَنْهُ ، فَوُجِدَتْهُ غَيْرَ مُلَائِمٍ وَلَا مُوَافِقٍ  
لِمَا أُرِيدُ لِنَفْسِي .

وَلَقَدْ اخْتَلَفَ مِنْ اسْتَشْرِتَهُ فِيهِ ، فَنَهَمُ الْنَّاهِيَ عَنْهُ ، وَمِنْهُمْ الْأَمْرُ بِهِ ، وَالْخَلَافَةُ  
أُولُوْ ما كَرِهُتْ .

فَلَا بِلْغَاهُ كَلَامَهَا عِلْمٌ أَنَّهُ مَخْذُونٌ ، وَقَالَ : لَيْسَ لِأَمْرِ اللَّهِ رَادٌّ ، وَلَا لِأَبَدٍ  
مِنْهُ صَادِقٌ ؛ فَإِنَّهُ لِرَءُوفٌ وَإِنَّ كَلْمَلَ حِلْمٌ ، وَاجْتَمَعَ لَهُ عَقْلُهُ وَاسْتَدَرَأَ لَهُ ، لَيْسَ بِدَافِعٍ  
عَنْ نَفْسِهِ قَدْرًا بِرَأْيٍ وَلَا كِيدٍ ، وَلَعْلَ مَا سُرُّوا بِهِ وَاسْتَجَذَلُوا لَهُ لَا يَدُومُ لَمْ  
سَرُورٌ ، وَلَا يَصْرُفُ عَنْهُمْ مَخْذُورٌ .

وَذَاعَ أَمْرُهُ ، وَفَشَا فِي النَّاسِ ، وَقَالُوا : خَدَعَهُ مَعَاوِيَةُ حَتَّىٰ طَلَقَ امْرَأَتَهُ  
وَإِنَّمَا أَرَادَهَا لِابْنَهُ ، وَقَبُحُوا فَعْلَهُ .

---

(١) المفهُونُ أَنَّهَا استَقْسَمَتْ جَمِيعُ أَمْوَالِهِ حَقَّ عِرْفَهُ كُلِّ الْمَعْرِفَةِ .

فتمت مكيدته تلك ، ولكن المقادير أتَتْ بمخالفٍ تديبه ؛ وذلك أنه لما اقضت أُفْرَاء<sup>(١)</sup> زينب ، وجه معاوية أبا الدرداء إلى العراق خاطبها لما على ابنه يزيد ؛ فخرج حتى قدم الكوفة ، وبها يومئذ الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فبدأ أبو الدرداء بزيارة ، فسلم عليه الحسين ، وسأله عن سبب مقدمه ؛ فقال :

وتجهى معاوية خاطبًا على ابنه يزيد زينب بنت إسحاق ؛ فقال له الحسين : لقد كنت أردت نكاحها ، وقصدت الإرسال إليها إذا اقضت أُفْرَاءها ، فلم يعنفي من ذلك إلا تخير<sup>(٢)</sup> مثلك ؛ فقد أتى الله بك ؛ فاطلب - رحمك الله - على وعليه لتخير من اختاره الله لها ، وهي أمانة في عُنْقك حتى تؤديها إلىها وأعطيها من الهر مثل ما بذل معاوية عن ابنه ؛ فقال : أفعل إن شاء الله .

فما دخل عليها أبو الدرداء ، قال : أيتها المرأة ؟ إن الله خلق الأمور بقدرته ، وكوتها بعزمته ، فجعل لكل قدرًا ، ولكل قدر سببًا ؛ فليس لأحدٍ عن قدر الله محيص ، ولا للخروج عن أمره مهرب ؛ فـكان مما سبق لك ، وقدر عليك ، الذي كان من فراق عبد الله بن سلام إليك ، ولم يل ذلك لا يضر لك ، ويحمل الله فيه خيراً كثيراً ؛ وقد خطبك أمير هذه الأمة وابن ملكها ، وولي عهده والخليفة من بعده : يزيد بن معاوية ، والحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيد شباب أهل الجنة ، وقد بلغك شأنهما وسناؤها وفضلهما ، وقد جئتكم خاطبًا عليهمما فاختارى أيهما شئت .

فسكت طويلاً ، ثم قالت : يا أبا الدرداء ؛ لو أن هذا الأمر جاءني وأنت

---

(١) المراد عذتها . (٢) التخير : الانتقاء .

غائب لأشخصتُ فيه الرسل إليك ، واتبعـتُ فيه رأيك ، ولم أقطعـه دونك ،  
فاما إذا كنتَ أنتَ المرسل ؛ فقد فوّضـتُ أمرـي بعد الله إليك وجعلـته في بيـك ؛  
فاخـترـتـ لي أرضاـها بيـك ، والله شاهـد عـلـيـك ، فاقـضـيـ فيـ أمرـيـ بالـتحرـى ،  
ولا يـصـدـنـك عنـ ذـلـكـ اـتـبـاعـ هـوـي ، فـلـيـسـ أـمـرـهـاـ عـلـيـكـ خـفـيـا ، ولا أـنـتـ عـاـ  
طـوـقـكـ غـيـبـاـ .

قال : أيـتهاـ الـرـأـء ؛ إـنـماـ عـلـيـ إـعـلـامـكـ ، وـعـلـيـكـ الـاخـتـيـارـ لـنـفـسـكـ . قـالـ :  
عـفـاـ اللهـ عـنـكـ إـنـماـ أـنـاـ بـنـةـ أـخـيـكـ ، وـلـاـ غـنـيـ لـيـ عـنـكـ ، فـلـاـ تـنـفـعـكـ رـهـبـةـ أـحـدـ عـنـ  
قـوـلـ الـحـقـ فـيـاـ طـوـقـكـ ، فـقـدـ وـجـبـ عـلـيـكـ أـدـاءـ الـأـمـانـةـ فـيـاـ حـلـتـكـ ؛ وـالـلـهـ خـيـرـ مـنـ  
رـوـعـيـ وـخـيـفـ ، إـنـهـ بـنـاـ خـيـرـ لـطـيـفـ .

فـلـاـ مـيـجـدـ بـدـاـ مـنـ القـوـلـ وـالـإـشـارـةـ قـالـ : أـىـ بـنـيـةـ ؛ إـنـ اـبـنـ بـنـتـ رـسـولـ اللهـ  
صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـحـبـ إـلـىـ وـأـرـضـيـ عـنـدـيـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ بـخـيـرـهـ لـكـ .

قـالـ : قـدـ اـخـتـرـتـهـ وـأـرـدـتـهـ وـرـضـيـتـهـ .

فـتـزـوـجـهاـ الحـسـينـ ، وـسـاقـ لهاـ مـهـرـاًـ عـظـيـماـ . فـلـعـذـلـ ذـلـكـ مـعـاوـيـةـ ، فـعـاـظـمـهـ وـلـامـ  
أـبـاـ الدـرـدـاءـ لـوـمـاـ شـدـيدـاـ ، وـقـالـ : مـنـ يـرـسـلـ ذـاـبـلـهـ وـعـمـيـ يـرـكـبـ خـلـافـ ماـ يـهـوـيـ .

ثـمـ اـطـرـحـ مـعـاوـيـةـ عـبـدـ اللهـ بـنـ سـلـامـ ، وـقـطـعـ عـنـهـ جـمـيعـ رـوـاـفـدـهـ ، لـسـوءـ قـوـلـهـ فـيـهـ،  
وـتـهـمـتـهـ أـنـهـ خـدـعـهـ ، وـلـمـ يـزـلـ يـجـفـوـهـ حـتـىـ عـيـلـ صـبـرـهـ ، وـقـلـ مـاـفـ يـدـهـ .

فـرـجـعـ إـلـىـ الـعـرـاقـ ، وـكـانـ قـدـ اـسـتـوـدـعـ زـيـنـبـ قـبـلـ طـلاقـهـ مـلاـ عـظـيـماـ ، وـدـرـأـ  
كـثـيرـاـ ؛ فـلـنـ أـنـهـ تـجـحـدـهـ ؛ لـسـوءـ فـعـلـهـ بـهـ ، وـطـلاقـهـ مـنـ غـيـرـ شـيـ كـانـ مـنـهـ .

فلقي حسيناً فسلم عليه ، ثم قال : قد علمتَ ما كان من خبرى وخبر زينب ،  
وإني كنتُ قد استودعتها مالاً ، ولم أقبضه - وأتنى عليها - وقال له : ذاكِرها  
أمرى ، واحضنها على رد مالى .

فلا انصرف الحسين إليها ، قال لها : قد قدم عبد الله بن سلام ، وهو يحسن  
الثناء عليك ، ويحمل النشرَ عنك في حسن سحبتك ، وما آنسه قد ياماً من أمانتك ؛  
فسرّني ذلك وأعجبني ، وذكر أنه كان قد استودعك مالاً ، فأدّي إليه أمانته ،  
ورُدّى عليه ماله ، فإنه لم يقل إلا صدقًا ، ولم يطلب إلا حقًا .

قالت : صدق ، استودعنى مالاً لا أدرى ما هو ، فادفعه إليه بطابعه ،  
فأتنى عليها حسين خيرًا . وقال : ألا أدخله إليك حتى تتبّرئي إليه منه  
كادفعه إليك ؟

نعم لقى عبد الله وقال : ما أنكرت مالكَ ، وإنها زعمت أنه بطابعك فادخلْ  
إليها ، وتسّم مالك منها .

قال : أوّما تأمر من يدفعه إلىَّ ؟ قال : لا ؛ بل تقبضه منها كما دفعته إليها .  
ودخل عليها حسين ، وقال : هذا عبد الله قد جاء يطلب وديعته ؛ فأخرجت  
إليه البدر ، فوضعتها بين يديه ، وقالت : هذا مالك ، فشكراً وأتنى .

وخرج حسين عنهما ، وقضى عبد الله بن سلام خواتم بدرة<sup>(١)</sup> ، وحني لها  
من ذلك ، وقال : خذِي فهو قليل مني ؟ فاستقرّا جيماً ، حتى علّت أصواتها  
أسفاً على ما ابْتُلِيَ به ، فدخل الحسين عليهما ، وقد رقّ لها ، فقال :

---

(١) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف .

أشهد الله أنى طلقها ؛ اللهم إإنك تعلم أنى لم أتزوجها رغبة في مالها ولا جمالها،  
ولكنى أردت إحلالها بعُلِّيٍّ .

فسألها عبد الله أن تصرف إلى حسين ما كان قد ساقه إليها من مهر ؟ فأجابته  
إلى ذلك ؛ فلم يقبله الحسين ، وقال : الذى أرجوه من التواب خيرٌ لي .  
فلما انقضت أقواؤها تزوجها عبد الله ، وحرمتها الله يزيد بن معاوية .

## ٩٥ — مَنْ صَدَقَ اللَّهَ (١) نِحَا \*

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ عَلَمَةَ نَفَرِ الظَّلَّاقِ إِلَى الصَّحَّارَاءِ فَمَطَرَّتْهُمُ السَّمَاءُ ; فَلَجَعُوا إِلَى كَهْفٍ فِي جَبَلٍ يَنْتَظِرُونَ إِقْلَاعَ الْمَطَرِ ؛ فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذَا هَبَطَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ ، وَجَنَّثَتْ عَلَى بَابِ الْفَارِدِ فَيَنْسُوا مِنَ الْحَيَاةِ وَالنِّجَاحِ ، قَالَ أَحْدَمُ : لَيَنْظَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ إِلَى أَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلَيَذْكُرْهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ اللَّهَ تَعَالَى عَسْيَ أَنْ يَرَاهُنَا وَيَنْعِبُنَا .

قَالَ أَحْدَمُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كَنْتُ بَارِئًا بِوَالِدِي ، وَكُنْتُ آتَيْهَا بَنْبُوقَهَا <sup>(٢)</sup> فَيَغْتَبِيَنَاهُ ، فَأَتَيْتُ لَيْلَةً بَنْبُوقَهَا ، فَوَجَدْهُمَا قَدْ نَامَا ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُوْقِظَهُمَا ، وَكَرِهْتُ الرَّجُوعَ ؛ فَلَمْ يَزِلْ ذَلِكَ دَأْبِي حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ؛ فَإِنْ كَنْتُ عَمِلْتُ ذَلِكَ لِوَجْهِكَ ، فَأَفْرِجْ عَنَا ؛ فَأَنْتَ الصَّخْرَةُ عَنْ مَكَانِهَا حَتَّى دَخُلَ عَلَيْهِمُ الضَّوءَ .

وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي هُوَيْتُ امْرَأَ ، وَلَقِيْتُ فِي شَأنِهَا أَهْوَالًا حَتَّى ظَفَرْتُ بِهَا ، وَلَكِنِي تَرَكْتُهَا خَوْفًا مِنْكَ ؛ فَإِنْ كَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَا حَلَّنِي عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مَحَافِظُكَ فَأَفْرِجْ عَنَا فَأَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ حَتَّى لَوْشَاءَ الْقَوْمَ أَنْ يَخْرُجُوا تَقْدِرُوا .

\* بِحُمَّ الْأَمْثَالِ : ٢ - ١٦٧

(١) صَدَقَ اللَّهَ : لَقَ اتَّهُ بِالصَّدَقِ ، وَهُوَ أَنْ يَعْتَقُ قَوْلَهُ عَمَلِهِ . (٢) الْبَنْبُوقُ : شَرَابُ الْعَشَى .

وقال الثالث : اللهم إناك تعلم أني استأجرت أجراء ، فعملوا لي فوقَيْتهم  
أجورَهُم إِلَّا رجلاً واحداً تركَ أَجْرَهُ عندي ، وخرج مُغَاضِبًا ، فربَّيتُ أَجْرَهُ حتى  
نما وبلغَ مبلغاً ، ثم جاءَ الأَجِيرُ ، فطلبَ أَجْرَتَهُ ؛ فقلتُ : هاكَ مَا ترى من المَالِ ؟  
فإِنْ كُنْتُ عَمِلتُ ذَلِكَ لَكَ فافرِجْ عَنَا ؛ فَالْتَ الصَخْرَةَ وانطَلَقُوا سَالِيْنَ ! فَقَالَ  
صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صَدَقَ اللهَ نَجَّا » .

## ٩٦ - عمر بن أبي ربيعة في مضرب فاطمة بنت عبد الملك \*

كان عمر<sup>(١)</sup> بن أبي ربيعة جالساً بمنى في فناء<sup>(٢)</sup> مضربِه ، وغِلَانُه حولَه إذ أقبلتْ امرأة بَرَزَة<sup>(٣)</sup> عليها أثر النعمة ؟ فسلمتْ فرداً عليها عمر<sup>ر</sup> السلام ، فقالت له : أنت عمر<sup>ر</sup> بن أبي ربيعة ؟ فقال لها : أنا هو ؛ فما حاجتك ؟ قالت له : حيَاكَ الله وقرَبَك ؛ هل لك في محادثة أحسن الناس وجهها ، وأئمَّهم خلقاً ، وأكْمَلُهم أدبًا ، وأشار فِيهِمْ حسباً ! قال : ما أحب إلى ذلك ! قالت : على شَرْطٍ ! قال : قولي ، قالت : تُمْكِنُني من عينيك فأشُدُّها وأقوِّدُك ، حتى إذا توَسَّطْتَ للوَضْعَ الَّذِي أريده حللتُ الشدة ، ثم أَفْعَلْتُ ذلك بك عند إخراجك حتى أنتهي بك إلى مضربك ، قال : شأنك . ففعلت ذلك به .

قال عمر : فلما انتهتْ بي إلى المضرب الذي أرادتْ كشفَ عن وجهي فإذا أنا بأمرأة على كرسى لم أر مثلها قطْ جالاً وكالاً ، فسلمتْ وجلستْ ، فقالت : أنتَ عمر بن أبي ربيعة ؟ قلت : أنا عمر ، قالت : أنت القاضي لغير أثر ؟ قلت : وما ذاك - جعلني الله فداءك ! قالت : ألس القائل :

\* الأغاني : ١ - ١٩٠

(١) هو عمر بن أبي ربيعة ، اختص شعره بوصف النساء وعد أنس الشعراء ، وكان يقيم بكة ويعرض للحجاج ، وله في ذلك أخبار كثيرة . توفي سنة ٩٣ هـ . (٢) الفناء : الساحة على باب الدار . (٣) بَرَزَة : بارزة المجال .

قالت: وَعَيْشِ أخِي وَنَعْمَةُ الَّذِي لَا يَبْهَنُ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ  
نَفْرَجْتُ خَوْفَ يَمِينِهَا فَبَسَّتْ فَلَمْتُ أَنْ يَمِينِهَا لَمْ تَخْرُجْ<sup>(١)</sup>  
فَتَأْوَلْتُ رَأْسِي لِتَعْرُفْ مَسَّهُ بِمُخَضَّبِ الْأَطْرَافِ غَيْرِ مُشَنْجَ<sup>(٢)</sup>  
فَلَيْسَتْ قَاهَا آخِيَّا ذَا بَقْرُونَهَا شُرْبَ الزَّرِيفَ<sup>(٣)</sup> بِيرْدَ مَاءَ الْحَشْرَاجَ<sup>(٤)</sup>

ثُمَّ قَالَتْ: قَمْ فَأَخْرُجْ عَنِّي، ثُمَّ قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا وَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ فَشَدَّتْ عَيْنِيَّ، ثُمَّ أَخْرَجْتُنِي حَتَّى انتَهَيْتُ بِي إِلَى مَضْرِبِي وَانْصَرَفْتُ وَتَرَكْتُنِيَّ، خَلَّتْ عَيْنِيَّ وَقَدْ دَخَلْتُ مِنَ الْكَابَّةِ وَالْحُزْنُ مَا أَلْهَبَ بِهِ أَعْلَمُ؛ وَبَثَّ لِيَاتِيَّ؛ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ إِذَا أَنَا بِهَا، قَالَتْ: مَلِكُ فِي الْوَعْدِ؛ فَقَلَّتْ: شَأْنَكِيَّ، فَقَمَلْتُ بِي مِثْلَ فِيلِهَا بِالْأَمْسِيَّ حَتَّى انتَهَيْتُ بِي إِلَى الْوَضْعِ، فَلَمَّا دَخَلْتُ إِذَا بِتِلْكَ الْفَتَاهَ عَلَى كَرْسِيِّهَا، قَالَتْ: إِيمِيهِ يَا فَضَّاحُ الْحَرَائِرِ! قَلَّتْ: بِمَاذا - جَعَلَنِي اللَّهُ فَدَاءَكِ؟ قَالَتْ: بِعَوْلَكِ •  
« وَنَاهِدَةُ النَّدِيْنِ » .

ثُمَّ قَالَتْ: قَمْ فَأَخْرُجْ عَنِّي •

فَقَسَتْ نَفْرَجْتُ ثُمَّ رُدِّيْذَتُ، قَالَتْ لِي: لَوْلَا وَشَكَّ الرَّحِيلُ، وَخَوْفُ الْفَوْتِ،  
وَمُحَبِّتِي لِمَنْأَجَاتِكِ، وَالْاسْتَكْثَارِ مِنْ مَحَادِثَكِ لِأَقْصِيْتُكِ، هَاتِ الْآنَ كَلْمَنْيَ  
وَحَدَّتِي وَأَنْشِدَنِي، فَكَلَّمْتُ آدَبَ النَّاسِ وَأَعْلَمَهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ نَهَضْتُ

(١) لَمْ تَخْرُجْ: لَمْ تَضْعِفْ وَلَمْ تَكُنْ جَادَةً فِي حَلْفِهَا . (٢) مُشَنْجَ: مُتَقْبِضُ . (٣) الزَّرِيفَ: الْمَزْرُوفُ، وَهُوَ مِنْ عَطْشٍ حَتَّى يَبْسُطُ عَرْوَقَهُ وَجْفَ لِسَانِهِ . (٤) الْحَشْرَاجُ: الْنَّقْرَةُ فِي الْجَبَلِ يَجْعَلُ نَبِيَّا مَاءَ فَيَصْغُرُ .

وأبطأت العجوز وخلالَيَّ البيت ، فأخذت أنظر ، فإذا أنا بتوْر<sup>(١)</sup> فيه خلوق<sup>(٢)</sup> ، فادخلت يدي فيه ثم خبأتها في رُدْنِي<sup>(٣)</sup> ؛ وجاءت تلك العجوز فشدَّت عيني ونهضت بي تعودني ، حتى إذا صرت على باب المضرب ، أخرجت يدي فضربت بها على المضرب ثم صرت إلى مضربي ، فدعوت غلامي قلت : أيمك يقني على باب مضرب عليه خلوق ، كأنه أثر كف فهو حرّ وله حسماة درم .

فلم ألبث أن جاء بضمهم قال : قم ، فتهضي معه فإذا أنا بالكفت طرية ؛ وإذا للضرب مضرب فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، فأخذت في أهبة الرحيل ، فلما نفرت نفرت معها فبصرت في طريقها بقيابٍ ومضرب وهيئه جليلة ، فسألت عن ذلك ، فقيل لها : هذا عمرُ بن أبي ربيعة ، فساءها أمره ؛ وقالت للجوز التي كانت تُرسلاً إليه : قولي له : نَشَدْنُكَ اللَّهُ وَالرَّحْمَنُ لَا تَصْحَبْنِي ، وَيَخْكُمْ ! ما شائُنكَ ؟ وما الذي تُرِيدُ ؟ انصرف ولا تقضحي وتشيط<sup>(٤)</sup> بدمك .

فسارت العجوز إليه فأدَّتْ إليه ما قالت لها فاطمة ، قال : لست بمنصرف أو تُوجِّهُ إلى بعفيصها ، فوجهت إليه بعفيص من ثيابها ، فزاده ذلك شفناً ؛ ولم يزل يتبعهم ولا يخالطهم حتى إذا صاروا على أميال من دمشق انصرف ، وقال ذلك :

ضاق الفداء بمحاجتي صدرى وينبت بعد تقارب الأمر  
وذكرت فاطمة التي علقَّها عَرَضاً فيها لحوادث الدهر  
وكأنَّ فاهَا عند رقدتها تجري عليه سلافةُ الخمر

---

(١) التور : إنانة صغيرة . (٢) الخلوق : نوع من الطيب . (٣) الردن : الكم . (٤) أهاط بدمه : أهدره .

فَسَبَّتْ فَوَادِي إِذْ عَرَضْتُ لَهَا  
بَعْزَيْنَ رَدْعُ<sup>(١)</sup> الْعَبِيرَ بِهِ  
وَبِجِيدِ آدَمَ<sup>(٢)</sup> شَادِينَ<sup>(٤)</sup> حَرْقَ<sup>(٥)</sup>  
لَا رَأَيْتُ مَطِيهَا حِزْقَ<sup>(٦)</sup>  
وَتِبَادَرَتْ<sup>(٧)</sup> عَيْنَاهَا عَلَى الصَّدْرِ  
وَلَقَدْ عَصَيْتْ ذُوِّ الْقِرَابَةِ فِي كُمْ  
حَتَّى لَقِدْ قَالُوا وَمَا كَذَبُوا : أَجَنَّتْ أَمْ بَكْ دَاهِلُ السَّعْرِ

---

(١) الرَّدْعُ : أثر الطَّيِّبِ فِي الْجَسَدِ . (٢) التَّرَائِبُ : جَمْعُ تَرِيَةٍ ، وَهِيَ مَوْضِعُ الْقَلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ .  
(٣) الْآدَمُ : الْأَسْمَرُ . (٤) شَدَنُ الظَّبَى : تَرْعِعَ وَشَبَّ . (٥) الْحَرْقُ : الْخَائِفُ التَّحْيِيرُ .  
(٦) حِزْقَ : جَمَاعَاتٌ . (٧) تِبَادَرَتْ : سَالَتْ دَمَوعُهَا .

## ٩٧ - عمارة\*

كانت عند عبد الله<sup>(١)</sup> بن جعفر جارية مُفْنِيَة يقال لها عماره، وكان لها منه مكان لم يكن لأحدٍ من جواريه.

فلا وَفَدَ عبد الله بن جعفر على معاوية خرج بها معه، فزاره يزيد ذات يوم فأخرجها إليه، فلما نظر إليها وسمع غناءها وقَمَتْ في نفسه، وجعل لا يمنعه من أن يبوح بما يجدُ بها إلا مكاناً أشبه، مع يأسه من الظفر بها، فلم يزل يكاثم الناس أمراها إلى أن مات معاوية، وأفضى الأمرُ إليه، فاستشار بعضَ من قدم عليه من أهل المدينة وعامة من يثق به في أمرها، وكيف الحيلة فيها، فقيل له: إن أمراً عبد الله ابن جعفر لا يُرَام، ومنزلته من الخاصة والعامة ومنك ما قد علمت، وأنك لاستجيز إكراهه، وهو لا يبيعها بشيء أبداً، وليس يعني في هذا إلا الحيلة.

قال: انظروا لي رجلاً عرافياً له أدبٌ وظرفٌ ومعرفة، فطلبوه فأتوه به؛ فلما دخل رأى بياناً وحلوة وفهما، فقال يزيد: إن دعوتك لأمرٍ إن ظفرت به فهو حظك آخر الدهر، ويدُّوك كافئك عليها إن شاء الله؛ ثم أحبره بأمره، فقال له: عبد الله بن جعفر ليس بُرَامٌ ما في قلبه إلا بالخداع، وإن يقدر أحدٌ على مسائلتِه، فارجو أن تكونه والقوه بالله، فاعني بالمال. قال: خذماً أحببت.

\* مصارع العناق: ٣١٠

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، كان كريعاً جواداً، يقبل على سماع النساء، وأخباره في الكرم والسماع كثيرة، توفي سنة ٤٩٠ هـ.

فأخذ من طرف الشام وثياب مصر، واشتري متابعاً للتجارة من رقيق ودوابٌ  
وغير ذلك، ثم شخص إلى المدينة، فأنانج بعرصة<sup>(١)</sup> عبد الله بن جعفر،  
وأكترى منزلة إلى جانبه، ثم توسل إليه، وقال: إني رجلٌ من أهل العراق  
قدمتُ بتجارة، وأحببتُ أن أكونَ في عزِّ جوارك وگنك، إلى أن أبيع  
ما جئتُ به.

فبعث عبد الله بن جعفر إلى قهرمانه: أن أكرم الرجل، ووسّع عليه  
في ترمه<sup>(٢)</sup>. فلما اطمأنَّ العراق سلم عليه أياماً، وعرفه نفسه، وهياً له بفترة  
فارفة، وثياباً من ثياب العراق وألطافاً؛ فبعث بها إليه، وكتب معها:  
«يا سيدي؛ إني رجل تاجر، ونعمَّ الله على سافية، وقد بعثت إليك بشيءٍ  
من تحف، وثياب وعطر، وبعثت ببottle خفيفة العنان، وطينة الظاهر؛ فاخذها  
لو كوبك؛ فأنا أسألك بقرباتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله إلا قبلت  
هدتي، فإن أعظم أمل في سفرتى هذه أن استفيد لأنس بك، والتعزّم  
بمواصلتك».

فأمر عبد الله بقبض هديته، وخرج إلى الصلاة، فلما رجع مرَّ بالعراق في منزلة  
قمام إليه، وقبل يده، واستكثر منه، فرأى أدباً وظرفاً وفصاحة، فانعجب به وسرّ  
بنزوله عليه، فحمل العراق في كل يوم بيعث إلى عبد الله بهدية طريفة. فقال  
عبد الله: جزى الله ضيفنا هذا خيراً، فقد ملأنا شكرأ، وما نقدر على مكافأته؛

---

(١) العرصة: كل بقعة بين الدور ليس بها بناء. (٢) الترزل: ماهي لضيف أن ينزل فيه.

ولما لَكَذَلَكَ إِلَى أَنْ دَعَاهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَدَعَا بُمَارَةً فِي جَوَارِيهِ ، فَلَمَّا طَابَ لَهَا  
الْجَلْسُ وَسَمِعْ غَنَاءَ عَمَارَةَ ، تَعْجَبَ وَجْهُهُ يُزِيدُ عَجَبَهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ سُرَّ  
إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ : هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ عَمَارَةَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَهَا  
وَمَا تَصْلِحُ إِلَّا لَكَ ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنْ يَكُونَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُ هَذِهِ الْجَارِيَةِ : حُسْنُ وَجْهٍ ،  
وَحُسْنُ عَمَلٍ . قَالَ : فَكُمْ نَسَاوِي عِنْدَكَ ؟ قَالَ : مَا لَهَا ثُنْنٌ إِلَّا خِلَافَةٌ ، قَالَ : تَقُولُ  
هَذَا لِتَزِينَ لِي رَأْيًا فِيهَا وَتَجْتَلِبُ سُرُورِي ! قَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي ؛ وَاللَّهِ إِنِّي  
لأَحَبُّ سُرُورِكَ ، وَمَا قُلْتَ لَكَ إِلَّا الجَدُّ ، وَبَعْدِ فَإِنِّي تَاجِرٌ أَجْمَعُ الدِّرَاهِمَ إِلَى  
الدِّرَاهِمِ ، طَلْبًا لِلرِّبَاحِ وَلَوْ أَعْطَيْتُهَا بِعَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ لَأَخْذَتُهَا ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ :  
عَشْرَةَ آلَافٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ - وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانَ جَارِيَةً بِهَذَا الثُّنْنِ - فَقَالَ لَهُ  
عَبْدُ اللَّهِ : أَنَا أَبِيعُكُمْ بِعَشْرَةَ آلَافٍ . قَالَ : قَدْ أَخْذَتُهَا . قَالَ : قَدْ وَجَبَ الْبَيْعُ .  
وَانْصَرَفَ إِلَى الْعَرَاقِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ عَبْدُ اللَّهِ لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِالْمَالِ قَدْ جَيَّبَ بِهِ ، فَقَيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ : قَدْ بَعْثَثْتُ  
الْعَرَاقَ بِعَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، وَقَالَ : هَذَا ثُنْنٌ عَمَارَةٌ . فَرَدَّهَا ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنِّي  
كَنْتُ أَمْزَحُ مَعَكَ ، وَمَا أَعْلَمُكَ أَنْ مِثْلِي لَا يَبِيمُ مِثْلَهَا ، فَقَالَ لَهُ : جَعَلْتُ  
فَدَامَكَ إِنَّ الْجَدَ وَالْمَهْزُلَ فِي الْبَيْعِ سَوَاءٌ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : وَيَحْكُمُ إِنِّي مَا أَعْلَمُ  
جَارِيَةً تَسَاوِي مَا بَذَلْتَ ، وَلَوْ كَنْتَ بِأَنْهَا مِنْ أَحَدِ الْأَنْتَرِنِتِكَ ، وَلَكَنِّي كَنْتَ  
مَازِحًا ، وَمَا أَبِيعُهَا بِمُلْكِ الدُّنْيَا لَحْرَمَهَا بِي ، وَمَوْضِعُهَا مِنْ قَلْبِي . فَقَالَ الْعَرَاقُ :  
إِنِّي كَنْتُ مَازِحًا فَإِنِّي كَنْتُ جَادًا ، وَمَا اطْلَعْتُ عَلَى مَا فِي نَفْسِكَ ، وَقَدْ

ملكتُ الجارية ، وبعثتُ إليك بمنها ، وليست تحل لك ، وما لِمِنْ أخذها  
من بدّ .

فأنا هـ إياها فقال له : ليست لي بئنة ، ولكنني أستَحْلِفُك عند قبر رسول الله  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومن بره ، فلما رأى عبدَ الله الجدَّ قال : بئس الضيفُ أنت !  
ما طرقنا طارق ، ولا نزل بنا نازل ، أعظمُ بليةً منك ، أتحلّفي فيقول الناس :  
اضطهد عبدَ الله ضيفه وقهرَه ، وأجلاءَ إلى مُنْ استحلّفه ، أما والله لتعلمني أني  
سأعتصم في هذا الأمر بالصبر وحسن العزاء .

ثم أمر قَهْرَمانه بقبضِ المآل منه ، وبتجهيزِ الجارية بما يُشْبِهها من الخدم  
والثياب والطيب ، فجُهِّزَت بنحو من ثلاثة آلاف دينار .

فقبضَ العراقِ الجارية ، وخرج بها ؛ فلما بَرَزَ من المدينة ، قال لها : يا عماراة :  
إلى والله ما ملَكْتُكَ قط ، ولا أنتَ لي ، ولا مثلَيَشتري جارية عشرة آلاف  
دينار ، وما كنتُ لأقدم على ابن عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلبهُ أحبّ  
الناس إِلَيْهِ لِنفسِي ، ولكنني دَسِيسٌ<sup>(١)</sup> من يزيدَ بن معاوية ، وأنتِ له ، وفي  
طلبك بعثَتَ بي ، فاستَترَى مِنِي .

ثم مضى بها حتى وردَ دمشق ، فتقلاه الناسُ بمحنaza يزيد ، وقد استختلف ابنته  
معاوية بن يزيد ؟ فأقام الرجل أيامًا ، ثم تلطّف للدخول عليه ، فشرح له القصة  
ـ ولم يكن أحدٌ من بني أمية يعدل بمعاوية بن يزيد في زمانه بِلَا وَنُسْكًا ـ فلما

(١) الدسّيس : من تدسه ليأتيك بالأخبار .

أخْبَرَهُ قَالَ : هِيَ لَكَ ، وَكُلُّ مَا دَفَعَهُ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِهَا فَهُوَ لَكَ ، وَارْحَلْ مِنْ يَوْمَكَ فَلَا أَسْمَعُ بَخْبَرَكَ فِي شَيْءٍ مِنْ بَلَادِ الشَّامِ .

فَرَحِلَ الْعَرَاقُ ، ثُمَّ قَالَ لِلْجَارِيَةِ : إِنِّي قُلْتُ لَكَ مَا قُلْتُ حِينَ خَرَجْتُ بِكَ مِنَ الْمَدِينَةِ ؛ فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ لِيْزِيدَ ، وَقَدْ صَرَّتِ لِيَ ، وَأَنَا أَشْهِدُ أَنَّكَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرَ ، وَأَنِّي قَدْ رَدَّدْتُكَ عَلَيْهِ ، فَاسْتَتَرَى مِنِّي .

ثُمَّ خَرَجَ بِهَا حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ خَدْمَهُ ، قَالَ لَهُ : هَذَا الْعَرَاقُ ضَيْفُكَ الَّذِي صَنَعَ بِنَا مَا صَنَعَ ، وَقَدْ نَزَلَ الْعَرَصَةُ لَا حَيَّاهُ اللَّهُ ! قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : مَهْ ! أَنْزَلُوا الرَّجُلَ وَأَكْرَمُوهُ ! فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بَعْثَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ : جَعَلَتْ فَدَاءَكَ ! إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَأْذَنَ لِي لَا شَافِيكَ بِشَيْءٍ فَعَلْتَ ؛ فَأَذِنْ لَهُ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ سَلَمَ عَلَيْهِ ، وَقَبَّلَ يَدَهُ فَقَرَّ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ ، ثُمَّ اتَّقَصَ عَلَيْهِ الْقَصَّةَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ ، قَالَ : قَدْ وَاللهِ وَهَبْتُكَ لَكَ قَبْلَ أَنْ أَرَاهَا وَأَضْعَفَ يَدِي عَلَيْهَا ، فَهِيَ لَكَ وَمَرْدُودَةٌ عَلَيْكَ ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنِّي مَا رَأَيْتُ لَهَا وَجْهًا إِلَّا عِنْدَكَ .

فَبَعْثَ إِلَيْهَا ، بَخَاءَتْ ، وَجَاءَ بِهَا جَهَزَهَا بِهِ مُؤْفَرًا ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ ، خَرَّتْ مُفْشِيًّا عَلَيْهَا ، وَأَهْوَى إِلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ ، وَخَرَجَ الْعَرَاقُ وَتَصَابَحَ أَهْلُ الدَّارِ : عُمَارَةً ! عُمَارَةً ! فَجَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ ، وَدَمْوعَهُ تَجْرِي : أَحَلَّ هَذَا ؟ أَحَقُّ هَذَا ؟ مَا أَصَدَّقُ بِهَذَا ! قَالَ لَهُ الْعَرَاقُ : جَعَلَتْ فَدَاءَكَ ! قَدْ رَدَهَا عَلَيْكَ إِيَّاكَ الْوَفَاءَ ، وَصَبْرُكَ عَلَى الْحَقِّ ، وَانْقِيادُكَ لَهُ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي تَصَبَّرْتُ عَنْهَا ، وَآتَيْتُ الْوَفَاءَ ،

وأسلمت لأمرك ، فرددتها على بمنك ؟ فلك الحمد . ثم قال : يا أبا العراق ؟ ما في الأرض أعظم منه منك ، وسيجاريك الله تعالى .

وأقام العراق أيام وباع عبد الله غنماً له بسلامة عشر ألف دينار ، وقال لقهرمانه : احملها إليه ، وقل له : اعذر ، واعلم أنني لو وصلتك بكل ما أملك لرأيتك أهلاً لأكثرك منه ؛ فرحل العراقي محموداً وافر المال .

## ٩٨ — عمر بن أبي ربيعة في لبسة أعرابي\*

قال عَمَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْخَاطِبِيَّ :

أَتَيْتُ عَمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ بَعْدَ أَنْ نَسَكَ بَسْنِينَ ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي مَخْزُومَ ، فَانْظَرْتُ حَتَّى تَفَرَّقَ الْقَوْمُ ، ثُمَّ دَنَوْتُ مِنْهُ وَمِنْ صَاحِبِهِ طَرِيفَ ، وَكَانَ قَدْ قَالَ لِي : تَعَالَ حَتَّى تَهْبِيْجِهِ عَلَى ذِكْرِ الْغَزَلِ ، فَنَظَرَ هَلْ يَقِيْنَ فِي نَفْسِهِ مِنْهُ شَيْءٌ ، قَالَ لِهِ صَاحِبِيْ : يَا أَبا الْخَطَابِ ، أَكْرَمْكَ اللَّهُ ؛ لَقَدْ أَحْسَنَ الْعَذْرِيْ

وَأَجَادَ فِيمَا قَالَ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لِهِ : وَمَاذَا قَالَ ؟ قَالَ : حَيْثُ يَقُولُ :

لَوْ جُدَّ بِالسِّيفِ رَأَى فِي مَوَدَّتِهِ لَرَيَاهُو سَرِيعًا نَحْوَهَا رَأَى  
فَارَّتَحَ عَمِّرٌ إِلَى قَوْلِهِ وَقَالَ : هَاهُ لَقَدْ أَجَادَ وَأَحْسَنَ . قَلْتُ : وَلَلَّهِ دَرُّ جُنَادَةِ  
الْمُذْرِيِّ ! قَالَ عَمِّرٌ : حَيْثُ يَقُولُ مَاذَا ؟ وَيَحْكُمُ اقْتِلْتُ : حَيْثُ يَقُولُ :

سَرَّتْ لِعِينِكَ سَلَى بَعْدَ مَغْفَاهَا بَيْتُ مُسْتَنْبِهِمَا<sup>(١)</sup> مِنْ بَعْدِ مَسْرَاهَا  
وَقْلَتْ : أَهَلَّا وَسَهَلَّا مَنْ هَدَاكِ لَنَا إِنْ كَنْتَ تَمَثَّلَمَا أَوْ كَنْتَ إِيَاهَا  
تَأْنِي الرِّيَاحَ الَّتِي مِنْ نَحْوِ بَلْدَتِكَ  
هَيَّهَاتَ مُضْبَحَهَا مِنْ بَعْدِ ثُمَسَاهَا  
وَقَدْ تَرَاهْتَ بِنَا عَنْهَا نَوَى قَذْفَهُ<sup>(٢)</sup>  
مِنْ حُبَّهَا أَتَنْفَى أَنْ يُلَاقِيَنِي  
مِنْ نَحْوِ بَلْدَهَا نَاعِ فَيَنْعَاهَا  
كَيْا أَقُولُ فِرَاقٌ لَا لِقاءَ لَهُ وَتُضَمِّرُ النَّفْسُ يَأْسًا نَمْ تَسْلَاهَا

\* الأغاني : ١ - ١٧٤ ، الأمالى : ٢ - ٥٠

(١) مُسْتَنْبِهَا : مستيقظاً . (٢) نَوَى قَذْفَهُ : بعيدةً .

ولو تموت لرائعتي وقلتُ ألا يابُؤُس للموت ! ليتَ الموتَ أبْقَاها

قال : فضحك عمر ، ثم قال : وأبيك لقد أحسنَ وأجادَ وما أبقى ، ولقد  
هَيَّجْتُمَا عَلَى ساكنًا ، وذَكَرْتُمَا مَا كَانَ عَنِ غَائْبًا ، وَلَا حَدَّثْتُكُمَا  
حدبناً حلوًّا :

يَبْنَا أَنَا مِنْ أَعْوَامِ جَالِسٍ إِذْ أَتَانِي خَالِدُ الْخَرَبَةِ قَالَ لِي : يَا أَبا الْخَطَابِ ؛  
مَرَّتْ بِي أَرْبَعُ نُسُوَّةٍ قُبْيَلُ الْعِشَاءِ يُرِدْنُ مَوْضِعَ كَذَا وَكَذَا ؛ وَلَمْ أَرَ مِنْهُنَّ فِي بَدْنِي  
وَلَا حَضَرَ ، فِيهِنَّ هَنْدُ بَنْتُ الْحَارِثُ الْمُرْيَةُ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَأْتِيَهُنَّ مُنْكَرًا ، فَتَسْعِمُ  
مِنْ حَدِيبَهُنَّ ، وَتَقْتَمُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِنَّ ، وَلَا يَعْلَمُنَّ مِنْ أَنْتَ ؟ قَالَ لَهُ : وَيَحْكُمُ !  
وَكَيْفَ لَيْ أَخْفِي نَفْسِي ؟ قَالَ : تَبَلَّسُ لِبَسَةً أَعْرَابِيًّا ؛ ثُمَّ تَجْلِسُ عَلَى قَمُودٍ<sup>(١)</sup> ،  
فَلَا يَشْعُرُنَّ إِلَّا بِكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَيْهِنَّ .

فَفَعَلَتُ مَا قَالَ ؛ وَجَلَسْتُ عَلَى قَمُودٍ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُنَّ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِنَّ ، ثُمَّ وَقَتَ  
بِقُرْبِهِنَّ ، فَسَأَلْتُنِي أَنْ أَنْشِدَهُنَّ وَأَحْدِثَهُنَّ ، فَأَنْشَدَهُنَّ لِكَثْرَةِ وَجْهِي وَالْأَحْوَصِ  
وَنُصَيْبِي وَغَيْرِهِمْ ؛ فَقَلَنَ لِي : وَيَحْكُمُ يَا أَعْرَابِي ! مَا أَمْلَحْتُ وَأَظْرَفْتُ إِلَوْنَزْتُ  
فَتَحْدَثْتَ مَعْنَا يَوْمَنَا هَذَا ! فَإِذَا أَمْسَيْتَ اَنْصَرْتَ فِي حَفْظِ اللَّهِ إِ

فَأَنْخَتُ بَعِيرِي ، ثُمَّ تَحْدَثَتُ مَعْهُنَّ ، وَأَنْشَدَهُنَّ فَسَرَرْنَ بِي وَجَذَلْنَ  
بِقُرْبِي ، وَأَعْجَبَهُنَّ حَدِيبَي ، ثُمَّ إِنَّهُنَّ تَغَامِزْنَ ، وَجَمِلُ بَعْضِهِنَّ يَقُولُ لَبَعْضٍ : كَأَنَا  
نَعْرَفُ هَذَا الْأَعْرَابِي ! مَا أَشْبَهُهُ بِعَمْرُ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ ! قَالَتْ إِلَهَاهَنَ : هُوَ وَاللهُ  
عُمَرُ ! فَدَتْ هَنْدُ يَدِهَا فَانْزَعَتْ عَامِتَي فَأَلْقَهَا عَنْ رَأْسِي ثُمَّ قَالَتْ لِي : هَيْهَا يَا عُمَرُ !

(١) القمود من الإبل : ما يقتعده الراعي في كل حاجة .

أَتُرَاكَ خَدْعَتِنَا مِنْذُ الْيَوْمِ ! بَلْ نَحْنُ وَاللَّهُ خَدْعَنَاكَ وَاحْتَلَنَا عَلَيْكَ بَخَالَدٍ ؟ فَأَرْسَلْنَا  
إِلَيْكَ لَهَاتِنَا فِي أَسْوَأِ هِيَةٍ ، وَنَحْنُ كَمَا تَرَى . قَالَ عُمَرُ : خَادَتْنَاهُ سَاعَةً ،  
ثُمَّ انْصَرَفَتْ ، فَذَلِكَ قَوْلِي :

أَلْمَ تَسْأَلُ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبَّعَا  
بِيَطْنَ (١) حَلَيَّاتٍ دَوَارِسَ بَلْقَمَ  
نَكَانٌ فَوَادِا كَانَ قَدْمًا مُفَجَّعًا  
فِيَغْلُنْ أَوْ يُخْبِرُنَّ بِالْعِلْمِ بَعْدَ مَا  
جَمِيعٌ وَإِذْ لَمْ تَخْشُ أَنْ يَتَصَدَّعَ  
بَهْنَدْ وَأَتَرَابِ هَنْدِ إِذْ الْهَوَى  
كَاصْفَقَ (٢) السَّاقِ الرِّحْيقَ الْمُشَعْشَعَ (٤)  
وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانَ مِزاجُهُ (٢)  
وَإِذْ لَا نُطِيعُ الْعَادِلِينَ وَلَا نَرِى  
تُنْوِعِتْنَ حَتَّى عَاوَدَ الْقَلْبَ سُقْمَهُ  
فَقَلَتْ لِمُطْرِيَّهِنْ بِالْحَسْنِ : إِنَّمَا  
وَهِيجَتْ قَلْبًا كَانَ قَدْ وَدَعَ الصَّبَا  
لَئِنْ كَانَ مَا قَدْ قَلَتْ حَقَّا فَا أَرَى  
قَالَ : تَعَالَ ، انْظُرْ ، وَكَيْفَ لِي !  
فَقَالَ : أَكْتَفِلْ (٦) نَمَ الْقَنْعَمِ وَأَتْبَاغِيَّا  
فَسَلَّمَ ، وَلَا تَكِثِرْ بِأَنْ تَتَورَّعَا  
فَإِنِّي سَأْخُفِي الْعَيْنَ عَنْكَ فَلَا تُرَى  
مَخَافَةً أَنْ يَفْشُوا الْحَدِيثَ فَيَسْمَعُوا

(١) بِطْن حَلَيَّات : اسْم مَوْضِع قَرْب مَكَة . (٢) مِزاج الشَّرَاب : مَا يُزَجَّ بِهِ . (٣) التَّصْفِيق : الزَّرْج . (٤) الرِّحْيق : أَطْبَبُ الْمَخْرُ ، وَالْمُشَعْشَع : الْمَزْوَج . (٥) الصَّرْم : الْقَطْع . (٦) أَكْتَفِل : إِذَا أَدَارَ عَلَى مَوْضِعٍ مِنْ ظَهْرِهِ كَاءَ وَرَكَبَ عَلَيْهِ .

لَوْعَدَهُ أُجَى قَعُودًا مَوْقِعًا<sup>(١)</sup>  
وَجْهُ زَهَاهَا الْحَسْنُ أَنْ تَقْنَعَ  
وَقَلَنَ امْرُؤٌ بَايْغٌ أَكْلٌ وَأَوْضَعَ<sup>(٢)</sup>  
يَقِيسُ ذَرَاعًا كَلَا قِسْنَ إِصْبَاعًا  
أَخْفَتَ عَلَيْنَا أَنْ نُفَرَّ وَنُخْدَعًا ؟  
إِلَيْكَ وَيَتَنَا لِهِ الشَّانَ أَجْمَعًا  
عَلَى مَلَأٍ مَنَا خَرَجْنَا لِهِ مَعًا  
دَمِيتَ<sup>(٣)</sup> الرِّبَاب سَهْلَ الْمَحَلَّةِ نُمْرِعًا<sup>(٤)</sup>  
وَقَلَنَ : كَرِيمٌ نَالَ وَصْلَ كَرَامٍ<sup>(٥)</sup>  
فَأَقْبَلَتُ أَهْوَى مِثْلَ مَا قَالَ صَاحِبِي  
فَلَمَا تَوَاقَنْتَا وَسَلَتْ أَشْرَقَتْ  
تَبَالَهَنَ بِالْعِرْفَانِ لَمْ— اعْرَفْنِي  
وَقَرَّبَنَ أَسْبَابَ الْمَهْوِي لَتِيمٌ  
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْأَحَادِيثَ قَلَنَ لِي :  
فِي الْأَمْسِ أَرْسَلْنَا بِذَلِكَ خَالِدًا  
فَاجْتَنَّنَا إِلَى عَلَى وَقْتٍ مَوْعِدِي  
رَأَيْنَا خَلَاءً مِنْ عَيْنِ وَمَجْلِسًا  
فَحَقُّ لَهُ فِي الْيَوْمِ أَنْ يَتَمَقَّعَا

(١) القعود الموقع : الذي يظهره آثار الجزوح لكثره ما حل عليه وركب ، فهو بعيد ذلول .

(٢) أكل وأوضن : أسرع في سيره . (٣) دمث المكان : سهل . (٤) نمرع : مخصوص .

(٥) هذه القصيدة نفسها قصة ممتعة تحدثت ، عما كان في الشعر العربي من قصص .

## ٩٩ - حديث يوم الدوحة\*

قال حماد الرواية :

أنيت مكة ، فلست في حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة ، وإذا هم يتذاكرن العذريين<sup>(١)</sup> وعشقهم وصباهم ، فقال عمر : أحدكم عن بعض ذلك : كان لي خليل من عذرة يقال له : الجعد بن مهجان ، ويُكنى أبا مسهر ، وكان يُلقى مثل الذي ألقى من الصبابة النساء والوجن بهن ؟ على أنه كان لا ياهر الخلوة ، ولا سرير السلوة ؛ وكان يوااف للوسم في كل سنة ، فإذا رأث<sup>(٢)</sup> عن وقته ترجمت عنه الأخبار ، وتوكفت<sup>(٣)</sup> له الأسفار<sup>(٤)</sup> حتى يَقدِّم ؛ فعمى ذات سنن إبطاؤه حتى قدم حجاج عذرة ، فأنيت القوم أنسد<sup>(٥)</sup> صاحبي ، وإذا غلام تنفس الصعداء ! ثم قال : أعن أبي المسهر تَسأَل ؟ قلت : عنه أسأَل ، وإذا أردت . قال : هَيَّات هَيَّات ! أصبح والله أبو المسهر لامُوسياً فيهمَل ، ولا مرجواً فيعَلَّ ، وأصبح والله كما قال الفائل :

\* الأغاني ١٠ - ٤٨ ، مصارع العشاق : ٥٦ ، العقد الفريد ٤ : ٣٨٤ ، تزيين الأسواق : ٢٤٨

(١) عذرة : قبيلة اشتهر فيها العشق . قيل لأعرابي : من أنت ؟ قال : من قوم إذا عشقوا ماتوا ، قال : عذرى ورب الكعبة ! ثم قيل له : ولم ذلك ؟ قال : لأن في نسائنا صباحة ، وففتىاننا غفة . وقيل لعروة بن حزام : أصبح ما يقال فيك : إنك أرق الناس قلوبًا ؟ قال : نعم ، والله لقد تركت ثلاثين شاباً في الحى ، قد خامرهم الموت ، ما لهم داء إلا الحب ! (٢) راث : أبطأ . (٣) يقال : توَكَّف لفلان ، أى تعرّض له حتى يلاقاه . (٤) قوم أسفار : ذوو سفر (٥) أنسده : أطلابه .

لعمك ما حُبِّي لِأَنْتَ مَا تاركِ أَعِيشُ ولا أَقِضى به فَأَمُوتُ

قلت : وما الذي به ؟ قال : مثلُ الذي بك ؛ من تهوركَ كافِ الضلال ،  
وَجَرِّكَ كَمَا أَذْيَالَ الْخَسَار ؛ فَكَانَ كَلَامَ تَسْمِعَه بِحَمْنَةٍ وَلَا نَاراً قلت : مَنْ أَنْتَ مِنْه  
يابن أخي ؟ قال : أخوه . قلت : أَمَا وَاللَّهِ يابن أَخِي مَا يَنْعُكَ أَنْ تسلِكَ مَسْلَكَ  
أخيكَ مِنَ الْأَدْبِ ، وَأَنْ تَرْكِبَ مِنْهُ مَرْكَبَه إِلَّا عَجَزْكَ عَنْ بَحْرَاتِه . ثُمَّ صَرَفْتُ  
وَجْهَ نَاقْتِي وَأَنَا أَقُولُ :

أَرْأَيْتَ حُجَّاجَ عُذْرَةَ وُجْهَةَ وَلَمَّا يَرْحُ فِي الْقَوْمِ جَعْدَ بْنَ مِهْجَعَ  
خَلِيلَنَّ نَشَكُوكَ مَا نَلَاقَ مِنَ الْمُؤْمِنِي مَتَى مَا يَقُلُّ أَسْعَمْ وَإِنْ قلتُ بِسَمْعِ  
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ شَيْءٍ أَصَابَه فَلِ زَافِراتِ هِيجَنْ مَا يَبْيَنْ أَضْلَعِي  
فَلَا يُبَعِّدُنَّكَ اللَّهُ خِلَالًا فَإِنِّي سَالِقِي كَالاَقِيتِ فِي الْحَبْ مَصْرُوعِي

ثُمَّ انطَلَقْتُ حَتَّى وَقَتُّ مَوْقِفي مِنْ عَرَفَاتٍ ؛ فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ يَانِسانٌ  
قَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، وَسَاءَتْ هِينَتُهُ ، فَأَدْنَى نَاقْتِهِ مِنْ نَاقْتِي حَتَّى خَالَفَ بَيْنَ أَعْنَاقِهِما ،  
ثُمَّ عَانِقَنِي حَتَّى اشْتَدَ بِكَاؤُه ، فَقَلَتْ : مَا وَرَاءَكَ ؟ فَقَالَ : بَرْحُ الْعَدْلِ ، وَطَوْلُ الْأَطْلَلِ ،  
ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

لَئِنْ كَانَتْ عَدِيلَةُ ذَاتَ مَطْلِبٍ	لَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنَّ الْحَبَّ دَاءٌ
أَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى تَغَيِّيرِ جَسْمِي	وَأَنِّي لَا يَفْارِقُنِي الْبَكَاءُ
وَإِنَّكَ لَوْ تَسْكَلْفْتِ الْذِي بِي	لِزَالِ السُّتُّرُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَإِنَّ مَعَاشِي وَرِجَالَ قَوْمِي	حَتَّوْهُمْ الصَّبَابَةُ وَالْقَاءُ

فقلتُ : يا أبا المسْهِر ؛ إنها ساعة تُنْسَب إِلَيْها أَكْبادُ الْإِبْل من شرق الأرض  
وغربها ، فلو دعوتَ اللهَ كنْتَ قَمِنَا بِحاجتك ، وأن تُنْصَر على عدوك ؛ فتركتني  
وأقبل على الدعاء ، فلما نزلت الشمْسُ لِغَرْوَب ، وهم النَّاسُ أَن يُفِيضوا سمعتهُ  
يَسْكُلُمُ بشيء ، فأصغيتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ :

يَا رَبَّ كُلٌّ غَدْوَةٌ وَرَوْحَةٌ مِنْ مُحَمَّدٍ يُشَكِّو الصَّبَابَ وَنَوْحَةٍ  
أَنْتَ حَسِيبُ الْخَلْقِ يَوْمَ الدَّوْحَةِ

فقلت له : وما يوم الدَّوْحَة ؟ قال : والله لا أخبرتك ولو لم تسألي !

فيَمِنَا نَحْنُ مُزَدَّلَةً<sup>(١)</sup> ، فَأَقْبَلَ عَلَىَّ وَقَالَ : إِنِّي رَجُلٌ ذُو مَالٍ كَثِيرٍ ؛ مِنْ نَعْمَـ  
وَشَاءَ ، وَقَدْ خَشِيتُ عَلَىَّ أَمْوَالِي التَّلَفَ ، فَأَتَيْتُ أَخْوَالِي كُلَّمَا ، فَأَوْسَعُوا لِي عَنْ  
صَدْرِ الْمَجْلِسِ ، وَكَنْتُ فِيهِمْ فِي خَيْرِ أَخْوَالٍ ؛ ثُمَّ إِنِّي خَرَجْتُ يَوْمًا إِلَى مَاءِ لَهْمِ ،  
وَرَكِبْتُ فَرْسِيَّ ، وَسَمَطْتُ<sup>(٢)</sup> خَلْقِي شَرَابًا كَانَ أَهْدَاهُ إِلَىَّ بَعْضُهُمْ ثُمَّ مَضَيْتُ حَتَّى  
إِذَا كَنْتُ بَيْنَ الْحَيِّ وَمَرْعَى النَّعْمِ ، رُفِعْتُ لِي دَوْحَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَنَزَلتُ عَنْ فَرْسِيِّ  
وَشَدَّدْتُهُ بَعْصُنِي مِنْ أَغْصَانِهَا ، وَجَلَسْتُ فِي ظَلَّاهَا ؛ فَيَبْلُو أَنَا كَذَلِكَ إِذْ سَطَعَ غَبَارُ  
مِنْ نَاحِيَةِ الْحَيِّ ، وَرُفِعْتُ لِي شَخْوُصٌ ثَلَاثَةٌ ، ثُمَّ تَبَيَّنَتْ فَإِذَا فَارِسُ بَطْرُدٍ أَنَانَـِينِ  
فَجَاءَ مَلِتَهُ فَإِذَا عَلَيْهِ دِرْزَعٌ أَصْفَرٌ ، وَعَمَامَةٌ خَزِّ سُودَاءٌ ، وَإِذَا فُرُوعُ شَعْرِهِ تُنْسَبُ بَخَصْرِهِ  
فَقلَّتْ : غَلامٌ حَدِيثٌ عَمَدٌ بَعْرُسٌ ، أَعْجَلَتْهُ لَذَّةُ الصَّيْدِ ، فَتَرَكَ ثُوبَهُ ؛ وَلَبِسَ ثَوْبَـ  
أَمْرَأَتِهِ ؛ فَمَا جَازَ عَلَىَّ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى طَمَنَ الْأَتَانَ ، وَأَقْبَلَ رَاجِمًا نَحْوِي .

(١) مَزَدَلَةٌ : مَوْضِعٌ بَيْنَ عَرَفَاتِ وَمَنْيَ ، سَمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَتَقْرَبُ فِيهِ إِلَىَّ اللهَ تَعَالَى . (٢) سَمَطَ الشَّيْءَ : عَلَقَهُ .

فقلت له : إِنَّكَ قَدْ تَعْبَتَ وَأَنْعَبْتَ ، فلَوْ نَزَّلْتَ إِنْ شَاءَ فَنَّى رَجُلَهُ وَنَزَّلَ ، ثُمَّ شَدَّ  
فَرْسَهُ بِغَصْنٍ مِّنْ أَغْصَانِ الشَّجَرَةِ ، وَأَلْقَى رَحْمَهُ وَأَقْبَلَ حَتَّى جَلَسَ ، فَجَعَلَ يَحْدَثُنِي  
حَدِيثًا ذَكَرْتُ بِهِ قَوْلَ أَبِي ذُؤْبَنْ :  
وَإِنَّ حَدِيثًا مِّنْكَ لَوْ تَبَدُّلْنِي جَنَّى النَّحْلِ فِي الْبَانِ عُوذُ<sup>(١)</sup> مَطَافِلِ

فَقَمْتُ إِلَى فَرْمَى فَأَصْلَحْتُ مِنْ أَمْرِهِ ثُمَّ رَجَمْتُ ، وَقَدْ حَسَرَ الْعِيَامَةَ عَنْ رَأْسِهِ  
فَإِذَا غَلَامٌ كَانَ وَجْهَهُ الدِّينَارُ الْمُنْقُوشُ ، قَلَتْ : سَبِّحْنَاكَ اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَعْظَمْ قُدْرَتِكَ إِنَّ  
وَأَحْسَنَ صَنْعَتِكَ إِنَّ قَالَ : مِمَّ ذَاكَ ؟ قَلَتْ : مَا رَاعَنِي مِنْ جَهَالَكَ ، وَبَهْرَنِي مِنْ  
نُورِكَ . قَالَ : وَمَا الَّذِي يَرُوعُكَ مِنْ حَبِيسِ التُّرَابِ وَأَكْيَلِ الدَّوَابِ ، ثُمَّ  
لَا يَدْرِي بَعْدَ ذَلِكَ أَيْنَعْمَ أَمْ يَبَأْسُ ؟ قَلَتْ : لَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِكَ إِلَّا خَيْرًا .

نَّمِ تَحْدَثُنَا سَاعَةً ، فَأَقْبَلَ عَلَىٰ وَقَالَ : مَا هَذَا الَّذِي أَرَى قَدْ سَمَّطْتَ فِي سِرْجَكَ ؟  
قَلَتْ : شَرَابٌ أَهْدَاهُ إِلَىٰ بَعْضِ أَهْلَكَ ، فَهَلْ لَكَ فِيهِ مِنْ أَرْبَ ؟ قَالَ : أَنْتَ وَذَاكَ ،  
فَأَتَيْتَهُ بِهِ ، فَشَرَبَ مِنْهُ ، وَجَعَلَ يَنْكُتُ أَحْيَانًا بِالسُّوتِ عَلَىٰ ثَنَاءِيَاهُ ؛ فَجَعَلَ وَاللهُ  
يَتَبَيَّنُ لِي ظَلُّ السُّوتِ فِيهِنَّ ، قَلَتْ : مَهْلًا ، فَإِنِّي خَائِفٌ أَنْ تَكْسِرَهُنَّ ، قَالَ :  
وَلِمَ ؟ قَلَتْ : لَأَنَّهُنَّ رِفَاقٌ ، وَهُنَّ عِذَابٌ ؟ نَمْ رَفِعَ عَقِيرَتَهُ يَغْفِنِي :  
إِذَا قَبَلَ إِلَيْهِ اِلْأَنْسَانُ آخَرَ يَشْتَهِي ثَنَاءِيَاهُ لَمْ يَأْمُمْ وَكَانَ لَهُ أَجْرًا  
فَإِنْ زَادَ زَادَ اللَّهُ فِي حَسَنَاتِهِ مَثَاقِيلٌ يَحْوِلُهُ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا الْوِزْرَا

---

(١) العوذ : الحديثات النتاج ، والمطافل جمع مطفل : ذات الطفل .

نُمْ قَامَ إِلَى فَرْسِهِ ، فَأَصْلَحَ مِنْ أَمْرِهِ ، نُمْ رَجَعَ .

قال أبو مُسْهِر : فِي رَوْقَتِ لَيْ بَارِقَةٌ تَحْتَ الدَّرْزَعَ ، فَإِذَا نَدَى ، قَالَتْ : نَشَدْتُكَ اللَّهَ ! امْرَأَةً ! قَالَتْ : إِلَى وَاللهِ ؛ إِلَّا أَنِّي أَكَرِهُ الْمَشِيرَ . ثُمَّ جَلَسَتْ ، فَعَلَتْ تَشْرِبُ مَعِي ، وَمَا أَفْقَدَ مِنْ أَنْسَهَا شَيْئًا ، فَالْبَلْثَتْ إِلَّا يَسِيرًا جَتَ اِنْتَهِيَةُ فَرْزَعَةِ ، فَلَامَتْ عِمَّاتَهَا بِرَأْسَهَا ، وَجَالَتْ فِي مَتَنِ فَرْسَهَا ، وَقَالَتْ : جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الصُّجُبةِ خَيْرًا . قَالَتْ : أَوْ مَا تَزَوَّدِينِي مِنْكَ زَادًا ، فَنَاوَلْتُنِي يَدَهَا قَبْلَهَا ، فَشَمَّتْ وَاللهُ مِنْهَا رِيحَ الْمَسْكِ الْمَفْتُوتِ ، فَذَكَرَتْ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

كَانَهَا إِذَا تَقَضَى النَّوْمَ وَانْتَهَتْ سَحَابَةُ مَا لَمَّا عَيْنَ وَلَا أَنَّرَ

نُمْ قَلَتْ لَهَا : وَأَيْنَ الْمَوْعِدُ ؟ قَالَتْ : إِنَّ لِي إِخْوَةً شُرْسَانَ ، وَأَبَا غَيْوَرَا ، وَوَاللهُ لَأَنَّ أَمْرَكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَضْرَكَ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ، فَعَلَتْ أَتَبِعُهَا بَصَرِي حَتَّى غَابَتْ ، فَهِيَ وَاللهِ يَا بْنَ أَبِي رِبِيعَةَ حَلَقْتِي هَذَا الْمَحْلَ ، وَأَبْلَقْتِي هَذَا الْمَبْلَغَ !

قال عمر : قَلَتْ لِهِ : يَا أَبَا الْمُسْهِرِ ؛ إِنَّ الْفَدَرَ بِكَ مَعَ مَا تَذَكَّرُ مِلْيَعَ ، فَبَكَ وَاشْتَدَّ بَكَاؤُهُ . قَلَتْ : لَا تَبْكِ ، فَاقْلَتْ لَكَ مَا قَلَتْ إِلَّا مَازِحًا ، وَلَوْلَمْ أُبَلِّغَ فِي حَاجَتِكَ بِمَا لَسْعَيْتُ فِي ذَلِكَ حَتَّى أُقْدِرَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : خَيْرًا .

قال عمر : فَلَمَا اتَّقَضَى الْمَوْسِمَ شَدَّدَتْ عَلَى نَاقِتِهِ ، وَشَدَّدَ عَلَى نَاقِتِهِ ، وَدَعَوْتَ غَلَامِي ، فَشَدَّدَ عَلَى بَعِيرِهِ ، وَحَمَلَتْ عَلَيْهِ قَبْتَةً حَمَراءَ مِنْ أَدَمَ<sup>(١)</sup> ، كَانَتْ لَأَبِي رِبِيعَةَ الْمَخْزُومِيَّ ، وَحَمَلَتْ مَعِي أَلْفَ دِينَارٍ وَمُطْرَفَ<sup>(٢)</sup> خَزِيزَ ، وَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا بِلَادَ كَلْبَ ،

(١) الأَدَمُ : الْجَلْدُ . (٢) الْمُطْرَفُ : رَدَاءُ مِنْ خَزِيزٍ مَرِيمٍ ذُو أَعْلَامٍ .

فَنَشَدْنَا أَبَا الْجَارِيَةَ ، فَوُجِدَنَاهُ فِي نَادِي قَوْمَهُ ، وَإِذَا هُوَ سَيِّدُ الْحَيِّ ، وَإِذَا النَّاسُ حَوْلَهُ ، فَوَقَتْتُ عَلَى الْقَوْمَ ، فَسَلَّمَتْ فَرْدٌ الشَّيْخُ السَّلَامُ ، ثُمَّ قَالَ : مَنِ الرَّجُلُ ؟ قَلَتْ : عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، قَالَ : الْمَعْرُوفُ غَيْرُ الْمُنْكَرِ ! فَاذْنِي جَاءَ بِكَ ؟ قَلَتْ : خَاطِبًا ، قَالَ : السَّكْفَ وَالرَّغْبَةَ ، قَلَتْ : إِنِّي لَمْ آتِ ذَلِكَ لِنَفْسِي عَنْ غَيْرِ زَهَادَةِ فِيهِكَ ، وَلَا جَهَالَةَ بِشَرْفِكَ ؛ وَلَكِنِي أُتِيتَ فِي حَاجَةٍ إِنْ أَخْتَكُمُ الْعَذْرَى ، وَهَا هُوَ ذَاكُ . قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَكُفُّهُ الْحَسْبُ ؟ رَفِيعُ الْبَيْتِ ، غَيْرُ أَنْ بَنَانِي لَمْ يَقْعُنْ إِلَّا فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ .

فَوَجَّهْتُ لِذَلِكَ ، وَعَرَفَ التَّفَيُّرَ فِي وَجْهِي ، قَالَ : أَمَا إِنِّي صَانِعُ بِكَ مَا لَمْ أَصْنَعْهُ مِنْ غَيْرِكَ ، قَلَتْ : وَمَا ذَاكُ ؟ فَثَلَى مَنْ شَكَرَ . قَالَ : أَخْيَرُهَا ، فَهِيَ وَمَا اخْتَارَتْ ، ثُمَّ خَيْرُهَا ، قَالَتْ : وَمَا كُنْتُ لِأَسْتَبِدَّ بِرَأْيِي دُونَ الْقَرْشَى ، فَالْحَلِيلُ وَالْحَسْكَمُ لَهُ . قَالَ لِي : إِنَّهَا وَقْدَ وَلَّتْكَ أَمْرَهَا ، فَاقْضِي مَا أَنْتَ قَاضٍ . فَحَمَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَيَتْ عَلَيْهِ ، وَقَلَتْ : اشْهَدُوا أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهَا مِنْ الْجَمِيدِ بْنِ مَهْجَعَ ، وَأَصْدَقْتُهَا هَذَا الْأَلْفَ الدِّينَارَ ، وَجَعَلْتُ تَسْكِرْمَتَهَا الْعَبْدُ وَالْبَعْرُ وَالْقُبَّةُ ؛ وَكَسَوْتُ الشَّيْخَ الْمُطَرِّفَ ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَبْنِي بَهْرَافَ لِيَلَتِهِ ؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا ؛ فَقَالَتْ : أَتَخْرُجُ ابْنَتِي كَمَا تَخْرُجُ الْأَمَّةَ ! قَالَ الشَّيْخُ : قَوْمٌ فِي جَهَازِهَا ، فَابْرَحْتُ حَتَّى ضَرَبَتِ الْقُبَّةَ فِي وَسْطِ الْحَرَيمِ ؛ ثُمَّ أَهْدَيْتُ إِلَيْهِ لِيَلَا ؛ وَبَتَّ عَنْدَ الشَّيْخِ ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَتِ أَبْنَتِ الْقُبَّةَ ، فَصَبَحْتُ بِصَاحِبِي نَفْرَجَ إِلَيْهِ وَقَدْ أَنْفَرَ السَّرْوَرُ فِيهِ ، قَلَتْ : كَيْفَ كَنْتَ بَعْدِي ؟ وَكَيْفَ هِيَ بَعْدِكَ ؟ قَالَ لِي : أَبْدَتْ لِي وَاللَّهُ كَثِيرًا مَا كَانَ

أَخْفَقْتَهُ عَنِ يَوْمِ لَقِيَتْهَا ؛ فَقَلْتَ : أَقِمْ عَلَى أَهْلِكَ ، بَارِكْ اللَّهُ لَكَ فِيهِمْ ، وَانْطَلَقْتَ  
وَأَنَا أَنْوَلْ :

كَفِيتْ أَخِي الْعُذْرَى مَا كَانَ نَابَةً<sup>١</sup> وَإِنِّي لِأَعْبَاءِ النَّوَافِبِ حَمَالٌ  
فَقَالَ الْعُذْرَى :

إِذَا مَا أَبْوَ الْخُطَابَ خَلَ مَكَانَهُ فَأَفَتِ لِدُنْيَا لِيْسَ مِنْ أَهْلِهَا عُمْرًا

---

## ١٠٠ - لولا فصاحتهم لضربتُ أعنقهم \*

أمر الحجاج<sup>(١)</sup> صاحبَ حرَسِه أَن يطوف بالليل ؛ فَنَ رَأَهُ بَعْدِ الْمَشَاءِ سَكْرَانْ ضربَ عَنْقَهُ ؛ فَطَافَ لَيْلَةً مِنَ الْلَّيَالِي ، فَوُجِدَ ثَلَاثَةَ فَتِيَانَ يَتَابِلُونَ ، وَعَلَيْهِمْ أَمَارَاتُ السَّكْرُ ؛ فَأَحاطَتْ بِهِمُ الْغِلْمَانُ ، وَقَالَ لَهُمْ صَاحِبُ الْحَرْسِ : مَنْ أَنْتُمْ حَتَّى خَالَفْتُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَرَجْتُمْ فِي مَثْلِ هَذَا الْوَقْتِ ! قَالَ أَحَدُهُمْ :

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتِ الرِّقَابُ لَهُ مَا بَيْنَ مَخْزُومَهَا وَهَاشِمَهَا  
تَأْتِيهِ بِالرَّغْمِ وَهِيَ صَاغِرَةٌ يَأْخُذُ مِنْ مَا لَهَا وَمِنْ دَمِهَا

فَأَمْسَكَ عَنْهُ ، وَقَالَ : لَعْلَهُ مِنْ أَفَارِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! ثُمَّ قَالَ لِلآخرَ : وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ ؟ قَالَ :

أَنَا ابْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرَهُ وَإِنْ نَزَلتِ يَوْمًا فَسُوفَ تَعْوَدُ  
تَرَى النَّاسَ أَفْواجًا إِلَى ضُوءِ نَارِهِ فَنَهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقَعُودٌ

فَأَمْسَكَ عَنْهُ ، وَقَالَ : لَعْلَهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ . ثُمَّ قَالَ لِلآخرَ : وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ ؟ فَأَنْشَدَ عَلَى الْبَدِيهَةِ :

أَنَا ابْنُ مَنْ خَاضَ الصَّفَوْفَ بِعَزِمِهِ وَقَوْمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتِ  
وَرَكْبَاهُ لَا يَنْفَكُ رِجْلَاهُ مِنْهُمَا إِذَا اخْتَلَلَ فِي يَوْمِ الْكَرِيمَةِ وَلَتَّ

\* مِجاْنِي الْأَدْبِ : ١٥-٣

(١) الحجاج بن يوسف : نشأ بالطائف ، وولى العراق والشَّرق ، وهلك بواسطه سنة ٩٥ .

فأمسك عنه أيضاً ، وقال : لعله ابن أشجع العرب ؛ واحتفظ عليهم .

فما كان الصباح رفع أمرهم إليه ؟ فأحضرهم ، وكشف عن حالم ؛ فإذا الأول

ابن حجام ، والثاني ابن فوّال ، والثالث ابن حاثك !

فتعجب من فصاحتهم ، وقال جلسائه : علموا أولادكم الأدب ، فوالله لو لا

فصاحتهم لضررتُ أعناقهم .

---

## ١٠١ - يوم دَارَةِ جُلْجُلٍ\*

قال الفرزدق<sup>(١)</sup> : أصاينا بالبصرة مطر جَوْدٌ<sup>(٢)</sup> ، فلما أصبحت ركبتي بفالي ، وسرت إلى المِرْبَد<sup>(٣)</sup> ، فإذا أنا بأثار دواب ، وقد خرجت إلى ناحية البرية ، فظننت أنهم قوم خرجوا للنزهة وهم حُلَّقاءُ أَنْ يَكُونُ مَعْهُمْ سُفَرَةٌ<sup>(٤)</sup> ، فاتبعت آثارهم حتى انتهيت إلى بفال عليها رحائل<sup>(٥)</sup> موقوفة على غدير ، فأسرعت إلى الغدير ، فإذا فيه نسوة مستنقعات في الماء ، فقلت : لم أر كاليل يوم قط ولا يوم دارة جُلْجُلٍ ، وانصرفت مستحييَاً .

فناذبني : يا صاحبَ الْبَغْلَةِ ؟ ارجِعْ نَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فَرَجَمْتُ إِلَيْهِنَّ ، فَقَعَدْنَ فِي الْمَاءِ إِلَى حُلُوقِهِنَّ ، ثُمَّ قَلَنْ : بِاللَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنَا ، مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ دَارَةِ جُلْجُلٍ .

قلت : حَدَّثَنِي جَدِّي - وأنا بِوْمِئْذِ غَلَامٌ حافظ - أَنَّ امْرَأَ الْقَيْسَ كَانَ عَاشَ لابنة عمّه - ويقال لها عَنْيَزَة - وآتَهُ طَلَبَهَا زَمَانًا فَلَمْ يَصُلْ ، حَتَّى كَانَ يَوْمُ الْغَدِيرِ - وَهُوَ يَوْمُ دَارَةِ جُلْجُلٍ - وَذَلِكَ أَنَّ الْحَيَّ تَحْمِلُوا ، فَقَدِمَ الرِّجَالُ ، وَتَخَلَّفَ النِّسَاءُ وَالْخَدِيمُ وَالثَّقَلُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ امْرَأُ الْقَيْسَ تَخَلَّفَ بَعْدَمَا سَارَ مَعَ رِجَالِ قَوْمِهِ غَلُوَّةً ، فَكَمَنَ فِي غَابَةِ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى مَرَّ بِهِ النِّسَاءُ ، وَفِيهِنَّ عَنْيَزَةً ، فَلَمَّا وَرَدْنَ الْغَدِيرَ

\* المقد الفريد : ٤ - ٣٥٢

(١) هو أبو فراس هاشم بن غالب نشاً بالبصرة وأخذته أبوه برواية الشعر ونظمها فرواه ونفع فيه . مات سنة ١١٠ هـ . (٢) الجود : المطر الغزير . (٣) المربد : سوق بالبصرة ، كان يعقد للبيع ، وفيه ينشد الشعر . (٤) السفرة : طعام المسافر . (٥) الرحالة : السرج .

قلن : لو نزلنا واغسلنا في هذا الفدیر فذهب عنا بعض **الكَلَالِ** ! فنزلن في الفدیر ،  
نم تجرب دُن فوقن فيه ، فأناهن امرؤ القيس ، فأأخذ ثيابهن فجمعها ، وقعد عليهما ،  
وقال : والله لا أعطي جارية منكن ثوبها ، ولو قعدت في الفدیر يومها حتى تخراج  
متجردة فأأخذ ثوبها ، فأبین ذلك عليه حتى تعالى النهار ، وخشين أن يقصرن عن  
المنزل الذي يردهن ، خرجن جميعاً غير عنيزة ، فناشدته الله أن يطرح ثوبها ، فأبى ،  
نفرجت فنظر إليها مقبلة مدبرة ، وأقبلن عليه ، فقلن له : إناك عذّتنا وحَبَستَنا  
وأجعَتنا ، قال : فإن نحرت لكن نافق أتنا كلن معى ؟ قلن : نعم ، فجرد سينا  
فروقها ونحرها ، ثم كَشطها ، وجمع الخدم حطباً كثيراً ، فأججحن ناراً عظيمة ،  
فجعل يقطع أطايها ، ويلقى على الجمر ، ويأكلن ويأكل مهن ، ويشرب من  
فضلة كانت معه ، ويسقينه وينبذ إلى العبيد من الكتاب<sup>(١)</sup> ، فلما أرادوا  
الرحيل قالت إحداهن : أنا أحمل طِنفسته ، وقالت الأخرى : أنا أحمل رَحْلَه  
ونساعده ، فتقسمن متعاه وزاده ، وبقيت عنيزة لم تحمل له شيئاً ، فقال لها يابنت  
الكرام ؛ لا بد أن تحمليني معك ، فإني لا أطيق الشى ، فحملته على غارب بغيرها  
فكأن يمتحن إليها فمیل حدّجها<sup>(٢)</sup> ، فتقول : « عترت بعيدي ، فانزل » ، وفي  
ذلك يقول :

ألا ربَّ يومٍ لِي من البيض صالحٌ ولا سيما يوم بدَارَةِ جُلُجُلٍ<sup>(٣)</sup>  
وبيوم عقرتُ للعذاري مطّيتي<sup>(٤)</sup> فيا عجباً من كُورِها المتّحمل

---

(١) الكتاب: ضرب من قل اللحم . (٢) الحرج: مركب للنساء كالمخففة . (٣) دارة جلجل: مكان يتتجدد . (٤) مطّيتي: ناقته، والعذاري: الأبكارات، والكور: الرحل، والتحمل: المحمول.

فَظْلُ الْعَذَارِيِّ يَرْتَمِيْنَ بِلَحْمِهَا  
وَشَحْمٌ كَهْدَابٌ<sup>(١)</sup> الدَّمَقْسُ الْمَقْتُلُ  
وَيَوْمَ دَخَلَتُ الْخَدْرَ<sup>(٢)</sup> خَدْرَ عَنِيزَةَ  
فَقَالَتْ: لَكَ الْوِيلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلٌ<sup>(٣)</sup>  
تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبَيْطُ<sup>(٤)</sup> بِنَا مَعًا  
عَقْرَتْ<sup>(٥)</sup> بَعِيرِيْ يَا امْرَأَ الْقَيْسَ فَانْزَلْ  
فَقَلَتُ لَهَا: سِيرِيْ وَأَرْخِيْ زِمَامَهُ  
وَلَا تُبْعِدِنِيْ مِنْ جَنَاكَ الْمُعَلَّ<sup>(٦)</sup>

---

(١) هداب الدمقس : أطراف المريض ، والمقتل : المقتول . (٢) الخدر : المودج ، وهو في الأصل الستر . (٣) مرجل : من أرجলته : صيرته راجلا . وقيل معناه : فأضعى بين رجاله .  
(٤) الغبيط : الرجل . (٥) عقرت بعيري : أدمست ظهره لثقله . (٦) الجي : المثر ، والمعلل : الطيب مرة بعد أخرى .

## ١٠٢ — دَعْنِي وَرَبِّي الَّذِي لَا يَخْلُ وَلَا يَنْهَلُ\*

لما بلغ الوليد<sup>(١)</sup> بن يزيد أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك قد شرّد عنه القلوب ، واستجاش<sup>(٢)</sup> عليه أهل اليمن ، ونازعه في ملـكـه ؛ احتجـبـ عن سـمـارـهـ ، ودعـاـ في بعض اللـيـالـيـ خـادـمـاـ لهـ ؛ فـقـالـ لهـ : اـنـطـلـقـ مـتـنـكـرـاـ حـتـىـ تـقـفـ بـعـضـ الطـرـقـ ؛ وـتـأـمـلـ مـنـ يـمـرـ بـكـ مـنـ النـاسـ ؟ فـإـذـارـأـتـ كـمـلـاـ رـثـ الـهـيـةـ ؟ يـمـشـيـ الـهـوـبـيـ ؟ وـهـوـ مـطـرـقـ ، فـسـلـمـ عـلـيـهـ ؛ وـقـلـ لـهـ فـيـ أـذـنـهـ : أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ يـدـعـوكـ ؟ فـإـنـ أـسـرـعـ فـيـ الإـجـابـةـ فـأـتـىـ بـهـ ، وـإـنـ اـسـتـرـابـ<sup>(٣)</sup> فـدـعـهـ ، وـاـطـلـبـ غـيـرـهـ ؛ حـتـىـ تـجـدـ رـجـلـاـ عـلـىـ الشـرـطـ الـذـيـ ذـكـرـتـ لـكـ .

فـانـطـلـقـ الـخـادـمـ ؟ فـأـتـاهـ بـرـجـلـ عـلـىـ الشـرـطـ .

فـلـمـ دـخـلـ الرـجـلـ عـلـىـ الـوـلـيدـ حـيـاـهـ بـتـحـيـةـ الـخـلـافـةـ ، فـأـمـرـهـ الـوـلـيدـ بـالـجـلوـسـ وـالـدـُّنـوـ مـنـهـ ؛ وـصـبـرـ إـلـىـ أـنـ ذـهـبـ رـوـعـهـ ، وـسـكـنـ جـائـشـهـ ، ثـمـ أـقـبـلـ عـلـيـهـ ، فـقـالـ لـهـ : أـتـحـسـنـ مـاسـمـرـةـ لـلـخـلـفـاءـ ؟ فـقـالـ . نـعـمـ يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ . فـقـالـ الـوـلـيدـ : إـنـ كـنـتـ تـحـسـنـهـ فـأـخـبـرـنـاـ مـاهـيـ ؟ فـقـالـ : يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ ؟ مـاسـمـرـةـ إـخـبـارـ لـمـنـصـتـيـ ، وـإـنـصـاتـ لـمـخـبـرـ ؛ وـمـفـاوـضـةـ فـيـماـ يـعـجـبـ وـيـلـيقـ .

### \* غـرـاتـ الـأـورـاقـ : ١٧٤

(١) كان الوليد بن يزيد - وبكتني أبا العباس - ماجنا سفيها يقطع دهره باللهو والغزل ، ويقول أشعار المفنيين يعمل فيها الألحان. مات مقتولا سنة ١٢٦ هـ. (٢) استجاش أهل اليمن : حملهم على الهياج . (٣) استراب به : رأى منه ما يرباه .

قال له الوليد : أحسنت ! لا أزيدك امتحاناً ! قل : أسمع لقولك .

قال السَّكَهُلُ : نعم يا أمير المؤمنين ؟ ولكن المسamerة صنفان لا ثالث لها : أحدهما الإخبار بما يوافق خبراً مسماً عـا ، والثاني الإخبار بما يُوافق غرضـاً من أغراض صاحب المجلس ، وإنـي لم أسمع بحضرـة أمير المؤمنين طرـيقـةً فـأـنـحـوـ نـحـوـهاـ ، وأـلـزـمـ أـسـنـوـبـهاـ .

قال الوليد : صدقت ، وها نحن أولاء نقترح لك ما تقتضيه .

قد بـلـغـنـاـ أـنـ رـجـلاـ مـنـ رـعـيـتـنـاـ سـعـىـ فـيـ ضـرـرـ مـلـكـنـاـ ، فـأـنـرـ سـعـيـهـ ؟ـ وـشـقـ ذلكـ عـلـيـنـاـ ، فـهـلـ سـمعـتـ ذـلـكـ ؟ـ قـالـ السـكـهـلـ :ـ نـعـمـ يـاـ أمـيـرـ المـؤـمـنـيـنـ !ـ قـالـ لـهـ الـولـيدـ :ـ قـلـ الآـنـ عـلـىـ حـسـبـ مـاـ سـمعـتـ ،ـ وـعـلـىـ مـاـ تـرـىـ مـنـ التـدـيـرـ .

قال : بلغـيـ عنـ أمـيـرـ المـؤـمـنـيـنـ عبدـ المـلـكـ بنـ مـروـانـ :ـ أـنـهـ لـمـ نـدـبـ النـاسـ لـقـتـالـ ابنـ الزـيـرـ ؟ـ وـخـرـجـ بـهـمـ مـتـوجـجـاـ إـلـىـ مـكـةـ .ـ حـرـسـهـ اللهـ .ـ اـسـتـصـبـ عـمـرـ بـنـ سـعـيـدـ بـنـ العـاصـ ،ـ وـكـانـ عـمـرـ وـقـدـ اـنـطـوـيـ عـلـىـ فـسـادـ نـيـةـ ،ـ وـخـبـثـ طـوـيـةـ ،ـ وـطـمـاعـيـةـ فـيـ نـيـلـ الـخـلـافـةـ ،ـ وـكـانـ أمـيـرـ المـؤـمـنـيـنـ عبدـ المـلـكـ بنـ مـروـانـ قدـ فـطـنـ لـذـلـكـ ،ـ إـلـاـ أـنـهـ كـانـ يـحـترـمـهـ .

ولـاـ بـعـدـ أمـيـرـ المـؤـمـنـيـنـ عنـ دـمـشـقـ تـمـارـضـ عـمـرـ بـنـ سـعـيـدـ ،ـ وـاستـأـذـنـ فـيـ الـعـودـ إـلـىـ دـمـشـقـ ؟ـ فـأـذـنـ لـهـ .

فـلـمـ دـخـلـ عـمـرـ دـمـشـقـ صـعـدـ المـبـرـ ،ـ نـفـطـبـ النـاسـ خـطـبـةـ ،ـ نـالـ فـيـهاـ مـنـ الـخـلـيفـةـ ،ـ وـاسـتـولـىـ عـلـىـ دـمـشـقـ ،ـ وـدـعـاـ النـاسـ إـلـىـ خـلـمـ عـبدـ المـلـكـ ؟ـ فـأـجـابـهـ إـلـىـ ذـلـكـ ،ـ

وابايعوه ، وحَصْنَ بعْدَ ذَلِكَ سُورَ دَمْشَقَ وَحَى حَوْزَهَا .

فبلغ ذلك عبد الملك ، وهو متوجّه إلى ابن الزبير ؟ وبلغه مع ذلك : أن والي حُصْنَ قد نزع يده من الطاعة ؛ وأن أهل الفُور قد تشوّفوا للخلاف ؛ فأحضر وزرائه ؛ فاطْلَعُمْ على ما بلغه ، وقال لهم : دمشق قد استولى عليها عمرو بن سعيد ، وهذا عبد الله بن الزبير قد مَلَكَ الْجَازَ وَالْعِرَاقَ وَالْمَيْنَ وَمِصْرَ وَخُرَاسَانَ ، وهذا النعمانُ بن بشير أمير حُصْنَ ، وَزَفَرُ بْنُ الْحَارِثِ أَمِيرُ فَلَسْطِينَ قد خرجا عن الطاعة وبايوا الناس لابن الزبير .

فَلَمَّا سَمِعْ وزراؤه مقالته ذَهَلَتْ عَوْلَمْ ، قَالَ لَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكَ : مَا لَكُمْ لَا تَنْتَهُونَ ؟  
هذا وقت الحاجة إليكم .

فَقَالَ أَفْضَلُهُمْ : وَدَدْتُ أَنْ أَكُونْ طَيْرًا عَلَى عَوْدٍ مِنْ أَعْوَادِ تَهَامَةِ حَتَّى تَنْقُضِي  
هذِهِ الْفَتْنَ !

فَلَمَّا سَمِعْ عَبْدُ الْمَلِكَ مَقَالَةَ صَاحِبِهِ قَامَ ، وَأَمْرَمَ بِلَزْوَمِ مَوْضِعِهِمْ ، وَرَكَبَ مَنْفَرَدًا ،  
وَأَمْرَ جَمَاعَةَ مِنْ شَجَعَانَهُ أَنْ يَتَّمِمُوهُ مَتَّبِعَدِينَ ، فَقَعُلُوا .

وَسَارَ عَبْدُ الْمَلِكَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى شَيْخِ ضَعِيفٍ ، سَيِّدُ الْحَالَ ، وَهُوَ يَجْمَعُ  
مُتَّماًقاً<sup>(١)</sup> ؛ فَسَلَمَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكَ وَآتَهُ بِمَحِيدِيهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَيْهَا الشَّيْخُ ، أَلَكَ عِلْمٌ  
بِنَزْوَلِ هَذِهِ السَّكَرَ ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ : وَمَا سُؤَالُكَ عَنْهُ ؟ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : إِنِّي  
أَرَدْتُ الانتِظَامَ فِي سِلْكِكَ ! فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَرَى عَلَيْكِ سَمَّةَ الرِّيَاسَةِ ، فَيَنْبَغِي لَكَ

(١) السماق ، كرمان : غُرْ يَسْهِي .

أَنْ تُصْرِفَ نَفْسَكَ عَنْ هَذَا الرَّأْيِ ؛ فَإِنَّ الْأَمْيَرَ الَّذِي أَنْتَ قَاصِدَهُ قَدْ أَخْلَقَ  
عُرَمًا مُذْكُورَةً ؛ وَالسُّلْطَانَ فِي اضْطَرَابٍ أُمُورَهُ كَالْبَحْرِ إِذَا هَاجَ !

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : أَيْهَا الشَّيْخُ ؛ قَدْ تَاقَتْ نَفْسِي إِلَى صَحَّةِ هَذَا الْأَمْيَرِ ؛ فَهَلْ  
لَكَ أَنْ تُرْشِدَنِي إِلَى رَأْيٍ ؟ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : إِنَّ هَذِهِ النَّازِلَةَ الَّتِي نَزَلَتْ بِهِذَا الْأَمْيَرِ  
مِنَ النَّوَازِلِ الَّتِي لَا تَنْفَذُ فِيهَا الْعُقُولُ ، وَإِنِّي لَأُكَرِهُ أَنْ أُرْدِدَ مَسَأْلَتَكَ بِالْخَيْبَةِ . فَقَالَ  
لَهُ عَبْدُ الْمَلِكَ : قُلْ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا !

فَقَالَ الشَّيْخُ : إِذَا قَصَدْتَ هَذَا الْأَمْيَرَ ، وَانْتَظَمْتَ فِي سَلْكِهِ ؛ فَانْظُرْ فِي أَمْرِهِ  
فَإِنْ رَأَيْتَهُ قَدْ أَصَرَّ عَلَى قَصْدَهِ ابْنَ الزَّيْرِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُخْذُولٌ فَاجْتَنِبْهُ ؛ وَإِنْ رَأَيْتَهُ قدْ  
رَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ ، وَتَرَكَ قَصْدَهُ الْأَوَّلَ ؛ فَازْجُحْ لَهُ النَّصْرَ وَالسَّلَامَةَ .

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : يَا شَيْخُ ، وَهَلْ رَجُوعٌ إِلَى دَمْشَقٍ إِلَّا كَمْسِيرَهُ إِلَى ابْنِ  
الْزَّيْرِ ؟ قَالَ الشَّيْخُ : إِنَّ الَّذِي أَشْكَلَ عَلَيْكَ لَوْاْضِعًا ! وَهَذَا أَزْبَلُ عَنْكَ الْلِّبَسِ ؛  
إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكَ إِذَا قَصَدَ ابْنَ الزَّيْرِ كَانَ فِي صُورَةٍ ظَالِمٍ ؛ لَأَنَّ ابْنَ الزَّيْرِ مَا وَنَّبَ لَهُ  
عَلَى مَلَكَةٍ ؛ فَإِذَا قَصَدَ ابْنَ سَعِيدٍ كَانَ فِي صُورَةٍ مَظْلُومٍ ؛ لَأَنَّهُ نَكَثَ بِعَهْدِهِ ، وَخَانَ  
أَمَانَتَهُ ، وَوَنَّبَ عَلَى دَارِ مَلِكٍ لَمْ تَكُنْ لَهُ وَلَا لِأَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ؛ بَلْ كَانَتْ لِعَبْدِ الْمَلِكِ  
وَلِأَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ؛ وَعَمْرُو عَلَيْهَا مُتَعَدَّدٌ .

وَفِي الْأَمْثَالِ : سَمِينُ الْفَحْصَبِ مَهْزُولٌ ، وَوَلِيُّ الْفَدَرِ مَعْزُولٌ ، وَسَأْضِرُّ  
لَكَ مَثَلًا يُشْفِي النَّفْسَ ، وَيُزْبَلِ اللِّبَسَ :

زَعُومًا أَنْ ثَمَلًا كَانَ يَسْمَى ظَالِمًا ، وَكَانَ لَهُ جُحْرٌ يَأْوِي إِلَيْهِ ، وَكَانَ مُغْتَبِطًا بِهِ ؛

تُفْرِج يوْمًا يَقْنُى مَا يَأْكُل، ثُمَّ رَجَع؛ فَوُجِد فِيهِ حَيَّةً، فَانْتَظَر خُروْجَهَا، فَلَمْ تُخْرِجْ؛ فَلَمْ أَنْهَا اسْتَوْطِنْتَهُ، وَلَمْ يَكُنْهُ الشَّكْنُى مَعَهَا ذَهْبٌ يَطْلُبُ لِنَفْسِهِ مَأْوَى؛ فَانْتَهَى بِهِ السَّيْرُ إِلَى جُحْرِ حَسَنِ الظَّاهِرِ، حَصِينٌ فِي أَرْضِ مَنْيَةِ ذَاتِ أَشْجَارِ مُلْتَقَّةٍ وَمَاءٌ مَعِينٌ<sup>(١)</sup>؛ فَأَعْجَبَهُ، وَسَأَلَ عَنْهُ؛ قَالُوا: هَذَا الْجُحْرُ يَمْلَكُهُ نَعْلَبُ اسْمَهُ مَفْوَضٌ، وَأَنَّهُ وَرَثَهُ عَنْ أَبِيهِ؛ فَنَادَاهُ ظَالِمٌ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، وَرَحِبَ بِهِ، وَأَدْخَلَهُ إِلَى جُحْرِهِ، وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ؛ فَقَصَّ عَلَيْهِ خَبَرَهُ مَعَ الْحَيَاةِ؛ فَرَقَّ لَهُ مَفْوَضٌ، وَقَالَ لَهُ: الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنَ الْحَيَاةِ فِي الْعَارِ، وَالرَّأْيُ عِنْدِي: أَنْ تَنْطَلِقَ مَعِي إِلَى مَأْوَاكَ الَّذِي أَخِذَ مِنْكَ غَصْبًا، حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا أَهْتَدَى إِلَى مَكْيَدَةٍ تُخَلَّصَ بِهَا مَأْوَاكَ.

فَانْطَلَقا مَعًا إِلَى ذَلِكَ الْجُحْرِ؛ فَتَأْمَلَهُ مَفْوَضٌ، وَقَالَ لِظَالِمٍ: اذْهَبْ مَعِي فَيَرَى اللَّيْلَةَ عِنْدِي لِأَنْظُرَ لِيَتِي هَذِهِ فِيمَا يَسْتَحِقُ مِنَ الرَّأْيِ وَالْمَكْيَدَةِ.

فَقَعْلَا ذَلِكَ، وَبَاتَ مَفْوَضٌ مُفَكَّرًا، وَجَعَلَ ظَالِمٌ يَأْتِمِلُ مَسْكَنَ مَفْوَضٌ غَرَأْيِ مِنْ سَعْيِهِ، وَطَيْبَ هُوَايَهُ وَحَصَانَتِهِ مَا اشْتَدَّ بِهِ حِرْصُهُ عَلَيْهِ، وَطَقَقَ يَدِبَرِ فِي حَيْلَةِ لَاغْتَصَابِهِ، وَنَفَّ مَفْوَضَ عَنْهُ.

فَلَمَّا أَصْبَحَا قَالَ مَفْوَضٌ لِظَالِمٍ: إِنِّي رَأَيْتُ ذَلِكَ الْجُحْرَ بَعِيدًا مِنَ الشَّجَرِ وَالْمَاءِ فَأَصْرَفَ نَفْسَكَ عَنْهُ، وَهَلْ أُعِينُكَ عَلَى احْتِفَارِ جُحْرٍ فِي هَذَا السَّكَانِ الشَّتَّهِيِّ.

فَقَالَ ظَالِمٌ: غَيْرُ هَذَا مُمْكِنٌ؛ لَأَنِّي نَفَسًا تَهْلِكُ لِبَعْدِ الْوَطْنِ حَنِينًا؛ فَلَمَّا سَمِعْ مَفْوَضَ

---

(١) مَاءٌ مَعِينٌ: جَارٌ.

مقالة ظالم، وما يظهر به من الرغبة في وطنه، قال: إنّي أرى أنّ نذهب يومنا هذا، فنحتطلب حطباً، ونربط منه حزمتين، فإذا جاء الليل انطلقنا إلى بعض هذه الخيم؛ فأخذنا قبسَ نار، واحتلمنا الحطب والقبس إلى مسكنك؛ فنجعل الحزمتين في بابه، ونُضرِّم النار؛ فإن خرجت الحياة احترقت، وإنْ لزِمت الجُحرَ قتلها الدخان.

قال له ظالم: نعم الرأى!

فذهبوا واحتطلبوا حزمتين، ولما جاء الليل انطلق مفوض إلى ظاهر تلك الخيم، فأخذ قبساً؛ فعمد ظالم إلى إحدى الحزمتين، فازها إلى موضع غيبها فيه، ثم جرَّ الحزمة الأخرى إلى باب مسكن مفوض، فسدَّ بها سداً مُنكَماً، وقدر في نفسه أن مفوضاً إذا أتى الجُحر لم يمكنه الدخول إليه لحصانته، فإذا يئس منه ذهب فنظر لنفسه مأوى.

وكان ظالم قد رأى في منزل مفوض طعاماً آخره لنفسه؛ فموَّل على أنه يقتات به إن حاصره مفوض، وهو من داخل؛ وأذله الشره والحرص عن فساد هذا الرأى.

ثم إن مفوضاً جاء بالقبسِ فلم يجد ظالماً؛ فظنَّ أنه قد حل إحدى الحزمتين تخفيناً عنه، وأنه سبقه إلى مسكنه الذي فيه الحياة، إشفاقاً عليه، فشقَ ذلك عليه، وظهر له من الرأى أن يُبادر إليه وبلحقه؛ ليحمل معه الحطب.

فوضع القبس بالقرب من الحطب، ولم يشعر أن الباب مسدود به؛ لشدة الظلمة، فما بَعْد عن الباب إلا وضوء النار وشدة الدخان قد لَحِقَّا به، فعاد وتأمل الباب، فرأى الحطب قد صار ناراً، فلم مكيدة ظالم، ورآه قد احترق من داخل

الجحر ، وحاق به مَكْرُه ؛ فقال : هذا الباحث على حَتْفِه<sup>(١)</sup> بِظِلْفِه .  
ثم إنّ مفوضاً صبر حتى انطفأت النار ؛ فدخل جُحْرَه ؛ فلخرج جنّةَ ظالم ؛  
فاللقاها ؛ واستوطن جحره آمنا .

فهذا المثل ضربته لك ؛ لأنّه ملأم لفعل عمرو بن سعيد في بَعْيِه وَمُخَادَعَتِه  
عبد الملك ، وحيطته في أخذ دار ملكه وتحصينها منه .  
فما سمع عبد الملك حكمة الشيخ في ضرب أمثاله سُرّ بذلك سروراً عظيماً ،  
ثم أقبل عليه ؛ فقال : جُزِيتَ عن خيراً ! وإنّي أريد أن تمثل بيني وبينك موعداً  
وتعلّقني مكانك ؛ لأنّك به بعد يومي هذا .

قال الشيخ : وما تريده بذلك ؟ قال له عبد الملك : إنّي أريد مكافأتك على  
ما كان منك ؛ فقال الشيخ : إنّي أعطيتُ الله عَهْداً ألا أقبل منةً ليغسل .

قال عبد الملك : ومن أين علمت أنّي بخيلاً ؟ قال : لأنك أخرت صلتي مع  
القدرة ؛ فما عليك لو وصلتني ببعض ما عليك ؟ قال عبد الملك : أقسم لقد ذهلت ا  
نم نزع سيفه ، وقال له : أقبل مني هذا وأحرض عليه ؛ فقيمة عشرة ألف درهم .  
قال الشيخ : إنّي لا أُقْبِلُ صلةً ذاهلاً ، فدعني وربي الذي لا يذهب ولا يغسل ؛

فهو حسيبي !

فما سمع عبد الملك كلام الشيخ عَظُم في عينه ، وعلم فضله في دينه ، فقال له :  
أنا عبد الملك ؛ فارفع حوايجك إلى ، فقال الشيخ : وأنا أيضاً عبد الملك ؛ فلهم  
نرفع حوايجنا إلى من أنت وأنا له عَبْدَان .

---

(١) الحرف: الموت .

قاطلق عبد الملك وعمل برأى الشيخ ؛ فأنجح الله قصده ، وانتصر على أعدائه .  
فلا سمع الوليد ما أخبره به الكهل استرجع عقله ، واستقرف أدبه ، واستحسن  
محاضرته ، وسأله عن نفسه ؛ فتسمى له وانتسب ؛ فلم يعرفه الوليد ، فاستحيى منه ،  
وقال له : من جهل مثلك في رعيته ضاع .

قال له الكهل : يا أمير المؤمنين ؛ إن الملك لا تعرف إلا من تعرف إليها ،  
ولزم أبوابها .

قال له الوليد : صدقت ، ثم أمر له بصدقة مُعجلة ، وعهد إليه في ملازمته ؛  
فكان يتمتع بأدبه وحكمته .

## ١٠٣ — أبو جعفر المنصور في المرأة\*

قال شَبِّيبُ بْنُ شَيْبَةَ : حَجَّجَتْ عَامَ هَلَكَ هَشَامٌ ؛ وَوَلَى الْوَلِيَّدَ بْنَ يَزِيدَ ، وَذَلِكَ سَنَةُ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ وَمَائَةً ، فِيَنِمَا أَنَا مُرِيجٌ نَاحِيَةً مِنَ الْمَسْجِدِ ، إِذَا طَلَعَ مِنْ بَعْضِ أَبْوَابِهِ فَتَقَى أَسْمَرَ ، رَقِيقَ السُّمْرَةِ ، مَوْفُورَ الْأَلْمَةِ<sup>(١)</sup> ، خَفِيفَ الْلَحِيَةِ ، رَحِبَ الْجَبَهَةِ ، أَقْنَى<sup>(٢)</sup> بَيْنَ الْقَنَاءِ ، أَعْيْنَ<sup>(٣)</sup> كَانَ عَيْنِيهِ لَسَانَانِ يَنْطَقَانِ ، يَخْلُطُ أَبْهَةَ الْأَمْلَاكِ<sup>(٤)</sup> بِزَيَّ النِّسَالِكِ ، تَقْبِلُهُ الْقُلُوبُ ، وَتَقْبِلُهُ الْعَيْونُ ، يَعْرُفُ الشَّرْفَ فِي تَوَاضِعِهِ ، وَالْعَفْوَ<sup>(٥)</sup> فِي صُورَتِهِ ، وَالْأَلْبَرُ<sup>(٦)</sup> فِي مِشِيقَتِهِ ؛ فَمَا مَلَكَتْ نَفْسِي أَنْ نَهَضَتْ فِي أَثْرِهِ ، سَائِلًا عَنْ خَيْرِهِ ، وَسَيْقَنَ فَقَحْرَمَ بِالظَّوَافِ ؛ فَلَمَّا سَبَعَ<sup>(٧)</sup> قَصْدَ الْمَقَامِ ، فَرَكِعَ وَأَنَا أَرْعَاهُ بِبَصَرِيِّ ، ثُمَّ نَهَضَ مُنْصَرِفًا ، فَكَانَ عَيْنَا أَصَابَتْهُ ، فَكَبَّا كَبْوَةً دَمِيتَ لَهَا إِصْبَعَهُ ؛ فَقَعَدَ لَهَا الْقُرْفُصَاءُ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ مَقْوِجًا لِمَا نَالَهُ ، مَتَصَلًا بِهِ ؛ أَمْسَحَ رَجْلَهُ مِنَ التَّرَابِ ، فَلَا يَمْتَنَعُ عَلَيَّ ، ثُمَّ شَقَّتْ حَاشِيَةً نُوبَهُ ، فَصَبَّتْ بِهَا إِصْبَعَهُ ، وَمَا يَنْكِرُ ذَلِكَ وَلَا يَدْفَعُهُ ، ثُمَّ نَهَضَ مُتَوَكِّلًا عَلَىِّ ، وَانْقَدَتْ لَهُ أَمْأَاشِيهِ ، حَتَّىٰ إِذَا أَنْتَ دَارًا بِأَعْلَى مَسْكَةٍ ابْتَدَرَهُ رَجَلٌ تَكَادُ صُدُورُهُمَا تَنْفَرِجُ مِنْ هَيْبَتِهِ ، فَقَتَحَاهُ لَهُ الْبَابُ ، فَدَخَلَ وَاجْتَذَبَنِي ، فَدَخَلْتُ بِدُخُولِهِ ، ثُمَّ خَلَى بِدِيِّ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْقَبْلَةِ ، فَصَلَى رَكْمَتَيْنِ أَوْ جُزَّ فِيهِمَا فِي تَمَامِ .

\* العقد الفريد : ٣ - ٢٨٩

- (١) الْأَلْمَةُ : الشِّعْرُ الَّذِي يَجْاوزُ شَحْمَةَ الْأَذْنِ .      (٢) قَنَ الْأَنْفُ : ارْتِقَاعُ أَعْلَاهُ وَاحْدِيدَابُ وَسُطْهُ وَسَبُوغُ طَرْفَهُ .      (٣) الْأَعْيْنُ : عَظِيمُ سُوادِ الْعَيْنِ فِي سَعْتِهِ .      (٤) الْأَمْلَاكُ : الْمَلُوكُ .  
وَالْأَبْهَةُ : الْعَظَمَةُ وَالْكَبْرُ .      (٥) الْعَفْوُ : الْفَضْلُ .      (٦) الْأَلْبَرُ : الْعَقْلُ .      (٧) سَبْعُ الشَّيْءِ : جَعْلُهُ سَبْعَةً .

نم استوى في صدر مجلسه فحمد الله وأتني عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أتم صلاة وأطيبها، ثم قال : لم يخفَ على مكانتك منذ اليوم ولا فعلتك بي ؟ فلن تكون يرحمك الله ؟ قلت : شبيب<sup>(١)</sup> بن شيبة التميمي . قال : الأهتمي ؟ قلت : نعم . فرحب وقرب ، ووصف قومي بأبين بيان وأفصح لسان ، فقلت له : أنا أجيلك - أصلحك الله - عن المسألة ، وأحب المعرفة ؟ فقبس وقال : لطف أهل العراق ! أنا عبد الله<sup>(٢)</sup> بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ا قلت : بآبي أنت وأمي ! ما أشبهك بنسيرك ، وأدליך على منصبك ! ولقد سبق إلى قلبي من محبتك مالا يبلغه بوصفي لك . قال : فاحمد الله يا أخا تميم ، فإنما قوم يسعدهم بمحبنا من أحبه ويُشقي ببغضنا من أبغضه ، ولن يصل الإيمان إلى قلب أحدكم حتى يحب الله ويحب رسوله ، وإن ضعفنا عن جزائه فؤى الله على أدائه .

قلت له : أنت تُوصَّف بالعلم ، وأنا من حملته ، وأيام الموسى ضيقة ، وشغل أهل مكة كثير ، وفي نفس أشياء أحب أن أسأله عنها ، فأقاذن لي - جعلت فداك ! قال : نحن من أكثر الناس مستوحشون ، وأرجو أن تكون للسرّ موضعاً وللأمانة راعياً ، فإن كنت كارجوت فافعل !

قدمت من وثائق القول والأيمان ما سكن إليه ، فتلا قول الله : { قُلْ أَئِ شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَادَةً ؟ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِنِي وَبَيْنَكُمْ } . ثم قال : سل عتا بدا لك

---

(١) هو خطيب البصرة في زمانه ، نشأ في البصرة ، وامتاز بنبالة نفس ، وسخاء كف ، وحسن تواضع ، عرف أبو جعفر المنصور قبل خلافته ، ثم انصل به بعدها بعمله في حاشية ولـ عـهـدـ الـهـيـ

حتـىـ ولـ عـهـدـ الـهـيـةـ ، فصارـ منـ خـيـرـةـ سـمـارـهـ وـجـلـسـائـهـ ، إـلـىـ أـنـ مـاتـ سنـةـ ١٧٠ـ هـ .

(٢) أبو جعفر المنصور .

قلت : ما ترى فيمن على الموسم - وكان عليه يوسف بن محمد بن يوسف التَّقِيُّ -  
فتنفس الصُّمْدَاء و قال : عن الصلاة خلفه تسألي ، ألم كرهت أن يقاوم <sup>(١)</sup> على آل  
الله من ليس منهم ؟ قلت : عن كلام الأمراء .

قال : إن هذا عند الله لعظيم ، فاما الصلاة ففرض الله تعبد به خلقه ، فإذا  
ما فرض الله تعالى عليك في كل وقت مع كل أحد ، وعلى كل حال ، فإن الذي  
نذبك لحج بيته وحضور جماعته وأعياده لم يخبرك في كتابه بأنه لا يقبل منك  
نسكا إلا مع أكمل المؤمنين إيماناً ، رحمة منهلك ؛ ولو فعل ذلك بك صاق الأمر  
عليك ؛ فانصح يسمح لك . ثم كررت في السؤال عليه ؛ فما احتجت أن أسأل  
عن أمر ديني أحداً بعده .

ثم قلت : يزعم أهل العلم أنها ستكون لكم دولة ؟ فقال : لا شك فيها ؛ نطلع  
طلع الشمس ، ونظهر ظهورها ؛ فتسأل الله خيرها ونحوه بالله من شرها ، فخذ  
بمحظ لسانك ويدك منها إن أدركتها . قلت : أويتَ خلف عنها أحد من العرب وأنتم  
سادتها ؟ قال : نعم ، قوم يأبون إلا الوفاء لمن اصطفتهم ، ونأبى إلا طليباً بحقنا  
فننصر وينفذون ؛ كما نصر بأولنا أولهم ؛ وينفذ بمخالفتنا من خالق منهم ؛  
فاسترجعت ، فقال : سهل عليك الأمر ، « سنة الله التي قد خلت من قبل » ،  
ولأن تجده لسنة الله تبديلاً ، وليس ما يكون لهم بمحاجز لنا عن صلة أرحامهم ،  
وبحفظ أعقابهم ؛ وتجديد الصناعة . قلت : كيف تسلم لهم قلوبكم ؛ وقد قاتلوا مع  
عدوك ؟ قال : نحن قوم حُبِّ إلينا الوفاء وإن كان علينا ، وبغض إلينا الفدُّ

---

(١) تأمر : تسلط .

وإن كان لنا، وإنما يشدّ عنا منهم الأقل ، فاما أنصار دولتنا وقباء شيعتنا، وأمراء جيوشنا ، فهم مواليهم ، وموالى القوم من أنفسهم ، فإذا وضعَت الحربُ أوزارها صَفَحَتْنا عن لسيء ، وَهَبَّتْنا للرجل قومه ، ومن اتصل بأسبابه ؛ فتذهب المناذرة ، وتختبو الفتنة ، وتطمئن القلوب .

قلت : ويقال إنه يُقتل بكم مَنْ أَخْلَصَ لِكُمُ الْحَبَةَ . قال : قدرُوا أَنَّ الْبَلَاءَ أسرعُ إِلَى محبتنا من الماء إلى قراره . قلت : لم أرد هذا . قال : فـ؟ قلت : تتعون بالولي ، وتحظون بالعدو . قال : مَنْ يسْعَدُ بِنَا مِنَ الْأُولَاءِ أَكْثَرُ ، ومن يسلم لنا من الأعداء أقل وأيسر ، وإنما نحن بشر ، وأكثُرُنَا أَذْنًا ولا يعلم الغيب إلا الله ، وربما استترتْ عنا الأمور ، ففع فيما لا نريد ، وإن لنا لِإِحْسَانِنَا يَأْسُو<sup>(١)</sup> الله به ما نَكْلُم<sup>(٢)</sup> ، وَيَرِم<sup>(٣)</sup> ما نَشَلُّ ، ونستغفر الله مما لا نعلم ، وما أنكرت من أن يكون الأمر على ما بلغتك ، ومع الولي التعزز والإدلال ؟ والثقة والاسترسال ، ومع العدو التحرز والاحتياط ، والتذلل والاغتيال ! وربما أَمَلَ الْمُدِلَّ ؛ وأَخْلَى المسترسل ، وتجانب المقارب ، ومع المِقَةِ<sup>(٤)</sup> تكون الشلة ، وعلى أن العاقبة لنا على عدونا ، وهي لوليتنا ، وإنك لسئول يا أخاتيم .

قلت : إِنِّي أَخَافُ أَلَا أَرَاكَ بَعْدَ الْيَوْمِ . إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَرَاكَ وَتَرَانِي كَمَا تَحْبُّ عَنْ قَرِيبٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قلت : عِجَلْ اللَّهُ ذَلِكَ ! قال : آمِينَ ! قلت : وَهَبْ لِي السَّلَامَةَ مِنْكُمْ فَإِنِّي مُجِيِّبُكُمْ . قال : آمِينَ ؟ وَتَبَسِّمَ ! وَقَالَ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مَا أَعْذَاكَ اللَّهُ مِنْ ثَلَاثَ . قلت : وَمَا هِيَ ؟ قال : قَدْحٌ فِي الدِّينِ ، أَوْ هَتْكٌ لِلْمَلَكِ ، أَوْ تَهْمَةٌ فِي حِرْمَةِ . ثُمَّ قال : احْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ : اصْدُقْ وَإِنْ ضَرَّكَ الصَّدْقُ ،

---

(١) يَأْسُو : يداوى . (٢) نَكْلُم : نُجْرِح . (٣) يَرِم : يَصْلِح . (٤) الْمِقَةُ : الْحَبَةُ .

وأنصح وإن باعدك النصح ، ولا تجسس عدونا وإن أحظينا إله مخذول ،  
ولا تخذل وليتنا فإنه منصور؛ واصحبنا بترك الماكرة ، وتواضع إذا رفوك ، وصل  
إذا قطعوك ، ولا تُسْخِف فيمقتوك ، ولا تنبض فيحشموك<sup>(١)</sup> ، ولا تبدأ حتى  
يبدءوك ، ولا تخطب الأعمال ، ولا تتعرض للأموال ؛ وأنا رأيُّ من عشبيت هذه  
فهل من حاجة ؟ فنهضت لوداعه فودعته ، ثم قلت : أترقب ظهور الأمر وقتاً ؟  
قال : الله المقدر الوقت ، فإذا قامت النوحَّاتان بالشام فهـما آخر العلامات . قلت :  
وما هـا ؟ قال : موت هشام العام ، ومـوت محمد بن علي<sup>(٢)</sup> مستهل ذـى القعـدة .  
قلـت : فـهل أوصـى ؟ قال : نـعم ، إـلى أخيـه إـبراهـيم .

قال : فـلما خـرجـت ، فإذا مـولـيـه يـتـبعـنـي حتـى عـرـفـمـزـلـيـ ، ثمـ أـتـانـيـ بـكـسوـةـ  
منـ كـسوـتهـ ، فقالـ : يـأـمـرـكـ أـبـوـ جـعـفـرـ أـنـ تـصـلـيـ فـهـذـهـ .

قالـ شـيـبـ : وافـرـقـنـاـ ، فـوـالـلـهـ مـاـ رـأـيـتـ إـلاـ وـحـرـسـيـانـ قـابـصـانـ عـلـىـ يـدـنـيـانـ  
مـنـهـ فـجـمـاعـةـ مـنـ قـوـيـ لـأـبـاـيـهـ ، فـلـمـاـ نـظـرـ إـلـيـ أـبـيـتـنـيـ<sup>(٣)</sup> ، ثـمـ قـالـ : خـلـيـاـ عـنـ  
صـحـّـتـ مـوـدـتـهـ ، وـتـقـدـمـتـ حـرـمـتـهـ ، وـأـخـذـتـ قـبـلـ الـيـوـمـ بـيـعـتـهـ ، فـأـكـبـرـ النـاسـ ذـلـكـ  
مـنـ قـوـلـهـ ، وـوـجـدـتـهـ عـلـىـ أـوـلـ عـهـدـهـ لـيـ .

ثـمـ قـالـ لـيـ : أـيـنـ كـنـتـ عـنـ فـيـ أـيـامـ أـخـيـ أـبـيـ الـعـبـاسـ ؟ فـذـهـبـتـ أـعـتـذـرـ .  
قالـ : أـمـسـكـ ؛ فـإـنـ لـكـلـ شـيـ وـقـتـاـ لـاـ يـعـدـوـهـ ، وـلـنـ يـفـوـتـكـ إـنـ شـاءـ اللـهـ حـظـ

---

(١) فـيـسـمـعـوكـ ماـ تـسـكـرـهـ . (٢) هوـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ بـنـ عـبـاسـ بـنـ عـبـدـ الـلـطـبـ الـهـاشـمـيـ  
الـقـرـشـيـ وـالـسـفـاحـ وـالـنـصـورـ ، وـكـانـ يـرـأـسـ جـمـاعـاـ سـرـيـةـ تـدـعـوـبـنـيـ الـعـبـاسـ وـاعـتـقـلـهـ هـشـامـ بـنـ عـبـدـ الـلـكـ  
حـينـ اـنـكـشـفـ أـمـرـهـ فـاتـ مـعـتـلـاـ . (٣) عـرـفـيـ حـقـ الـعـرـفـ .

مودتك ، وحق مسابقتك ؟ فاختر بين رزقي بسعك ؟ أو عمل يرثيتك . قلت : أنا حافظ لوصيتك . قال : وأنا لها أحفظ ؟ إنما نهيتك أن تخطب الأعمال ، ولم أنهك عن قبولها . قلت : الرزق مع قرب أمير المؤمنين أحب إلى . قال : ذلك لك ، وهو أجمّ لقلبك ، وأوْدَع لك ، وأعْفَى إِن شاء الله .

ثم قال : هل زدت في عيالك بعدى شيئاً ؟ وكانت قد سألي عنهم فذكورتهم له - فعجبت من حفظه ! ثم قلت : الفرس والخادم ! قال : قد ألحقنا عيالك بعيالنا ، وخدمتك بخدمتنا ، وفرسك بخيلنا ، ولو وسعني حملت لك من بيت المال ، وقد ضممتك إلى المهدى ، وأنا أوصيه بك فإنه أفرغ لك مني .

---

## \* ١٠٤ - واعظ أبي جعفر المنصور\*

يَدِنَّا الْمُنْصُورُ يَطُوفُ لَيْلًا، إِذْ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ظَهُورَ  
الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَمَا يَحْوِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الطَّمْعِ ! نَفْرَجُ الْمُنْصُورِ،  
خَلْسُ نَاحِيَّةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَأُرْسَلَ إِلَى الرَّجُلِ يَدْعُوهُ ، فَصَلَّى الرَّجُلُ رَكْعَتَيْنِ ،  
وَاسْتَلَمَ الرَّكْنَ<sup>(١)</sup> ، وَأَقْبَلَ مَعَ الرَّسُولِ ؛ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخَلْافَةِ .

فَقَالَ الْمُنْصُورُ : مَا الَّذِي سَمِعْتَكَ تَذَكَّرُ مِنْ ظَهُورِ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ  
وَمَا يَحْوِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الطَّمْعِ ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ حَشِوتَ مَسَامِعِي مَا رَأَمْضَنِي<sup>(٢)</sup> .  
قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّ أَمْتَنَّتِي عَلَى نَفْسِي أَبْنَائُكَ بِالْأَمْوَارِ مِنْ أُصُولِهَا ، وَإِلَّا  
أَحْجَرْتَ مِنْكَ ، وَاقْتَصَرْتَ عَلَى نَفْسِي ، فَقِيمَاهُ شَاغِلٌ .

فَقَالَ : أَنْتَ آمِنٌ عَلَى نَفْسِكَ ؟ فَقَلَ ! فَقَالَ : إِنَّ الَّذِي دَخَلَهُ الطَّمْعُ حَتَّى حَالَ  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا ظَهَرَ مِنَ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ لَأَنْتَ ! قَالَ : وَيَمْلِكُ ! وَكَيْفَ يَدْخُلُنِي الطَّمْعُ ،  
وَالصَّفَرَاءُ وَالبَيْضَاءُ فِي قَبْضِي ، وَالْخُلُوُّ وَالْحَامِضُ عِنْدِنِي ؟ قَالَ : وَهُلْ دَخَلَ أَحَدٌ  
مِنَ الطَّمْعِ مَا دَخَلْتَ ! إِنَّ اللَّهَ تَبَارِكَ وَتَعَالَى اسْتَرَّ عَلَكَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ ، فَأَغْفَلْتَ  
أَمْوَالَهُمْ ، وَاهْتَمَّتَ بِجَمْعِ أَمْوَالِهِمْ ، وَجَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَابًا مِنَ الْجِصْرِ وَالْأَجْرِ ؟  
وَأَبْوَابًا مِنَ الْحَدِيدِ ، وَحَجَبَةً مِنْهُمْ السَّلَاحُ ؛ ثُمَّ سَجَنْتَ نَفْسَكَ فِيهَا عَنْهُمْ ، وَبَعْثَتْ

\* عيون الأخبار : ٢ - ٣٣٣

(١) استلم الركن : لمسه : بالقبة أو باليد . (٢) ما أرمضني : ما أوجسي وآلني .

عُمَالَكَ فِي جِبَايَةِ الْأَمْوَالِ وَجَمِيعِهَا، وَقُوَّتِهِمْ بِالرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ وَالْكَرَاعِ<sup>(١)</sup>،  
وَأُمِرَتْ بِأَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْكَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فَلَانٌ وَفَلَانٌ، نَفَرَ مِنْهُمْ وَلَمْ تَأْمِرْ بِإِبْصَالِ  
الْمَظْلُومِ؛ وَلَا لِلْمَهْوَفِ، وَلَا لِلْجَائِعِ الْعَارِيِّ، وَلَا الضَّمِيفِ الْفَقِيرِ، وَلَا أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ فِي  
هَذَا الْمَالِ حَقٌّ.

فَلَمْ أَرَكَ هُؤُلَاءِ النَّفَرَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصُوهُمْ لِنَفْسِكَ، وَآثَرْتَهُمْ عَلَى رَعْيَتِكَ،  
وَأُمِرْتَ أَلَّا يُحْجِبُوكُمْ عَنْكَ - تَجْنِي الْأَمْوَالَ وَتَجْمِعُهَا وَلَا تَقْسِمُهَا قَالُوا : هَذَا قَدْ  
خَانَ اللَّهُ، فَمَا بِالنَّاسِ لَا يَخْوِنُهُ، وَقَدْ سَجَنَ لَنَا نَفْسَهُ !

فَأَتَمْرُوا بِأَلَّا يَصِلَّ إِلَيْكَ مِنْ عِلْمٍ أَخْبَارُ النَّاسِ شَيْءٌ إِلَّا مَا أَرَادُوا، وَلَا يَخْرُجَ  
لَكَ عَامِلٌ فِي خَالِفِ أَمْرِهِمْ إِلَّا قَصْبُوهُ<sup>(٢)</sup> عِنْدَكَ، وَنَفَوْهُ حَتَّى تَسْقُطَ مِنْ زَلْطَتِهِ وَيَصْفُرَ  
قَدْرُهُ؛ فَلَمَّا انتَشَرَ ذَلِكُ عَنْكَ وَعَنْهُمْ أَعْظَمُهُمُ النَّاسِ وَهَا بُوكُمْ؛ فَكَانَ أُولَئِكُمْ مِنْ  
صَانِعِهِمْ عُمَالَكَ بِالْمَهَابِيَا وَالْأَمْوَالِ، لِيَقْوُوا بِهَا عَلَى ظُلْمِ رَعْيَتِكَ.

ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكُ ذُوو الْقَدْرَةِ وَالثَّرَوَةِ مِنْ رَعْيَتِكَ، لِيَنْلَا بِهِ ظُلْمٌ مَنْ دُونَهُمْ؛ فَامْتَلَأَتْ  
بِلَادُ اللَّهِ بِالظُّلْمِ، بِغَيَّاً وَفَسَادًا، وَصَارَ هُؤُلَاءِ الْقَوْمَ شُرَكَاءَكَ فِي سُلْطَانِكَ، وَأَنْتَ  
غَافِلٌ؛ فَإِنْ جَاءَ مُقْتَلَمْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ مَدِينَتِكَ؛ فَإِنْ أَرَادَ رُفْعَ قَصْتَهِ  
إِلَيْكَ عَنْدَ ظَهُورِكَ وَجَدَكَ قَدْ نَهَيْتَ عَنْ ذَلِكَ؛ وَأَوْفَقْتَ لِلنَّاسِ رِجْلاً يَنْظَرُ فِي  
مَظَالِمِهِمْ؛ فَإِنْ جَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَبَلَغَ بَطَانَتَكَ خَبْرُهُ سَأَلُوا صَاحِبَ الْمَظَالِمِ  
أَلَا يَرْفَعُ مَظَالِمَتَهِ إِلَيْكَ، فَإِنْ مَتَظَلَّلٌ مِنْهُ لَهُ بِهِ حُرْمَةُ، فَأَجَابُوهُمْ خَوْفًا مِنْهُمْ .

فَلَا يَزَالُ الْمَظْلُومُ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ وَيَلُوذُ بِهِ، وَيَشْكُو وَيَسْتَغْفِرُ، وَهُوَ يَدْفَعُ  
وَيَعْتَلُ بِهِ، فَإِذَا أَجْهَدَ وَأَحْرَجَ وَظَاهَرَتْ صَرَخَ بَيْنَ يَدِيكَ، فَضَرِبَ ضَرَبًا

(١) الْكَرَاعُ : السَّلَاحُ، وَقِيلَ : هُوَ اسْمٌ يُجْمِعُ الْجِيلَ وَالسَّلَاحَ. (٢) قَصْبُوهُ : عَابُوهُ وَشَتَّمُوهُ.

مَبْرَحًا ؛ لِي كُونَ نَكَالًا لِغَيْرِهِ ؛ وَأَنْتَ تَنْظُرُ فَلَا تُنْكِرُ ، فَإِنَّ بَقاءً إِلَّا سَلَامٌ  
بعد هذا !

وَقَدْ كُنْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسَافِرُ إِلَى الصِّينِ، قَدْ مَهَّمَهَا مَرَّةً ، وَقَدْ أَصَبَّ مَلَكَهَا  
بِسَمَّهُ ؛ فَبَكَ يَوْمًا بَكَاهُ شَدِيدًا، فَتَهَّجَ جَلْسَاؤُهُ عَلَى الصَّابِرِ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي  
لِلْبَلِيلَةِ النَّازِلَةِ بِي ، وَلَكِنِّي أَبْكِي لِمَظْلَومٍ بِالْبَابِ يَصْرُخُ وَلَا يُسْمَعُ صَوْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ:  
أَمَا إِذْ ذَهَبَ سَمِعِي ؟ فَإِنَّ بَصَرِي لَمْ يَذْهَبْ ! نَادُوا فِي النَّاسِ أَلَا يَلْبَسَ ثُوبًا أَحْرَارًا  
إِلَّا مَقْتُلَمْ . ثُمَّ كَانَ يَرْكُبُ الْفَيْلَ طَرَقَ نَهَارَهُ وَيَنْظَرُ هَلْ يَرَى مَظْلُومًا ؟

فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُشْرِكٌ بِاللهِ غَلَبَتْ رُأْفَتُهُ بِالْمُشْرِكِينَ شُحَّ نَفْسِهِ : وَأَنْتَ  
مُؤْمِنٌ بِاللهِ ، ثُمَّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ لَا تَغْلِبُ رَأْفَتُكَ بِالْمُسْلِمِينَ عَلَى شُحَّ نَفْسِكَ إِنَّمَا  
كُنْتَ إِنَّمَا تَجْمِعُ الْمَالَ لِوَلَدِكَ ، قَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبْرًا فِي الْطَّفْلِ يَسْقُطُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ، وَمَا لَهُ  
عَلَى الْأَرْضِ مَالٌ ، وَمَا مِنْ مَالٍ إِلَّا وَدُونَهُ يَدُ شَحِيقَةٌ تَحْوِيهٌ ؛ فَمَا يَرِزَّالُ اللَّهُ يَلْطِفُ  
بِذَلِكَ الْطَّفْلَ حَتَّى تَعْظُمَ رَغْبَةُ النَّاسِ إِلَيْهِ ؛ وَلَسْتَ بِالَّذِي تُعْطِي ، بَلَّ اللَّهُ يُعْطِي مِنْ  
يَشَاءُ مَا يَشَاءُ . وَإِنْ قَلْتَ: إِنَّمَا أَجْمَعُ الْمَالَ لِتَشْدِيدِ السَّلَاطِنِ فَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبْرًا فِي  
بَنِي أُمِّيَّةٍ ؛ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا جَمَعُوا مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ ، وَأَعْدَّ وَأَمْنَ الرِّجَالَ وَالسَّلاحَ  
وَالْكُرَاعَ ، حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ مَا أَرَادَ . وَإِنْ قَلْتَ: إِنَّمَا أَجْمَعُ الْمَالَ لِطَلَبِ غَايَةِ  
أَجْسَمٍ مِنَ الْفَائِيَةِ الَّتِي أَنَا فِيهَا ، فَوَاللهِ مَا فَوْقَ مَا أَنْتَ فِيهِ إِلَّا مَنْزَلَةٌ لَا تَدْرِكُ إِلَّا  
بِخَلْفِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلْ تَعَاقِبُ مَنْ عَصَاكَ بِأَشَدَّ مِنَ الْقَتْلِ ؟

قَالَ الْمُنْصُورُ: لَا . قَالَ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِالْمَالِ الَّذِي خَوَّلَكَ مَلْكَ الدُّنْيَا وَهُوَ لَا يَعْاقِبُ  
مَنْ عَصَاهُ بِالْقَتْلِ ! وَلَكِنْ بِالْخَلُودِ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ، قَدْ رَأَى مَا قَدْ عَقَدَ عَلَيْهِ قَلْبُكَ

وعلته جوارحُك ، ونظر إِلَيْه بصرك ، واجترحة يداك ، ومشت إِلَيْه رجلاك ؟ هل  
يُنْهِي عنك ما شَحَّتْ عليه من ملوك الدنيا إِذَا انتزعه من يدك ودعاك إلى الحساب !  
فبكى المنصور وقال : يا لِيْتَنِي لَمْ أَخْلَقْ ! وَيَحْكَ ! فَكَيْفَ أَحْتَالْ لِنَفْسِي ؟  
قال : يا أمير المؤمنين ؟ إِنَّ النَّاسَ أَعْلَامًا يَفْرَغُونَ إِلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ ، وَيَرْضُونَ بِهِمْ ؛  
فَأَجْعَلْهُمْ بِطَائِفَتَكَ يَرْشَدُوكَ ، وَشَاوِرُهُمْ فِي أَمْرِكَ يُسَدِّدُوكَ . قال : قَدْ بَعْثَتْ إِلَيْهِمْ  
فَهِرَبُوا مِنِي . فقال : خافُوا أَنْ تَحْمِلُهُمْ عَلَى طَرِيقَتِكَ ؟ وَلَكِنْ افْتَحْ بَابَكَ ،  
وَسَهَّلْ حِجَابَكَ ، وَانْصُرْ الظَّالِمَ ، وَاقْعُدْ الظَّالِمَ ، وَخُذْ الْفَقِيرَ ، وَالصَّدَقَاتِ مَا حَلَّ  
وَطَابَ ، وَاقْسِمْهُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ عَلَى أَهْلِهِ ، وَأَنَا الضَّامِنُ عَنْهُمْ أَنْ يَأْتُوكَ ،  
وَيُسَعِّدُوكَ عَلَى صَلَاحِ الْأُمَّةِ .

وَجَاءَ الْمُؤْذِنُونَ فَسَلَوْا عَلَيْهِ ، فَصَلَّى ، وَعَادَ إِلَى مَجْلِسِهِ وَطَلَبَ الرَّجُلَ فَلَمْ يُوجَدْ !

---

## ١٠٥ — لماذا سُلِّبُوا الملك\*

سَمَرَ المنصورُ ذاتَ ليلةً ، فذَكَرَ خُلقَاءَ بَنِي أُمَّيَّةَ وَسِيرَاهُمْ ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا عَلَى  
اسْتِقْدَامِهِ ؛ حَتَّى أَنْفَقُوا أَمْرَهُمْ إِلَى أَبْنَائِهِمُ الْمُتَرْفِينَ ، وَكَانَتْ هُمْ هُنَّا - مَعَ عَظَمِ شَأنِ  
الْمَلَكِ وَجَلَالِهِ قَدْرَهُ قَصْدَ الشَّهْوَاتِ ، وَإِثْنَارِ الْلَّذَاتِ ، وَالدُّخُولِ فِي مَعَاصِي اللَّهِ  
وَمَسَاخِطِهِ ، جَهَّالًا بِاسْتِدْرَاجِ اللَّهِ ، وَأَمْنَا لِمَكْرِهِ ، فَسَلَّبُوهُمُ اللَّهُ الْعَزَّ ، وَنَقْلُ عَنْهُمْ  
النَّعْمَةَ .

فَقَالَ لِهِ صَالِحُ بْنُ عَلَى : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَرْوَانَ لَمَا دَخَلَ  
النَّوْبَةَ هَارِبًا فِيمَنْ تَبِعُهُ ، سَأَلَ إِمَّلَكَ النَّوْبَةِ عَنْهُمْ ، فَأَخْبَرَ ، فَرَكِبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ  
فَكَلَمَهُ بِكَلَامٍ عَجِيبٍ فِي هَذَا التَّحْوِيَّ ، لَا أَحْفَظُهُ ، وَأَزْعَجَهُ عَنْ بَلْدَهُ ، فَإِنْ رَأَى  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوهُ بِهِ مِنَ الْحَبْسِ بِمَحْضِ تَنَافِي هَذِهِ الْلَّيْلَةِ ، وَيَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ .

فَأَمَرَ الْمُنْصُورَ بِإِحْضَارِهِ ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْقَصَّةِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَدِّمْنَا  
أَرْضَ النَّوْبَةَ ، وَقَدْ أَخْبَرَ الْمَلَكَ بِأَمْرِنَا ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ أَنْفُنِي<sup>(١)</sup> الْأَنْفُ ، طَوَّالُ،  
حَسْنُ الْوَجْهِ ، قَدَدَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَلَمْ يَقْرُبْ الثِيَابَ ، فَقَلَتْ : مَا يَمْنُكُ أَنْ تَقْدَدَ  
عَلَى ثِيَابِنَا ؟ قَالَ : لَأَنِّي مَلَكُ ، وَيَحْقُقُ عَلَى الْمَلَكِ أَنْ يَتَوَاضَعْ لِعَظَمَةِ اللَّهِ إِذَا رَفَهَ  
الَّهُ ، ثُمَّ قَالَ : لَأَنِّي شَيْءٌ تَشْرِبُونَ الْخَمْرَ وَهِيَ حُرْمَةٌ عَلَيْكُمْ ؟ قَلَتْ : اجْتَرَأْ عَلَى

\* المقد الفريد : ٣ - ١٩٣ ، عيون الأخبار : ١ - ٢٠٥ ، ابن أبي الحديد : ٢ - ٢١٦

(١) قَنَا الأنف : ارتفاع أعلى ، واحد يداب وسطه .

ذلك عبידنا وغلمنا وأتباعنا ؛ لأنَّ المَلِك قد زال عنا . قال : فلم تطئون الزروع  
بدوابكم ، والفسادُ محروم عليكم في كتابكم ؟ قلت : يفعل ذلك عبيدنا وأتباعنا  
بجهلهم . قال : فلم تلبسون الدِّيَاج والحرير ، وتستعملون الذهب والفضة ، وذلك  
محرَّم عليكم ؟ قلت : ذهبَ لِلْمَلِكُ عَنَا ، وقلَّ أَنْصَارُنَا ؛ فانتصرنا بقوم من العجم  
دخلوا في ديننا ، فلبسو ذلك على السُّكُرِهِ مِنَّا .

قال : فأطْرَقَ ملِيًّا ، وجعل يقلُّبُ يده ، وينكِت الأرض ويقول : عبيدنا  
وأتباعنا وقوْ دخلوا في ديننا ، وزال الملك عنا ! يرددده مراراً .

ثم قال : ليس ذلك كذلك ؟ بل أنتم قوم قد استحلتم ما حرم الله ، وركبتم  
ما نهَاكم عنه ، وظلمتم منْ مُلْكَتُمْ أمرم ؛ فسلبكم الله العز ، وألبسكم الذل  
بذنبكم ، والله فيكم شمة لن تبلغ غايتها ، وأخاف أن يجعل بكم العذاب ، وأنتم  
ببلدي ، فيصيبني معكم ؛ وإنما للضيافة ثلاثة أيام ، فتزودوا ما احتجتم ، وارتحلوا  
عن بلدي .

---

## ١٠٦ — جعفر البرمكي والرشيد\*

قال إبراهيم بن المهدى : قال لي جعفر بن يحيى<sup>(١)</sup> يوماً : إنني استأذنتُ أمير المؤمنين في الحجامة ، وأردتُ أن أخلو بِنفسي ، وأفرأ من أشغال الناس ، وأتوحد<sup>(٢)</sup> ، فهل أنت مساعدى ؟ قلتُ : جعلنى الله فداءك ! أنا أسعد بمساعدتك وآنس بمخالتك<sup>(٣)</sup> ، فقال : بَكْرٌ إلى بُكُور الفراب .

قال : فأتيت عند الفجر الثاني ، فوجدت الشمعة بين يديه ، وهو قاعد ينتظرني للعياد ؛ فصلينا ، ثم أفضنا في الحديث حتى أتي وقت الحجامة ، فاتى الحجام فحجمنا في ساعة واحدة ، ثم قدم إلينا الطعام ، فطمينا ، فلما غسلنا أيدينا خلع علينا ثياب المنادمة ، وضمّخنا<sup>(٤)</sup> بالخلوق ؛ وظللنا بأسر يوم صرّ بنا .

نم إله تذكر حاجة ، فدعا الحاجب ؛ فقال له : إذا جاء عبد الملك الْقَهْرَمان ، فأذن له ، فتسى الحاجب . وجاء عبد الملك بن صالح<sup>(٥)</sup> الماشى - على جلالته وسنّه وقدره - فأذن له الحاجب ، فارأتنا إلا طلة عبد الملك بن صالح ! فتغير لذلك وجه جعفر ، وتتفقص عليه ما كان فيه .

\* العقد الفريد : ٣ - ٢٦٨

(١) جعفر بن يحيى كان على القدر عظيم الـكرم ، ذا منزلة قريبة عند الرشيد ، فصيحاً لسنا ، قتله الرشيد سنة ١٨٧ هـ . (٢) توحد : بقى مفرداً . (٣) الحالة : المصادقة . (٤) تضخ بالخلوق : تلخّص به ، والخلوق : نوع من الطيب . (٥) عبد الملك بن صالح : أمير من أمراء بنى العباس ، تولى عدة ولايات ، ثم عزله الرشيد حين علم أنه يطمع في الخلافة ، توفى سنة ١٩٦ هـ .

فَلَمَا نَظَرَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ دَعَا غَلَامَهُ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ سِيفَهِ وَسَوَادَهِ<sup>(١)</sup> وَعَسَّامَتَهُ، ثُمَّ جَاءَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْجَلْسِ، قَالَ: اصْنُعُوا بِنَا مَا صَنَعْنَا بِأَنفُسِكُمْ.

قَالَ: بَغَاءُ الْفَلَامِ، فَطَرَحَ عَلَيْهِ ثِيَابَ الْمَنَادِمَةِ؛ وَدَعَا بِطَعَامِ فَطِيمِ، ثُمَّ دَعَا بِالشَّرَابِ فَشَرَبَ ثَلَاثَةً، ثُمَّ قَالَ: لِيَخْفَ عنِي فَإِنَّهُ شَيْءٌ مَا شَرَبْتُهُ قَطُّ، فَتَهَلَّلَ وَجْهُ جَعْفَرٍ فَرَحًا - وَقَدْ كَانَ الرَّشِيدُ حَاوِرَ عَبْدَ الْمَلِكِ عَلَى الْمَنَادِمَةِ، فَأَبَى ذَلِكَ، وَتَنَزَّهَ عَنْهُ - ثُمَّ قَالَ لِهِ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى: جَعْلَنِي اللَّهُ فَدَاكَ! قَدْ تَفَضَّلْتَ وَتَطَوَّلْتَ، فَهَلْ مِنْ حَاجَةٍ تَبْلُغُنَا مَقْدِرَتِي، وَتَحْبِطُ بِهَا نِعْمَتِي، فَأَقْضِيهَا لَكَ مَكَافَأَةً لِمَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ إِنَّ قَلْبَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَاتِبٌ عَلَيْهِ فَتَسْأَلُهُ الرِّضَا عَنِيْ. قَالَ: قَدْ رَضَى عَنِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ قَالَ: وَعَلَى أَرْبَعَةِ أَلَافِ دِينَارٍ. قَالَ: هِيَ حاضِرَةٌ، وَلَكُنْ مِنْ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبَّ إِلَيْيَّ مِنْ مَالِي. قَالَ: وَابْنِ إِبْرَاهِيمَ أَحَبَّ إِنْ أَشْدَّ ظَهُورَهُ بِمَصَاهِرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: قَدْ زَوَّجَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِنْعَةَ الْفَالِيَّةِ. قَالَ: وَأَحَبَّ إِنْ تَخْفَقَ الْأَلْوَيَّةُ عَلَى رَأْسِهِ بِولَايَةِ. قَالَ: وَقَدْ ولَاهَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِصْرَ؛ فَانْصَرَفَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَنَحْنُ نَعْجَبُ مِنْ إِقْدَامِ جَعْفَرٍ عَلَى الرَّشِيدِ مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانِ.

فَلَمَّا كَانَ الْفَدُّ وَقَفَنَا عَلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَدَخَلَ جَعْفَرُ فَلِمْ يَلْبِثْ إِنْ دُعِيَ بْنَ يَوسُفَ الْقَاضِيَّ، وَمُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَعَقِدَ لَهُ عَلَى ابْنَةِ الرَّشِيدِ، وَحَمِلَتِ الْبِدَارَ<sup>(٢)</sup> إِلَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَتَبَ سِجْلٌ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَى مَحْسَرِ.

---

(١) سواد الأمير: نقله ومتاعه . (٢) البدار: كيس فيه ألف دينار .

وخرجَ جمَّرْ فأشار إلينا ، فلما صار إلى منزله ونحن خلفه نزل ونزلنا بنزوله ،  
فالتفت إلينا وقال : تعلقت قلوبكم بأول أمر عبد الملك فأحببتم أن تعرفوا آخره ،  
وإني لما دخلت على أمير المؤمنين ومثاث بين يديه سأله عن أمري ، فابتدأت  
أحدثه بالقصة من أولها إلى آخرها ، فجعل يقول : أحسن والله ؛ ثم قال :  
فما أجبته ؟ بخلت أخباره وهو يقول في كل شيء : أحسن . وخرج إبراهيم واليَا  
على مصر !

## ١٠٧ — إخوان الصفاء\*

روى أبو العباس محمد بن يزيد المبرد :

ذكروا أن فتياناً كانوا مجتمعين في نظام واحد، كلهم ابن نعمة؛ فذكر ذلك  
منهم، قال: كنا أكثرنا داراً شارعة<sup>(١)</sup> على أحد طرق بغداد المعهودة بالناس،  
وكنا نجلس<sup>(٢)</sup> أحياناً، ونُوَسِرُ أحياناً، على مقدار ما يمكن الواحد من أهله، وكنا  
لا نُنَكِّرُ أنْ تقع متونتنا على واحدٍ مِنَا إِذَا أُمْكِنَهُ، ويبيق الواحدُ مِنَا لَا يقدر  
على شيء، فيقوم به أصحابه الدهر الأطْوَلَ، وكنا إِذَا أَيْسَرَنَا أَكْلَنَا من الطعام  
أَلْيَنَّهُ، ودعونا الملبين والملبيات؛ وكان جلوسنا في أسفل الدار، فإذا عدمنا الغارب  
جلسنا في غُرفة لنا نتقمّع منها بالنظر إلى الناس، وكنا لا نُخْلِل<sup>(٣)</sup> بالبيهذ في عُسرٍ  
ولا يسرٍ.

فإنا كذلك يوماً إذا بفتى يستاذن علينا، فقلنا له: اصعد؛ فإذا رجل نظيف  
حلَّ وجهه، سرِيَ الهيبة، يبني رُواوه أنه من أبناء النعم، فأقبل علينا،  
وقال: إني سمعت مجتمعكم وحمدت منادتكم، وصحوة ألقكم، حتى كأنكم  
أدرجم في قلب واحد، فأحببت أن أكون واحداً منكم، فلا تخشموا<sup>(٤)</sup> عني.

\* العقد الفريد ٤ : ٣٤٥

(١) دار شارعه، أي على طريق نافذ. (٢) نجلس الشخص: إذا لم يبق معه مال. (٣) لا نخل بالبيهذ: لا تركه. (٤) احتمم عنه وعنه: اقتنص.

وقال لنا يوماً بعد اتصالِ الأنس : ألا أخبركم بم عرفتكم ؟ قلنا : إننا لا نحب ذلك . قال : أحببت جارية في جواركم ؟ فكنتُ أجلس لها في الطريق أ-times اجتيازها ، فأراها حتى أخلفني الجلوس على الطريق ، ورأيت غرفتكم هذه ، فسألت عن خبرها ، فأخبرتُ عن ائتلافكم ونائبتكم ، ومساعدة بعضكم بعضاً ، فكان الدخول فيما أنتم فيه أسرءَ عندى من الجارية ، فسألناه عنها فأخبرنا ، قلنا له : نحن نظفرونكم بها ، فقال : يا إخوانى ؟ إنى والله على ما ترَون مُنْ من

(١) الثنان: الماء البارد . (٢) المحلب: العسل . (٣) الأذلة: جم خلال ، وهو مود الذى ينخلل به .

شدة الشفف والكلاف بها ما قدَّرت فيها حراماً فقط ، ولا تقديرى إلا مطاولتها  
ومصابرها إلى أن يمن الله على بثروة فأشترتها .

فأقام معنا شهرين ، ونحن على غاية الاغتياط بقربه ، والسرور بصحبته إلى  
أن اختلس مينا ، فنانا بفراقه نكل مُيضن ، ولوحة مؤللة ، ولم نعرف له منزلًا  
نلقمه فيـه ؟ فـكـدـر علينا من العيش ما كان طاب لنا به ، وقبـحـ عـندـنا ما كان  
حسـنـ بـقـرـبـه ، وجـعـلـنا لا نـرـى سـرـورـاً ولا نـغـمـاً إـلا ذـكـرـنا السـرـورـ بـصـحـبـتـه ، والـفـمـ  
بـفـارـقـتـه ؟ فـكـنـاـ فيـهـ كـاـ قـالـ الشـاعـرـ :

يـذـكـرـنـهـ كـلـ خـيـرـ رـأـيـهـ وـشـرـ فـمـ أـنـكـ مـنـهـ عـلـىـ ذـكـرـ

فـقـابـ عـنـاـ زـهـاءـ عـشـرـ بـيـنـ يـوـمـاًـ ؛ـ فـيـنـاـ نـحـنـ مـجـازـوـنـ يـوـمـاًـ مـنـ الرـصـافـةـ<sup>(١)</sup>ـ إـذـاهـوـ  
قـدـ طـلـعـ فـمـوـكـ نـبـيلـ ،ـ وـزـيـ جـلـيلـ ،ـ فـلـماـ بـصـرـ بـنـاـ اـنـخـطـ مـنـ دـابـتـهـ ،ـ وـانـخـطـ  
غـلـمانـهـ ،ـ ثـمـ قـالـ :ـ يـاـ إـخـوانـيـ ؟ـ وـالـلـهـ مـاهـنـاـ لـيـ عـيـشـ بـعـدـكـ ،ـ وـلـسـتـ أـمـيـطـلـكـمـ عـنـ خـبـرـيـ  
حـتـىـ آـتـيـ لـلـنـزـلـ ،ـ وـلـكـنـ مـيـلـوـ بـنـاـ إـلـىـ الـنـزـلـ ،ـ فـيـنـاـ مـعـهـ ،ـ قـالـ :ـ أـعـرـفـكـمـ أـوـلـاـ  
بـنـفـسـيـ ،ـ أـنـاـ عـبـاسـ<sup>(٢)</sup>ـ بـنـ الـأـحـنـفـ ،ـ وـكـانـ مـنـ خـبـرـيـ بـعـدـكـ أـنـ خـرـجـتـ إـلـىـ  
مـنـزـلـ مـنـ عـنـدـكـ ،ـ فـإـذـاـ الشـرـطـةـ مـحـيـطـةـ بـيـ ،ـ فـمـضـيـ بـيـ إـلـىـ دـارـأـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ ،ـ فـصـرـتـ  
إـلـىـ بـعـيـيـ بـنـ خـالـدـ ،ـ قـالـ لـيـ :ـ وـيـحـكـ يـاـ عـبـاسـ !ـ إـنـاـ اـخـتـرـتـكـ مـنـ ظـرـفـاءـ الشـعـرـاءـ  
لـقـرـبـ مـأـخـذـكـ وـحـسـنـ تـأـنـيـكـ ،ـ وـإـنـ الـذـىـ نـدـبـتـكـ لـهـ مـنـ شـأـنـكـ ،ـ وـقـدـ عـرـفـتـ  
خـطـرـاتـ الـخـلـفـاءـ ،ـ وـإـنـ أـخـبـرـكـ أـنـ مـارـدـةـ هـىـ الـفـالـبـةـ عـلـىـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ الـيـوـمـ ،ـ

(١) الرصافة : محلة بغداد . (٢) كان منشئه بغداد وكان صاحب غزل ، وبشهادة من المتقدمين عمر بن أبي ربيعة ولم يكن يمتحن ولا يهجو . توفي سنة ١٩٢ هـ .

وأنه جرى بينهما عقب ، فهى بذلة المعشوق تأبى أن تعتذر ، وهو بعزم الخلافة وشرف الملك يأبى ذلك ، وقد رمتُ الأمر من قبلهما فأعطيتني ، وهو آخرى أن تستعبده الصيابة ؛ فقل شمراً سهلاً يسهل عليك هذه السبيل .

ثم دعنى إلى أمير المؤمنين فصرتُ إليه ، وأعطيت قرطاساً ودواء ، فاعتراضى الزَّمَعَ<sup>(١)</sup> ، وتذكرت على كل عروض ، ونفرت عن كل قافية ، ثم انفتح لي شيء والرسل تعقبني ، فجاءتني أربعة أبيات رضيتها ، وقعت صحيحة المعنى ، سهلة الأنفاظ ، ملائمة لما طلبَ مني ، قلت لأحد الرسل : أبلغ الوزير أنى قلت أربعة أبيات ، فإن كان بها مقتضى وجهتُ بها ، فرجع إلى الرسولُ بآن هاتها ، ففي أقل منها مقتضى ، وفي ذهاب الرسول ورجوعه قلت بيتبين من غير ذلك الروى ، فككتبُ الأبيات الأربع في صدر الرقة ، وعقبتُ بالبيتين ، فقلت :

العاشقان كلامها متغضبة وكلامها متوجدة متمثّب

صدّت مفاضبة وصدّ مفاضباً وكلامها مما يعالج متّب

راجع أحبتك الذين هجرتهم إنّ المقيم قلماً يتجمّب

دبّ السلوّ له وعزّ المطلب إنّ التجنبَ إنّ تطاول منكما

ثم كتبت تحت ذلك :

لا بد للعاشق من وقفة تكون بين المجر والمصرم

حتى إذا المجر تمادى به راجع من يهوى على رغب

ثم وجهت بالكتاب إلى يحيى بن خالد ، فدفعه إلى الرشيد ، فقال : والله

(١) الزمم : وعدة تأخذ بالإنسان .

ما رأيتُ شعراً أشبهَ بما نحن فيه من هذا ، والله لـكأنّي قُصِّدْتُ به ، فقال له يحيى: وأنت والله يا أمير المؤمنين المقصود به، هذا يقوله العباس بن الأحنف في هذه القصة؟ فلما قرأ البيتين وأفضى إلى قوله : « راجعَ من يهوى على رَغْمٍ »: استغرب ضحكا حتى سمعتُ ضاحكه ، ثم قال : إِنَّ اللَّهَ أَرَاجِعُ عَلَى رَغْمٍ ، يا غلام ؛ هاتِ نعلِي ؛ فنهض وأدھله السرور عن أن يأمرَ لي بشيء ؛ فدعاني يحيى ، وقال: إن شعرك قد وقع بغاية الموافقة ، وأذْهَلَ أميرَ المؤمنين السرورُ عن أن يأمر لك بشيء ؛ ثم جاء غلام فسأره ، فنهض وثبت مكانه ، فنهضت بنهايته ، ثم قال: يا عباس ؟ أمسكتَ أَنْبَلَ الناس ، أتدري ما سارتنَ بي هذا الرسول ؟ قلت : لا ، قال : ذكر لي أن ماردة تلقتَ أميرَ المؤمنين لما علمت بمجيئه ، ثم قالت له: يا أميرَ المؤمنين ؟ كيفَ كان هذا ؟ فناوحاها الشعر ، وقال : هـذا أَنَّى بـي إـليك ، قالت : فمن يقوله ؟ قال : عباس ابن الأحنف ، قالت : فـيمَ كـوفٌ ؟ قال : ما فعلت شيئاً بعد ، قالت : إذن والله لا أجلسُ حتى يـكـافـأـ . قال : فأميرَ المؤمنين قائمٌ تـقـيـامـها ، وأـنـا قـائـمـ لـقـيـامـ أمـيرـ المؤمنـين ، وـهـما يـتـنـاظـرانـ فـيـ صـلـتـكـ ، فـهـذـا كـلـهـ لـكـ . قـلتـ : مـالـى مـنـ هـذـا إـلـا الـصـلـةـ ؟ فقال : هذا أَحـسـنـ منـ شـعـرـكـ . قال : فأـمـرـ لـي أـمـيرـ المؤـمـنـينـ بـمـالـ كـثـيرـ ، وأـمـرـتـ لـي مـارـدـةـ بـمـالـ دـوـنـهـ ، وأـمـرـ لـي الـوـزـيـرـ بـمـالـ دـوـنـ مـاـمـرـتـ بـهـ ، وـجـمـلـتـ عـلـى مـاـ تـرـوـنـ مـنـ الـظـاهـرـ ، ثم قال الوزير : من تمام الـيـدـ عنـدـكـ أـلـاتـخـرـجـ منـ الدـارـ حتـىـ يـكـونـ لـكـ مـنـ هـذـا مـالـ ضـيـاعـ ، فـاشـتـرـيـتـ لـيـ ضـيـاعـ بـعـشـرـ بـنـ أـلـفـ درـهـمـ ، وـدـفـعـ لـيـ بـقـيـةـ المـالـ ، فـهـذـا الـحـبـرـ الـذـيـ عـاقـنـيـ عـنـكـمـ ، فـهـلـمـواـ حـتـىـ أـقـاسـمـكـ الضـيـاعـ وـأـفـرـقـ فـيـكـمـ المـالـ . فـقـلـنـاـ لـهـ: هـنـاكـ اللهـ ، فـكـلـ مـنـاـ يـرـجـعـ إـلـىـ نـعـمـةـ مـنـ أـبـيهـ ، فـأـقـسـمـ وـأـقـسـمـناـ . قال: فـامـضـواـ بـنـاـ إـلـىـ

الجارية حتى نشتريها ، فشيئنا إلى صاحبها ، وكانت جارية جميلة حلوة ، لا تحسن شيئاً ، أكثر ما فيها ظرف السان وتأدية الرسائل ؛ وكانت تساوى على وجهها خسین ومائة دينار ، فلما رأى مولاها ميل المشتري استام بها خمسة مائة ، فأجبناه بالمحب ؛ خطّ مائة ، ثم خطّ مائة ، ثم قال العباس : ياقبيان ، إنّي والله أحتشم أن أقول بعد ما قلت ، ولتكنها حاجة في نفسى ، بهـا يتم سروري ، فإن ساعدم فعلت ، قلنا له : قل ، قال : هذه الجارية أنا أعainها منذ دهر ، وأريد إثارة نفسى بها ، فأكره أن تنظر إلى بعدين من قد ما كـس في ثمنها ، دعوني أعطـه بها خمسة مائة دينار كأسـل ، قلنا له : وإنـه قد خطـ مائـتين . قال : وإنـ فعل . قال : فصادـفت من مولاها رجلا حرـا ، فأخذـ ثلاثة مائـة ، وجـهزـها بالـمـائـتين ، فـا زـالـ إـلـيـناـ مـحـسـنـاـ حتى فـرـقـ الموـتـ يـيـنـنـاـ .

---

## ١٠٨ — لا أحب تخديش وجه الصاحب\*

زعمت العرب أن الشغل رأى حجراً أبيض بين لصبين<sup>(١)</sup> ، فأراد أن يقتال به الأسد ، فأناه ذات يوم ، فقال له : يا أبا الحارث ، الفنية الباردة اشحمة رأيتها بين لصبين ، فكـرـهـتـ أـنـ أـدـنـوـ مـنـهـاـ ،ـ وأـحـبـتـ أـنـ تـتـولـيـ ذـلـكـ أـنـتـ ! فـهـلـ لـأـرـيـكـهـاـ !

فانطلق به حتى جاء به ما إليها ؛ فقال : دونك يا أبا الحارث ! فذهب الأسد ليدخل ، ف Pax به المكان ؛ فقال له الشغل : ادفع برأسك ! فأقبل الأسد يدفع برأسه حتى نشب ، فلم يقدر أن يتقدم ولا أن يتأخر . ثم أقبل الشغل يخندش خوراً<sup>(٢)</sup> ؛ فقال الأسد : ما تصنع يا عالة<sup>(٣)</sup> ؟ قال : أريد لاستنقذك ؛ قال : فمن قبل الرأس إذن ! فقال الشغل : لا أحب تخديش وجه الصاحب !

---

\* بضم الأمثال : ٤ - ١٧١

(١) اللصب : الشعب الصغير في الجبل . (٢) المراد مؤخره . (٣) ثعالة : لقب الشغل .

## \* ١٠٩ - حکومۃ الضب

زعموا أن أربناً التقطرت تمرة؛ فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا يختصمان إلى الضب؛ فقالت الأرنب: يا أبا الحسل<sup>(١)</sup>! قال: «سيما دعوت». قالت: أتيناك لتعتكم إليك. قال: «عادلا حكمتما». قالت: فاخرج إلينا. قال: «في بيته يوم الحكم»، قالت: إنني وجدت تمرة، قال: حلوة فكللها. قالت: فاختلسها الثعلب. قال: «لنفسه بني الخير»، قالت: فلطمته. قال: «بحقك أخذت»، قالت: فلطماني، قال: «حر انتصر»، قالت: فاقض بیننا؟ قال: قد قضيت!

---

\* مجمع الأمثال: ٢ - ١٧

(١) كنية الضب، والحلل: ولد الضب.

## ١١٠ — أعلمك ثلات خصال\*

قالوا : إن رجلا صاد قبرة ؛ فقالت : ما ت يريد أن تصنع بي ؟ قال : أذبحك وأكلك ! قالت : والله ما أشفي من قرم<sup>(١)</sup> ، ولا أشبع من جوع ، ولكنني أعلمك ثلات خصال ؛ هي خبر لك من أكلى : أما الأولى فأعلمك إياها وأنا في يدك ، وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة ؛ وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل .

قال : هاتي الأولى ، قالت : لا تلهمنَّ على مافات ؛ فخلالها ؟ فلما صارت على الشجرة ؛ قال : هاتي الثانية ؛ قالت : لا تصدقنَّ بما لا يكون أنه يكون ، ثم طارت فصارت على الجبل ، قالت : ياشق ؟ لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي درين وزن كل واحدة ثلاثةون متقدلا !

فمضى على يديه وتلهفت تلهفا شديداً ، وقال : هاتي الثالثة ، قالت : قد نسيت الاثنين ، فما تصنع بالثالثة ؟ ألم أقل لك : لا تلهمنَّ على ما فات ! وقد تلهفت ، أو لم أقل لك : لا تصدقنَّ بما لا يكون أنه يكون ! وأنا ولحي ودمي وريشي لا يكون عشرين متقدلا ، فـكيف صدقـتـ أنـ فيـ حـوـصـلـتـيـ درـيـنـ كـلـ وـاحـدةـ منهاـ ثلاثةـونـ متـقدـلاـ ! ثم طارت وذهبت .

---

\* ابن أبي الحديد : ٤ - ٢٧٤

(١) القرم : شدة شهوة المعم .

## ١١١ - مُحِيرُ أُمٌّ عَامِرٍ \*

خرجَ قومٌ إِلَى الصيدِ فِي يَوْمٍ حَارٍ؛ فَإِنَّهُمْ لَكَذَّالُكُمْ؛ إِذَا عَرَضْتُ لَهُمْ لَهُمْ أُمٌّ عَامِرٌ<sup>(١)</sup> - وَهِيَ كُنْيَةُ الضَّبْعِ - فَطَرَدُوهَا؛ فَأَتَعْبَثُهُمْ حَتَّى أَجْلَوْهَا إِلَى خِيَاءِ الْأَعْرَابِيِّ، فَاقْتَحَمُتْهُ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْأَعْرَابِيُّ وَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: صَيْدُنَا وَطَرِيدُنَا؛ قَالَ: كَلَّا؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيدهِ لَا تَصْلُونَ إِلَيْهَا مَا ثَبَّتْ قَائِمٌ سَيْفٌ فِي يَدِي، فَرَجَعُوا وَتَرَكُوهُ، وَقَامَ إِلَى لَقْحَةٍ<sup>(٢)</sup> خَلِبَاهَا، وَمَا فَرَبَ مِنْهَا، فَأَقْبَلَتْ تَلَغُّ مُرَّةً فِي هَذَا مَرْءَةً فِي هَذَا حَتَّى رَوَيْتَ وَاسْتَرَاحَتْ، فَبَيْنَا الْأَعْرَابِيُّ نَائِمٌ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ، إِذَا وَثَبَتْ عَلَيْهِ فَبَقْرَتْ بَطْنَهُ، وَشَرَبَتْ دَمَهُ وَتَرَكَتْهُ ا

فَجَاءَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ يَطْلُبُهُ، فَإِذَا هُوَ فِي قَبْرٍ فِي بَيْتِهِ؛ فَالْتَّفَتَ إِلَى مَوْضِعِ الضَّبْعِ، فَلَمْ يُرَاهَا، قَالَ: صَاحِبِي وَاللَّهُ، فَأَخْذَ قَوْسَهُ وَكَنَاتَهُ وَاتَّبَعَهَا، فَلَمْ يَزُلْ حَتَّى أَدْرَكَهَا فَقَتَلَهَا، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَرْوُفَ مَعَ غَيْرِ أَهْلِهِ يَلْقَى الَّذِي لَاقَ مُحِيرًا أُمَّ عَامِرًا

\* بِحُمَّ الْأَمْنَالِ : ٢ - ٨٢

(١) عَامِرٌ: جَرُوُ الضَّبْعُ، وَأُمٌّ عَامِرٌ: كُنْيَتُهَا.

(٢) الْلَّقْحَةُ: النَّاقَةُ الْمَلْوَبُ التَّزَيِّرَةُ الْبَنُّ، وَلَا يُوْصَفُ بِهِ.

## ١١٢ — كِيفَ أَعَاوِدُكَ وَهَذَا أَثْرٌ فَاسِكٌ ! \*

حَكَىْ أَنَّ أَخْوَيْنَ كَانَا فِي إِبْلِهَا ، فَأَجْدَبَتْ بِلَادُهَا ، وَكَانَ بِالقُرْبِ مِنْهُمَا  
وَادِيْ خَصِيبٌ ، وَفِيهِ حَيَّةٌ تَخْمِيْهُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، قَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخِرَ : يَا فَلَانُ ؟ لَوْ  
أَنِّي أَتَيْتُ هَذَا الْوَادِيَ الْمُكْلَىٰ<sup>(١)</sup> فَرَعَيْتُ فِيهِ إِبْلِيْ وَأَصْلَحْتُهَا ، قَالَ لَهُ أَخْوَهُ :  
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْحَيَّةَ ، أَلَا تَرَى أَنَّ أَحَدًا لَا يَهْبِطُ ذَلِكَ الْوَادِيَ إِلَّا أَهْلَكَتْهُ ؟  
قَالَ : فَوَاللهِ لَأُفْلِمَنَّ ! فَهَبَطَ الْوَادِيَ وَرَعَى بِهِ إِبْلَهُ زَمَانًا .

ثُمَّ إِنَّ الْحَيَّةَ نَهَشَتْهُ فَقْتَلَهُ ، قَالَ أَخُوهُ : وَاللهِ مَا فِي الْحَيَاةِ بَعْدَ أَخِيْ خَيْرٍ ،  
فَلَا طَابُنَّ الْحَيَّةَ وَلَا قَتَلَنَّهَا أَوْ لَا تَبَعَنَّ أَخِيْ ، فَهَبَطَ ذَلِكَ الْوَادِيَ وَطَلَبَ الْحَيَّةَ لِيَقْتَلَهَا ؛  
فَقَالَتِ الْحَيَّةُ : أَلَسْتَ تَرَى أَنِّي قَتَلَتْ أَخَاكَ ؟ فَهَلْ لَكَ فِي الصُّلُحِ فَأَدْعُكَ بِهَذَا  
الْوَادِيِّ تَسْكُونُ فِيهِ وَأَعْطِيَكَ كُلَّ يَوْمٍ دِينَارًاً مَا بَقِيَتْ ؟ قَالَ : أَوْ فَاعْلَمْتَ أَنْتَ ؟  
قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : إِنِّي أَفْعُلُ ، وَحَلَفْتُ لَهَا وَأَعْطَاهَا الْمَوَاتِيقَ لَا يَضُرُّهَا ، وَجَعَلْتُ  
تَعْطِيهِ كُلَّ يَوْمٍ دِينَارًاً ، فَكَثُرَ مَالُهُ حَتَّى صَارَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ حَالًا ، ثُمَّ إِنَّهُ ذَكَرَ  
أَخَاهُ ، قَالَ : كَيْفَ يَنْفَعُنِي الْعِيشُ وَأَنَا أَنْظَرْتُ إِلَيْهِ قَاتِلَ أَخِي ؟ ثُمَّ عَدَ إِلَيْهِ فَاسْ  
فَأَخْذَهَا ؛ ثُمَّ قَعَدَ لَهَا ؛ فَرَرَّتْ بِهِ فَتَبَعَّهَا ، فَضَرَبَهَا فَأَخْطَلَهَا ، وَدَخَلَتِ الْجَهَنَّمَ ،  
وَوَقَعَتِ الْفَأْسُونَ فَوْقَ جَهَنَّمَهَا فَأَثْرَتْ فِيهِ ، فَلَمَّا رَأَتْ مَا فَعَلَ قَطَمَتْ عَنْهُ الدِّينَارَ ؛  
خَافَ الرَّجُلُ شَرَهَا وَنَدَمْ ؛ قَالَ لَهَا : هَلْ لَكَ أَنْ تَنْتَوِيْنِي وَنَعُودُ إِلَى مَا كَنَا عَلَيْهِ ؟  
فَقَالَتْ : « كِيفَ أَعَاوِدُكَ وَهَذَا أَثْرٌ فَاسِكٌ ! »<sup>(٢)</sup>.

\* بِحُمَّ الأَمْتَالِ : ٢ - ٨٢

(١) الْمُكْلَىٰ : الْكَبِيرُ الْكَلَّا . (٢) سَارَتْ مَثَلاً .

\* ١١٣ - حكيم!

لما مات بعضُ الخلفاء ، اختلفت الروم ، واجتمعت ملوكها ؛ فقالوا : الآن يشتعل المسلمون ببعضهم البعض ، فتكمّلنا الغرة<sup>(١)</sup> منهم والوثبة عليهم ، وعقدوا لذلك الشورات ، وترجموا فيه بالمناظرات ، وأجمعوا على أنه فرصة الدهر .

وكان رجل منهم من ذوى العقل والمعرفة غائباً عنهم ، فقالوا : من الحزم عرض الرأى عليه ؟ فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال : لأرى ذلك صواباً ؛ فسألوه عن علة ذلك ؛ فقال : في غير أخبركم .

فلما أصبحوا أنّوإ إليه ، وقالوا : قد وعدتنا أن تخبرنا في هذا اليوم بالرأى فيما عوّلنا عليه ؛ فقال : سمعاً وطاعة ! وأمر بإحضار كلبين عظيمين ، كان قد أعدّهما ؛ ثم حرّش<sup>(٢)</sup> بهما ، وحرّض كل واحد منها على الآخر ؛ فتوابياً وتهارشاً<sup>(٣)</sup> ، حتى سالت دمائهما .

فلا بلغا الغاية ففتح باب بيت عنده ، وأرسل على الكلبين ذئبَاً كان قد أعدّ لذلك ، فلما أبصراه ترك ما كان فيه ، وتألفت قلوبهما ووثبا جيئماً على الذئب فقتلاه .

---

\* المسطروف : ١

(٢) الغرة : الفلة .      (٣) المحرشة : تحريش الكلاب بعضاها على بعض .

فأقبل الرجل على أهل الجمع فقال : مثلُكم مع المسلمين مثلُ هذا  
الذئب مع الكلاب ؟ لا يزال الهرج<sup>(١)</sup> بين المسلمين ما لم يظهر  
لهم عدو من غيرهم ؟ فإذا ظهر تركوا العداوة بينهم ، وتألفوا على  
العدو .

فاستحسنوا قوله ، واستصوبوا رأيه ، واتبعوا مشورته .

---

(١) المرج : الفتنة والاختلاط .

## البَابُ الْخَامِسُ

---

فِي الْقَصَصِ الَّتِي يَعْرَفُ بِهَا مَذَهْبُهُمْ فِي شَيَاطِينِ الشِّعْرِ  
وَأَصْوَاتِ الْجِنِّ فِي الْفِيَافِي ، وَأَحَادِيثِهِمْ عَنِ النَّوْلِ ،  
وَرَؤْيَاةِ مَنْ رَآهَا مِنْهُمْ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مَا يَصُورُ سَعْة  
أَخْيَلَتِهِمْ ، وَسَعِيهِمْ وَرَاءَ الْجَهُولِ بِأَجْنَحَةِ التَّفْكِيرِ  
وَالْتَّصُورِ .

---

## ١١٤ — تأبّط شرًا يقتل الغول\*

قال عمرو بن أبي ععرو الشيباني : نزلت على حمّى من فَهْم ، فسألتهم عن خبر تأبّط شرًا<sup>(١)</sup> ، فقال لي بعضهم : وما سؤالك عنه ؟ أتريد أن تكون لصاً ! قلت : لا ، ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدائيين فأتحدث بها . قلّوا : نُحدّثك بخبره .

إنَّ تأبّط شرًا كان أعدَى ذِي رِجْلَيْنِ وذِي ساقَيْنِ وذِي عَيْنَيْنِ ، وكان إذا جاع لم تقم له قامة ، فكان ينظر إلى الظباء فيُنْتَقِي على نظره أَسْمَاهَا ، ثم يجرى خلفه فلا يفوته حتى يأخذَه فيذبحه بسيفه ، ثم يشويه فيأكله .

وإنما سمي تأبّط شرًا؛ لأنَّ فيما حكى لنا : لقي الغُولَ في ليلة ظلماء في موضع يقال له : رحى بِطَان<sup>(٢)</sup> ، في بلاد هُذَيل ، فأخذت عليه الطريق ، فلم يزل بها حتى قُتِلَها ، وبات عليها . فلما أصبح حلها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه ، قلّوا له : لقد تأبّط شرًا ، وقال في هذا :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ فَتَيَانَ فَهْمٍ بِمَا لَاقِيتُ عَنْدَ رَحَى بِطَانٍ  
وَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الْغُولَ تَهْوِي بِسَهْبٍ<sup>(٣)</sup> كَالصَّحِيفَةِ صَخْصَحَانِ  
فَقَلَّتُ مَا : كِلَانَا نِضُوَّاينَ<sup>(٤)</sup> أَخْوَسَفَرَ فَخَلَّى لِي مَكَانِي

\* الأغاني : ٨ - ٢٠٩ ، معجم البلدان : ٤ - ٢٣١

(١) هو ثابت بن جابر ، وتأبّط شرًا لقبه ، توفي نحو سنة ٨٠ ق.م (٢) رحى بِطَان : موضع هُذَيل . (٣) السهْب : الفلاة ، والصَّخْصَحَان : ما مستوى من الأرض واتساع . (٤) الأَيْنَ : الإعباء والتعب .

فشدت شدَّةَ نحوِي فَاهوَى لِمَا كَفَى بِعَصْوَلِ يَمَانِي  
فَاضْرَبَهَا بِلَا دَهَشَى فَخَرَّتْ صَرِيعًا لِلْبَدِينِ وَلِلْجَرَانِ<sup>(١)</sup>  
فَقَالَتْ: عُدْ قَلْتَ لَهَا: رَوِيدًا<sup>(٢)</sup> مَكَانِكِ! إِنِّي ثَبَتُ أَلْجَنَانِ  
فَلَمْ أَنْكَ مُتَكَبَّرًا عَلَيْهَا لَأَنْظَرَ مُضْبِحًا مَاذَا أَتَانِي  
إِذَا عَيْنَانِ فِي رَأْسِي قَبِيحٌ كَرْأَسِ الْهَرَّ مَشْقُوقِ اللَّسَانِ  
وَسَاقًا مُخْدَجٌ وَشَوَّاً كَلْبٌ<sup>(٣)</sup> وَنَوبٌ مِنْ عَبَاءِ أَوْ شَنَانِ

---

(١) الجران للبعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره . (٢) زعمت العرب أن النول إذ ضربت ضربة واحدة ماتت بها ، فإذا ضربت ضربة أخرى ماتت . (٣) مخدج : ناقص المخلق ، والفوادة : جملة الرأس ، والشنان : جمع شن ، وهو القربة المخلق .

## ١١٥ - رُفِيَّ<sup>(١)</sup> الأعشى\*

قال جَرِير بن عبد الله الْبَجَلِيَّ : سافرتُ فِي الجاهلية فَأقبلتُ عَلَى بَعِير لِيلَةَ أَرِيد أَنْ أَسْتَقِيهُ ، فَحَمَلْتُ أَرِيدَهُ عَلَى أَنْ يَتَقدَّمُ ، فَوَاللهِ مَا يَتَقدَّمُ ، فَقَدِمْتُ فَدَنُوتُ مِنَ الْمَاء وَعَقْلَتُهُ ، ثُمَّ أَتَيْتُ الْمَاء فَإِذَا قَوْمٌ مَشْوَهُونَ عَنْدَ الْمَاء فَقَعَدُتُ .

فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُمْ إِذَا أَتَاهُمْ رَجُلٌ أَشَدُّ تَشْوِيهًـا مِنْهُمْ فَقَالُوا : هَذَا شَاعِرُهُمْ . فَقَالُوا لَهُ : يَا فَلَانٌ ؟ أَنْشَدْتَ هَذَا فَإِنَّهُ ضَيْفٌ ؟ فَأَنْشَدَ :

\* وَدَعْ هَرِيرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ \*

فَلَا وَاللهِ مَا خَرَمَ مِنْهَا بَيْتًا وَاحِدًا ، حَتَّى اتَّهَى إِلَى هَذَا الْبَيْتِ :

تَسْمَعُ لِلْحَلْيِ وَسُوَا سَأَلَ إِذَا انْصَرَفَتْ كَمَا اسْتَعَانَ بِرَبِيعٍ عِشْرِيقٍ زَجْلُ<sup>(٢)</sup>

فَأَعْجَبَ بِهِ . قَلْتُ : مَنْ يَقُولُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ؟ قَالَ : أَنَا . قَلْتُ : لَوْلَا مَا تَقُولُ لَأَخْبَرْتُكَ أَنَّ أَعْشَى بْنَ نَعْلَبَةَ أَنْشَدَنِيهَا عَامًا أَوْلَ بِنْجُرَانَ . قَالَ : فَإِنَّكَ صَادِقٌ ، أَنَا الَّذِي أَقَيْتَهَا عَلَى لِسَانِهِ ، وَأَنَا مِسْتَحَلٌ صَاحِبُهُ ، مَاضِعٌ شِعْرٌ شَاعِرٌ وَضَعُهُ عَنْدَ مَيْمَونَ ابْنَ قَيْسَ !

\* الأغاني : ٩ - ١٥٦

(١) الرئي : الجني . (٢) الوسوس : صوت الحلبي ، والشرق : شجيرة مقدار ذراع ، لها أكمام فيها حب صغار إذا جفت فترت بها الربيع تحرك الحب ، فسمع له خشخشة على الحصى . شبه وسوس حلبيها بصوتته إذا ضربته الربيع . والزجل : رفع الصوت بالطرب ، والزجل بالكسر : صفة منه .

## ١١٦ - هاجس الأعشى\*

قال الأعشى<sup>(١)</sup> : خرجتُ أريدُ قَيْسَ بن مَعْدِيَكَرْبَ بِمَحْضِ رُمُوتَ ، فَضَلَّتُ فِي أَوَانِ أَرْضِ الْيَنْ ؛ لَأَنِّي لَمْ أَكُنْ سَلَكْتُ ذَلِكَ الطَّرِيقَ قَبْلُ ، فَأَصَابَنِي مَطْرَ، فَرَمِيتُ بِبَصَرِي أَطْلَبُ مَكَانًا أَجْلَأَ إِلَيْهِ ، فَوَقَعْتُ عَيْنِي عَلَى خِبَاءٍ<sup>(٢)</sup> مِنْ شَعَرَ ، فَقَصَدْتُ نَحْوَهُ ، وَإِذَا أَنَا بِشِيخٍ عَلَى بَابِ الْخِبَاءِ ، فَسَلَّمَتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَ عَلَيَّ السَّلَامَ ، وَأَدْخَلَ نَاقَتِي خِبَاءً آخَرَ كَانَ بِجَانِبِ الْبَيْتِ ، فَخَطَّطْتُ رَخْلِي وَجَلَستُ ، قَالَ : مَنْ أَنْتُ ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَقْصُدُ ؟ قَلَتْ : أَنَا الْأَعْشَى ، أَفْصَدْ قَيْسَ بن مَعْدِيَكَرْبَ . قَالَ : حَيَاكَ اللَّهُ ! أَظْنَنْتُكَ امْتَدَّ حَتَّى بَشَرَ ؟ قَلَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَنْشِدْنِيهِ ، فَابْتَدَأْتُ مَطْلَعَ الْقَصِيدَةِ :

رَحَّلْتُ سُمَيَّةَ غُدُوَّةَ أَجَالَهَا غَضَبًا عَلَيْكَ فَاتَّقُولُ بَدَالَهَا !  
فَلَمَّا أَنْشَدَهُ هَذَا الْمَطْلَعَ قَالَ : حَسْبُكَ ! أَهْذِهِ الْقَصِيدَةُ لَكَ ؟ قَلَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : مَنْ سُمَيَّةُ الَّتِي تَذَسُّبُ بِهَا ؟ قَلَتْ : لَا أَعْرِفُهَا ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْمُ أَلْقَى فِي رُوعِي<sup>(٣)</sup> ؛ فَنَادَى : يَا سُمَيَّةَ ؟ اخْرُجْ ! ، وَإِذَا جَارِيَةٌ خَاسِيَّةٌ<sup>(٤)</sup> قَدْ خَرَجَتْ ، فَوَقَعْتُ وَقَالَتْ :

\* خزانة الأدب : ٣ - ٥٤٩ (طبعة بولاق) .

(١) هو أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل القيسى من خول شعراء الجاهلية ، وطال عمره حتى كان الإسلام ، فأعاد قصيدة يمدح بها النبي وقصده بالحجارة فلقنه كفار قريش وصادوه عن وجهه على أن يأخذ منهم مائة ناقة حراء ، وبرجم إلى بلده فقتل ، ولما قرب من اليمامة سقط عن ناقته فدقت عنقه ومات . (٢) الجباء من الأبنية : يكون من وبر أو صوف أو شعر .

(٣) الروع : القلب والعقل . (٤) خاسيَّة : طولها خمسة أشبار .

ما تريد يا بنتِ ؟ قال . أنسى عك قصيده التي مدحت بها قيس بن معد يكرب ، ونسبتُ بكِ في أولها ، فاندفتْ تُنشِدُ القصيدة حتى أنت على آخرها لم تخزم منها حرفاً ، فلما أتمتها قال : انصرني ، ثم قال : هل قلت شيئاً غير ذلك ؟ قلت : نعم ، كان يبني وبين ابن عم لي قال له يزيد بن مسهر ، ما يكون بيت بنى الع ، فهجاني وهجوته فأفخمتُه . قال : ماذا قلت فيه ؟ قال : قلت :

ودع هُريرَةَ إِن الرَّكْبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ !  
فَلَمَّا أَنْشَدَهُ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ ، قَالَ : حَسْبُكَ ! مَنْ هُريرَةُ هَذِهِ الْتِي نَسَبْتَ بِهَا ؟  
قَلَتْ : لَا أَعْرِفُهَا وَسَبَبْلَا سَبِيلَ الْتِي قَبْلَهَا ؟ فَنَادَى : يَا هُريرَةَ ؟ فَإِذَا جَارِيَةٌ قَرِيبَةٌ  
السَّنَنَ مِنَ الْأُولَى خَرَجَتْ ، فَقَالَ : أَنْسَى عك قصيده التي هجوت بها يزيد بنَ  
مسهر ، فأنشدتها من أولها إلى آخرها لم تخزم منها حرفاً ، فسقط في يدي وتحيرت  
ونفسقى رغدة .

فَلَمَّا رأى ما نَزَلَ بي قال : لِيُفْرِخْ رَوْعُكَ<sup>(١)</sup> يا بابصير ؟ أَنَا هاجسُكِ مِسْحَلَ  
ابن أثابة ، الذي ألقى على لسانك الشعر .

قال الأعشى : فسكتْ نفسي ورجعت إلى ، وسكن المطر ، فدللت على  
الطريق ، وأراني سمتَ مقصدِي ، وقال : لَا تَعْجَزْ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا حَتَّى تَقِعْ بِبِلَادِ  
قَيْسِ .

---

(١) ليفرخ روتك : ليذهب ربك وفزعك ، فإن الأمر ليس على ما تعاذر .

\* ١١٧ - عبيد بن الأبرص والشجاع

فأخذت قربة من الماء فقلدتها وسلامت سيفي ، فلما رأى قرأت منه سكناً ، وبقيت متوقعاً منه وثبة يبتلعني فيها ، فلما رأى القرية فتح فاه ، فجعلت فم القرية

\* المختار من نوادر الأخبار (خطوط)، الأغاني: ١٩ - ٨٦ ، المستطرف: ١ - ٢٤٤

(١) الشجاع : الذكر من الحيات .

فِيهِ ، وَصَبَبَتُ الْمَاءَ كَمَا يُصَبُّ فِي الْإِنَاءِ . فَلَمَّا فَرَغَتِ الْقَرْبَةِ تَسَيَّبَ فِي لَرْمَلٍ وَمَضَى ؛ فَتَعَجَّبَتِ مِنْ تَرْثُضَهُ لَنَا وَانْصَارَاهُ عَنِّنَا عَنْ غَيْرِ سُوَءٍ لَحْقَنَا ، وَمُضِيَّنَا لِجَنَاحِنَا .

ثُمَّ عَدْنَافٌ طَرِيقَنَا ذَلِكَ ، وَحَطَطْنَا فِي مَنْزِلَنَا ذَلِكَ ، فِي لَيْلَةِ مَظَالِمَةٍ مُذْلَمَةٍ ، فَأَخْذَتِ شَيْئًا مِنَ الْمَاءِ وَعَدَلَتُ إِلَى نَاحِيَةِ الْطَّرِيقِ ، فَأَخْذَتِنِي عَيْنِي ؟ فَنَمَتْ مَكَانِي ؟ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَتِ مِنِ النَّوْمِ لَمْ أَجِدْ لِلْقَافْلَةِ حَسَا ، وَقَدْ ارْتَحَلُوا ، وَبَقِيَتْ مُنْفَرِدًا لَمْ أَرْ أَحَدًا ، وَلَمْ أَهْتَدِ إِلَى مَا أَفْعَلْهُ ، وَأَخْذَتِنِي حِيرَةً ، وَجَعَلَتْ أَضْطَرَبُ ، وَإِذَا بِصَوْتِ هَاقِفٍ أَسْمَعْ صَوْتَهُ وَلَا أُرِيَ شَخْصَهُ يَقُولُ :

يَا إِيَّاهَا الشَّخْصُ الْمُفْسِلُ مُرْكَبُهُ مَا عَنْهُ مِنْ ذِي رَشَادٍ يَصْبِحُهُ  
دُونَكَ هَذَا الْبَكْرُ مِنَا تَرَكْهُ وَبَكْرُكَ الْمِيمُونُ حَقًا تَجْنِبُهُ<sup>(١)</sup>  
حَتَّى إِذَا مَا الْلَيلُ زَالَ غَيْبَهُ<sup>(٢)</sup> عَنِ الصَّبَاحِ فِي الْفَلَّا تَسِيَّبُهُ<sup>(٣)</sup>

فَنَظَرَتِ فَإِذَا بِيَسَّكْرِ قَائِمٌ عَنِّي وَبَكْرِي إِلَى جَانِبِي ، فَأَنْتَهُ وَرَكْبَتِهِ  
وَجَنَبَتْ بَكْرِي ؟ فَلَمَّا سَرَتْ قَدْرُ عَشْرَةِ أَمْيَالٍ لَاحَتْ لِي الْقَافْلَةُ ، وَانْجَرَ الْقَبْرُ ،  
وَوَقَفَ الْبَكْرُ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ حَانَ نَزْوَلِي فَتَحَوَّلَتْ إِلَى الْبَكْرُ ، وَقَلَتْ :

يَا إِيَّاهَا الْبَكْرِ قَدْ أَنْجَيْتَ مِنْ كَرْبَ وَمِنْ هُومٍ تَضَلُّ الدُّلُجُ الْمَادِي  
أَلَا فَخَبَّرْنَيَّ بِاللَّهِ خَالِقِنَا

(١) جَنْبُ الْبَعِيرِ : قَادَهُ إِلَى جَنْبِهِ . (٢) الْفَيْهِبُ : شَدَّةُ سُوَادِ الْلَّيْلِ . (٣) سَبِيلُ الشَّيْءِ : تَرَكْهُ .

وارجع حيـداً فـقد بـلـفـقـنـا مـنـا  
بورـكـتـ منـ ذـي سـنـام رـأـصـ غـادـي  
فـالـفـتـ الـبـكـرـ إـلـىـ ، وـهـوـ يـقـولـ :  
أـنـاـ الشـجـاعـ الـذـيـ أـلـفـيـتـنـيـ رـمـضـاـ  
وـالـلـهـ يـكـشـفـ ضـرـ الـحـائـرـ الصـادـيـ  
خـفـدـتـ بـالـسـاءـ لـمـاـ ضـنـ حـامـلـهـ  
نـصـفـ النـهـارـ عـلـىـ الرـمـضـاـءـ فـالـوـادـيـ  
الـخـيـرـ أـبـقـ وـإـنـ طـالـ الزـمـانـ بـهـ  
وـالـشـرـ أـخـبـثـ مـاـ أـوـعـيـتـ مـنـ زـادـ  
هـذـاـ جـزـأـكـ مـنـاـ لـاـ يـمـنـ بـهـ  
لـكـ الجـيلـ عـلـيـنـاـ إـنـكـ الـبـادـيـ  
فـعـجـبـ الرـشـيدـ مـنـ قـوـلـهـ ، وـأـمـرـ بـالـقـصـةـ وـالـأـبـيـاتـ فـكـتـبـتـ ، وـقـالـ : لـاـ يـضـعـ  
الـمـرـوـفـ أـيـنـ وـضـعـ ا

## ١١٨ — وَمَنْ عَبَدَ لَوْلَا هَبِيدَ \*

قال رَأَوْ :

خرجتُ على بعيرٍ لى صعب يمر لا يُملّكُني من أمر نفسي شيئاً ، حتى مر على جماعةٍ ظباءٍ في سفحِ جبل ، على قُلُّتهِ رجلٌ عليهِ أطْمَارٌ<sup>(١)</sup> ، فلما رأتهُ الظباء هربت ، فقال : ما أردتُ إلى ما صنعت؟ إِنَّكَ لَتُعرَضُونَ بِنَ لَوْ شَاءَ قَدَّعْكُمْ<sup>(٢)</sup> عن ذلك! فداخلي عليه من الغيظ مالم أقدِّرْ أَنْ أَحْلِهِ ، فقلت : إِنْ تَقْعُلْ بِيَ ذَلِكَ لَا أَرْضِيَ لَكَ؟ فضحكَ ، ثم قال : امض - عافاكَ اللهُ - لَبَالِكَ .

بَعْلَتْ أَرْدَدَ البعيرَ في مِرَاعِي الظباءِ ، لَأَغْضُبَهُ ، قَتَّاهُ وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّكَ لَجَلِيدَ الْقَلْبِ؛ ثُمَّ أَتَانِي فَصَاحَ بِبَعِيرِي صِيَحةً، ضَرَبَ بِجِرَانِهِ<sup>(٣)</sup> الْأَرْضَ، وَوَثَبَتَ عَنْهُ إِلَى الْأَرْضِ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ جَانِّ ، فَقُلْتَ : أَيْهَا الشَّيْخُ؛ إِنَّكَ لَأَسْوَأُ مِنِّي صَنِيعًا؛ فَقَالَ : بَلْ أَنْتَ أَظْلَمُ وَأَلَّمُ ، بَدَأْتَ بِالظُّلْمِ ، ثُمَّ لَوَّمْتَ فِي تَرْكَكَ الْمُضِيِّ ، فَقُلْتَ : أَجَلْ! أَعْرَفُ خَطْئِي ، قَالَ : فَادْكُرْ اللَّهَ فَقَدْ رُعْنَاكَ ، وَبَذْكُرْ اللَّهَ تَطمَنَّ الْقُلُوبُ ، فَذَكَرْتَ اللَّهَ تَعَالَى ، ثُمَّ قُلْتَ دَهْشًا : أَتَرْوَى مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ شَيْئًا؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، أَرَوَى وَأَقُولُ قَوْلًا فَاثِقًا مُبَرِّزًا ، فَقُلْتَ : فَأَرَنِي مِنْ قَوْلَكَ مَا أَحْبَبْتَ؟ فَأَنْشَأَ : يَقُولُ

\* الجهرة : ٢٣

(١) الأطمار : جم طمر ، وهو التوبُ للخلق . (٢) قدَعْكُمْ : كفكم ومشكم . (٣) جران البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره .

من آل سُلْمَىٰ وَلَمْ يُلْمِمْ بِيَعْمَادٍ  
فِي سَبَبِ<sup>(١)</sup> ذَاتِ الدَّكَدَاكِ وَأَعْقَادِ<sup>(٢)</sup>  
مِثْلِ الْمَهَأَةِ إِذَا مَا حَمَّا الْحَادِي  
قَوْلًا سَيَّدْهُبُ غَوْرًا بَعْدَ إِنْجَادِ  
إِلَّا وَالْمَوْتُ فِي آنَارِمِ حَادِي  
وَفِي حَيَاتِيَّ مَا زَوَّدَنِي زَادِي  
لَا حَاضِرٌ مُفْلِتٌ مِنْهُ وَلَا بَادِيٌ  
طَافَ الْخِيَالُ عَلَيْنَا لِيَلَّةَ الْوَادِي  
إِنِّي اهْتَدِيتُ إِلَى مَنْ طَالَ لِيَهُمْ  
بِكَلْفَونَ سُرَاهَا كُلَّ يَعْمَلَةِ<sup>(٣)</sup>  
أَبْلَغَنِ أَبَا كَرْبِ<sup>(٤)</sup> عَنِ وَأَسْرَتَهُ  
يَا عَنْرُو؛ مَارَاحَ مِنْ قَوْمٍ وَلَا بَسْكَرَوَا  
لَا عُرْفَنَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ تَنْدُبِنِي  
أَمَا حَمَّامُكَ يَوْمًا أَنْتَ مُدْرَكَهُ  
فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ إِنْشَادِهِ قَلَّتْ : لَهُذَا الشِّعْرُ أَشْهَرُ فِي مَعْدَّ بْنِ عَدْنَانَ مِنْ وَلَدِ الْفَرْسِ  
الْأَبْلَقِ<sup>(٥)</sup> فِي الدَّهْمِ<sup>(٦)</sup> الْعِرَابِ<sup>(٧)</sup> ، هَذَا لَعَيْدَ بْنَ الْأَبْرَصِ الْأَسْدِيٌّ ، قَالَ : وَمَنْ  
عَيْدَ لَوْلَا هَبِيدَ ! قَلَّتْ : وَمَنْ هَبِيدَ ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنَا بْنُ الصَّلَادِمِ أَدْعُى الْهَبِيدَ  
حَبُوتُ التَّوَافِي قَرْمَى<sup>(٨)</sup> أَسَدَ  
عَيْدَا حَبُوتُ بِعَانُورَةَ  
وَأَنْطَقْتُ بِشَرَأَ<sup>(٩)</sup> عَلَى غَيْرِ كَذِ  
وَلَاقَ بِمُدْرَكِ رَهْطَ الْكَمِيَّتِ<sup>(١٠)</sup>  
مَلَادَا عَزِيزًا وَمَجْدًا وَجَدَ  
مَنْحَنَاهُمُ الشِّعْرُ عَنْ قُدْرَةِ  
فَهَلْ تَشَكَّرُ الْيَوْمَ هَذَا مَعَدَ !

قَلَّتْ : أَمَا عَنْ نَفْسِكَ فَقَدْ أَخْبَرْتَنِي ، فَأَخْبَرْنِي عَنْ مُدْرَكَ ، قَالَ : هُوَ مُدْرَكُ  
ابْنُ وَاغْمَ صَاحِبُ الْكَمِيَّتِ ، وَهُوَ بْنُ عَيْدٍ ، وَكَانَ الصَّلَادِمُ وَوَاعِمُ مِنْ أَشْعَرِ الْجَنِّ.

(١) السبب : المفازة. (٢) الدَّكَدَاكُ : أُرْضٌ فِيهَا غَلَظٌ . الأَعْقَادُ : جَمْعُ عَقْدٍ ، مَا نَقْدَدَ مِنْ الرَّمْلِ.

(٣) الْيَعْمَلَةُ : النَّاقَةُ النَّجْبِيَّةُ. (٤) أَبُو كَرْبَ : عُمَرُو بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عُمَرٍو بْنُ حَجْرٍ آكِلُ الْمَرَارِ.

(٥) الْأَبْلَقُ : مَا فِيهِ سَوَادٌ وَبَيْاضٌ . (٦) الدَّهْمُ : السُّودَ . (٧) الْعِرَابُ : الْأَصْلِيَّةُ . (٨) الْقَرْمُ :

الْسَّيْدُ ، وَيَرِيدُ بِقَرْمِيِّ أَسَدِ عَيْدَا وَبِشَرَا فِيهَا مِنْ قَبِيلَةِ أَسَدٍ . (٩) بَشَرَا : هُوَ بَشَرٌ بْنُ أَبِي

خَازِمِ الشَّاعِرِ . (١٠) الْكَمِيَّتُ : هُوَ الْكَمِيَّتُ بْنُ زَيْدِ الْأَسْدِيِّ .

ثم قال : لو أنك أصبحت من لبنِ عندنا ! فقلت : هات ، أريد الأنسَ به ، فذهب  
فأثاني بُعْسٍ<sup>(١)</sup> فيه لبن ظبي ، فكرهته لزُهومته<sup>(٢)</sup> ، فقلت : إليك ! وبججتُ  
ما كان في منه ، فأخذه ثم قال : امض راشداً مصاحباً ، فوليت منصرفاً ،  
صالح بي من خلفي ؛ أما إنك لو شربت ما في العُسِّ لأنْصَبْتُ أشمر قومك .  
قال : فندمت على أنني لم أشرب ما في عُسِّه في جوف على ما كان من زُهومته ،

وأنسأتُ أقول في طريقِي :

أسفت على عُسِّ الهَبِيد وشربه      لقد حَرَّمْنِيه صروف القَادِيرِ  
ولو أنتي إذ ذاك كنتُ شربته      لأنْصَبْتُ في قومي لهم خيرَ شاعر

---

(١) عس : إلقاء . (٢) الزهومة : رائحة غير مقبولة .

\* ١١٩ — لافظ بن لاحظ ! \*

حدث أحد الرواة قال : خرجت في طلب لِقَاح<sup>(١)</sup> لي على فَحْلٍ كأنه فَدَن<sup>(٢)</sup> ،  
يمْرُبِي يسبق الريح ، حتى دفعت إلى خيمة وإذا بفناءها شيخ<sup>\*</sup> كبير ، فسلست فلم يرد  
على ، فقال : من أين ؟ وإلى أين ؟ فاستحققته ؛ إذ بَخْل برد السلام ، وأسرع إلى  
السؤال . قلت : مِنْ هنا ! وأشارت إلى خلفي ، وإلى هنا ! وأشارت إلى أمامي ؛  
قال : أَمَّا مِنْ هَنَا فنعم ، وأَمَّا إِلَى هَنَا فوالله ما أَرَاكَ تبتهج بذلك ، إلا أن يسهل  
عليك مُدَاراة من تَرَدَ عليه ! قلت : وكيف ذلك أَيْهَا الشَّيْخ ؟ قال : لأن الشكل  
غير شَكْلِكَ ، والزَّيْغُونُ غير زَيْكَ ، فضرب قلبي أنه من الجن ، وقلت : أتروى من  
أشعار العرب شيئاً ؟ قال : نعم وأقول ، قلت : فأنشِدْتَني - كالمسْتَهْزِئِ به ! فأنشَدَني  
قول امرى القيس :

قَفَا نَبِيكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٌ وَمَنْزِيلٌ بِسُقْطٍ<sup>(٣)</sup> اللَّوْيَ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٌ  
فَلَمَا فَرَغَ قَلْتَ : لَوْ أَنْ امْرِيَ القيسُ يُنَشِّر لَرَدَاعَكَ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ . فَقَالَ :  
مَاذَا تَقُولُ ؟ قَلْتَ : هَذَا لَامْرِيَ القيسُ ، قَالَ : لَسْتُ أَوْلَى مِنْ كُفِيرٍ نَعْمَةً أَسْدَاهَا !  
قَلْتَ : أَلَا تَسْتَحِي أَيْهَا الشَّيْخُ ، أَمْثَلِ امْرِيَ القيسِ يَقَالُ هَذَا ؟ قَالَ : أَنَا وَالله  
مُنَحَّثُهُ مَا أُعْجِبُكَ مِنْهُ أَقْلَتُ : فَاسْمِكَ ؟ قَالَ : لافظ بن لاحظ ، قلت : اسمان  
منْكَرَانِ ! قَالَ : أَجَلِ ! فَاسْتَحْمَقْتُ نَفْسِي لَهُ ، بَعْدَ مَا اسْتَحْمَقْتُهُ لَهُ ، وَأَنْسَتُ بِهِ

\* الجهرة : ٢٣

(١) اللِّقَاحُ : الإبل . (٢) الفَدَنُ : القصر . (٣) سقط اللوي والدخول وحومل : مواضع بنجد .

لطول محاورتِي إِيَاهُ ، وقد عرفتُ أَنَّهُ مِنَ الْجَنِّ ، فقلتُ لَهُ : مَنْ أَشْعَرُ الْمَرْبُ ؟  
فَأَنْسَأْ بِقُولٍ :

ذَهَبَ ابْنُ حُجْرٍ<sup>(١)</sup> بِالْقَرِيبِنْ وَقُولِهِ      وَلَقَدْ أَجَادَ فَمَا يُعَادُ زِيَادٌ<sup>(٢)</sup>  
لَهُ هَاذِرٌ إِذْ يَجْوَدُ بِقُولِهِ      إِنَّ ابْنَ مَاهِرَ بَعْدَهَا لَجَوَادُ

قلتُ : مِنْ هَاذِرٌ ؟ قَالَ : صَاحِبُ زِيَادَ الدِّيَانِيِّ وَهُوَ أَشْعَرُ الْجَنِّ ، وَأَضْنَاهُمْ بِشِعْرِهِ  
وَلَقَدْ عَلِمْ بَنِيَّةَ لِي قَصِيدَةً لَهُ مِنْ فِيهِ إِلَى أَذْنَاهُ ، ثُمَّ صَرَخَ بِهَا : اخْرُجْ حِلَّ لِكَ  
مَا وَلَدَتْ حَوَاءَ ! قَلْتُ لَهُ : مَا أَنْصَفْتَ أَيْهَا الشَّيْخَ ، قَالَ : مَا قَلْتُ بِأَسَأَ ، ثُمَّ رَجَعَتْ  
إِلَيْ نَفْسِي فَعْرَفْتُ مَا أَرَادَ ، فَسَكَتَ ، ثُمَّ أَنْشَدَنِي الْجَارِيَةُ :

نَاتْ بِسَعَادَ عَنْكَ نَوَى شَطَوْنَ<sup>(٣)</sup>      فَبَاتَتْ وَالْفَوَادُ بِهَا حَزِينٌ  
حَتَّى أَتَتْ عَلَيْ قَوْلِهِ مِنْهَا \* كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ \* قَالَ : لَوْ كَانَ رَأَى  
قَوْمَ نُوحٍ فِيهِ كَرَأَى هَاذِرٌ مَا أَصَابَهُمُ الْفَرْقُ ! لَفَظَتِ الْبَيْتَيْنِ ، ثُمَّ نَهَضَ بِيَ الْفَجْلِ  
فَعَدَتْ إِلَى لَقَاحِي .

---

(١) ابن حجر : أمير القيس .      (٢) زياد : النافعة الديانية .      (٣) شطون : بعيدة .

## ١٢٠ — تابع زهير بن أبي سلمي \*

قال على بن الجهم الترشى : دخلت على الم توكل يوماً ، وهو جالسٌ وحده ، فسلتُ عليه فرد السلام ؛ وأجلسني ، خانت مني الفتاتة ، فرأيتُ الفتحَ بن خاقان<sup>(١)</sup> واقفاً في غير رتبته التي كان يقوم فيها ، متكئاً على سيفه مُطْرِقاً ، فأنكرت حاله ، فكنت إذا نظرت إليه نظر إلى الخليفة ، فإذا صرف وجهي نحو الخليفة أطرق . قال : يا على ، أنكرت شيئاً ؟ قلتُ : نعم يا أمير المؤمنين ! قال : ما هو ؟

قلت : وقوف الفتح في غير رتبته التي كان يقوم فيها !

قال : سوء اختياره أقامه ذلك المقام . قلت : ما السبب يا أمير المؤمنين ؟ قال : خرجت من عند قبيحة<sup>(٢)</sup> آنفًا ، فأسررتُ إليه سراً ، فعادني السرُّ إذ عاد إلى إِلَيَّ ! قلت : لعلك أسررتَه إلى أحد غيره يا أمير المؤمنين ! قال : ما كان هذا ؟ قلت : فعل مُستَقِيمًا استمع عليه كما ! قال : ولا هذا أيضًا .

فأطربت مليئاً ؛ ثم رفعت رأسى ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد وجدت له مما هو فيه مخرجاً ! قال : ما هو ؟ قلت : حدثنا الفضل بن دُكين ، قال أبو الجوزاء : طقت امرأة في نفسي ، وأنا في المسجد ، ثم انصرفت إلى دارى ، فقالت لي امرأة : أطلقتني

\* معجم الأدباء : ١٦ - ١٨٠

(١) هو الفتح بن خاقان بن أحد القائد ، كان في نهاية الذكاء والفصاحة وحسن الأدب ، وكان من أولاد الملوك ، اخذه الم توكل أنا ، وكان يقدمه على جميع أولاده وقتل مع الم توكل سنة ٢٤٧ هـ وهو غير الفتح بن خاقان الأندلسى . (٢) قبيحة : جارية الم توكل .

يا أبا الجوزاء ؟ قلتُ : من أين لك هذا ؟ قالت : خبرتني جاري الأنصارية أقلت : ومنْ خبرها بذلك ؟ قالت : ذكرت أن زوجها خبرها بذلك !

فغدوتُ على ابن عباس فقصصت عليه القصة ؛ فقال : علمت أن وسوان<sup>(١)</sup> الرجل يحدث وسوان الرجل ، فمن هنا يَفشو السر .

قال أبو نعيم : فكان في نفسي من هذا شيء حتى حدثني حمزة الزيات ، قال : خرجت سنة من السنين أريد مكة ، فلما جئتُ في بعض الطريق ضلت راحلتي ، فخرجت أطلبها ، فإذا باثنين قد قبضَا علىَ أحِنَّ حسَّهُما ؛ وأسمع كلامهما ، ولا أرى شخصَهُما ! فأخذناه وجاءا بي إلى شيخ قاعِدٍ على تلعة<sup>(٢)</sup> من الأرض ، حسن الشيبة ؛ فسلمت عليه فرد السلام ؛ فأفرخ<sup>(٣)</sup> روعي ؛ ثم قال : مِنْ أين ؟ وإلى أين ؟ فقلت : من الكوفة أريد مكة .

قال : ولم تختلفَ عن أصحابك ؟ قلتُ : ضلت راحلتي فجئت أطلبها !

فرفع رأسه إلى قوم على رأسه ؛ فقال : زاملة<sup>(٤)</sup> ؛ فأنيخت بين يديه ؛ ثم قال لي : أتقرا القرآن ! قلت : نعم ! قال : هاته ! فقرأت حتى انتهيت إلى هذه الآية : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ؛ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا: أَنْصِتُوا، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَى قومِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ .

قال لي : على رسليك ! تدرى كم كانوا ؟ قلت : اللهم لا ! قال : كنا أربعة ؟

وكنتُ المخاطبَ لهم ، فقلت : « يا قومنا أجيبيوا داعي الله ».

(١) وسوان الرجل : الشيطان الذي يوسر له . والوسوسة : الصوت الخفي والمحمس .

(٢) التلعة : ما ارتفع من الأرض . (٣) الروع : القلب ، وأفرخ : أخرج ما به من خوف .

(٤) منادي معدوف منه حرف النداء ، اسم ناقته .

ثم قال لي : أتقول الشعر ؟ قلت : اللهم لا ! قال : أفترزو به ؟ قلت : نعم !  
قال : هاته ! فأنشدته قصيدة :

أَمِنْ أَمْ أُوفِ دِمْنَةً لَمْ تَكُلْ  
بِحُوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَشَّدَّهُ<sup>(١)</sup>

قال : ملن هذه ؟ قلت : لزهير بن أبي سلمى ! قال : الجنى ؟ قلت : بل  
الإنسى ! مراراً .

فرفع رأسه إلى قوم على رأسه ، فقال : زهير ! فأتى بشيخ كأنه قطعة حم ،  
فأتفق بين يديه ، فقال له : يا زهير ! قال : لبيك ! قال : « أمن أم أوف » ملن ؟  
قال : لى ! قال : هذا حجزة الزيات يذكر أنها لزهير بن أبي سلمى الإنسى ، قال :  
صدق هو ، وصدقت أنت !

قال : وكيف هذا ؟ قال : هو إلني من الإنس ، وأنا تابعه من الجن ، أقول  
الشيء فألقيه في وفهمه ، ويقول الشيء فأخذه عنه ؛ فأنا قاتلها في الجن ، وهو قاتلها  
في الإنس .

قال أبو نعيم : فصدق عندي هذا الحديث حديث أبي الجوزاء إن وسوان  
الرجل يحدث وسوان الرجل ! فمن هنا يفسو السر !

فاستقرغ<sup>(٢)</sup> الم توكل ضحكا ، وقال : إلى يافتح ! فصب عليه خلما<sup>(٣)</sup> ، وحيل  
على شيء من الظهر ، وأمر له بمال ، وأمر لى بدون ما أمر له به .  
فانصرفت إلى منزلي ، وقد شاطرني الفتح ما أخذ ، فصار الأكثار إلى ،  
وال أقل عندـه .

(١) أوف : على حذف مضاف ، أى منازل أم أوف ، والدمنة : ما ينق من أنوار المبار ،  
وحومة الدراج : ماء في طريق البصرة إلى مكة ، والمثلم : موضع أول أرض الصمان . (٢) بذل  
جهده في الفتح . (٣) ما يخلع على الإنسان من الثياب وغيرها .

## ١٢١ — حاتم يقرِّي الضيف بعد موته\*

مرَّ نَفَرٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ بَقْبَرَ حَاتِمَ<sup>(١)</sup> ، فَنَزَلُوا قَرِيبًا مِنْهُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ  
أَبُو الْخَيْرِيَ<sup>(٢)</sup> ، وَجَعَلَ يَرْكَضُ<sup>(٣)</sup> بِرِجْلِهِ قَبْرَهُ ؛ وَيَقُولُ : أَقْرَنَا ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ :  
وَيْلَكَ ! مَا يَدْعُوكَ أَنْ تَعْرُضَ لِرَجُلٍ قَدْ مَاتَ ؟ قَالَ : إِنْ طَيًّا تَرْعَمُ أَنَّهُ مَا نَزَلَ بِهِ  
أَحَدٌ إِلَّا قَرَاهُ ، ثُمَّ أَجْهَمَ اللَّيلَ ، فَنَامُوا .

فَقَامَ أَبُو الْخَيْرِيَ فَزَعًا ، وَهُوَ يَقُولُ : وَارَاحْلَتَاهُ ! فَقَالُوا لَهُ : مَالِكٌ ؟ قَالَ :  
أَتَانِي حَاتِمٌ فِي النَّوْمِ ، وَعَقَرَ نَاقَتِي بِالسِّيفِ ؛ وَأَنَا أَظْلَرُ إِلَيْهَا ، ثُمَّ أَنْشَدَنِي شِعْرًا  
حَفِظْتُهُ ، يَقُولُ فِيهِ :

أَبَا الْخَيْرِيَ <sup>(٤)</sup> ، وَأَنْتَ امْرُؤٌ	ظَلَومُ الْعَشَيْرَةِ شَتَّامُهَا
أَتَيْتَ بِصَحْبِكَ تَبْغِي الْقِرَائِيَ	لَدَى حُفْرَةِ قَدْصَدَتْ <sup>(٥)</sup> هَامُهَا
أَتَبْغِي لِي الدَّمَ عِنْدَ الْبَيْتِ	وَحَوْلَكَ طَىٰ وَأَنْعَامُهَا
فَإِنَّا لَنْشَبُ أَصْيَافِنَا	وَتَأْنِي الْمَطْئِ فَنَعْتَامُهَا <sup>(٦)</sup>

### \* بلوغ الأربع : ١ - ٧٤

(١) هو حاتم بن عبد الله من قبيلة طيء، وهو من أجواد العرب، وله أخبار كثيرة في السخاء مشهورة، حتى جرى ذكره مجرى الأمثال، وكان مع ذلك شاعرًا وشجاعًا، توفي سنة ٥٠٦ هـ.

(٢) قال في القاموس : كأنه ولد بخيير . وبخيير : حصن قرب المدينة . (٣) ركب الرجل ركناً من باب قتل : ضرب برجله . (٤) صدت : صوت . والهامة : طير ترعم العرب أنه يصبح على قبر الميت القتيل ، فلا يفتأينا ينادي بناءه حتى يؤخذ به . (٥) نعثاماها : عتمت الإبل ، واعتمت ، واستعثمت : إذا حلبت عشاء .

قاموا ، وإذا ناقة الرجل تَكُوْس<sup>(١)</sup> عقيراً ، فانتحروها وباتوا يأكلون ،  
وقالوا : قرانا حاتم حيّاً وميتاً !  
وأرددوا صاحبهم ، وانطلقوا سائرين ، وإذا برجل راكب بعيراً وهو يقود  
آخر ، قد لحقه ، وهو يقول : أياكم أبو اخْتِيَرَى ؟ قال الرجل : أنا ! قال : فخذ هذا  
البعير ؟ أنا عدى بن حاتم ؟ جاءني حاتم الْيَوْمَ فِي النَّوْمِ ، وزعم أنه قرأكم بناقتكم  
وأمرني أن أحملك ؛ فشأنك والبعير<sup>(٢)</sup> !  
ودفعه إليهم وانصرف .

---

(١) تَكُوْس : كاس البعير ، مشى على ثلاثة قوائم وهو معرفب . (٢) إلى هذه القصة أشار ابن دارة الفطفاني في قوله يدح عدى بن حاتم :

أبوك أبو سفانة المثير لم يزل  
لدن شب حتى مات في المثير داعيا  
به تضليل الأمثال في الشعر ميتا  
وكان له إذ ذاك حيا مصاحب  
قرى قبره الأضياف إذ نزلوا به

١٢٢ - جَارُ مَالِكٍ بْنِ حَرِيمَ

خرج مالك بن حَرِيم فِي نَفْرٍ مِنْ قَوْمِهِ بِرِيدُون ْعَكَاظ ، فَاصْطادُوا ظُبْيَاً  
وَأَصَابُوهُمْ عَطْشًا شَدِيدًا ، فَانْتَهُوا إِلَى مَوْضِعِ فَقَصَدُوا الظُّبْيَّ ، وَجَعَلُوا يَسْرِبُونَ مِنْ  
دَمِهِ مِنَ الْمَطْشِ ، فَلَمَّا ذَهَبَ دَمُهُ ذَبْحُوهُ ، وَخَرَجُوا فِي طَلْبِ الْحَطْبِ ، وَكَمَّنَ مَالِكَ  
فِي خِبَائِهِ فَأَثَارَ بَعْضُهُمْ شُجَاعًا<sup>(١)</sup> فَأَقْبَلَ مُنْسَابًا حَتَّى دَخَلَ رَحْلَ مَالِكَ ، فَلَادَّ بِهِ ،  
وَأَقْبَلَ الرَّجُلُ فِي أُثْرِهِ ؛ وَقَالَ : يَا مَالِكَ ، اسْتَيقِظْ فَإِنَّ الشُّجَاعَ عَنْدَكَ ؟ فَاسْتَيقِظْ  
مَالِكَ ، وَنَظَرَ إِلَى الشُّجَاعِ ، فَإِذَا هُوَ يَلُوذُ<sup>(٢)</sup> بِهِ ؛ قَالَ لِلرَّجُلِ : عَزَّمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا  
تَرَكْتَهُ ، فَكَفَّ عَنْهُ وَانْسَابَ الشُّجَاعَ إِلَى مَأْمَنِهِ ، وَأَنْشَأَ مَالِكَ يَقُولُ :  
وَأَوْصَانِي الْحَرِيمَ بِعَزِّ الْجَارِيِّ      وَأَمْنَهُ وَلَيْسَ بِهِ امْتِنَاعٌ  
وَأَدْفَعَ ضَيْمَهُ وَأَذْبَثَ عَنْهُ      وَأَمْنَهُ إِذَا مَنَعَ التَّمَاعَ  
ثُمَّ ارْتَحَلُوا وَاسْتَدَّ بَهُمُ الْمَطْشِ ، وَإِذَا بَهَافَ يَهْتَفُ بِهِمْ وَيَقُولُ :  
يَا يَهَا الْقَوْمُ لَا مَاءَ أَمَاسِكَمْ  
حَتَّى تَسْوِمُوا الْمَطَايَا يَوْمَهَا التَّعْبَا  
ثُمَّ اعْدُلُوا شَامَةَ فَلَمَّا هُنَّ كَثُبِّ  
عَيْنَ رَوَاءَ وَمَاءَ يَذْهَبُ الْلَّغْبَا<sup>(٣)</sup>  
حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَمْتُمْ مِنْهُ رَيْكَمْ  
فَاسْقُوا الْمَطَايَا وَمِنْهُ فَامْلَأُوا الْقِرَبَا  
فَعَدُلُوا شَامَةً ، فَإِذَا هُمْ فِي عَيْنِ خَرَّاتَةٍ فِي أَصْلِ جَبَلٍ ، فَشَرَبُوا وَسَقُوا مَا بَلَهُمْ .

\* بلوغ الأربع : ٢ - ٣٦٢

(٢) لاذ به : لَهُ إِلَهٌ . (٣) الشامة : ضد المنة ،

(١) الشجاع : الذكر من الحيات .  
والكث : القرب ، واللقت : التعب .

وَحَمْلَوْرَ يَهُمْ حَتَّى أَنْتُوا عَكَاظَ ، نَمْ أَقْبَلُوا حَتَّى انْتَهُوا إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعَ ، فَلَمْ يَرَا  
شَيْئًا ، وَإِذَا بَهَافَ يَقُولُ :

يَا مَالِ عَنِّي جَزَاكَ اللَّهُ صَاحِحَةً  
مَذَادُ وَدَاعٌ لَكُمْ مِنِّي وَسَلَامُ  
لَا تَرْهَدُنْ فِي اصْطَنَاعِ الْخَيْرِ مَعَ أَهْدِي  
إِنَّ الَّذِي يَحْرُمُ الْمَعْرُوفَ مَحْرُومُ  
مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ مَغْبَثَتَهِ  
مَا عَاشَ ، وَالْكُفْرُ بَعْدَ الْفَبَّ مَذْمُومُ  
أَنَا الشَّجَاعُ الَّذِي أَنْجَيْتَ مِنْ رَهْقِي  
شَكَرْتُ ذَلِكَ إِنَّ الشَّكَرَ مَقْسُومٌ  
ثُمَّ طَلَبُوا الْعَيْنَ فَلَمْ يَجْدُوهَا .

## ١٢٣ - الجن وابن الحمارين\*

كان عبيد بن الحمارين الكلبي رجلاً شجاعاً، وكان نازلاً بالسماوة<sup>(١)</sup>، أيام الربيع، فلما حسرَ الربيع، وقلَّ ماؤه، وأفلعت أنواؤه، تحمل<sup>(٢)</sup> إلى وادي تُبَلَ<sup>(٣)</sup> فرأى روضةً وغديرًا، فقال: روضةً وغديرً وخطب يسير، وأنا لما حويتْ محيرَ.

نزل هناك، وله أمرتان: اسم إحداهما الرَّبَاب، والأخرى خَوَّلة؛ قالت له خَوَّلة:

أرى بلدةً فقراً قليلاً أئسُها وإنَّا لِنَخْشَى - إن دجالَ الليلُ - أهلَها  
وقالت له الرَّبَاب:

أَرَتْكَ بِرَأْيِي ، فاستمعْ عنك قولَها ولا تُثْمِنْ جَنَّ الفَرِيفَ<sup>(٤)</sup> وجهُها  
قالَ محبياً لها:

الْأَسْتُ كِيكَيَا<sup>(٥)</sup> فِي الْحَرُوبِ مُجْرِيَا شجاعاً إِذَا شُبَّتْ لَهُ الْحَرُوبُ بِخَرَبَا<sup>(٦)</sup>  
سَرِيَّا إِلَى الْمَيْجَا<sup>(٧)</sup> إِذَا حَسَ<sup>(٨)</sup> الْوَغْيَ فَأَقْسِمُ لَا أَغْدُو الْفَدَيْرَ مُنْكَبَيَا<sup>(٩)</sup>  
ثُمَّ صَدَعَ إِلَى جَبَلِ تُبَلَ فَرَأَى شَيْهَمَةَ<sup>(١٠)</sup> ، فَرَمَاهَا فَأَقْعَصَهَا<sup>(١١)</sup> ، وَمَعَهَا ولَدَهَا  
فَارْتَبَطَهُ ؛ فَلَمَّا كَانَ اللَّيلَ هَتَّفَ بِهِ هَاتِفَ مِنَ الْجَنِ :

\* بلوغ الأربع: ٢ - ٣٥٥ ، ابن أبي المديد: ٤ - ٤٤٨

- (١) السماوة: بادية قرب الشام. (٢) تحمل: سافر. (٣) تبل: واد على أميال يسيرة من السكوفة، وأعلاه متصل بسماوة كلب. (٤) الفريف: الحلفاء. (٥) الكلبي: الشجاع.
- (٦) المهرب: صاحب الحرب. (٧) الميجة: الحرب. (٨) حس: اشتد وصلب في القتال.
- (٩) نكب: عدل. (١٠) الشيهمة: الأنثى من القنافذ. (١١) أقصها: قتلها مكانها.

بابن الحمار من قد أَسْأَتْ جوارنا  
وركبَتْ صاحبنا بأمر مُفْظِع  
قد عَرَّفَتْ لَقْحَتَهُ<sup>(١)</sup> وقد نَذَرَتْ فصيلها  
والظلمُ فاعلَمَهُ وخيَمَ الْمَرْتَعَ  
شَرًّا يُجْيِيكَ وماله من مَدْفعَ

فلنطِرْقُنْكَ بِالَّذِي أَوْلَيْتَنَا  
بابن الحمار من

فأجابه ابن الحمار من :

أَمْعَنَ دَبِيكَ مَقَالَتِي وَتَسْعَ  
فِيمَا حَوْيَتْ وَحُزْتُهُ مِنْ مَطْعَنَ

يَا مَدْعَى ظُلْمِي ، وَلَسْتُ بِظَالِمٍ  
لَا تَطْعَمُوا فِيمَا لَدَيْ فَالَّكَمَ

فأجابه الجنى :

قَدْ جَاءَكَ الْمَوْتُ وَوَافَاكَ الْأَجْلُ  
فَالْيَوْمَ أَفْوَيْتُ<sup>(٤)</sup> وَأَعْيَتُكَ الْحِيَلَ

يَا ضَارِبَ الْلَّقْحَةِ<sup>(٢)</sup> بِالْعَضْبِ الْأَفَلِ<sup>(٣)</sup>  
وَسَاقُكَ الْحَدِينَ إِلَى جِنَّتِ الْبَلَ

فأجابه ابن الحمار من :

مَسْتَعِنُ مِنِي قَدْ قُلْتَ أَنْتَ أَنْطَلَلْ  
هِيجَتْ قِمَقَاماً<sup>(٥)</sup> مِنِ الْقَوْمِ بَطَلْ  
لَيْثَ لَيْوَثُ ، وَإِذَا هُمْ فَعَلَلْ

يَا صَاحِبَ الْلَّقْحَةِ هَلْ أَنْتَ بِجَلْ  
وَكَثْرَةِ الْمَنْطَقِ فِي الْحَرْبِ فَشَلْ

مِنْ كَانَ بِالْعَقْوَةِ<sup>(٦)</sup> مِنْ جِنَّتِ الْبَلَ

فَسَمِعَهَا شِيخُ مِنِ الْجِنِّ ؟ قَالَ : لَا وَاللهِ لَا نَرَى قَتَلَ إِنْسَانَ مِثْلَ هَذَا ، ثَابَتِ  
الْقَلْبُ ، مَاضِيَ الْعَزِيزَةِ ! قَامَ ذَلِكَ الشِّيخُ فَأَنْشَدَ :

(١) اللَّقْحَةُ : الدَّاقَةُ . (٢) الْعَضْبُ : السَّبِيلُ . (٣) الْأَفَلُ : الشَّلْمُ . (٤) أَقْوَى : افْتَرَ .

(٥) الْقِمَقَامُ : السَّبِيلُ . (٦) الْعَقْوَةُ : الْمَحَلَّةُ .

فأصبت منهَا مَشِرَّبًا ومناما  
وأسأت لَمَّا أُنْ نَطَقَتْ كلاما  
إِنَّا نَرِى لَكَ حِرْمَانَةً وَذِي مَامَا  
فَلَقِدْ أَصْبَتْ بِعَا فَعْلَتْ أَثَاماً<sup>(١)</sup>

يابن الْمَهَارَسِ قَدْ نَزَلَتْ بِلَادَنَا  
فَبِدَأْنَا ظَلَّمًا بِقَرْ لُقْوَخْنَا  
فَاعْمَدْ لِأَمْرِ الرَّشْدِ وَاجْتَنَبَ الرَّدِي  
وَاغْرَمْ اصْاحَبَنَا لَقْوَحًا مُتَبَعًا

فَاجْهِهِ ابْنُ الْحَمَارِسِ :

إلى لا كرهه أن أصيـبـ أناـماـ  
جـثـتـ الـبـلـادـ وـلـاـ أـرـيدـ مـقـاماـ  
لـأـرـيـحـ فـيـهـ ظـهـرـنـاـ أـيـامـاـ  
مـاـدـسـأـلـتـ وـلـاـ نـزـاهـ غـرـاماـ

الله يعلم حيث يرفع عرشه  
أما أدعاؤك ما أدعيمت فلأنني  
فأسئل (٢) فيما مالنا ونزاها  
فلليهد صاحبكم علينا نعطفه

تم غرم للجن لقوحاً مقبعاً<sup>(٣)</sup>.

(١) الأنام: الإمام . (٢) أسام الملا : أرقاء . والمال ( هنا ) : الإبل . (٣) قال ابن أبي الحديد بعد إيراده هذه القصة في شرح نهج البلاغة : وهذه الحكمة وإن كانت كذباً إلا أنها تتضمن أدباء وهي من طرائف أحاديث العرب فذكرناها لأدبهما ولإماعها .

## ١٢٤ — حارس مال ابن الخشَرَمْ \*

خرج نجِيح اليَزَبُوعِي يوماً إلى الصيد ، فعرض له حارُ وَخْشِي فاتِّبِعه ، حتى دفع إلى أَكْمَة ، فإذا هو بِرَجُل أَعْنَى أَسْوَد قاعِد فِي أَطْمَارِ<sup>(١)</sup> ، بين يديه ذَهْب وَفَضَّة وَدُرْ وَيَاقُوت . فَدَنَا مِنْهُ نَجِيح ؛ فَتَنَاهُ مِنْهَا بَعْضَهَا ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَمْرِكَ يَدَهُ حَتَّى أَقْتَاهَا ؛ فَقَالَ : يَا هَذَا ؟ مَا الَّذِي بَيْنَ يَدِيكَ ؟ وَكَيْفَ تَسْتَطِعُ حَلَّهُ ؟ أَلَّا كَهُوَ أَمْ لِيْرِكَ فَإِنِّي أَعْجَبُ مَا أَرَى ، أَجَوَادُ أَنْتَ فَتَجُودُ لَنَا ، أَمْ بَخِيلٌ فَأَغْذِرُكَ ؟ فَقَالَ الْأَعْمَى : كَيْفَ تَطْلُبُ مَالَ رَجُلٍ قَدْ غَابَ مِنْذَ سَنْتَيْنِ ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ خَشَرَمْ ، فَأُنْتِي بَسْعَدٍ يَعْطُكَ مَا تَشَاءُ .

فَانْطَلَقَ نَجِيحٌ مُسْرِعاً ، قَدْ اسْتَطَيْرَ فُؤَادَهُ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَحَلَّتِهِ<sup>(٢)</sup> ، وَدَخَلَ خِبَائِهِ ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ ، وَنَامَ لَمَّا بَهِ مِنَ النَّفَرِ ؛ لَا يَدْرِي مَنْ سَعْدٌ !

فَأَتَاهُ فِي مَنَامِهِ آتٌ ؛ فَقَالَ لَهُ : يَا نَجِيحٌ ؛ إِنَّ سَعْدَ بْنَ خَشَرَمَ فِي حَيِّ مُحَمَّمٍ مِنْ وَلَدِ ذُهْلَ بْنِ شِيبَانٍ ؛ نَفَرَ وَسَأَلَ عَنْ بَنِي مُحَمَّمٍ ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ خَشَرَمَ ، فَإِذَا هُوَ بِشِيفَخٍ قاعِدٌ عَلَى بَابِ خِبَائِهِ ، فَخَيَّاهُ نَجِيحٌ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ نَجِيحٌ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : خَشَرَمَ بْنَ شَمَاسَ . قَالَ : وَأَيْنَ أَبْنُكَ ؟ قَالَ : خَرَجَ فِي طَلَبِ نَجِيحِ اليَزَبُوعِي ؟

\* المحسن والأضداد : ٦٩

(١) الأطمار : الملابس البالية . (٢) المحلة : منزل القوم ..

وذلك أن آتياً أتاها في منامه ، خدته أن مالاً له في نواحي بني يربوع لا يعلم به إلا نجيح ، فضرب نجح بطن فرسه ، وهو يقول :

أَبْطَلْنِي مَنْ قَدْ عَنِي أَنِي طَلَابُهُ فِي الْيَتَمِّ أَلْقَاكَ سَعْدَ بْنَ خَشْرَمَ  
 أَتَيْتَ بْنَ يَرْبُوعَ تَبْغِي لِقَاءَنَا وَقَدْ جَثَتْ كَ أَلْقَاكَ حَىَ مُحَمَّدَ  
 فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَحَلَّهُ اسْتَقْبَلَ سَعْدًا ، قَالَ لَهُ : أَيْهَا الرَّاكِبُ ؟ هَلْ لَقِيتَ سَعْدًا فِي  
 بْنَ يَرْبُوعَ ؟ قَالَ : أَنَا سَعْدٌ ؛ فَهَلْ تَدْلُّنِي عَلَى نُجُوحٍ ؟ قَالَ : أَنَا نُجُوحٌ ! وَحْدَتِهِ  
 بِالْحَدِيثِ ؛ ثُمَّ قَالَ : الدَّالُ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلُهُ .

فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان ؟ فتوارى الرجل الأعمى حيز، أبصرها ، وترك  
المال ، فأخذه سعد كله ، فقال له نجيح : يا سعد ؟ قاسمي ، فقال له : اطو عن مال  
كشحًا ! وأبى أن يعطيه شيئاً ، فانتفض نجيح سيفه ، وجعل يضربه ، حتى برد ؛  
فلا وقع قتيلاً تحول الرجل الحافظ للمال سعيداً<sup>(١)</sup> ، وأعاد المال إلى مكانه ؛ فلما  
رأى نجيح ذلك ولّ هارباً إلى قومه !

(١) السعلة : الغول أو ساحرة الجن .

## ١٢٥ — في موت أمية بن أبي الصلت\*

لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أخذ أمية بننتيه وهراب بها إلى أقصى اليمن، ثم عاد إلى الطائف، فبينما هو يشرب مع إخوان له في قصر غيلان هناك إذ سقط غراب على شرفة في القصر، فنَعَّبَ نَعْبَةً؛ فقال أمية: بفيك الكشك<sup>(١)</sup>! فقال أصحابه: ما يقول؟ قال: إنك إذا شربت الكأس التي يدلك ميت. فقات: بفيك الكشك، ثم نعب نعْبَةً أخرى، فقال أمية نحو ذلك، فقال أصحابه: ما يقول؟ قال: زعم أنه يقع على هذه المزبلة<sup>(٢)</sup> أسفل القصر، فيستثير عظماً فيتلعه فيشجى به فيموت، فقلت نحو ذلك. فوقع الغراب على المزبلة، فأثار العظم، فشجى به فمات.

فانكسر أمية، ووضع الكأس من يده، وتغير لونه، فقال له أصحابه: ما أكثر ما سمعنا به مثل هذا وكان باطلًا! ثم ألحوا عليه حتى شرب الكأس فقال وأغمي عليه، ثم أفاق، ثم قال: لا بريء فأعتذر، ولا قوي فاتضر، ثم خرجت نفسه.

---

\* الأغاني: ٤ - ١٣٣

(١) الكشك: التراب. (٢) موضع السرجين.

١٢٦ - فِي بَحْرِ الْخَزَّارِ \*

قال ميمون الآمدي : ركبت بحر الخزر أريد بلاداً حتى إذا ما كنت منه غير بعيد لحجج <sup>(١)</sup> مركينا ، فاستيقنه ريح الشمال شهراً في اللجة ، ثم انكسر بنا ، فوقعت أنا ورجل من قريش إلى جزيرة في البحر ليس بها أنيس .

جعلنا نطوف حتى أشرنا على هؤلاء ، وإذا بشيخ مستند إلى شجرة عظيمة ،  
فلا رأنا تتحسّش <sup>(٢)</sup> وأنا في إلينا فجزعنا منه ، ثم دنونا نحوه ، وقلنا : السلام  
عليك أيها الشيخ ! قال : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فأنسنا به ، فقال :  
ما خطبكم ؟ فأخبرناه ، فضحك وقال : ما وطى هذا الموضع أحد من ولد آدم  
قط ، فمن أنت يا قلتني : من العرب ، قال : بابي وأمّي العرب ، فمن أيّها ؟ قلت :  
أما أنا فرجل من خزاعة ، وأما صاحبي فمن قريش . قال : بابي قريش وأمّهدا  
قال : يا أبا خزاعة ، هل تدرى من القائل :  
كأن لم يكن بين المحبون <sup>(٣)</sup> إلى الصنّا أئس ولم يسمّ بمكة سامر  
بل نحن كُننا أهلنا فبادنا صروف اليسالي والجدود العوائز  
قلت : نعم ، ذلك الحارث بن مضاطن الجرهمي . قال : ذلك مؤديها ، وأنا

٢٦ : \*

(١) لجت السفينة : خاضت الموجة . ولجة البحر : معظمها .  
(٢) تحشش : تحرّك ، أناف : أشرف . (٣) المخون : جيل عنك ومقربة .

قائلها في الحرب التي كانت بينكم عشر خُزاعة وبين جُرمهم .

يا أخا قريش ؟ أَوْلِد عبد المطلب بن هاشم ؟ قلت : أين يذهب بك ، رحلك الله ، فرَبَا وعظم وقال : أرى زماناً قد تقارب إباناه ، أَفَوْلِد ابنه عبد الله ؟ قلنا : وأين يذهب بك ، إنك لتسألنا مسألةً كان في الموق .

قال : فتزايد ، ثم قال : فابنه محمد الهاجري ؟ قلت : هيئات ! مات رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعين سنة .

فشهق حتى ظننا أن نفسه قد خرجت ، وانخفض حتى صار كالفرخ وأنسا يقول :

ولرب راج حيل دون رجائه ومؤمل ذهبت به الآمال

ثم جعل ينوح ويبكي ، حتى بل دمعه لحيته ، فبكينا لبكائه ، ثم قال : ويحکما ! فمن ولى الأمر بعده ؟ قلنا : أبو بكر الصديق ، وهو رجل من خير أصحابه . قال : ثم من ؟ قلنا : عمر بن الخطاب ، قال : أفن قومه ؟ قلنا : نعم . قال : أما إن العرب لا تزال بخير ما فعلت ذلك !

١٢٧ - نجى<sup>(١)</sup> سواد بن قارب\*

وفدَ سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ عَلَى عَمْرٍ بْنِ الْخَطَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَسُلِّمَ عَلَيْهِ فِرْدَالسَّلَامُ،  
قَالَ عَمْرٌ: يَا سَوَادٍ! قَالَ: لَبِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! قَالَ: مَا بَقَىَ مِنْ كَهَانَتِكَ؟  
فَفَضَّبَ ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! مَا أَظْنَكَ اسْتَقْبَلْتَ بِهَذَا الْكَلَامِ غَيْرِي؟ فَلَمَّا  
رَأَى عَمْرٌ الْكَراْهِيَّةَ فِي وِجْهِهِ قَالَ: يَا سَوَادٍ؛ إِنَّ الَّذِي كَنَّا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ  
الْأُوتَانِ أَعْظَمُ مِنَ الْكَهَانَةِ، خَدْثَنِي بِمَحْدِيثٍ كَنْتُ أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ.

قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يَدِنِمُ أَنَا فِي إِبْلٍ بِالسَّرَّاءِ، وَكَانَ لِي نَجْىٌ مِنَ الْجَنِّ؛  
إِذَا أَتَانِي فِي لَيْلَةٍ وَأَنَا كَالنَّائِمِ، فَرَأَيْتُ كَصْنِي بِرِجْلِهِ، ثُمَّ قَالَ: قَمْ يَا سَوَادٍ، فَقَدْ ظَهَرَ  
بِتَهَامَةِ نَبِيٍّ يَدْعُ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ، قَاتَ: تَنْحَى عَنِّي فَإِنِّي نَاعِسٌ؛  
فَوَلَّتْ عَنِّي وَهُوَ يَقُولُ:

عَجِيبٌ لِلْجَنِّ وَتَطْلَاهُا	وَشَدَّهَا الْعِيسَى بِأَكْوَارِهَا <sup>(٢)</sup>
تَهُوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْمَهْدِيَّ	مَا مُؤْمِنُو الْجَنِّ كَكُفَّارِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفَوَّةِ مِنْ هَاشِمَ	بَيْنَ رَوَابِيهَا وَأَحْجَارِهَا

نَمْ لَمَّا كَانَ فِي الْلَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ أَتَانِي، قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ الْقَوْلِ، قَلَّتْ: تَنْحَى عَنِّي  
فَإِنِّي نَاعِسٌ، فَوَلَّتْ عَنِّي وَهُوَ يَقُولُ:

عَجِيبٌ لِلْجَنِّ وَتَخْبَارِهَا	وَشَدَّهَا الْعِيسَى بِأَقْتَابِهَا <sup>(٣)</sup>
----------------------------------	--

\* بلوغ الأربع: ٢ - ٣٠٣ ، الجمرة: ٢٥

(١) النجى: من يلقى بالقول السر . (٢) الأكوار: جمع كور، وهو الرجل. (٣) الأقتاب: جم قتب، وهو ما يوجد على سنان البعير .

تَهُوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْمَدِيْ ما مُؤْمِنُو الْجَنْ كَفَارُهَا

فَأَرْحَلْ إِلَى الصَّفَوَةِ مِنْ هَاشِمَ لَيْسَ قَدَامًا هَا كَادْنَابِهَا

ثُمَّ أَتَانِي فِي الْلَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَلْتَ: إِنِّي نَاعِسٌ، فَوَلَى عَنِ

وَهُوَ يَقُولُ:

عَجِبْتُ لِلْجَنْ وَلِإِيجَاصِهَا<sup>(١)</sup> وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَحْلَاسِهَا<sup>(٢)</sup>

تَهُوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْمَدِيْ ما مُؤْمِنُو الْجَنْ كَأَنْجَاصِهَا

فَأَرْحَلْ إِلَى الصَّفَوَةِ مِنْ هَاشِمَ وَاسْمُ بَعِينِيكَ إِلَى رَأْسِهَا

قَالَ سَوَادُ: فَلَمَّا أَصْبَحْتَ يَا أَمْيَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرْسَلْتُ لِنَاقَةً مِنْ أَبْلِي، فَشَدَّتْ عَلَيْهَا، وَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمْتُ وَبَأْيَتُ، وَأَنْشَأْتُ أَقْوَلُ:

أَتَانِي نَجِيٌّ بَعْدَ هَذِهِ<sup>(٣)</sup> وَرَقْدَةٌ

ثَلَاثٌ لِيَالٌ قَوْلُهُ كُلُّ لِيَلَةٍ

فَشَمَرْتُ عَنْ ذِيلِي إِلَازَرٍ وَأَرْقَلَتْ<sup>(٤)</sup>

فَأَشَهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَارْبٌ غَيْرُهُ

وَأَنَّكَ أَدْنِي لِلْمُرْسَلِينَ وَسِيلَةٌ

(١) أوجس: وقع في نفسه الموف . (٢) الملمس: كساء وقيق يكون تحت البردعة بغيرلة المرشحة . (٣) المده: السكون . (٤) أرقلت: أسرعت . (٥) الذعلب: الناقة السريعة، شبهت بالذعلبة وهي النعامة اسرعاتها (السان مادة ذعلب ) ، والوجناء : الشديدة . والسباس، جمع سبب : المفازة .

فِرْنَى بِمَا أُحِبَّتْ يَا خَيْرَ مُرْسَلِ  
وَإِنْ كَانَ فِيهَا قَلْتَ شَيْبُ الدَّوَابِ  
وَكَنْ لَى شَفِيًّا يَوْمًا لَا ذُو شَفَاعَةٍ  
بِعِنْ فَتِيلًا عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ  
فَرَحَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَصْحَابُهُ بِمَقَالَتِي فَرَحًا شَدِيدًا حَتَّى رُفِيَ الْفَرَحُ فِي وِجْهِهِمْ؛  
فَوَثَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ فَالْتَّزَمَهُ، وَقَالَ: قَدْ كُنْتَ أَحَبَّ أَنْ أَسْمَعَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْكَ،  
فَهَلْ يَأْتِيكَ رَبِيعُ الْيَوْمِ؟ قَالَ: مِنْذْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَلَا، وَنَعَمُ الْوَضْعُ كِتَابُ اللَّهِ  
تَعَالَى مِنَ الْجُنُونِ!

---

•

## ١٢٨ — ليلي الأخيلية على قبر توبه\*

مرأة ليلي الأخيلية<sup>(١)</sup> مع زوجها بقبر توبه بن الحمير ، قال لها : هذا قبر  
الكذاب الذي قال :

ولو أنَّ ليلى الأخيلية سلمتْ علىَ ودوني جندلْ وصفائحْ  
لسكتْ نسليمَ البشاشةِ أو زقاً إلَيْها صدَّى من جانب القبرِ صائحْ  
قالتْ : دعه ، قال : أقسمتُ عليكِ إلا مادنوتِ منه فسلمتُ عليهِ فأبَتْ ،  
فكدر عليها ذلك ، فلما تقدَّمتَ إلى القبر ، وقالتْ : السلام عليك يا توبه ، طار من  
جانب القبر طائرٌ كان هناك ، وزقاً ونفر منه جمل ليلي ، فوقعت من أعلىه فاندَّقتْ  
عنقها وماتت من وفتها !

---

\* ديوان الصباية : ١٨٤

(١) هي ليل بنت عبد الله من بني الأخيل بن عامر ، من النساء المقدمات في الشعر ، وكان توبه  
بن الحمير يهواها ، وقال فيها الشعر الكثير ثم تزوجها ، توفيت سنة ٨٠ هـ .

## ١٢٩ — جان يختطف فتاة\*

حدث زياد بن النضر الحارني قال : كنا على غَدِيرٍ لناف الجاهلية ، ومعنا رجلٌ من الحَيَّ يقال له : عمرو بن مالك ، معه بنية له شابة ، على ظهرها ذُوابة ، فقال لها أبوها : خذى هذه الصَّحْفَة ، ثم اثنى الغدير ، فخيثينا بشيء من مائة .

فانطلقت فوافقها عليه جان فاختطفها ، فذهب بها ؛ فلما قدرناها نادى أبوها في الحَيَّ ، نخرجنا على كل صعب وذلول<sup>(١)</sup> ، وقدرنا كل شِعْبٍ<sup>(٢)</sup> ونَقْبٍ ، فلم نجد لها أثراً ؛ ومضت على ذلك السنون ، حتى كان زمن عمر بن الخطاب ، فإذا هي قد جاءت ، وقد عفأ<sup>(٣)</sup> شعرها وأظفارها ، وتغيرت حالمها ، فقال لها أبوها : أى بنية ؟ أنى كنت ؟ وقام إليها يقبلها ، وبسم ريحها ، فقالت : يا أبا ؛ أتدكر ليلة الغدير ؟ قال : نعم ! قالت : فإنه وافقني عليه جان ، فاختطفني ، فذهب بي ، فلم أزل فيهم ، حتى إذا كان الآن غزا هو وأهله قوماً مشركون ، أو غزاهم قوم مشركون ، فجعل الله تبارك وتعالى نذراً إما هم ظفروا بعدهم أني عنتني ويردّني إلى أهل ظفروا ؛ فحملني فأصبحت عندكم ، وقد جعل بيني وبينه أمارة ، إن احتجت إليه أن أولئك بصوتي ، فإنه يحضرني .

\* المتنق من أخبار الأصمى : ١٣

(١) الصعب : الجبل الصهى ، والذلول : الجبل المادى<sup>\*</sup> . (٢) الشعب : الطريق في الجبل ، وسبيل الماء في بطن أرض ، أو ما انفرج بين الجبلين . (٣) عفا شعرها : كثرو طال .

فأخذ أبوها من شعرها وأظافرها ، وأصلح من شأنها ، وزوجها رجلاً من أهله ؛  
فوقع بينها وبينه ذات يوم ما يقع بين المرأة وبعلها فغيرها ، وقال : يا بجنونة !  
والله ، إن نشأتِ إلا في الجنة .

فصاحت وولدت بأعلى صوتها ، فإذا هاتف يهتف : يامعشر بنى الحارث ؟  
اجتمعوا وكونوا حيَا كراماً ، فاجتمعنا قتلنا : ما أنت - رحمك الله ؟ فإننا نسمع  
صوتاً ولا نرى شخصاً ! فقال : أنا رب <sup>(١)</sup> فلانة ، رعيتها في الجاهلية بحسبي ؛  
وصنعتها في الإسلام بديني ، والله إن نلت منها محراً مهماً قط ! واستغاثت في هذا  
الوقت ، فحضرت فسألتها عن أمرها ، فزعمت أن زوجها غيرها بأنها كانت فيها ،  
ووالله ، لو كنت تقدمت إليه لفكت عينيه ! قتلنا : يا عبد الله ؟ لك الحباء والجزاء  
والكافأة ! فقال : ذلك إليه (يعنى الزوج) !

قامت إليه عجوز من الحي ، قالت : أسألك عن شيء ؟ قال : سلي إقالت :  
إن لي بنية أصابتها حَصْبَة <sup>(٢)</sup> ، فقمزق رأسها ، وقد أخذتها حُمَّى الربَّع <sup>(٣)</sup> ؛ فهل لها  
من دواء ؟ قال : نعم ! اعدي إلى ذباب الماء الطويل القوائم الذي يكون على  
أفواه الأنهر ، فخذ منه واحدة ، فاجعليها في سبعة ألوان عهن <sup>(٤)</sup> ، من أصفرها  
وأحمرها وأخضرها وأسودها ، وأبيضها وأكحلها وأزرقها ، ثم اقتل ذلك الصوف  
بأنطاف أصابعك ، ثم اعديه على عضליך ؛ ففعلت أمها ذلك ، فكأنما نشطت  
من عقال !

---

(١) رب : كافل . (٢) الحصبة : بذ يخرج بالجسد . (٣) الربع في الحي : أن تأخذ يوماً  
وتدع يومين ، ثم تجيء في اليوم الرابع . (٤) العهن : الصوف .

## \* ١٣٠ — لا بقاء للإنسان \*

لبس سليمان<sup>(١)</sup> بن عبد الملك يوم الجمعة في ولايته لباساً شهير به، ونطر ودعا  
بفتح<sup>(٢)</sup> فيه عائم، وبهذه مرأة، فلم يزل يعمّ بوحدة بعد أخرى حتى رضى  
بووحدة منها، فأرخي من سدولها، وأخذ بيده مخضرة<sup>(٣)</sup>، وعلا المنبر ناظراً في  
عطفيه، وجمع جمهه، وخطب خطبته التي أرادها، فأعجبته نفسه، فقال : أنا الملك  
الشاب ، السيد المُهاب ، السَّكِيرِ الْوَهَاب ، فتمثّلت له جارية من بعض جواريه ،  
قال لها : كيف ترين أمير المؤمنين ؟ قالت : أراه مُفْي النفس ، وقرة العين ، لو لا  
ما قال الشاعر ! قال : وما قال الشاعر ؟ قالت :

أنت نم المتع لو كنْتَ تَبْقَى      غير أن لا بقاء للإنسان  
أنت من لا يرينا منك شئ      علم الله - غير أنك فان

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكيًا ، فلما فرغ من خطبه وصلاته دعا  
بالجارية ، فقال لها : ما دعاك إلى ما قلت لأمير المؤمنين ؟ قالت : والله ما رأيت  
أمير المؤمنين اليوم ، ولا دخلت عليه ؟ فأكرب ذلك ، ودعا بقيمة جواريه ،  
فصدقتها في قوله ، فراع ذلك سليمان ، ولم ينتفع بنفسه ، ولم يكث بعد ذلك إلا  
مدةً حتى توفى .

\* مروج الذهب : ١ - ١٦٣ \*

(١) سليمان بن عبد الملك من خلفاءبني أمية ، كانت أيامه أيام فتح وغزو وكان فصيحاً بلينا ،  
إلا أنه كان نهما ، توفي سنة ٩٦ هـ . (٢) التخت : وعاء تصان فيه النيلاب . (٣) المخضرة :  
ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها ، وما يأخذه الملك يشير به إذا خطب ، والخطيب إذا خطب .

## ١٣١ — الغَرِيْض يَتَلَقّى غَنَاءَهُ عَنِ الْجَنْ \*

قال مولى لآل الغَرِيْض (١) :

حدَثَنِي بعْضُ مَوْلَيَاٰتِي وَقَدْ ذَكَرَنَّ الغَرِيْض فَتَرَحَّبَ عَلَيْهِ وَقَالَ : جَاءَنَا يَوْمًا  
يَحْدُثُنَا بِحَدِيثِ أُنْسَكَرْ نَاهٌ عَلَيْهِ ، ثُمَّ عَرَفْنَا بَعْدَ ذَلِكَ حَقِيقَتَهُ ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ  
وَجَهًا صَفِيرًا وَكَبِيرًا ، وَكَنَا نَلْقَى مِنَ النَّاسِ عَنَتًا بِسَبِيلِهِ ، وَكَانَ ابْنُ سُرَيْجٍ فِي  
جَوَارِنَا فَدَفَعْنَا إِلَيْهِ فَلَقِنََ الْفَنَاءَ ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْنًا فَقَنَ أَهْلَمَكَةَ  
بِحُسْنَنِ وَجْهِهِ مَعَ حُسْنِ صَوْتِهِ ؛ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ابْنُ سُرَيْجٍ نَحْمَاهُ عَنْهُ ، وَكَانَتْ بَعْضُ  
مَوْلَيَاٰتِهِ تَلَمَّهُ التَّبَاحَةَ ، فَبَرَزَ فِيهَا ، نَجَاءَنِي يَوْمًا فَقَالَ : هَذِهِ الْجَنَّ أَنْ أَنْوَحَ ،  
وَأَسْمَعْنِي صَوْنًا عَجِيبًا ، فَقَدْ ابْتَنَيْتُ عَلَيْهِ لَهْنًا فَاسْمَعْيَهُ مِنِّي ، وَانْدَفَعَ فَقِنِي بِصَوْتٍ عَجِيبٍ  
فِي شِعْرِ الْمَرَّارِ الْأَسْدِيِّ :

حَلَفْتُ لَهَا بِاللهِ مَا بَيْنَ ذَيِّ النَّفَاضَةِ وَهُضُبِ القَنَانِ (٢) مِنْ عَوَانٍ وَلَا بِكُنْ  
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ دَلَّا وَمَا نَرَى بِهِ عِنْدَ لَئِلَى مِنْ ثَوَابٍ وَلَا أَجْرٍ  
فَكَذَّبَنَا وَقَلَّا : شَيْءٌ فَكَرَّ فِيهِ وَأَخْرَجَهُ عَلَى هَذَا اللَّهُنَّ ، فَكَانَ فِي كُلِّ يَوْمٍ  
يَأْتِينَا فِي قُولٍ : سَمِعْتُ الْبَارِحةَ صَوْنًا مِنَ الْجَنِ بِتَرْجِيعٍ وَتَقطِيعٍ قَدْ بَنَيْتَ عَلَيْهِ صَوْتَ  
كَذَا وَكَذَا بِشِعْرٍ فَلَانَ ، فَلَمْ يَزِلْ عَلَى ذَلِكَ وَنَحْنُ نُشْكِرُ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَا لَكَذَلِكَ لَيْلَةٍ

وقد اجتمع جماعةٌ من نساء أهل مكة في جمعٍ سَرَّنا فيه ليلتنا ، والغريض يفينا  
بشرع بن أبي ربيعة :

أَمِنْ أَلْ زِينْبُ جَدَ الْبُكُورُ      نَعَمْ فَلَائِيْ هَوَا هَا تَصِيرُ

إذ سمعنا في بعض الليل عَزِيزاً عَجِيباً وأصواتاً مُخْتَلِفةً ذُعرتَنا وأفزعتنا ، فقال لنا  
الغريض : إن في هذه الأصوات صوتاً إذا نمت سمعته ، وأصبح فابني عليه غنائي ،  
فاصْبَحْنَا إِلَيْهِ ، فإذا نمت نعمة الغريض بعيتها ، فصدقناه تلك الليلة .

## ١٣٢ — شيطان أبي نواس\*

قال رَزِينُ الْكَاتِبُ : اجتمعنا يوْمًا أَنَا وَأَبُو نواس<sup>(١)</sup> وَعَلَى بْنِ الْخَلِيلِ فِي سُوقِ الْكَرْنَخِ<sup>(٢)</sup> ، وَكُنَّا نُجْتَمِعُ وَنُتَنَشِّدُ الْأَشْعَارَ وَنَتَذَاكِرُ الْأَخْبَارَ وَنَتَحَدَّثُ بِهَا ، قَالَ أَبُو نواس : أَدْبَرَ مَنْ كَانَ فِي نَفْسِي ، وَكَانَ أَسْرَعَ الْمُلْقِي فِي طَاعَتِي ؟ فَفَاءَ أَدْرِي مَا أَحْتَالَ لَهُ ؟ قَالَ عَلَى بْنُ الْخَلِيلِ يَمَارِحُهُ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ؟ سَلْ شِيخَكَ وَأَسْتَاذَكَ يُعْظِّمُهُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ لِهِ أَبُو نواس : مَنْ تَعْنِي ؟ قَالَ : مَنْ أَنْتَ فِي طَاعَتِهِ لِيَكَ وَنَهَارَكَ - يَعْنِي إِبْلِيسَ ، فَإِنْ لَمْ يَقْضِ لَكَ هَذِهِ الْحاجَةَ ، فَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَسْأَلَ مَسَأَلَةً ، وَلَا أَنْ تُقْرِئَ عَيْنَهُ بِعَصْيَةٍ . قَالَ : هُوَ أَسْدُ رَأْيِي مِنْ أَنْ يُخْلِّي بِأَوْيَانِهِ لِيَ - وَاقْضَى مُجْلِسَنَا ذَلِكَ .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَامٍ اجْتَمَعْنَا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، وَأَخْذَنَا فِي أَحَادِيثِنَا ، فَضَحَّكَ أَبُو نواس ، قَلَّنَا لَهُ : مَا أَضْحَكْتَكَ ؟ قَالَ : ذَكَرْتُ قَوْلَ عَلَى بْنِ الْخَلِيلِ يَوْمَئِذٍ : سَلْ شِيخَكَ يَعْطِفُهُ عَلَيْكَ ، حِينَئِذٍ قَدْ سَأَلْتُهُ يَا أَبَا الْحَسْنِ ، فَقَفَى الْحاجَةُ ، وَمَا مَضَتْ وَاللَّهُ ثَالِثٌ حَتَّى أَتَانِي مِنْ غَيْرِ أَنْ أَبْعَثَ إِلَيْهِ وَمِنْ غَيْرِ أَنْ أَسْتَزِيرَهُ ، فَعَابَنِي وَاسْتَرْضَانِي ، وَكَانَ الغَضَبُ مِنِي وَالْتَّجْنِي ، وَأَحْسَبَ الشَّيْخَ - يَعْنِي إِبْلِيسَ -

\* عصر المؤمنون : ٣ - ٢٣٣

(١) هو الحسن بن هاني، رحل إلى بغداد، واتصل فيها بالختلفاء من بنى العباس، وهو أول من نهج للشعر طريقته المضطربة، وأخرج من اللهجـة البدوية، توفي سنة ١٩٢ م .  
(٢) من أسواق بغداد .

كان يتسمّ عليناً في وقت كلامنا ، وقد قلتُ أبیاتاً في ذلك ؟ فقلنا : هاتـها ،  
فأنشدـه :

لـما جـفـانـي الحـبـيـبـ وـامـتـنـعـتـ  
وـاشـتـدـ شـوـقـ فـكـادـ يـقـتـلـني  
ذـكـرـ حـبـيـبيـ وـالـمـمـ وـالـفـكـرـ  
دـعـوتـ إـبـلـيـسـ ثـمـ قـلـتـ لـهـ  
فـي خـلـوةـ وـالـدـمـوـعـ تـنـحـدـرـ :  
أـفـرـحـ جـفـنـيـ الـبـكـاءـ وـالـسـهـرـ  
أـمـاـتـرـىـ كـيـفـ قـدـ بـلـيـتـ وـقـدـ  
صـدـرـ حـبـيـبيـ وـأـنـتـ مـقـنـدـرـ  
وـلـاـ جـرـىـ فـيـ مـفـاصـلـيـ السـكـرـ<sup>(١)</sup>  
حـتـىـ أـنـاـيـ الحـبـيـبـ يـعـذـرـ  
عـنـدـيـ لـإـبـلـيـسـ مـاـ لـهـ خـطـرـ

---

(١) السـكـرـ : السـكـرـ .

## ١٣٣ — إبليس في ضيافة إبراهيم الموصلي \*

قال إبراهيم بن إسحاق الموصلى :

سألتُ الرشيد<sup>(١)</sup> أن يهبَ لى يوماً في الجمعة لا يبعثُ فيه إلى بوجهه ولا بسبب  
لأخلو فيه بجواري وإخوانى ، فأذن لي في يوم السبت ، وقال لي : هو يوم  
أنستِّقله ، قاله فيه بما شئت ؛ فاقت يوم السبت بمنزلى ، وتقدمتُ في إصلاح  
طعامى وشرابى بما احتجت إليه ، وأمرت بوابى فأغلق الأبواب ، وتقدمت<sup>(٢)</sup>  
إليه ألا يأذن على أحد .

فيينا أنا في مجلسى والخدم قد حفوا بي وجوارى يترددن بين يدى ، إذا أنا  
 بشيخ ذى هيئة وجمال ، عليه قيسان ناعمان وخفاف قصيران ، وعلى رأسه قلنوسوة  
 لاطنة<sup>(٣)</sup> ، ويده كازة مفعمة بفضة ، ورواحم المسك تفوح منه حتى ملا  
 البيت والدار ، فداخلنى بدخوله على مع ما تقدمت فيه - غيط مانداخلى قط مثله ،  
 وهمت بطرد بوابى ومن حجبنى لأجله ، فسلم على أحسن سلام ؛ فرددت عليه ،  
 وأمرته بالجلوس خلس ، ثم أخذت فى أحاديث الناس وأ أيام العرب وأحاديثها  
 وأشعارها حتى سلى مابى من الغضب ، وظننت أن غلامى تحرروا مسرتى يأذن لهم  
 مثله على لأدبه وظرفه .

(\*) الأغانى : ٥ - ٢٣١ ، ذيل زهر الآداب : ٢٦٤

(١) أعظم خلفاء بني العباس ، وأكبرهم شأنًا ، كان محافظاً كثير الجماد وافر المطاء . توفى سنة ١٩٣ . (٢) تقدمت إليه : أمرته . (٣) الاطنة : فلسفة صغيرة تلزق بالرأس .

قالتُ : هل لك في الطعام ، فقال : لا حاجةَ لي فيه ، قلت : هل لك في الشراب ، فقال : ذلك إليك ، فشربتُ رطلاً وستقيطُه مثله ، فقال لي : يا أبا إسحاق ؟ هل لك أن تُنْفِنَا لنا شيئاً من صنعتك وما قد نَفَقْتَ<sup>(١)</sup> به عند الخاص والعام ؟ فما ذكرني قوله ، ثم سهَّلتُ على نفسي أمره ، فأخذتُ العود فجسسته ثم ضربت فننتي ، فقال : أحسنت يا إبراهيم ! فازداد غبظاً وقلت : مارضى بما فعله من دخوله على بغير إذن واقتراحته أن أغتنيه حتى سمااني ولم يُكَنِّي ولم يجعل مخاطبي ! ثم قال : هل لك أن تزيدنا ؟ فتذممت<sup>(٢)</sup> فأخذتُ العود فننتي ، فقال : أَجَدْتَ يا أبا إسحاق ! فَأَتَمَ حتي نـكـافـيـكـ وـنـفـيـكـ ، فأخذت العود وتعنيت وتحفظت وقتُ بما غنته إياه قياماً تماماً ما تحفظت مثله ، ولا قلت بفباء كاـفـتـ بـهـ لـهـ بـيـنـ يـدـيـ خليفة قطٌ ولا غيره ، لقوله لي : أـكـافـكـ ، فطرِب وقال : أحسنت يا سيدي ، ثم قال : أنا ذن لبعنك بالغباء ؟ قلت : شأنك ، واستضفت عقله في أن يغتصب بحضورني بعد ما سمعه مني ، فأخذ العود وجسه فوالله لَخَلْتُه ينطق بلسانِ عربي لِحْسُنِي ماسمعته من صوته ثم تَفَنَّى :

ولَيْ كَبِدْ مَقْرُوحةً مَنْ يَبِيعُنِي	بِهَا كَبِدَا لِيَسْتَ بِذَاتِ قُرُوحِ
أَبَاهَا عَلَى النَّاسِ لَا يَشْتَرُونَهَا	وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلْمَةَ بِصَحِيحِ
أَئِنَّ مِن الشَّوْقِ الَّذِي فِي جَوَانِي	أَئِنَّ غَصِيصَ بِالشَّرَابِ جَرِحَ

قال إبراهيم : فوالله لقد ظننتُ الحيطانَ والأبوابَ وكلَّ ما في البيت يجميه

(١) نَفَقْتَ : يرمي سار ذكرك به . (٢) تذمِّم الرجل : استنكف ، ويقال : لو لم أترك الكذب تأْمِّعاً لتركته تذمماً .

وَيَقْتُلُنِي مَعَهُ مِنْ حُسْنِ غَنَائِهِ ، حَتَّىٰ خِلَاتُ وَاللَّهُ أَنِّي أَسْمَعُ أَعْضَائِي وَيَبْلُو بِهِ  
وَبَقِيتُ مَبْهُوتًا لَا أُسْتَطِعُ الْكَلَامَ وَلَا الْجَوابَ وَلَا الْحَرْكَةَ لِمَا خَالَطَ قَلْبِي ،  
ثُمَّ غَنَى :

أَلَا يَا حَمَّاتِ اللَّوَىٰ عُدْنَ عَوَدَةَ فَإِنِّي إِلَى أَصْوَاتِكُنَّ حَزِينٌ  
فَعُدْنَ فَلَمَّا عُدْنَ كَدِنْ يُعْتَنِي وَكَدِتُ بِأَسْرَارِي لَهُنْ أَيْنَ  
دَعَوْنَ بَرَّ زَادَ الْهَدِيرَ كَأَنَّهَا سُقِينَ حَمِيًّا أَوْ بَهْنَ جُنُونُ  
فَلَمَّا تَرَ عَيْنِي مُثْلِهِنْ حَانِهَا بَكِينَ وَلَمْ تَتَمَعَ لَهُنْ عَيْنُونُ  
فَكَادَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، عَقْلِي أَنْ يَذَهِبَ طَرْبَاً وَارْتِيَاحًا لَمَا سَمِعْتُ ، ثُمَّ غَنَى :  
أَلَا يَا صَبَا نَجِدِي مَتِي هِيجَتْ مِنْ نَجِيدِ  
لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكَ وَجَدَّا عَلَى وَجَدِ  
أَنَّ هَفْتَنَ وَرْقَاءِهِ رَوْنَقَ الصَّبَاجَا<sup>(١)</sup>  
عَلَى فَتَنَ غَضَّ النَّبَاتَ مِنَ الرَّنْدِ<sup>(٢)</sup>  
بَكِيتَ كَاهْبَكَى الحَزِينُ صَبَابَةَ  
وَذَبَتَ مِنَ الْحَزَنِ الْمُبَرِّحُ وَالْجَهَدُ  
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْحَبَّ إِذَا دَنَا  
يُمَلِّ وَأَنَّ النَّاىِ يَشْفِي مِنَ الْوَجَدِ  
بَكْلَى تَداوِيَنَا فَلَمْ يُشْفَ مَا بَنَا  
عَلَى أَنَّ قَرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبَعْدِ  
عَلَى أَنَّ قَرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ  
ثُمَّ قَالَ : يَا إِبْرَاهِيمُ : هَذَا الْفَنَاءُ نَفْذَهُ وَانْحِنُوهُ فِي غَنَائِكَ وَعَلَمْهُ جَوَارِيكَ ،  
قَاتَ : أَعِدْهُ عَلَىَّ ، فَقَالَ : لَسْتَ تَحْتَاجُ ، قَدْ أَخْذَتَهُ وَفَرَغْتَ مِنْهُ ، ثُمَّ غَابَ مِنْ  
بَيْنِ يَدِيَّ فَارْتَمَتُ وَقْتَ إِلَى السِّيفِ بِفَرَدَتِهِ ، وَعَدْتُ نَحْوَ أَبْوَابِ الْحَرَمِ فَوَجَدْتُهَا  
مُفْلِقَةً ، فَقَلَتُ لِلْجَوَارِيِّ : أَئِ شَيْءٌ سَمِعْتَنِي ؟ قَلَنِ : سَمِعْنَا أَحْسَنَ غَنَاءً

(١) رَوْنَقَ الصَّبَاجَا : حَسَنَهُ وَإِشْرَاقَهُ . (٢) الرَّنْدُ : شَجَرٌ طَيْبٌ الرَّائِحةِ .

مِيعَ قَطَّ ، نَفَرْجَتُ مُتَحِبِّراً إِلَى بَابِ الدَّارِ ، فَوَجَدْتَهُ مُفْلِقاً ؛ فَسَأَلْتُ الْبَوَّابَ عَنِ الشَّيْخِ . قَالَ لِي : أَى شَيْخٍ هُوَ ؟ وَاللَّهِ مَا دَخَلَ إِلَيْكَ الْيَوْمَ أَحَدٌ ، فَرَجَعْتُ لَا تَأْمُلُ أَمْرِي ، فَإِذَا هُوَ قَدْ هَفَّ بِي مِنْ بَعْضِ جُوانِبِ الْبَيْتِ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ يَا أَبَا إِسْحَاقِ ! أَنَا إِبْلِيسٌ وَأَنَا كُنْتُ جَلِيسَكَ وَنَدِيلَكَ الْيَوْمَ ، فَلَا تُرْعِزْ .

فَرَكِبْتُ إِلَى الرَّشِيدِ وَقَلْتُ : لَا أَطْرُفَهُ أَبْدَا بَطْرُوفَةٍ مِثْلَ هَذِهِ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ خَدْنَتَهُ بِالْحَدِيثِ ، قَالَ : وَيْحَكَ ! تَأْمُلْ هَذِهِ الْأَصْوَاتَ ، هَلْ أَخْذَتَهَا ؟ فَأَخْذَتُ الْعُودَ أَمْتَحَنَهَا ، فَإِذَا هِيَ رَاسِخَةٌ فِي صَدْرِي كَأَنَّهَا لَمْ تَزُلْ ، فَطَرَبَ الرَّشِيدَ وَجَلَسَ يَشْرُبُ وَلَمْ يَكُنْ عَزَمٌ عَلَى الشَّرَابِ ، وَأَمْرَلَيْ بَصْلَةً وَمُحْلَانَ وَقَالَ : الشَّيْخُ كَانَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ لَكَ مِنْ أَنْكَ أَخْذَتَهَا وَفَرَغْتَ مِنْهَا ، فَلَيْتَهُ أَمْتَعَنَا بِنَفْسِهِ يَوْمًا وَاحِدًا كَمْ أَنْتَمْكَ !

---

## ١٣٤ — دعبدل بن علي ورجل من الجن\*

قال دعبدل<sup>(١)</sup> بن عليَّ : لما هربتُ من الخليفة بنت ليلةً بنيسابور وحدي ، وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة ؟ فإنني لفي ذلك ؟ إذ سمعتُ - والباب مروودٌ على - من يقول : السلام عليكم ورحمة الله ، انجِّير حُكْمَ الله ، فاقشعرَ بدني من ذلك ، ونالني أمرٌ عظيم ، فقال لي : لا تُرْغِب ، عافاك الله ، فإني رجل من إخوانك من الجن من ساكني اليمن ، طرأ علينا طارىٌ من أهل العراق ، فأنشدَنا قصيتك :

مدارس آيات خلت من تلاوةٍ ومنزل وحيٍّ مُقْنِفٍ العَرَصَاتِ  
فأحييتُ أن أسمها منك . قال : فأنشدته إليها ، فبكى حتى خرَّ ، ثم قال :  
رَحِمَكَ الله ، ألا أحدِّثُكَ حدثياً يزيد في نيتك ، ويعينك على التمسُّك بمذهبك ؟  
قلت : بلى ، قال : مكثتُ حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمد ، فصرت إلى المدينة  
فسمعته يقول : حدثني أبي عن أبيه عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« على شيعةهم الفائزون » ، ثم ودعني لينصرف ، قلت له : يرحمك الله ، إن  
رأيت أن تخبرني باسمك فافعل ، فقال : أنا ظبيان بن عامر !

---

\* الأغاني : ٢ - ٣٩

(١) شاعر مطبوع مجاه خبيث اللسان ، لم يسلم منه أحد من الخلقاء ولا وزرائهم ولا أولادهم ولا ذي نباهة أحسن إليه ألم لم يحسن ، توفي سنة ٢٤٦ هـ.



## البَابُ لِسَادِهِنْ

---

فِي الْقُصُصِ الَّتِي تَسْرُدُ بارِعَ الْمَلْحِ الَّتِي أَثْرَتْ  
عَنِ الْحَقِّ وَالْجَانِبِينَ، وَتَفَصِّلُ رَوَايَةَ النَّوَادِرِ الَّتِي فَاضَتْ بِهَا  
قِرَائِبُ الْطَّفَلِيَّيْنِ وَالْمُتَبَيَّنِيَّنِ ، وَمَا يُشَبِّهُ ذَلِكَ مَا فِيهِ رَاحَةُ  
النُّفُوسِ ، وَنِشَاطُ الْخَوَاطِرِ .

## ١٣٥ — أَنْفُكْ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعَ \*

دفع الريبع بن كعب المازني فرساً كان قد أبْرَأَ<sup>(١)</sup> على الخليلِ كرماً وجودة  
إلى أخيه كميش ليأتى به أهله ، وكان كميش مشهوراً بالحق ، وقد كان رجل من  
بني مالك يقال له : قرداد بن جرم ، قدم على أصحاب الفروس ؛ ليصيب منهم غررة  
فيأخذها ، وكان داهية ؛ فكث فيهم مقىها ؛ لا يعرفون نسبة ، ولا يظهرون هو .  
فلما نظر إلى كميش راكبا الفرس ركب ناقته ، ثم عارضه<sup>(٢)</sup> ، فقال :  
يا كميش ؟ هل لك في عائنة<sup>(٣)</sup> لم أو مثلها سمنا ولا عظاماً ، وعيير<sup>(٤)</sup> فيها الذهب ؟  
فاما الأتن فتروح بها إلى أهلك ، فتملاً قدورهم وتفرج صدورهم ؛ وأما العير  
فلا افتقار بعده !

قال له كميش : وكيف لنا به ؟ قال : أنا لك به ، وليس يدرك إلا على فرسك  
هذا ، ولا يرى إلا بنيل ، ولا يراه غيري !

قال كميش : فدعونـك ! قال : نعم ، وأمسـك أنت راحتـي .

فركب قرداد الفرس ، وقال : انتظـنى في هذا لـكـانـ إلى هذه السـاعـةـ منـ غـدـ.

قال : نـعـمـ !

ومضـىـ قـرـادـ ؟ فـلـمـ تـوارـىـ أـشـأـ يـقـولـ :

ضـيـعـتـ فـىـ العـيرـ ضـلـالـاـ مـهـرـكـاـ لـقـطـمـ الـحـىـ جـيـعـاـ عـيـرـكـاـ

\* بـعـمـ الـأـمـثـالـ : ٢ - ٢٢٦

(١) أـبـرـ عـلـىـ أـصـحـابـهـ : عـلـامـ . (٢) عـارـضـهـ : سـارـ حـيـالـهـ . (٣) الـعـائـنـةـ : القـطـيـعـ منـ حـرـ الـوـحـشـ .

(٤) العـيرـ : الـقـافـةـ تـحـمـلـ الـبـرـةـ .

فسوف تأتى بالملوان أهْلَكَا (١) وقبل هذا ما خدعتُ الأُنْوَكَا  
 فلم يزل كميش ينتظر حتى أتته من عَدِيه وجاء . فلما لم يَرْ له أثراً انصرف  
 إلى أهله ، وقال في نفسه : إن سألهني أخي عن الفرس ، قلت : تحولَ ناقةً !  
 فلما رأه الربيعُ عرف أنه خُدع عن الفرس ؟ فقال له : أين الفرس ؟ قال : تحولَ  
 ناقةً ! قال : فافعل السرج ؟ قال : لم أذْكُر السرج فأطلب له عِلْمَةً !  
 فصرعه الربيع ليقتلها ؛ فقال له قنفذ بن جَعْوَنة : اللهُ عَمَا فاتك ، فإنْ أُنْفَكَتْ  
 منك وإنْ كانَ أَجْدَعَ (٢) !

وقدم قراد بن جرم على أهله بالفرس ، وقال في ذلك :  
 يوْمَ عِرَا مِنْ نُصَارَى وَعَسْجَدَ فَهُلْ كَانَ لِي فِي غَيْرِ ذَلِكَ مَطْعَمٌ  
 وَقَلَّتْ لَهُ أَمْسِكٌ قَلْوَصٌ <sup>(٣)</sup> وَلَا تَرِيمٌ <sup>(٤)</sup> خِدَاعًا لَهُ إِذْ ذُو الْمَكَابِدِ يَخْدَعُ  
 فَأَصْبَحَ يَرْمَى الْخَاقِينَ بَطَرِفَةً <sup>(٥)</sup> وَأَصْبَحَ تَحْنَتِي ذُو أَفَانِينَ <sup>(٦)</sup> جُرْشُمُ

(١) أنوك : أحق . (٢) صارت مثلاً : يضرب لمن يلزمك خيره وشره ، وإن كان ليس يستخدم  
القرب . (٣) القلوس من الإبل : الشابة . (٤) لاترم : لاتبرح . (٥) الأفانين : جم أفنان ،  
وأفنان جم فن ، وهو الحصلة من الشعر ، يقول : إنه ذو خصل من الشعر في ناصيته وذنبه  
(٦) البرشم : العظيم من الجيل .

## ١٣٦ — أبو رافع لا يَكْذِبُ في نَوْمٍ وَلَا يَقْنَطُهُ \*

حَكَىْ أَنَّ امْرَأَةَ أَبِي رَافِعٍ<sup>(١)</sup> رَأَتْهُ فِي نَوْمٍ بَعْدَ مَوْتِهِ، قَالَ لَهَا: أَتَعْرِفُنِي  
فَلَا تَأْتِي الصَّيْرَفَ<sup>(٢)</sup>? قَالَتْ لَهُ: نَمْ، قَالَ: فَإِنَّ لِي عَلَيْهِ مائِيَّةَ دِينَارٍ.  
فَلَمَّا انتَهَتِ غَدَّةُ إِلَى الصَّيْرَفِ فَأَخْبَرَهُ، وَسَأَلَتْهُ عَنِ الْمائِيَّةِ الدِّينَارِ! قَالَ:  
رَحْمَ اللَّهِ أَبَا رَافِعٍ، وَاللَّهُ مَا جَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنِهِ مَعْامِلَةٌ قَطْ!  
فَأَقْبَلَتْ إِلَى مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فَوُجِدَتْ مَشَايِخَ مِنْ آلِ أَبِي رَافِعٍ، كُلُّهُمْ مَقْبُولٌ  
الْقَوْلُ، جَاءُوكُلُّ الشَّهَادَةِ، فَقَصَّتْ عَلَيْهِمُ الرَّوْءِيَا، وَأَخْبَرَتْهُمْ خَبْرَ هَامِعِ الصَّيْرَفِ، وَإِنْكَارَهُ  
لَا ادْعَاهُ أَبُو رَافِعٍ.

قَالُوا: مَا كَانَ أَبُو رَافِعٍ لِيَكْذِبَ فِي نَوْمٍ وَلَا يَقْنَطُهُ! قَرِيبٌ صَاحِبُكَ إِلَى  
السُّلْطَانِ، وَنَحْنُ نَشْهُدُ لَكَ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا عَلِمَ الصَّيْرَفُ عَزْمَ الْقَوْمِ عَلَى الشَّهَادَةِ لَهُ! وَعْلَمَ أَنَّهُمْ إِنْ شَهَدُوا عَلَيْهِمْ بِيرْحٍ  
حَتَّى يُؤْدِيهَا، قَالَ لَهُمْ: إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُصْلِحُوا بَيْنِي وَبَيْنِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ عَلَى مَا تَرَوْنَهُ  
فَاقْفَلُوا، قَالُوا: نَمْ، وَالصَّلْحُ خَيْرٌ، وَنَعَمْ الصَّلْحُ الشَّطَرُ، فَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهَا مائِيَّةَ دِينَارٍ مِنْ  
الْمائِيَّنِ، قَالَ لَهُمْ: أَفْلَى، وَلَكُمْ أَكْتُبُوا بَيْنِي وَبَيْنِهَا كِتَابًا يَكُونُ وَثِيقَةً لِي.

---

\* المقد الفريد : ٤ - ٢٠٤

(١) أبو رافع : مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وآل أبي رافع من فضلاء أهل المدينة  
وخيارهم ، مع بهم وعي شديد . (٢) الصيرف : صراف الدراما .

قالوا : وكيف تكون هذه الوثيقة ؟ قال : تكتبون لي عليها أنها قبضت مني مائة دينار صلحاً عن مائتي الدينار التي أدعها أبو رافع في نومها ، وأنها قد أبرأتني منها ، وشرطت على نفسها ألا ترى أبا رافع في نومها مرة أخرى ، فيدعى على غير هذه المائتي الدينار ؟ فتعجب بفلان وفلان يشهدان على لها . فما سمعوا الوثيقة أنتبه القوم لأنفسهم ، وقالوا : قبحك الله ، وقبح ما جئت به !

## \* ١٣٧ — أهلك أعلم بك !

كان لأبي الأسود<sup>(١)</sup> الدوّلِيْ دُكَان<sup>(٢)</sup> إلى صدر الجبل يجلس فيه وحده ، ويضم بين يديه مائدة ، ويدعو إليها كل من يمر به ، وليس لأحد أن يجلس ، فينصرفون عنه .

فَرَأَهُ صَبِيٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْأَسْوَدْ : هَلْ إِلَى الْفَدَاءِ يَا فَتِي ! فَأَتَى إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَرَ مَوْضِعًا يَجْلِسُ فِيهِ ، فَتَنَاهُ الْمَائِدَةُ فَوَضَعَهَا فِي الْأَرْضِ ؛ ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا الْأَسْوَدَ ، إِنْ كَانَ لَكَ فِي الْفَدَاءِ حاجَةٌ فَانْزِلْ ، وَأَفْبِلِ النَّقْتَى يَا كُلَّ ، حَتَّى أَتَى عَلَى جَمِيعِ مَا فِي الْمَائِدَةِ ، وَسَقَطَتْ آخِرُ الطَّعَامِ مِنْ يَدِهِ لَقْمَةً عَلَى الْأَرْضِ فَأَخْذَهَا ، وَقَالَ : لَا أَدْعُهُمْ لِلشَّيَاطِينِ ! فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدْ : وَاللَّهِ مَا تَدْعُهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْمُقْرَبُينَ ، فَكَيْفَ تَدْعُهُمُ الشَّيَاطِينِ ؟ ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا أَسْمُكَ ؟ قَالَ : لَقَانَ . فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدْ : أَهْلُكَ كَانُوا أَعْلَمُ زَمَانِهِمْ بِإِذْ سَمَوْكَ بِهَذَا الاسمِ ؛ وَلَمْ يَعْدُ إِلَى مَا كَانَ يَصْنَعُ !

---

\* ذيل زهر الآداب : ١٦٧

(١) هو: ظالم بن عمرو، وأبو الأسود كنيته، وكان قد أدرك حياة النبي، وسافر إلى البصرة على عهد عمر ، واستعمله على بن أبي طالب على البصرة وكان شيعيا ، وهو أول من وضع العربية ، توفى سنة ٦٩ هـ . (٢) الدكان : الدكة البنية للجلوس عليها .

## \* ١٣٨ - المقادير تصير العي خطيباً \*

وُصف عند الحجاج<sup>(١)</sup> رجل بالجهل؛ وكانت له إلية حاجة، فقال في نفسه:  
لَا خَتِيرَةَ إِنْ قَالَ لَهُ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ: أَعِصَمَى أَنْتَ أَمْ عَظَمَى<sup>(٢)</sup>? قال الرجل:  
أَنَا عِصَمَى وَعَظَمَى، فقال الحجاج: هذا أَفْضَلُ النَّاسِ، وَقَضَى حاجَتَهُ وَزَادَهُ،  
وَمَكَثَ عِنْدَهُ مُدَّةً.

ثم باحَثَهُ فوجدهُ أَجْهَلَ النَّاسِ، فقال لهُ: تَصْدِقُنِي وَإِلَّا قَتْلَتُكَ، قال لهُ:  
قُلْ مَا بَدَأْتَكَ وَأَصْدَقَكَ! قال: كَيْفَ أَجْبَتَنِي بِمَا أَجْبَتَ لَمَّا سَأَلْتُكَ عَمَّا سَأَلْتُ؟  
قال لهُ: وَاللَّهِ لَمْ أَعْلَمْ: أَعِصَمَى خَيْرُ أَمْ عَظَمَى؟ اخْشِيَتُ أَنْ أَقُولَ أَحَدُهُمَا فَأَخْطِئَهُ.  
فَقَلَتُ: أَقُولَ كُلَّيْمَا، فَإِنْ ضَرَّنِي أَحَدُهُمَا نَفْعَنِي الْآخَرُ؟ قال لهُ الحجاج عند ذلك:  
المقادير تصير العي خطيباً!

---

\* بِحُجَّ الْأَمْثَالِ : ٢ - ٢٦٠

(١) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي: فائد خطيب، ولدونها الطائف وانتقل إلى الشام، وهو مشهور بشدته، توفي سنة ٩٥ هـ. (٢) يزيد: أشرف بنفسك أم تفتخر بأبائك الذين صاروا عظاماً.

## \* ١٣٩ - لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ

أخذ الحاج لصاً أعرابياً؛ فضر به سبعاً سوط، فكلما قرعه بسوط قال:  
الله شكرأ ! فأناه ابن عم له فقال : والله ما دعا الحاج إلى المادى في ضربك  
إلا كثرة شكرك ، لأن الله تعالى يقول : « لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ » ;  
قال : أهذا هو في كتاب الله ؟ فقال : اللهم نعم ، فأنا أعرابي يقول :  
يا رب لا شكر فلا تزيدني أسرفت في شكرك فاعف عن  
باعِدْ ثواب الشاكرين مِنِّي  
بلغ قوله الحاج ، نقل سبيله .

## \* ١٤٠ - الحمد لله الذي مسخك كما

كان لأبي حيّة التميري<sup>(١)</sup> سيف ليس بينه وبين الخشب فرق، كان يسميه «لَعَابَ الْنِبْيَةِ»، فـكى عنه بعض جираه أنه قال: أشرفت عليه ليلة وقد انتقامَ، وهو واقف بباب بيته في داره، قد سمع فيه حسماً، وهو يقول: أيها المفتر بنا، المفتر علينا، بنس والله ما اخترت لنفسك! خير قليل، وسيف صقيل «لَعَابَ الْنِبْيَةِ» الذي سمعت به، مشهورة صوّاته، لا تخاف نبوته، اخرج بالغفو عنك، لا أدخل العقوبة عليك إني والله إن أدع قيئساً تلا الفضاء عليك خيلاً ورجالاً<sup>(٢)</sup>، سبحان الله! ما أكثراها وأطياها! والله ما أنت ببعيد من تابعها، والرسوب في قيام لجتها.

وهبَتْ ريح ففتحت الباب ، نفَرَجَ كَلْبٌ ، فَارْبَدَّ وَجْهَهُ ، وَشَفَرَ<sup>(٣)</sup> بِرْجَلِيهِ ،  
وَتَبَادَرَتْ إِلَيْهِ نِسَاءُ الْحَيَّ قَلْنَ : بَا أَبَا حَيَّةَ ، لِيَقْرِنْ رَوْعَكَ<sup>(٤)</sup> إِنَّمَا هُوَ كَلْبٌ ،  
فَبَلْسُ وَهُوَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَسَخَكَ كَلْبًا ، وَكَفَانِي حَرْبًا .

\* الأغاني : ١٥ - ٦١ ، ابن أبي الحديد : ٢ - ٤١

(١) هو الميم بن الربيع، شاعر عجيد من خضرى الدولتين الأموية والعباسية مدح خلفاء عصره فيما  
وكان فصحاً وأخذاً، له أخبار وكانت به لوثة ، وكان من أحبن الملقب توفى نحو سنة ١٦٠ هـ.

(٢) الرجل: جم راجل . وهو ضد الفارس . (٣) شغر: رفع لاحدى رجليه . (٤) لينكشف نك فزعك .

عنك فزر عك .

\* ١٤١ - يوم الحساب !

قال أحد الرواة :

كان في زمن المهدى<sup>(١)</sup> رجل صوفى ؛ يركب قصبة فى كل جمعة يومين : الاثنين والخميس ، فإذا ركب فى هذين اليومين فليس لعلم على صبيانه حكم ولا طاعة ، فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان .

شاهدته يوماً وقد صعد تلاً ؛ فنادى بأعلى صوته : ما فعل النبيون والرسلون ؟  
أليسوا في أعلى عليين ؟ فقالوا : بلى قال : هاتوا أبا بكر الصديق ؟ فأخذ غلام  
فأجلس بين يديه ، فقال : جزاك الله خيراً أبا بكر عن الرعية ، فقد عدلت وقمت  
بالقسط ، وخلفت محدداً - عليه السلام - في حُسن الخلافة ، ووصلت حبل الدّين  
بعد حل وتنافع ، وفرغت منه إلى أعلى عروة وأحسن ثقة ، اذهبوا به إلى أعلى  
عليين !

ثم نادى : هاتوا عمر ، فأجلس بين يديه غلام ، فقال : جزاك الله خيراً  
يابا حفص عن الإسلام ، قد فتحت الفتوح ، ووَسَعْتَ الْأَرْضَ ، وَسَلَكْتَ سَبِيلَ  
الصالحين ، وعدلت في الرعية ، اذهبوا به إلى أعلى عليين بمحظة أبي بكر .

---

\* العقد الفريد : ٤ - ١٩٨

(١) محمد بن عبد الله من خلفاء الدولة العباسية في العراق ، ولد بعد وفاة أبيه وقام في الخلافة عشر سنين ومات سنة ١٦٩ هـ

ثم قال : هاتوا عَمَان ؛ فَأَتَى بِغَلامٍ فَأَجْلَسَ بَيْنَ يَدِيهِ ، قَالَ لَهُ : خَلَطْتَ فَتَلَكَ السَّنَنِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئَا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ». ثُمَّ قَالَ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى صَاحِبِهِ فِي أَعْلَى عِلْمِيْنِ .

ثُمَّ نادَى : هاتُوا عَلَى بنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَجْلَسَ بَيْنَ يَدِيهِ غَلاماً ؛ قَالَ لَهُ : جَرَاكَ اللَّهُ عَنِ الْأُمَّةِ خَيْرًا أَبَا الْحَسْنَ فَأَنْتَ الْوَصِيُّ ، وَلَوْلَى النَّبِيِّ ، بَسَطْتَ الْعَدْلَ ، وَزَهَدْتَ فِي الدُّنْيَا ، وَاعْتَزَلْتَ النَّفَرَ ، فَلَمْ تَخْمَشْ فِيهِ بَنَابَ وَلَا ظَفَرَ ، وَأَنْتَ أَبُو الدُّرَيْرَةِ الْمَبَارَكَةِ ، وَزَوْجِ الزَّكِيَّةِ الطَّاهِرَةِ ، اذْهَبُوا بِهِ إِلَى أَعْلَى عِلْمِيْنِ .

ثُمَّ قَالَ : هاتُوا مَعَاوِيَةَ ، فَأَجْلَسَ بَيْنَ يَدِيهِ غَلاماً ؛ قَالَ لَهُ : أَنْتَ الْقَاتِلُ عَارِ ابنَ يَاسِرٍ وَخَزِيمَةَ بْنِ ثَابَتِ ذَا الشَّهَادَتَيْنِ ، وَأَنْتَ الَّذِي جَعَلَ الْخِلَافَةَ مُذَكَّرَةً ، وَاسْتَأْثَرَ بِالنَّفَرَ ، وَحَكَمَ بِالْهَوَى ، وَبَطَرَ بِالنَّعْمَةِ ، وَأَنْتَ أُولَئِكَ مِنْ غَيْرِ سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَفَضَ أَحْكَامَهُ ، وَقَامَ بِالْبَغْيِ ؛ اذْهَبُوا بِهِ فَأُوقِفُوهُ مَعَ الظَّلَمَةِ .

ثُمَّ قَالَ : هاتُوا يَزِيدَ ؛ فَأَجْلَسَ بَيْنَ يَدِيهِ غَلاماً ؛ قَالَ لَهُ : أَنْتَ الَّذِي قَاتَ أَهْلَ الْأَخْرَاجَ<sup>(١)</sup> ، وَأَبَحَثَتَ الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَانْهَكَتَ حُرْمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَوْبَيْتَ الْمُلْحِدِيْنِ ، وَبُؤْتَ بِاللَّعْنَةِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَمَثَّلَتَ بِشِعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ :  
لَيْتَ أَشْيَاخِي بِسَدِيرٍ شَهِدوا جَرَعَ أَنْزَرَ رَاجِ<sup>(٢)</sup> مِنْ وَقْعِ الْأَسْلَ<sup>(٣)</sup>

(١) موضع بظاهر المدينة بها كانت وقعة المعركة أيام يزيد . (٢) المزرج : إحدى قبيلتي الأنصار

(٣) الأسل : الرماح .

وَقَتَلَتْ حُسْنِيَاً ، وَحَلَّتْ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَابِيَاً عَلَى  
حَقَّابٍ<sup>(١)</sup> الْأَبْلِ ، اذْهَبُوا بِهِ إِلَى الدَّرْكَ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ ।

وَلَمْ يَزِلْ يَذْكُرُ وَالْيَاً بَعْدَ وَالِّي حَتَّى يَلْغُ إِلَى عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ : هَاتُوا  
عَمَرَ ، فَأَتَيْ بَغْلَامَ ، فَأَجْلَسَ بَيْنَ يَدِيهِ ، فَقَالَ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنِ الْإِسْلَامِ ؛ فَقَدْ  
أَحْيَيْتَ الْعَدْلَ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَأَنْتَ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةِ ؟ وَقَامَ بِكَ عَمُودُ الدِّينِ عَلَى سَاقِ  
بَعْدَ شَفَاقِ وَنِفَاقِ ، اذْهَبُوا بِهِ فَأَلْحِقُوهُ بِالصَّدِيقَيْنِ ، ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ كَانَ بَعْدَهُ مِنْ  
اَنْخِلْفَاءِ إِلَى أَنْ يَلْغُ دُولَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ ، فَسَكَتَ ، قَيْلَ لَهُ : هَذَا أَبُو الْعَبَّاسِ  
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : فَبَلَغَ أَمْرُنَا إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ! ارْفُوا حَسَابَ هُؤُلَاءِ جَمَلَةً ،  
وَاقْدِفُوا بَهُمْ فِي النَّارِ جَمِيعًا ।

---

(١) المُحَقِّيَةُ : الرَّفَادَةُ فِي مُؤَخِّرِ الْقَتْبِ ، وَكُلُّ مَا هُدِيَ فِي مُؤَخِّرِ رَحْلِ أَوْ قَبْرٍ فَقَدْ احْتَقَبَ .

## ١٤٢ — إِنْ أَعْطُوكُمْ مِّنْهَا رَضْوًا\*

ركب محمد بن سليمان<sup>(١)</sup> يوماً بالبصرة وسوار القاضي يسايره في جنازة ابن عم له، فاعتراضه مجنون يعرف برأس النعجة، فقال له : يا محمد ؟ أمن العدل أن تكون نحيلتك<sup>(٢)</sup> في كل يوم مائة ألف درهم ، وأنا أطلب نصف درهم فلا أقدر عليه ؟

ثم التفت إلى سوار فقال : إن كان هذا عدلاً فانا أكفر به ؟ فأسرع إليه غلامان محمد ؛ فكفهم عنه ، وأمر له بمائة درهم !

فلما انصرف محمد وسوار معه اعترضه رأس النعجة فقال : لقد كرمت الله منصبك<sup>(٣)</sup> ، وشرف أبوتك ، وحسن وجهك ، وعظم قدرك ، وأرجو أن يكون ذلك خيراً يريده الله بك !

فدنى منه سوار فقال : يا خبيث ؟ ما كان هذا قولك في البداءة ؟ فقال له : سألك الله بحق الأمير إلا ما أخبرتني في أى سورة هذه الآية : « إِنْ أَعْطُوكُمْ مِّنْهَا رَضْوًا ، وإنْ لَمْ يُعْطُوكُمْ مِّنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ » ؟ قال : في « براءة ». قال : صدقت ؟ فبرى الله رسوله منك ! فضحك محمد بن سليمان حتى كاد يسقط عن دابته !

\* المسودي ٢٠ - ٢٦٣

(١) محمد بن سليمان بن علي الباسى : أمير البصرة ، ولد فيها في أيام الهجرى ، واستمر إلى أن توفي فيها ، وكان غنياً نبيلاً سمت نفسه إلى الخلافة ؛ وصده عن الجهر بطلبه ما كانت عليه من القوة أيام الهجرى والرشيد ، توفي سنة ١٧٣ هـ . (٢) النحله : العطية . (٣) النصب : الأصل .

## ١٤٣ — ما أختار غيرَ عبدَ اللهِ بنِ طاهرٍ \*

شَكَا اليَزِيدُى<sup>(١)</sup> إِلَى الْمُؤْمِنَ خَلَّةَ<sup>(٢)</sup> أَصَابَتْهُ وَدَيْنًا لِحَقِّهِ ، فَقَالَ : مَا عَنْدَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مَا إِنْ أَعْطَيْنَاكَهُ بِلْفَتَّ بِهِ مَا تُرِيدُ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنَّ الْأَمْرَ قَدْ ضَاقَ عَلَىِّ ، وَإِنَّ غُرَمَائِيَ قَدْ أَرْهَقَنِي ، قَالَ : فَرُمْ لِنَفْسِكَ أَمْرًا تَنْلُ بِهِ نَفْعًا .

فَقَالَ : لَكَ مَنَادِمُونَ ، فِيهِمْ مَا إِنْ حَرَّكَتْهُ نِلْتُ مِنْهُ مَا أُحِبُّ ، فَأَطْلُقْنِي لِلْحِيلَةِ فِيهِمْ ، قَالَ : قُلْ مَا بَدَأَ اللَّهَ ؟ قَالَ : فَإِذَا حَضَرُوا وَحَضَرَتْ فَمُرْ فَلَانَا اخْلَادِمْ أَنْ يَوْصِلَ إِلَيْكَ رُقْمَتِي ، فَإِذَا قَرَأْتَهَا فَأَرْسِلْ إِلَيَّ : دُخُولُكَ فِي هَذَا الْوَقْتِ مُتَعَذِّرٌ ؛ وَلَكِنَّ أَخْتَرْ لِنَفْسِكَ مِنْ أَحْبَبِتِ .

فَلَا عَلِمَ اليَزِيدُ بِجُلُوسِ الْمُؤْمِنِ ، وَاجْمَاعِ نَدْمَائِهِ إِلَيْهِ ، وَتَيْقَنَ أَنَّهُمْ فِي سُرُورِ رُمْ أَقِي الْبَابَ فَدَفَعَ إِلَى ذَلِكَ اخْلَادِمْ رُقْمَةَ قَدْ كَتَبَهَا ، فَأَوْصَلَهَا إِلَى الْمُؤْمِنِ قَرَأَهَا ، فَإِذَا فِيهَا :

يَا خَيْرَ إِخْوَانِي وَأَحْبَابِي هَذَا الطَّفَلِيَّ لِدِي الْبَابِ  
خُبْرُ أَنَّ الْقَوْمَ فِي لَذَّةٍ يَصْبُرُ مَإِيمَهَا كُلُّ أَوَابٍ  
فَصِيرُونِي وَاحِدًا مِنْكَ أَوْ أَخْرِجُوكَ بَعْضَ أَثْرَابِي

\* عَصْرُ الْمُؤْمِنِ : ١ - ٤٣٣

(١) اليَزِيدُى : يَحْيَى بْنُ الْبَارِكَ بْنُ الْمُغَبَّرَةِ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدْبَرِ ، اتَّصَلَ بِالرَّشِيدِ فَهَدَى إِلَيْهِ فَتَأَدَّبَ الْمُؤْمِنَ فَعَانَ إِلَى أَيَّامِ خَلَّاتِهِ ، تَوَفَّ فِي سَنَةِ ٢٠٢ هـ . (٢) الْخَلَّةُ : الْحَاجَةُ وَالْقَرْفُ .

فَقَرَأُهَا الْمُؤْمِنُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ ؛ فَقَالُوا : مَا يَنْبَغِي أَنْ يَدْخُلَ هَذَا الطَّفْلِي عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ ؟ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُ : دَخُولُكَ فِي هَذَا الْوَقْتِ مُتَعَذِّرٌ ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مِنْ أَحَبِبْتَ تَنَادِيهِ .

فَقَالَ : مَا أُرِيَ اخْتِيَارًا غَيْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرَ ، فَقَالَ لَهُ الْمُؤْمِنُ : قَدْ وَقَعَ اخْتِيَارٌ عَلَيْكَ ؟ فَسِرْ إِلَيْهِ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ كَوْنَ شَرِيكَ الطَّفْلِيِّ ! قَالَ : مَا يَمْكُنُ رَدًّا أَبِي مُحَمَّدٍ عَنْ أَمْرِيْنِ ، إِنَّ أَحَبِبْتَ أَنْ تَخْرُجَ وَإِلَّا فَافْتَدِ نَفْسَكَ !

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَهُ عَلَى عَشْرَةِ آلَافِ درَهم ! قَالَ : لَا أَحْسَبُ ذَلِكَ يُقْنِعُهُ مِنْكَ وَمِنْ بُجَالِسِكَ ، قَالَ : فَلِمَ يَزِيدُهُ عَشْرَةُ عَشْرَةَ ، وَالْمُؤْمِنُ يَقُولُ لَهُ لَا أَرْضَى لَهُ بِذَلِكَ ، حَتَّى يَلْغُ مائَةُ أَلْفٍ ، فَقَالَ لَهُ الْمُؤْمِنُ : فَبَجِّلْهَا لَهُ ، فَكَتَبَ لَهُ بِهَا إِلَى وَكِيلِهِ ، وَوَجَهَ مَعَهُ رَسُولًا فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُ : قَبْضُ هَذِهِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَ أَصْلَحُ لَكَ مِنْ مَنَادِمَتِهِ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ ، وَأَنْعَمُ عَاقِبَةً .

---

## ١٤٤ - أَتْرَى اللَّهُ يُعْطِيكُ وَيَنْسَانِي؟ \*

خرج الرشيد إلى الحج فلما كان بظاهر الكوفة إذا بصر بهلولا<sup>(١)</sup> المجنون على قصبة، وخلفه الصبيان وهو يمدو، فقال: من هذا؟ قيل له: بهلول المجنون، قال: كنت أشتري أن أراه، فادعوه من غير تزويغ، فذهبوا إليه وقالوا: أجب، أمير المؤمنين؟ فلم يجب، فذهب إليه الرشيد، وقال: السلام عليك يا بهلول، قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين، قال: دعوتك لاشتياق إليك، قال بهلول: لكني لم أشتاق إليك! قال الرشيد: عذني يا بهلول، قال: وربما أغراك؟ هذى قصوركم وهذى قبوركم! قال الرشيد: زدني فقد أحسنت! قال: يا أمير المؤمنين من رزق الله مالا وجحلا، فف في حاله، وواسى في ماله كتب في ديوان الأبرار، فظن الرشيد أنه يريد شيئاً، فقال: قد أمرنا لك أن تقضي دينك، قال: لا، يا أمير المؤمنين، لا يقضى الدين بدين، اردد الحق على أهله، واقض دين نفسك من نفسك، قال: فإننا قد أمرنا أن يُحرى عليك، قال: يا أمير المؤمنين؛ أترى الله يعطيك وينسانى! ثم ولى هارباً.

\* علاء الجانين: ٦٩

(١) هو بهلول بن عمرو، كان من علاء الجانين، ولد ونشأ بالكوفة واستقدمه الرشيد وغيره من الخلفاء لسماع كلامه، وله كلام مليح، ونواذر وأشعار، توفي سنة ٥١٩٠.

## ١٤٥ - طفيلي في حضرة المأمون\*

أمر المأمون أن يُحمل إليه عشرة من الزنادقة سُمُوا له من أهل البصرة ، فجُمعوا فأبصراهم طفيلي فقال : ما جقمعوا إلا لِصَنْيَعِ ، فدخل في وسطهم ، ومضى بهم الموكلون ، حتى انتهوا إلى زورق قد أعد لهم ، قال الطفيلي : هي نزهة ، فدخل معهم الزورق ، فلم يكن بأسرع من أن يقيدوا ، وقيد معهم الطفيلي .

ثم سرَّ بهم إلى بغداد ، فاذخلوا على المأمون ، فجعل يدعوه بأسمائهم رجالاً؛ ويأمر بضرب أعناقهم ، حتى وصل إلى الطفيلي ، وقد استوفى العدة ، فقال للموكلين : ماهذا؟ قالوا : والله ما ندرى ، غير أنا وجدناه مع القوم ، خفتنا به . فقال له المأمون : ما قصتك ويلك؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لا أعرف من أقاوم بهم شيئاً ، وإنما أنا رجل طفيلي ، رأيتهم مجتمعين ، فظننت صَنْيَعاً يدعون إليه . فضحك المأمون ، وقال : يؤذب !

وكان إبراهيم بن المهدى قائماً على رأس المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هبْ لي أدبه ، وأحدثك بحديث عجيب عن نفسى ، قال : قل يا إبراهيم .

قال : يا أمير المؤمنين ، خرجت من عندك يوماً ، فلُفِّتْ فِي سِكْكَ بغداد مقطّرَةً ، حتى انتهيت إلى موضع كذا ، فشمت من قَتَارٍ<sup>(١)</sup> أبا زير قُدورِ

\* المقى الفريد : ٤ - ٢٣٧ ، نهاية الأرب : ٣ - ٣٣٢

(١) القتار : ربع القدر والشواء ، والأبا زير : التوابل .

قدْ فاح ؛ فتاقتْ نفسي إلَيْها ، وَإِلَى طيب ريحها ، فوقفتُ إِلَى خيَاط ، فقلت له :  
لِمَنْ هذه الدار ؟ فقال : لرجل من التجار . قلت : ما اسمه ؟ قال : فلان ابن فلان ،  
فرميتُ بطرفِي إِلَى الدار ؛ فإذا سُبَّاك به جارية ذات منظر حسن ، فبُهِتَّ ساعَةً  
ثم أذْركني ذِهْنِي ، فقلت للخياط : أَهُو مَنْ يشرب النبيذ ؟ قال : نعم ، وأَحَبْ  
أَنْ عَنْهِ الْيَوْمَ دُعْوة ، وَهُوَ لَا يُنَادِمُ إِلَّا تُجَاهَارًا مَثَلَهُ مَسْتَورِينَ .

فَإِنِّي لِكَذَلِكَ ، إِذْ أَقْبَلَ رِجْلَانِ بَنِي لَانَ رَاكِبَانِ مِنْ رَأْسِ الدَّرْبِ ، فَقَالَ لِي  
الْخِيَاطُ : هُؤُلَاءِ مُنَادِمَاهُ ، فَقَلَتْ : مَا اسْمَاهُمَا وَمَا كُنَّاهُمَا ؟ فَقَالَ : فَلانُ وَفَلانُ ،  
خَرَّكْتُ دَابَّتِي وَدَاخْلَتِهِما ، وَقَلَتْ : جَعَلْتُ فِدَآكَما ، قَدْ اسْتَبَطْتُ كَمَا أَبُو فَلانُ ،  
وَسَائِرُهُمَا حَتَّى بَلَقْنَا الْبَابَ ، فَأَجَلَانِي وَقَدْمَانِي ؟ فَدَخَلْتُ وَدَخَلَا .

فَلَمَّا رَأَنِي صَاحِبُ الْمَنْزِلِ مَعْهُمَا لَمْ يُشَكْ أَنِّي مِنْهُمَا ؛ فَرَحَّبَ بِي وَأَجْلَسَنِي فِي  
أَفْضَلِ الْمَوْاضِعِ ، فِي جِيَّ "يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا شَدَّدَ عَلَيْهَا خَبْرُ" نَظِيفٍ ، وَأَتَيْنَا بِهِ تِلْكَ  
الْأَلْوَانِ ، فَكَانَ طَعْمَهَا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِهَا ، ثُمَّ رُفِعَ الطَّعَامُ ، وَجِي "بِالْوَضُوءِ" ، ثُمَّ  
صِرَّنَا إِلَى مَجْلِسِ الْمَنَادِمَةِ ، وَجَعَلَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ يَلْطَافُ بِي ؛ وَيَمْلِيُ عَلَيَّ بِالْحَدِيثِ ؟  
حَتَّى إِذَا شَرَبْنَا أَقْدَاحًا خَرَجْتُ عَلَيْنَا جَارِيَةً ، كَانَهَا بَدْرٌ فَاقْبَلَتْ ؛ وَسَلَّمَتْ  
غَيْرَ خَجَّلَةً ، وَتَنَيَّتْ لَهَا وِسَادَةً ، فَجَلَسَتْ عَلَيْهَا ؛ وَأَتَى بِالْمَوْعِدِ فَوُضِعَ فِي حِجْرِهَا ؛  
فَبَسَّتْهُ فَاسْتَبَنَتْ حِذْقَهَا فِي جَسْهَا ؛ ثُمَّ انْدَفَعَتْ نَفْنِي :

تَوَهَّمَهَا طَرِيقٌ فَأَصْبَحَ خَدْثَهَا      وَفِيهِ مَكَانٌ الْوَهْمُ مِنْ نَظَرِي أُثْرُ  
نَصَافِحُهَا كَفَّ فَتَوَهَّمَ كَفَّهَا      فَيْنَ مَسَّ كَفَّيْ فِي أَنَامِلِهَا عَقْرُ<sup>(١)</sup>

فَهِيَجَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلَابِلِي ، وَطَرِبَتْ لِحْسِنِ شِعْرِهَا ، ثُمَّ اندفَعَتْ  
تَقْنِي :

أَشَرَتْ إِلَيْهَا هَلْ عَرَفْتِ مُوَدَّتِي ؟      فَرَدَتْ بَطْرَفِ الْمَعْيَنِ : إِنِّي عَلَى الْمَهْدِ  
فَحِدَثَتْ عَنِ الْإِظْهَارِ عَنْدَ لَسِرَّهَا      وَحَادَتْ عَنِ الْإِظْهَارِ أَيْضًا عَنْدَ  
فَصَحَّتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَجَاءَنِي مِنَ الْطَّرَبِ مَا لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي مَعَهُ ، ثُمَّ  
اندفَعَتْ فَقَنَتْ الصَّوْتُ الثَّالِثُ :

أَلِيسْ عَجِيْبًا أَنَّ يَبْتَأِ يَصْنُصِي      وَلَيَاكِ لَا نَخْلُو وَلَا نَتَكَلَّمْ !  
سِوَى أَعْيْنِ تَشْكُوا الْمَهْوِي بِجَفْونِهَا      وَتَقْطِيعِ أَكْبَادِ عَلَى النَّارِ تَضَرَّمْ  
إِشَارَةً أَفْوَاهِ وَغَنَّزِ حَوَاجِبِ      وَتَكْسِيرَ أَجْفَانِ وَكَفَّ تَسْلُمْ  
فَخَسَدَتْهَا وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى حِذْقِهَا وَمَعْرِفَتِهَا بِالْفِنَاءِ ، وَإِصَابَتْهَا لِمَعْنَى  
الشِّعْرِ ، قَلَتْ : بَقِيَ عَلَيْكِ يَا جَارِيَةً ، فَضَرَبَتْ بِالْمَوْدِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَقَالَتْ : مَتِ  
كُنْتُ تُخْضِرُونَ مَجَالِسَكُمُ الْبُغَضَاءِ ؟ فَنَدَمَتْ عَلَى مَا كَانَ مِنْيَ ، وَرَأَيْتَ الْقَوْمَ قَدْ  
تَفَرَّوْا إِلَيْيَ ، قَلَتْ : أَمَا عَنْدَكُمْ عَوْدٌ غَيْرُ هَذَا ؟ قَالُوا : بَلِ ، فَأَتَيْتُ بِعَوْدٍ فَأَصْلَحْتُ  
مِنْ شَانِهِ ثُمَّ غَيَّبْتُ :

مَا لِلْمَنَازِلِ لَا يُجِبَنَ حَزِينًا      أَصِمَّنَ أَمْ قَدَمَ الْبَلَى فَبِلَيْنَا ؟  
رَاحُوا الْعَشِيَّةَ رَوْحَةَ مُنْكُورَةٍ      إِنْ مُتَنَّ مُتَنًا أَوْ حَيَّنَ حَيَّنَا

فَاسْتَقْتَمَمْتُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى قَامَتِ الْجَارِيَةُ ، فَأَكَبَّتْ عَلَى رِجْلَيْ تَقْبِلُهُمَا ،  
وَقَالَتْ : مَعَذِرَةً يَا سَيِّدِي ، فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَغْنِي هَذَا الصَّوْتَ غِنَاءَكَ ، وَفَعَلَ

مولاهَا وأهلِ المجلس كفُلْهَا ، وطربَ القوْمُ واستحْتَوا الشُّرُب فشربُوا ، ثُم  
الدافتُ أَغْنِي :

أَفِ الْحَقُّ أَنْ تُمْشِي وَلَا تَذَكُّرَنِي  
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بُخْلَمَا وَسَمَاحَتِي  
فَرَدَّيْ مصَابَ القَلْبِ أَنْتِ قَلْتِهِ  
فَطَرِبَ القَوْمُ حَتَّى خَرَجُوا مِنْ عَقْوَلِهِ ، فَأَمْسَكَتُ عَنْهُمْ سَاعَةً حَتَّى تَرَاجَعُوا ،

ثُمْ غَنِيتَ الثَّالِثُ :

هَذَا مُحِبِّكَ مَطْوِيًّا عَلَى كَمَدِهِ  
عَبْرِي مَدَامُهُ تَجْزِي عَلَى جَسْدِهِ  
لَهُ يَدُّ نَسَائِ الرَّحْمَنَ رَاحَتَهُ  
مَا بِهِ وَيَدُّ أُخْرَى عَلَى كَبِدِهِ

بَخَلَتِ الْجَارِيَةُ تُصْبِحُ : هَذَا الْفَنَاءُ وَاللَّهُ يَا سَيِّدِي ، لَا مَا كُنَّا فِيهِ مِنْذِ الْيَوْمِ .  
وَقَالَ صَاحِبُ النَّزْلِ يَا سَيِّدِي ؟ ذَهَبَ مَا مَضِيَ مِنْ أَيَّامٍ ضَيَّعَاهَا ، إِذْ كُنْتُ لَا أُعْرِفُكَ ،  
فَنَّ أَنْتَ ؟ وَلَمْ يَزِلْ يُلْحِحُ عَلَى حَتَّى أَخْبَرْتَهُ الْخَبَرَ ، فَقَامَ وَقَبَّلَ رَأْسِي ، وَقَالَ : وَأَنَا  
أُعْجَبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَدْبُ إِلَّا لِلْمَلَكِ ! وَإِنِّي جَالِسٌ مَعَ الْخَلِيفَةِ وَلَا أَشْعُرُ ، ثُمْ  
سَأَلَنِي عَنْ قِصَّتِي ، فَأَخْبَرْتَهُ حَتَّى بَلَفَتْ إِلَى تِلْكَ الْجَارِيَةِ الَّتِي رَأَيْتَهَا ، فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ :  
قَوْمٌ قَوْلِي لِفُلَانَةٍ : تَنْزَلُ ، فَلَمْ تَنْزَلْ تَنْزَلْ جَوَارِيَهُ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، فَأَنْظَرْتَهُ إِلَى كَفَهَا  
وَمَعْصِمَهَا ، وَأَقُولُ : لِيَسْتَ هَذِهِ ! حَتَّى قَالَ : وَاللَّهِ مَا بَقِيَ غَيْرَ أَخْتِي وَأُمِّي ، وَاللَّهُ  
لَا تَنْزَلُنَّهُمَا ؛ فَعَجَبَتُ مِنْ سَعَيْ صَدْرِهِ ، قَلَتْ : جَعَلْتُ فَدَاكَ ! ابْدَأْ بِالْأَخْتِ قَبْلِ  
الْأُمِّ ، فَعَسَى أَنْ تَكُونَ هَنِي .

فبَرِزَتْ ، فَلَمَّا رأَيْتَ كُفَّهَا وَمِعْصَمَهَا ، قَلْتَ : هَذِهِ هِيَ ! فَأَمْرَ غِلْمَانَهُ ، فَسَارُوا إِلَى عَشْرَةِ مَشَائِخٍ مِنْ جَلَّهُ جِيرَانَهُ ؛ فَأَقْبَلَ بِهِمْ ، وَأَمْرَ بِبَدْرِتَينِ فِيهِمَا عَشْرَوْنَ أَلْفَ درَمٌ ؟ ثُمَّ قَالَ لِلْمَشَائِخِ : هَذِهِ أُخْتِي فَلَانَةُ ، أَشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ زَوْجَتُهُ مِنْ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ ابْنِ الْمَهْدِي ؛ وَأَمْهَرَهُمَا عَنْهُ عَشْرِينَ أَلْفَ درَمٌ ، فَرَضِيتَ وَقَبَلتَ الزَّوْاجَ ، فَدَفَعَ إِلَيْهَا بَدْرَةً ، وَفَرَقَ الْأُخْرَى عَلَى الْمَشَائِخِ وَصَرَفَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : يَا سَيِّدِي ، أَمْهَدْ بَعْضَ الْبَيْوَتِ ! فَأَخْشَمَنِي مَا رأَيْتَ مِنْ كَرْمِهِ ، قَلْتَ : أُخْضِرُ عَمَارِيَّةَ<sup>(١)</sup> وَأَحْلَلَهَا إِلَى مَنْزِلِي . فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ أَتَبَعَهَا مِنَ الْجَهَازِ مَا ضَاقَتْ عَنْهُ بَيْوَنَا ، فَأَوْلَادُهَا هَذَا الْقَائِمُ عَلَى رَأْسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - يُشَيرُ إِلَى وَلَدِهِ .

فَبَجَبَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ كَرْمِ الرَّجُلِ ، وَأَلْحَقُهُ فِي خَاصَّةِ أَهْلِهِ ، وَأَطْلَقَ الطَّفَيْلِيَّ ،  
وَأَجَازَهُ .

---

(١) العمارية : مودج يجلس فيه .

## ١٤٦ — آنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِكَ \*

تَبَأْ رَجُلٌ فِي أَيَّامِ الْمُؤْمِنُونَ ، وَادْعَى أَنَّهُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ ، فَقَالَ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ :  
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ لَهُ مَعْجزَاتٍ وَبَرَاهِينٌ . قَالَ : وَمَا بَرَاهِينُهُ ؟ قَالَ : أَضْرِمْتُ  
لَهُ نَارًا ، وَأُلْقَى فِيهَا ؛ فَصَارَتْ عَلَيْهِ بَرَدًا وَسَلَامًا ، وَنَحْنُ نُوقِدُ لَكَ نَارًا ، وَنَظِرُكُ  
فِيهَا ، فَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ كَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ آمِنًا بِكَ . قَالَ : أُرِيدُ وَاحِدَةً أَخْفَى مِنْ  
هَذِهِ ! قَالَ : فَبَرَاهِينُ مُوسَى ! قَالَ : وَمَا بَرَاهِينُهُ ؟ قَالَ : أُلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ  
تَسْعَى ! وَضَرَبَ الْبَحْرَ بِهَا فَانْفَلَقَ ! وَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ فَأَخْرَجَهَا بَيْضَاءً ، قَالَ :  
وَهَذِهِ عَلَى أَصْعَبِ مِنَ الْأُولَى ! قَالَ : فَبَرَاهِينُ عِيسَى ، قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ :  
إِحْيَا الْمَوْتَى ! قَالَ : مَكَانِكَ قَدْ وَصَلْتَ ! أَنَا أَضْرِبُ رَقْبَةَ الْفَاضِلِ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ ،  
وَأَحْيِيهِ لَكُمُ السَّاعَةَ !

فَقَالَ يَحْيَى : أَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِكَ وَصَدَقَ !

## ١٤٧ — أبو دلف وجمعيفران الموسوس\*

قال علي بن يوسف : كنت عند أبي دلف<sup>(١)</sup> القاسم بن عيسى المجلبي ، فاستأذن عليه حاجبه جعيفران<sup>(٢)</sup> الموسوس ، فقال له : أى شىء أصنم به موسوس ؟ قد قضينا حقوق المقلاء ، وبقى علينا حقوق المجانين ! فقلت له : جعلت فداء الأمير ، موسوس أفضل من كثير من المقلاء ، وإن له لساناً يتقى ، وقولاً مأثوراً يبقي . فالله ألم أن تخججه ! فليس عليك منه أذى ولا ثقل ! فأذن له . فلما مثل بين يديه قال :

يا أكرم العالم موجوداً  
وابا أعز الناس مفقوداً  
لما سأل الناس عن واحد  
أصبح في الأمة محموداً  
قالوا جميعاً : إنه قاسم  
أشبه آباء له صيداً<sup>(٣)</sup>  
لو عبدوا شيئاً سوئي ربهم  
أصبحت في الأمة معبدواً  
لا زلت في نعمي وفي غبطة مُكرماً في الناس معدوداً  
فأمر له بكسوة وبألف درهم ، فلما حري بالدرام أخذ منها عشرة وقال : تأمر  
القهرمان<sup>(٤)</sup> أن يعطيني الباق مفترقاً كلاماً جئت ؟ لثلا نصيحة مني ، فقال للقهرمان :

\* الأغاني : ٨

- (١) أبو دلف : هو أحد قواد المؤمن ثم المعتزم من بعده ، كان كريعاً سرياً جواداً مهداً شجاعاً . مقداماً ذا وقائمه مشهورة ، وصنائع مأثورة ، وله مشاركة في الفناء ، توفي سنة ٢٢٦ هـ .
- (٢) ولد جعيفران ببغداد ونشأ بها ، ثم سكن سر من رأي ، وكان أديباً شاعراً مطبوعاً ، وغلبت عليه الردة السوداء فاختلط في أوقاته ، ثم كان إذا أفاق ثاب إليه عقله وطبعه فقال الشاعر الجيد .
- (٣) الأصيد : الملك ، ورافق رأسه كبيراً . (٤) القهرمان : هو السيطر الحفيظ على ماتحت يده ، وهو من أمراء الملك وخاصته .

أعْطِهِ الْمَالُ ، وَكَلَا جَاءَكَ فَأَعْطِهِ مَا شَاءَ حَتَّى يَفْرَقَ لِلْوَتْ يَبْنَنَا ، فَبَكَى عِنْدَ ذَلِكَ  
جُعْفِرَانَ وَتَنَفَّسَ الصَّعْدَاءَ وَقَالَ :

يَمُوتُ هَذَا الَّذِي أَرَاهُ وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ نَفَادٌ  
لَوْغَيْرِ ذَلِكَ الْعَرْشَ دَامَ شَيْءٌ لَدَامَ ذَا الْمُفْضِلُ الْجَوَادُ  
ثُمَّ خَرَجَ . قَالَ أَبُو دُلْفَ : أَنْتَ كُنْتَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي .

قَالَ ؛ وَغَيْرَ<sup>(١)</sup> عَنْ مَدَةٍ ثُمَّ لَقِينِي ، وَقَالَ : يَا أَبَا الْحَسْنَ ؛ مَا فَعَلَ أَمِيرُنَا  
وَسَيِّدُنَا ؟ وَكَيْفَ حَالُهُ ؟ قَلْتَ : بِخَيْرٍ وَعَلَى غَايَةِ الشَّوْقِ إِلَيْكَ . قَالَ : أَنَا وَاللَّهُ  
يَا أَخِي أَشْوَقُ . وَلَكِنِي أَعْرَفُ أَهْلَ الْعُسْكَرِ وَشَرَهُمُ وَإِلَاحَهُمْ ؛ وَاللَّهُ مَا أَرَامُ  
يَتَرَكُونَهُ مِنَ الْمَسَأَةِ وَلَا يَتَرَكُهُ كَرْمُهُ أَنْ يَخْلِيَهُمْ مِنَ الْعَطْيَةِ حَتَّى يَخْرُجَ قَقِيرًا .  
قَلْتَ : دَعْ هَذَا عَنِكَ وَزُرْهُ ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ السُّؤَالِ لَا تَنْصُرُ بِمَالِهِ . قَالَ : وَكَيْفَ ؟ أَمْ  
أَيْسَرُ مِنَ الْخَلِيفَةِ ؟ قَلْتَ : لَا . قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ تَبَدَّلَ<sup>(٢)</sup> لِمَ الْخَلِيفَةُ كَمَا يَتَبَدَّلُ أَبُو دُلْفَ  
وَأَطْمَعُهُمْ فِي مَالِهِ كَمَا يُطْمَعُهُمْ لِأَقْتَرُوهُ فِي يَوْمَيْنِ ، وَلَكِنْ اسْمُهُ مَا قَلَتْهُ فِي وَقْتِ هَذَا .  
قَلْتَ : هَاتِهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ ! فَأَنْشأَ يَقُولُ :

أَبَا حَسَنٍ بَلَّغَنَ قَاسِمًا بَأْنَى لَمْ أُجْفِهِ عَنِ قِلَّا<sup>(٣)</sup>  
وَلَا عَنْ مَلَالِ لِإِتْنَائِنَى وَلَا عَنْ صَدُودٍ وَلَا عَنْ عَنَّا  
وَلَكِنْ تَعْقَفَتُ عَنْ مَالِهِ وَأَصْفَيْتُهُ<sup>(٤)</sup> مِذْحَقِي وَالنَّا  
أَبُو دُلْفَ سِيدَ مَاجِدَةَ سِنِي الْعَطِيَّةِ رَحْبُ الْفِنَّا

(١) غَيْرُ : مَكْثُ وَذَهْبُ ، ضَدُّ . (٢) الابْتِدَالُ : ضَدُّ الصِّيَانَةِ . (٣) الْفَلَّا : الْبَغْضُ .

(٤) أَصْفَيْتُهُ مِذْحَقِي : أَخْلَصْتُهُ لِهِ .

كَرِيمٌ إِذَا أَنْتَابَهُ الْعَقْفُو نَعْمَهُمْ بِجَزِيلِ الْحِبَاءِ<sup>(١)</sup>

قال : فَأَبْلَغْتَهَا أَبَا دَلْفَ ، وَحَدَّثْتَهُ بِالْحَدِيثِ الَّذِي جَرِيَ . فَقَالَ لِي : قَدْ لَقِيْتُهُ مِنْذَ أَيَّامٍ ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ وَقَفَتْ لَهُ وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ وَتَحْفَيْتُ<sup>(٢)</sup> بِهِ ؛ فَقَالَ لِي : سِرْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ عَلَى بُرْكَةِ اللهِ ، ثُمَّ قَالَ لِي :

يَامَعْدِيَ الْجُودِ عَلَى الْأَمْوَالِ وَيَا كَرِيمَ النُّفُسِ فِي الْفَعَالِ  
قَدْ صُنْقَنِيَ عَنْ ذِلَّةِ السُّؤَالِ بِجُودِكَ الْمُوْفِ عَلَى الْآمَالِ  
صَانِكَ ذُو الْعَزَّةِ وَالْجَلَالِ مِنْ غَيْرِ الْأَيَّامِ وَالْيَوْمَ  
قال : وَلَمْ يَزِلْ يَخْتَلِفُ إِلَى أَبْنَى دَلَفَ وَيَبْرَهُ حَتَّى افْتَرَقاً .

---

(١) الحباء : العطاء . (٢) تحني به : بالغ في لام كرامه .

## ١٤٨ — رميَتَ به في بطنك \*

قال دِعْبِيلُ<sup>(١)</sup> : أَقْنَا يَوْمًا عَنْدَ سَهْلَ بْنِ هَارُونَ ، فَأَطْلَمْنَا الْحَدِيثَ حَتَّى اضْطَرَرَهُ  
الْجَوْعُ إِلَى أَنْ دَعَا بَعْدَ أَنْهُ ، فَأَتَى بِصَفْحَةٍ عَذْ مُلِيَّةٍ<sup>(٢)</sup> ، فِيهَا مَرَقُ لَحْمٍ دِيكٍ عَاسِ<sup>(٣)</sup>  
هَرِيمٍ ، لَيْسَ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا غَيْرُهَا ، لَا تَخْزَ<sup>(٤)</sup> فِيهِ السَّكِينُ ، وَلَا تُؤْثِرُ فِيهِ الْأَضْرَامُ .  
فَاطَّلَمْ فِي التَّصْنِعَةِ ، وَقَابَ بَصَرَهُ فِيهَا ؛ فَأَخْذَ قَطْعَةً خُبْزًا يَابِسًا ؛ فَقَلَّبَ بِهَا  
جَمِيعَ مَا فِي الصَّفْحَةِ فَقَدِدَ الرَّأْسُ ؛ فَبَقِيَ مُطْرِقًا سَاعَةً ، ثُمَّ رُفِعَ رَأْسُهُ إِلَى الْفَلَامِ ،  
وَقَالَ : أَينَ الرَّأْسُ ؟ قَالَ : رَمَيْتُ بِهِ ، قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : مَا طَنَنْتُ أَنْكَ لَأَكُلَّهُ ،  
وَلَا تَسْأَلُ عَنِّي ! قَالَ : وَلَأْ شَيْءٌ ظَنَنْتَ ذَلِكَ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَمْتُ مِنْ يَرْمَى بِرْجَلِهِ ؛  
فَكَيْفَ مِنْ يَرْمَى بِرَأْسِهِ !

وَالرَّأْسُ رَئِيسُ ، وَفِيهِ الْحَوَاسُ الْثَّمَسُ ، وَمِنْهُ يَصِيحُ الدِّيكُ ، وَلَوْلَا صَوْتُهُ  
مَا أُرِيدَ ، وَفِيهِ عُرْفُهُ الَّذِي يَتَبَرَّكُ بِهِ ، وَفِيهِ عَيْنُهُ الَّتِي يُضْرِبُ بِهَا الْمَلِلُ ؛ فَيَقُولُ :  
« شَرَابٌ كَعْنَى الدِّيكَ » ، وَدِمَاغُهُ عَجْبٌ لِوَجْهِ الْسَّكِيلِيَّةِ ، وَلَنْ تَرِي عَظِيمًا قَطَّ  
أَهْشَأَ مِنْ عَظَمَ رَأْسِهِ ؛ فَإِنْ كَانَ مِنْ نُبْلٍ أَنْكَ لَا تَأْكُلُهُ فَإِنْ عَنْدَنَا مِنْ يَأْكُلُهُ  
أَوْ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ طَرَفِ الْجَنَاحِ وَمِنْ السَّاقِ وَالْعُنْقِ !

انظُرْ أَينَ هُوَ ! قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَينَ هُوَ ، رَمَيْتُ بِهِ ؛ قَالَ : لَكَنِي أَدْرِي  
أَنْكَ رَمَيْتَ بِهِ فِي بِطْنِكَ ، وَاللَّهِ حَسْبُكَ !

\* عيون الأخبار : ٣ - ٢٥٩

(١) كان شاعرًا مجيداً، إلا أنه كان بنييُّ اللسان أوله بالمعجم والخط من أقدار الناس ، كان  
بيته وبين السكريت بن زيد وأبي سعد الخزروي مناقضات، ومات سنة ٢٤٦ هـ . (٢) عدمية:  
(٣) العassi : الذي أحسن حق جف وصلب . (٤) لا تخز : لا تقطع .

## ١٤٩ — لو عَلِمْتُ بِحَالِهِ لَوْأَجْبَتُ عَلَيْهِ \*

قال بشرُّ بن سعيد : كان بالبصرة شيخٌ من بني هَنْشَل نزل بيني أخت له في سكّة بني مازن ، نخرج رجالهم إلى ضياعهم ، وذلك في شهر رمضان ، وبقيت النساء يصلّين في المسجد ، فلم يبقَ في الدار إلا كلب يَعْسُ (١) ، فرأى يَعْسَ دخل وانصَفَ (٢) الباب ، فسمع الحركة بعض الإماء ، فظنوا أنّ لصاً دخل الدار .

فذهبت إِدْهَانَ إِلَى الشَّيْخِ ، وليَسْ فِي الْحَيِّ رَجُلٌ غَيْرُهُ فَأَخْبَرَتْهُ قَالَ :  
ما يَقْنَعُ الْلَّصَّ مَنَا ؟ ثُمَّ أَخْذَ عَصَاهُ وَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ قَالَ : إِيمَهُ  
يَامَلَامَانَ (٣) ! أَمَا وَاللهِ إِنَّكَ بِالْعَارِفِ ، وَإِنِّي بِكَ أَيْضًا لَعَارِفٌ ، فَهَلْ أَنْتَ إِلَّا  
مِنْ لَصوصِ بَنِي مازن ، شرِبتَ حَامِضًا خَيْثَا ، حَتَّى إِذَا دَارَتِ الْأَقْدَاحُ فِي رَأْسِكَ  
مِنْتَكَ نَفْسُكَ الْأَمَانِيِّ ، وَقَلْتَ : أَطْرُقُ بَنِي عُمَرَ ، وَالرَّجَالُ خَلْوَفُ ، وَالنِّسَاءُ يَصْلِيْنَ  
فِي مَسْجِدِهِنَّ ، فَأَسْرَقْتَهُمْ ، سُوءَكَ ا وَاللهِ مَا يَفْعُلُ هَذَا الْأَحْرَارِ ا لَيْسَ وَاللهِ  
مَا مِنْتَكَ نَفْسُكَ ، فَأَخْرُجْ وَإِلَّا دَخَلْتَ عَلَيْـكَ فَصَدَّمْتَكَ مِنْ الْمُقْوَبَةِ ، وَإِيمَهُ  
اللهِ لَتَخْرُجَنَّ أَوْ لَأَهْتِفَنَّ هَفْتَةً مَشْتُومَةً يَلْتَقِي فِيهَا الْحَيَّانُ : عُمَرُ وَحَنْظَلَةُ ، وَيَجِيْهُ  
سَعْدُ بْنُ عَبْدِ الْحَصَى ، وَيُسَيِّلُ عَلَيْكَ الرِّجَالُ مِنْ هَاهُنَا وَمِنْ هَاهُنَا ، وَلَئِنْ فَعَلْتُ  
لَتَكُونَ أَشَأَّ مَوْلَودَ .

\* عيون الأخبار : ١ - ١٦٧ ، المحيوان : ٢ - ٨٤

(١) كلب عسوس : طلوب لما يأكل . (٢) انصفق : أغلق . (٣) الملامان : الشيء .

فَلَمَّا رأى أَنَّهُ لَا يَجِدُهُ أَخْذَهُ بِاللِّينِ ، وَقَالَ : اخْرُجْ بِأَبِي وَأَمِّي ! إِنِّي وَاللَّهِ  
مَا أَرَاكَ تَعْرِفُنِي ، وَلَوْ عَرَفْتَنِي لَقُنْتُ بِقُولِي وَاطْمَانَتْ إِلَيْيَا أَنَا عُرُوهَةُ بْنُ مَرْئِيدٍ ؛  
أَبُو الْأَغْرِي ، وَأَنَا خَالُ الْقَوْمِ ، وَجِلْدَهُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ ، لَا يَمْصُوْنِي فِيْ أَمْرٍ ، وَأَنَّالَّكَ  
بِالنَّمَّةِ<sup>(١)</sup> كَفِيلٌ خَفِيرٌ ، أُصِيرُكَ بَيْنَ شَحْمَةِ أَذْنِي وَعَارِتِقِي ، لَا تُضَارُ ؛ فَأَخْرَجَ  
فَأَنْتَ فِي ذَمَّتِي ، وَإِلَّا فَإِنْ عَنْدِي قَوْصَرَتِينَ أَهْدَاهُمَا إِلَيْيَا بْنَ أَخْتِي الْبَارُ الْوَصْوَلُ ،  
فَخَذْ إِحْدَاهُمَا فَأَنْتَبِذْهَا حَلَالًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ !

وَكَانَ السَّكَلْبُ إِذَا سَمِعَ الْكَلَامَ أَطْرَقَ ، وَإِذَا سَكَتَ وَنَبَرَ يَرِيدُ الْخُرُجَ ؛  
فَضَاحَكَ أَبُو الْأَغْرِي ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَلْأَمَ النَّاسُ وَأَوْضَعُهُمْ ؛ لَا أَرَى إِلَّا أَنِّي الْلَّيْلَةَ  
فِي وَادِي وَأَنْتَ فِي آخِرِ ، إِذَا قَلْتَ لِكَ : السُّودَاءُ وَالبَيْضَاءُ تَسْكُتُ وَتُنْطَرِقُ ، فَإِذَا  
سَكَتَ عَنْكَ تَرِيدُ الْمَخْرَجَ ، وَاللَّهُ لَتَخْرُجَنَّ بِالْمَفْوِعِ عَنْكَ ، أَوْ لَأَلْيَنَ<sup>(٢)</sup> عَلَيْكَ  
الْبَيْتَ بِالْقَوْبَةِ ؟ فَلَمَا طَالَ وَقْفُهُ جَاءَتْ جَارِيَّةً مِنْ إِمَامِ الْحَيِّ ، فَقَالَتْ : أَغْرَابِي  
مَجْنُونَ وَاللَّهِ ! مَا أَرَى فِي الْبَيْتِ شَيْئًا ، وَدَفَعَتِ الْبَابَ فَخَرَجَ السَّكَلْبُ شَدِيدًا ،  
وَحَادَ عَنْهُ أَبُو الْأَغْرِي ، سَاقَطَ عَلَى قَفَاهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ بِحَالِهِ لَوَجَّتُ عَلَيْهِ

---

(١) النَّمَّةُ : الْمَهْدُ وَالْأَمَانُ . (٢) وَلَعِ الْبَابُ : دَخْلُ .

## ١٥٠ — وعلىَّ أيضًا !\*

قال أبو الحسن : كان عندنا بالمدينة رجل قد كثُر عليه الدَّين حتى توَارى من غُرْمَائِه ، ولزِمَّ منزله ، فأتاه غريمٌ عليه شَيْءٌ يسيئ فتَلطَّفَ حتى وصل إليه ، فقال له : ما تجعَلُّ لي إِنْ أَنَا دَلَّلْتُكَ عَلَى حِيلَةٍ تَصِيرُ بِهَا إِلَى الظَّهُورِ والسلامة من غُرْمَائِكَ ؟ قال : أقضِيكَ حَقَّكَ وأزيِدُكَ مَا عندِي مَا تَقَرَّ بِهِ عَيْنُكَ . فتوَقَّفَ مِنْهُ بالآيمان ، فقال له : غَدَّاً قَبْلَ الصَّلَاةِ مُرْ خادِمكَ يَكُنُّ بِأَبَكَ وفَنَاءِكَ ، ويرِشُّ ويبسِطُ عَلَى دَكَانِكَ حُصْرًا ، ويضعُ لَكَ مُتَّكَأً ، ثُمَّ اجْلِسْ وَكُلْ مِنْ يَمِّ عَلَيْكَ ويسْلِمْ تَنْبَحَ لِهِ فِي وَجْهِهِ ، وَلَا تَزِيدَنَّ عَلَى النُّبَاحِ أَحَدًا كَاثِنًا مِنْ كَانَ ، وَلَوْ كَلَّكَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِكَ أَوْ خَدِمِكَ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ أَوْ غَيْرِهِ ، حتَّى تَصِيرَ إِلَى الْوَالِي ، فَإِذَا كَلَّكَ فَانْبَحَ لِهِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَزِيدَهُ أَوْ غَيْرِهِ عَلَى النُّبَاحِ ، فَإِنَّ الْوَالِي إِذَا أَيْقَنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْكَ جَدَّلَ مِنْكَ أَنَّهُ قد عَرَضَ لَكَ عَارِضٌ مِنْ مَسْنِي فَيُخْلِي عَنْكَ .

فَفَعَلَ ، فَرَأَى بَعْضُ جِيرَانِهِ فَسَلَمَ عَلَيْهِ ؛ فَنَبَحَ فِي وَجْهِهِ ؛ ثُمَّ مِنْ آخِرِ فَعْلَمِ مِثْلِ ذَلِكَ حَتَّى تَسَامَعَ غُرْمَاؤِهِ ؛ فَأَتَاهُ بَعْضُهُمْ فَسَلَمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَزِدْهُ عَلَى النُّبَاحِ ، ثُمَّ آخِرَ وَآخِرَ ؛ فَتَمَلَّقُوا بِهِ فَرَفَمُوهُ إِلَى الْوَالِي ؛ فَسَأَلَهُ الْوَالِي فَلَمْ يَزِدْهُ عَلَى النُّبَاحِ ، فَرَفَفَهُ مَعْهُمْ إِلَى الْقَاضِي فَلَمْ يَزِدْهُ عَلَى ذَلِكَ ؛ فَأَمْرَ بِخَبْسَهُ أَيَّامًا ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ الْعَيْنَوْنَ . فَلَكَ نَفْسَهُ ، وَجَعَلَ لَا يَنْطَقُ بِحَرْفٍ سَوِيِّ النُّبَاحِ .

فَلَمَّا رَأَى الْقاضِي ذَلِكَ أَمْرًا يُخْرِجُهُ ، وَوَضَعَ عَلَيْهِ الْمِعْوَنَ فِي مَنْزِلِهِ ، وَجَعَلَ لَا يَنْطِقَ بِحَرْفٍ إِلَّا النَّبَاحَ ، فَلَمَّا تَقْرَرَ ذَلِكَ عِنْدَ الْقاضِي أَمْرٌ غَرْمَاهُ بِالْكَفِ عَنْهُ ،  
وَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ بِهِ لَمْ ؟ فَسَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

شِمْ إِنْ غَرِيمَهُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْحِيلَةَ أُتَاهُ مُتَقَاضِيًّا لِعِدَّتَهُ ، فَلَمَّا كَلَمَهُ  
جَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى النَّبَاحِ ! قَالَ لَهُ : وَيْلَكَ يَا فَلَانَ ! وَعَلَىْ أَيْضًا ! وَأَنَا عَلِمْتُكَ  
هَذِهِ الْحِيلَةَ ! جَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى النَّبَاحِ ، فَلَمَّا يَنْسَ مِنْهُ انْصَرَفَ غَيْرَ آمِلٍ فِيهَا  
يَطَالِبُهُ بِهِ .

## ١٥١ - كذب بـ كذب \*

قال الجاحظ<sup>(١)</sup> : حدثني محمد بن يسير<sup>(٢)</sup> عن والي كان بفارس قال : بينما هو يوماً في مجلس ، وهو مشغول بمحاسبه وأمره ، وقد احتجب جده<sup>(٣)</sup> ، إذ نجم<sup>(٤)</sup> شاعر من بين يديه ، فأنشده شعراً مدحه فيه وقرظه<sup>(٥)</sup> ومجدده . فلما فرغ قال : قد أحسنت ، ثم أقبل على كاتبه فقال : أعطيه عشرة آلاف درهم ؛ ففرح الشاعر فرحاً قد يستطار<sup>(٦)</sup> له .

فلا رأى حاله قال : وإن لرأى هذا القول قد وقع منك هذا الموضع . أجعلها عشرين ألف درهم . وكاد الشاعر يخرج من جلده ! فلما رأى فرحة قد تضاعف قال : وإن فرحت ليتضاعف على قدر تضاعف القول ! أعطيه يا فلان أربعين ألفاً . فكاد الفرح يقتله . فلما رجعت إليه نفسه قال له : أنت - جعلت فداك - رجل كريم ، وأنا أعلم أنك كلما رأيتك قد ازدادت فرحاً زدتني في الجائزة . وقبول هذا منك لا يكون إلا من قلة الشكر له ! نعم دعا له وخرج .

قال : فأقبل عليه كاتبه فقال : سبحان الله ! هذا كان يرضي منك بأربعين درهما ، تأمر له بأربعين ألف درهم ! قال : ويلك ! وتريد أن تعطيه شيئاً ؟ قال :

---

\* البخلاء : ١ - ٥٩ (طبعة دار الكتب) .

(١) عمرو بن بحر ، ولد بالبصرة ، كتبه أشهر من أن تمحى ، توفي سنة ٢٥٥ هـ . (٢) شاعر بصري . (٣) أي احتجب عن الناس ما أمكنه الاحتجاج . (٤) نجم : ظهر . (٥) قرظه : مدحه . (٦) يستطار له : يذعر منه .

ومنْ إِنْفَادُ أَمْرَكَ بَدَّ ؟ قَالَ : يَا أَحْمَقُ ؛ إِنَّا هَذَا رَجُلٌ سَرَّنَا بِكَلَامٍ وَسَرَّنَا بِكَلَامٍ ؛ هُوَ حِينَ زَعْمٌ أَنِّي أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ ، وَأَشَدُّ مِنَ الْأَسْدِ ، وَأَنْ لِسَانِي أَقْطَعَ مِنَ السِيفِ ، وَأَنَّ أَمْرِي أَنْفَدُ مِنَ السَّنَانِ ، جَعَلَ فِي يَدِي مِنْ هَذَا شَيْئًا أَرْجَعَ بِهِ إِلَى شَيْءٍ ؟ أَلَسْنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ كَذَبَ ؟ وَلَكِنَّهُ قَدْ سَرَّنَا حِينَ كَذَبَ لَنَا . فَنَحْنُ أُيَضًا نَسْرَهُ بِالْقَوْلِ ، وَنَأْمِرُ لَهُ بِالْجَوَافِزِ ، وَإِنْ كَانَ كَذِبًا ؛ فَيُكَوِّنُ كَذَبًا بِكَذَبِهِ ، وَقَوْلًا بِقَوْلِهِ . فَأَمَا أَنْ يُكَوِّنُ كَذَبًا بِصَدَقَةٍ ، وَقَوْلًا بِفَعْلٍ ، فَهَذَا هُوَ الْخَسْرَانُ الَّذِي مَا سَمِعْتُ بِهِ !

---

## ١٥٢ - ذهب الحمار بأم عمر و\*

قال الجــاحظ : دخلت يوماً مدينةً ، فوجدت فيها معلمًا في هيئة حسنة ، فسلمتُ عليه ، فرداً على أحسن رداء ، ورحب بي ، فجلست عنده ، وباحتته في القرآن ؛ فإذا هو ماهرٌ فيه ، ثم تفأَّلْخَنَنا الفقه والنحو وأشعار العرب ؛ فإذا هو كامل الآداب ؟ قلت : سأختلفُ إليه وأزوره .

وسمحت يوماً زيارته ، فإذا بالكتاب<sup>(١)</sup> معلق ، ولم أجده ؛ فسألتُ عنه ، فقيل : مات له ميتٌ ؟ لفِزْن عليه ، وجلس في بيته للعزاء . فذهبت إلى بيته ، وطرقت الباب ، فخرجت إلى جاريه وقالت : ما تربد ؟ قلت : سيدك . فدخلت وخرجت ، وقالت : باسم الله ؟ فدخلت إليه ، وإذا به جالس . قلت : عظيم الله أجرك ؛ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . كل نفسٍ ذاتقة الموت ؛ فعليك بالصبر .

ثم قلت له : هذا الذي تُوفى ولدك ؟ قال : لا . قلت : فوالدك ؟ قال : لا . قلت : فأخوك ؟ قال : لا . قلت : فزوجتك ؟ قال : لا . قلت : فمن هو ؟ قال : حبيبي . قلت في نفسي : هذه أولى العجائب . قلت : سبحان الله ! النساء كثير وستجدن غيرها . فقال : أنظن أنى رأيتها ؟ قلت : وهذه الثانية .

نم قلت : وكيف عشتَ من لم تر ؟ فقال : اعلم أنى كنت جالساً في هذا المكان ، وأنا أنظر من الطاق<sup>(١)</sup> ، إذ رأيت رجلاً عليه بُرْد ، وهو يقول : يا أم عمرو جزاكِ الله مكرمة رُدُّي على فؤادي أينما كانا فقلت في نفسي : لو لا أن أم عمرو هذه ما في الدنيا أحسن منها ما قبل فيها هذا الشر ؛ فمشقتها .

فلا كأن منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول :

لقد ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا راجع الحمار  
فعلمت أنها ماتت ، فحزنت عليها ، وأغلقت الكتب ، وجلست في الدار !

فقلت : يا هذا ؟ إني كنت قد أفتكت بآباء في نوادركم عشر المعلمين ، و كنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه ، والآن قد قويت عزمي على إبقائه ، وأول ما أبدأ بك إن شاء الله .

---

(١) الطاق : ماعقد من الأبنية .

## ١٥٢ - أَعْجَب مَا رأَيْت مِنَ الْمُجَانِينَ\*

حدث المبرد<sup>(١)</sup> قال : قال لي المازني : بلغنى أنك تنصرف من مجلسنا إلى مواضع المجانين والمعالجين<sup>(٢)</sup> فما معنى ذلك ؟ قلت : أعزك الله تعالى ؛ إن لم طرائف من الكلام ! قال : فأخبرني بأعجب ما رأيت من المجانين ! قلت : صرت يوماً إلية هم فترت على شيخ منهم ، وهو جالس على حصير قصيبي ، خوازته إلى غيره ، فقال : سبحان الله ! أين السلام ؟ مَن المجنون ؟ أنا أم أنت ؟ فاستحييت منه ، وقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته. قال : لو كنت ابتدأت لأوجبت علينا حُسْنَ الرَّدِّ ، على أنا نصرف سوء أدبك إلى أحسن جهاته من العذر ، لأنك كان يقال : إن للداخل على القوم دهشة ، اجلس - أعزك الله - عندنا ، وأوْمِأْ إلى موضع من الحصير ، فجلست إلى ناحية منه ، فقال لي - وقد رأى معي مخبرتي : أرى معك آلة رجلين أرجو لا تكون أحدهما : أصحاب الحديث الأغاث ، أو الأدباء أصحاب التصو والشعر ؟ قلت : الأدباء ! قال : أتعرف أبا عثمان المازني ؟ قلت : نعم ! قال : أتعرف الذي يقول فيه القائل :

وَفَتَى مِنْ مَازِنْ أَسْتَاذَ أَهْلَ الْبَصَرَةِ  
أَمْهَ مَعْرِفَةَ وَأَبْوَهَ نَكِرَةَ

\* معجم الأدباء : ١٩ - ١١٦

(١) هو محمد بن يزيد، المعروف بالبرد إمام العربية في زمانه بيفداد وأحد أئمة الأدب والأخبار. مولده بيفداد وتوفى بها سنة ٢٨٦ م. (٢) المدخولين في عقوفهم ، والمعاطين للعلاج .

قالت : لا أعرفه ، فقال : أتعرف غلاماً له قد نبغ في هذا المسر ، له ذهن وحفظ وقد بَرَزَ في النحو ، يعرف بالمبرد ؟ قلت : أنا والله أخبير به ! قال : فهل أنسدك شيئاً من شعره ؟ قلت : لا أحسبه يُحسِن قول الشعر ! فقال : يا سبحان الله ! أليس هو القائل :

حَبَّذَا ماه العنايقِدِ بِرِبِقِ الْفَانِيَاتِ  
بِهِمَا يَنْبَتُ لَحْمِي وَدَمِي أَيْ نَبَاتِ

قالت : قد سمعته ينشد هذا في مجلس أنس ؟ فقال : يا سبحان الله ! ألا يستحق أن ينشد مثل هذا الشعر حول الكعبة ؟ ثم قال : ألم تسمع ما يقولون في نَسَبِه ؟ قلت : يقولون : إنه من الأزد أَزْد شنوة ، ثم من ثُمَالَةٍ ! قال : أتعرف القائل في ذلك :

سَأَلْنَا عَنْ ثُمَالَةَ كُلَّ حَيٍّ      قال القائلون : وما ثُمَالَةُ ؟  
قالوا : زَدْتَنَا بِهِمْ جَهَالَةُ !      قلت : محمد بن يزيد منهم  
قال لي المبرد : خلْ قومي      قومي مَعْشَرٌ فِيهِمْ نَذَالَةُ !

قالت : أعرفه ! هذا عبد الصمد بن المعتزل يقولها فيه ! فقال : كذب فيما ادعاه ! هذا كلامُ رجلٍ لا نسب له ، يريد أن يُثبتَ له بهذا الشعر نسبة ، قلت له : أنت أعلم ! فقال : ياهذا ، قد غلت خفةً روحك على قلبي ، وقد أخررت ما كان يجب تقديمها ، ما الكنية ؟ أصلاحك الله ! قلت : أبو العباس ، قال : فما الاسم ؟ قلت : محمد ، قال : فالأب ؟ قلت : يزيد . قال : فبحَك الله ! أحوالجتنى إلى الاعتذار بما قدمت ذكره ، ثم وثب وبسط يده فصاخني ؛ فرأيتُ القيدَ في

رجله ، فَأَمِنْتُ غَائِلَتَهُ ، قَالَ : يَا أَبَا الْعَبَّاسَ ، صُنْ نَفْسَكَ مِن الدُخُولِ فِي هَذِهِ  
الْمَوَاضِعِ ؟ فَلَيْسَ يَتَهَيَّأُ فِي كُلِّ وَقْتٍ أَنْ تَصْلِفَ مِثْلِي عَلَى مِثْلِ حَالِي ، نَمَّ قَالَ :  
أَنْتَ الْمَبْرَدُ ! وَجَعْلَتِي يَصْفُقُ ، وَانْقَلَبْتِ عَيْنَاهُ وَاحْمَرَتْ وَتَغَيَّبَتْ  
حَالَتِهِ ، فَبَادَرَتْ مُسْرِعًا خَوْفًا أَنْ تَبَدَّرَ إِلَيْيَّ مِنْهُ بَادْرَةً ؛ وَقَبَلَتْ مِنْهُ وَاللَّهُ نُصْحِحُهُ ،  
وَلَمْ أَعَاوِدْ بَعْدَهَا إِلَى تَلْكِ المَوَاضِعِ أَبْدًا !

\* مجنونِ ادیب - ۱۵۴

قال أبو العباس أحد بن يحيى المعروف بـَثَعْلَبَ<sup>(١)</sup> : كان بيغداد فتىً يُجَنِّبَ ستةً أشهر ، فاستقبلني يوماً ببعض السكك فقال : ثعلب ! قلت : نعم ، قال : فأناشدني ، فأأنشدته :

وإذا صرطَ بقبرِه فاعْقِرْ به كُوم<sup>(٢)</sup> المِحْان وكلَّ طِرفٍ<sup>(٣)</sup> ساجِعٍ  
وانْضَحْ جوابَ قبره بدمائِهَا فَكذا يَكُونُ أخا دَمٍ وذبائحٍ  
فضحكْ نُم سكت ساعة ؟ وقال : ألا قال :

اذهبا بي إن لم يكن لـكـ عـقـرـ على تـرـبـ قـبرـه فـاعـقـرـانـي  
وانـضـحـاـ من دـمـيـ عـلـيـهـ قـدـ كـاـ نـ دـمـيـ من نـدـاهـ لو تـعـلـمـانـ  
ثم رـآـنـيـ يـوـمـاـ بـعـدـ ذـلـكـ فـأـمـالـيـ ،ـ وـقـالـ :ـ ثـلـبـ !ـ قـلـتـ :ـ نـعـ ؟ـ قـالـ :ـ أـنـشـدـنـيـ ،ـ  
فـأـنـشـدـتـهـ :

أَعْارَ الْجُنُودَ<sup>(٤)</sup> نَاثِلَهُ إِذَا مَا مَأْلَهُ نَقَدَا  
وَإِنْ أَسْدَ شَكَّا جُبَيْنَأَعْارَ فُؤَادَهُ الأَسْدَدَا

**فضحك وقال : ألا قال :**

علمَ الجُودَ النَّدِيَ حَتَّى إِذَا  
ما حَكَاهُ عَلِمَ الْبَأْسَ الْأَسْدُ  
فَلَهُ الْجُودُ مُقْرَّبٌ بِالنَّدِيِّ  
وَلِهِ الْيَثُّ مُقْرَّرٌ بِالْجَلَدِ

\* عقلاه المجانين : ١٣٥ ، نهاية الأرب : ٣ - ٢١٣

(١) أَحْدَبُ بْنُ يَحْيَى إِمَامُ الْكَوْفَيْنِ فِي النُّحُو وَالْلَّغَةِ كَانَ رَاوِيًّا لِلشِّعْرِ مُشْهُورًا بِالْمَخْفَظِ وَصَدْقِ الْهَجَةِ،  
 ثَقَةُ حَجَةَ، تَوْفَى سَنَةُ ٢٩١ هـ . (٢) الْكَوْمُ : الْقَطْعَةُ مِنَ الْإِبْلِ . (٣) الْطَّرْفُ : الْسَّكِيرُ مِنَ  
 الْمَلِيلِ . (٤) الْمَبُودُ : الْمَطْرُ التَّغْزِيرُ .

## \* ١٥٥ — كَدْرُ اللَّهِ مِنْ كَدْرِ الْعِيشِ

قال الحدوقي : بعث إلى أحمد بن حرب الملببي في غداة ، السماء فيها مغيمة ، فأتيته ، والمائدة موضوعة مقطأة ، وقد وافت « عجائب » المفنية ؛ فأكلنا جميعاً وجلسنا على شرابنا ؛ فاراعنا إلا داق يدق الباب فأتاه الغلام ؛ فقال : بالباب فلان ! فقال لي : هو فتى من آل الهلاب ، ظريف نظيف ! قلت : ما زيد غير ما نحن فيه !

فاذن له ؛ بناء يتبعثر ، وقد أدى قدح شراب فكسره ، فإذا رجل آدم<sup>(١)</sup> ضخم ! وتكلم ؛ فإذا هو أعيا الناس .

فلس يبني وبين « عجائب » ؛ فدعوت بدواة ، وكتبت إلى أحمد ابن حرب :

كَدْرُ اللَّهِ عِيشَ مِنْ كَدْرِ الْعِيشِ شَ؛ فَقَدْ كَانَ صَافِيًّا مُسْتَطَلًا  
جَاءَنَا وَالسَّمَاءُ تَهْطَلُ بِالْغَيَّبِ شَ وَقَدْ طَابَ السَّمَاعُ الشَّرَابًا  
كَسْرُ الْكَأْسِ وَهِيَ كَالْكَوْكَبِ الدَّرِّ<sup>(٢)</sup> رِضَا بَا<sup>(٣)</sup>  
قَلْتُ لَمَّا رُمِيَتْ مِنْهُ بِهَا أَكَ رَهَّ ، وَالدَّهْرُ مَا أَفَادَ أَصَابَا !  
مَجَلُ اللَّهِ رِقْمَةً لَابْنِ حَرْبٍ تَدَعُ الدَّارَ بِمَدْشِيرٍ خَرَابَا !

\* زهر الأدب : ٤ - ١٧٧

(١) الآدم : الأسر . (٢) الكوكب الدرى : الثاقب المضى ، نسب إلى الدر لبيانه .

(٣) المدام : الخمر . (٤) الرضاب : العسل ، أو رغونه .

ودفعتُ الرقة له ؛ فقال : ألا نَفْسَتَ<sup>(١)</sup> ؟ قلتَ : بعد حول<sup>(٢)</sup> ؟ قلتَ :  
أردتُ أن أقولَ بعد يوم ؛ نفِيتُ أَن يصيَّبَنِي مضرَّةً ذلك !  
وَفِطْنَ التَّقْيِيلِ ؛ فَهَمِسَ ، قَالَ : آذِيَّتَهُ ! قَلْتَ : هُوَ آذَانِي !

---

(١) نفس تنفيها : فرج ، يريد ألا فرجت عن نفسك وصبرت . (٢) يريد : بدل شهر النّيور . وردت في البيت .

## ١٥٦ - يضيف أهل الصفة ثم يضر بهم

---

كان زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِي وَالْيَأْمَى عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ فِيهِ بَخْلٌ وَجَفَاءٌ ،  
خَاهَدَ إِلَيْهِ كَاتِبٌ مُسَلَّلًا فِيهَا أَطْعَمَهُ ، وَقَدْ تَنَوَّقَ<sup>(١)</sup> فِيهَا ، فَوَافَقَتْهُ وَقَدْ تَنَقَّدَى ،  
قَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : عَدَاءُ بَعْثَهُ فَلَانُ الْكَاتِبُ ! فَفَضَّبَ ، وَقَالَ : يَبْعَثُ أَحَدَمَ  
الشَّيْءَ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ ! يَا يَحْيَى بْنَ مَالِكٍ - يَرِيدُ صَاحِبَ شَرْطَتِهِ : ادْعُ لِي أَهْلَ  
الصَّفَةِ<sup>(٢)</sup> يَا كُلُونَ هَذَا !

فَبَعْثَتْ يَحْيَى الْحَرْسَ يَدْعُونَهُمْ ، فَقَالَ الرَّسُولُ الَّذِي جَاءَ بِالسَّلَالِ : أَصْلَحْ اللَّهُ  
الْأَمْرَ ! لَوْ أَمْرَتَ بِهَذِهِ السَّلَالِ تُفْتَحُ وَيَنْظَرُ مَا فِيهَا !

قَالَ : أَكْشِفُوهَا ، فَإِذَا طَعَامُ حَسْنٍ مِنْ دَجَاجٍ وَجِدَاءٍ<sup>(٣)</sup> وَسِنَكٍ وَأَخْبَصَةٍ<sup>(٤)</sup>  
وَحَلَوَاءٍ ! فَقَالَ : ارْفَعُوهَا هَذِهِ السَّلَالَ .

وَجَاءَ أَهْلُ الصَّفَةِ ؛ فَأَخْبَرَهُمْ ، فَأَمْرَ بِإِخْضَارِهِمْ ، وَقَالَ : يَا يَحْيَى ، اضْرِبْهُمْ عَشْرَةً  
أَسْوَاطًا ، فَإِنَّهُ بِلِغَنِي أَنْهُمْ يَحْدُثُونَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !

---

\* نهاية الأرب : ٣ - ٣٠٥ .

(١) تَنَوَّقَ فِي الْأَمْرِ : تَأْنِقَ فِيهِ (٢) أَهْلُ الصَّفَةِ : كَانُوا أَصْبَابَ الإِسْلَامِ ، وَكَانُوا يَبْيَتُونَ فِي  
مَسْجِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) الْجَدَاءُ : جَمْ الجَدَى ، وَهُوَ وَلَدُ الْمَزْ (٤) الْحَيْسُ : طَعَامٌ  
مِنَ الْمَرْ وَالسَّمِنِ .

(٢٩) قصص - رابع )

## ١٥٧ - ابن المدبر وطفيلي\*

كان ابن المدبر قليل الجلوس للنادمة ، وكان له سبعة نداماء لا يأنس بغيرهم ولا ينبعط إلى سوام ، قد اضطفأهم لعشراته ، واختارهم لnadmate ، كل رجل منهم قد انفرد بنوع من العلم لا يساويه فيه غيره .

وكان طفيلي يُعرف بابن دراج من أكمل الناس أدبا ، وأخفهم روحًا ، وأشدم في كل مليحة افتنانا ؟ فلم يزل يحتجل إلى أن عرف وقت جلوس ابن المدبر للندماء ، فتزينا في زى ندامائه ، ودخل في جلتهم ، وظن حاجبه أن ذلك بعلم من صاحبه ومعرفة من أولئك النداماء ، ولم يذكر شيئاً من حاله .

وخرج ابن المدبر ، فنظر إليه بين القوم ، فقال حاجبه : اذهب إلى ذلك الرجل ، فقل له : ألك حاجة ؟ فسقط في يد الحاجب ، وعلم أن الحيلة قد تمت عليه ، وأن ابن المدبر لا يرضى في عقوبته إلا بقتله ، فذهب إليه ، فقال له : الأستاذ يقول لك : ألك حاجة ؟ فقال : قل له : لا . فقال له : ارجع إليه فقل له : أى شيء أنت ؟ قال : قل له : طفيلي يرحمك الله !

قال له ابن المدبر : أنت طفيلي ؟ قال : نعم ! أعزك الله ! قال : إن الطفل يُحتمل دخوله بيوت الناس وإفساده عليهم ما يريدونه من الخلوة بندمامتهم والخلوص في أسرارهم للحصول ، منها أن يكون لاعبا بالشطرنج ، أو بالرِّيد ، أو ضاربا بالعود أو الطنبور !

قال : أَيْدَكَ اللَّهُ ! أَنَا أَحْسَنُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ كُلُّهَا ، قَالَ : وَفِي أَىْ وَظِيفَةِ أَنْتَ مِنْهَا ؟ قَالَ : فِي الْعُلْيَا مِنْ جِمِيعِهَا !

قَالَ لِبَعْضِ نَدْمَانِهِ : لَا عَنْهِ بِالشَّطْرُونَجِ ، قَالَ الطَّفِيلُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَسْتَاذَ إِنْ قُرِيتْ<sup>(١)</sup> ؟ قَالَ : أَخْرُجْنَاكَ مِنْ دِيَارِنَا . قَالَ : إِنْ قَمِرتْ ؟ قَالَ : أَعْطَيْنَاكَ أَلْفَ دَرْهَمٍ . قَالَ : إِنْ رَأَيْتَ - أَيْدَكَ اللَّهُ - أَنْ تَحْضُرَ الْأَلْفَ ؟ إِنْ فِي حُضُورِهَا قُوَّةٌ لِلنَّفْسِ وَالْإِيمَانِ بِالظَّفَرِ .

فَأَحْضَرَتْ ؛ فَلَعْبًا فَغَلَبَ الطَّفِيلُ<sup>٢</sup> ، وَمَدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَ الدِّرَاهِمَ ، قَالَ الْحَاجِبُ لِيَنْقُ عنْ نَفْسِهِ بَعْضَ مَا وَقَعَ فِيهِ : أَعَزَ اللَّهُ الْأَسْتَاذَ ؟ إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ فِي الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا ، وَابْنُ فَلَانَ غَلَامَكَ يَقْبَلُهُ .

فَأَحْضَرَ الْفَلَامَ ، فَغَلَبَ الطَّفِيلُ<sup>٣</sup> ، قَالَ لَهُ : انْصِرْفْ ، قَالَ : أَحْضِرُوا الرَّدَّ ، فَأَحْضَرَتْ فَلُوعَبَ فَغَلَبَ ، قَالَ الْحَاجِبُ : وَلَا هَذَا - يَا سَيِّدِي - فِي الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا مِنَ التَّرَدِ ، وَلَكِنْ بَهْ أَبْنَا فَلَانَ يَقْبَلُهُ ، فَأَحْضَرَ الْبَوَابَ فَغَلَبَ الطَّفِيلُ<sup>٤</sup> ، قَالَ لَهُ : اخْرُجْ ، قَالَ : يَا سَيِّدِي ، فَالْمَوْدُ ؟

فَأَتَى بِالْمَوْدُ ، فَضَرَبَ فَأَصَابَ ، وَغَنَّى فَأَطْرَبَ ، قَالَ الْحَاجِبُ : يَا سَيِّدِي ؛ فِي جَوَارِنَا شَيْخٌ يُعْلَمُ الْقَيَّانُ أَحْذَقَ مِنْهُ ، فَأَحْضَرَ الشَّيْخَ ، فَكَانَ أَطْرَبَ مِنْهُ ، قَالَ لَهُ : اخْرُجْ ، قَالَ : فَالْطَّنْبُورُ ، فَأَعْطَى طَنْبُورًا فَضَرَبَ ضَرَبًا لَمْ يَرَهُ النَّاسُ أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَغَنَّى غَنَاءً فِي النَّهَايَةِ ، قَالَ الْحَاجِبُ : أَعَزَ اللَّهُ الْأَسْتَاذَ ؟ فَلَانُ فِي جَوَارِنَا أَحْذَقَ مِنْهُ ، فَأَحْضَرَ فـ كَانَ أَحْذَقَ مِنْهُ وَأَطْيَبَ ، قَالَ لَهُ أَبْنَى الدَّبْرِ :

(١) فَرَتْ : غَلَبَتْ فِي الْلَّعْبِ .

قد تقصّيَنَا لَكَ بِكُلِّ جَهْدٍ، فَأَبَتْ حِرْفَيْكَ إِلَّا طَرَدَكَ عَنْ مَنْزِلَنَا.

قال : ياسيدى ، بقى شىء ! قال : ما هو ؟ قال : تأمر لى بقوس بندق <sup>(١)</sup> مع خسین بندقة رصاص ، ويقام هذا الحاجب على أربع وأربعين بها ، وإن أخطأت بواحدة منها ضربت رقبتى . فضح الحاجب من ذلك ، ووْجَدَ ابْنُ المدبر في ذلك شفاءً لنفسه وعقوبة له على ما فرط منه في إدخال الطفيلي إلى مجلسه . فأمر يَا كافين <sup>(٢)</sup> فأحضرها ، وجعل أحد هما فوق الآخر ، وشُدَّ الحاجب فوقهما ، وأمر بالقوس والبندق فدفعا إلى الطفيلي ، فرمى به ؛ فما أخطأه ؛ وخلى عن الحاجب وهو يتأنّى له لما به ، فقال له الطفيلي : أهل باب الأستاذ من يُحسن مثل هذا ؟ فقال : ما دام البرجاس <sup>(٣)</sup> استي فلا !

---

(١) البندق : الذى يرى به ، الواحدة بهاء (٢) الإكاف : البرذعة (٣) البرجاس : غرض

في الهواء على رأس رمح أو نحوه .

## \* ١٥٨ - صناعتهم التطفيل \*

قال دراج : قدمت من بغداد ، فررت بباب قوم وعندم ولية ، وإذا  
بصاحب الدار يدخل وبضم سـَلـَّا فكلما رأى إنسانا لا يعرف قال : اصعد يا أبي ؟  
فصعدت إلى غرفة مفروشة حتى وافيت فيها ثلاثة عشر طفليلا ، ثم رفع السلم ،  
ووضعتم الموائد ، فبقى أصحابي قد تحرروا وقالوا : مامـَرـَّ بنا مثل ذا قط ؟ قلت :  
يا فتيان ، ما صناعتكم ؟ قالوا : التطفيل ، قلت : ما عندكم في هذا الأمر الذي وقنا  
فيه ؟ قالوا : ما عندنا فيه حيلة ، قلت : فإذا احتلت لكم حتى تأكلوا وتنزلوا تقررون  
أني أعلمكم بالتطفيل ؟ قالوا : ومن تكون بالله ؟ قلت : أنا ابن دراج . قالوا : قد  
أقرنا لك قبل أن تختال لنا . قال : بغيثت إلى صاحب الدار فاطلعت عليه والناس  
يأكلون وقلت : يا صاحب الدار ؟ قال : مالك ؟ قلت : أيها أحب إليك : تصعد  
إلينا بخوان كبير ، نأكل ونزول أو أزني بنفسى ، فيخرج من دارك قتيل ؛ ويصير  
عـُسـُكـ مـَأـَنـَما ؟ وجعلت أريه كأنى أزني بنفسى ، فصاحت وقال : اصبر ويلك  
لا تفعل ! وجعل يتعجل ويقول : هذا مجنون . وأصعدوا إلينا خوانا ، فـَكـنـَـاـ وـَنـَـلـَـناـ .

## ١٥٩ — اصبروا علىَ إِلَى غَدِيَ \*

ادعى مُدعِّي النبوة ، فطلب ودُعى له بالسيف والنقط؛ فقال : ما تصنعون ؟ قالوا : نقتلك ، قال : ولم تقتلوني ؟ قالوا : لأنك ادعى النبوة ، قال : فلست ادعها ، قيل له : فأي شئ أنت ؟ قال : أنا صديق ، فدعى له بالسياط ، فقال : لم تضر بوني ؟ قالوا : لا دعائلك أنك صديق ، قال : لا أدعى ذلك ، قالوا : فمن أنت ؟ قال : من التابعين لهم بإحسان ، فدعى له بالدرة<sup>(١)</sup> ، قال : ولم ذلك ؟ قالوا : لا دعائلك ماليس فيك ، فقال : ويحكم ! أدخل إليكم وأنانبي تريدون أن تخطوني في ساعة واحدة إلى مرتبة العوام ! اصبروا علىَ إِلَى غَدِي حتى أصير لكم ما شتم !

\* نهاية الأربع : ٤ - ١٦

(١) الدرة بالكسر : التي يضرب بها .

## \* ١٦٠ — هو خير الناسِ مهما يفعل \*

حدثَ رجلٌ من عاصِرِ بنِ لؤيٍّ ، قال : كان صبيًّا منا ترك له أبوه غنائمًا وعبيداً ؛ فخرج يوماً ، فنظر إلى جاريةٍ في خبائثها فهوى إليها ، ومال إلى أمها ، وسألها لمن تزوجها منه ، فقالت : حتى أسألك عن أخلاقك .

فسألَ عن أقرب الناسِ إليها ، فدلَّ على شيخٍ كان معروفاً بمحسنِ الخضراءِ . فأنشاه وسلَّمَ عليه ، وقال : ما جاءتك ؟ فأخبره ! فقال : لا عليك ! فإنَّ العجوز غيرُ خارجيةٍ من رأيِّي ، فامض إلى منزلك ، وأقم يوماً أو يومين ، ومرُّ بفنائك أنْ تُساقَ ، ونادي أهلك : أَمَا من أراد أن يخلبَ فلديأنا ! ودَعْني والأمر !

فشايع الخبرُ ، فخرجت العجوز مع منْ خرج ، والشيخُ مع القوم ، فنظر إلى الشابَ ، وقد كانت العجوز قد أخبرته بشأنه ، فقال : هو هو ! فقالت : نعم ! قال : لقد حُرِمتِ حظكِ ! قالت : إنِّي أريد أن أسألكَ عن أخلاقه . قال : أنا ربيته . قالت : فكيف لسانه ؟ قال : خطيبُ أهله ، والمتكلِّمُ عنهم . قالت : فكيف سماحته ؟ قال : نِمَالٌ<sup>(١)</sup> في قومه ، وربِّيهم ! قالت : فكيف شجاعته ؟ قال : حامي قومه والمدافعُ عنهم !

قال : فطلعَ الفتى ، فقال : أَمَا ترينَ ما أحسنَ ما أقبل ! ما انْهني ولا اشْنِي !

\* الحاسن والساوى : ٦٤٣ (طبع ليزج) .

(١) النِّمَالُ : الشياطِنُ الَّذِي يقوِّمُ بأمرِ قومه .

فَلَمَا قَرُبَ سَلْمٌ ، قَالَ : مَا أَحْسَنَ مَا سَلَّمَ ! مَا حَارَ وَلَا نَارٌ . ثُمَّ اسْتَوَى جَالِسًا ،  
قَالَ : مَا أَحْسَنَ مَا جَلَسَ ! مَا رَكِعَ وَلَا عَجَزَ . قَالَتْ : أَجَلَ ! فَذَهَبَ يَتَحَرَّكُ  
فَضَرَطُ ، قَالَ الشَّيْخُ : مَا أَحْسَنَ وَاللهُ مَا ضَرَطَ ، مَا أَطَهَا وَلَا أَغْنَهَا وَلَا نَفَخَهَا  
وَلَا تَرَثَهَا <sup>(١)</sup> . فَنَهَضَ الْفَتِي خَجِلاً ، قَالَ الشَّيْخُ : مَا أَحْسَنَ وَاللهُ مَا نَهَضَ !  
قَالَتِ الْمَجْوَزُ : أَجَلَ وَاللهُ ! فَصَحَّ بِهِ وَرُدَّهُ ، فَوَاللهُ لِزَوْجِنَاهُ وَلَوْ فَعَلَ أَكْثَرَ  
مَا فَعَلَ !

---

(١) التَّنَزُّ : التَّرَازِلُ وَالتَّقْلِيلُ .

## \* ١٦١ — طفيلي في عرس \*

دخل طفيلي عرساً فلم يقدر على الدخول ، فأخذ قرطاساً وأدراجه<sup>(١)</sup> ، ولم يكتب فيه شيئاً ، وسأل عن العروس : هل له قريب غائب ؟ فقيل : أخوه .

فكتب عنوان الكتاب من فلان ابن فلان أخيه . وجاء فدق الباب ، وقال : معي كتاب من أخي العروس . فخرج العروس مبادراً فأخذته وأحضر له الطعام ؛ فلما قرأ العنوان قال : سبحان الله ! تراه نسي اسمي إذ لم يكتبه على الكتاب ! فقال الطفيلي : وأعجب من هذا أنه لم يكتب داخله شيئاً من العجلة !

فعلم مراده وأدخله !

---

\* ذيل زهر الآداب : ٢٨٠ :  
(١) أدرج الكتاب : طواه .

## \* ١٦٣ - طفيلي محدث \*

قال أبو عمرو نصر بن علي : كان لي جار طفيلي ، وكان من أحسن الناس منظراً ، وأعذبهم منطقاً ، وأطيبهم رائحة ، وأجملهم لباساً ، وكان من شأنه معي أنني إذا دعيت إلى مذعأة<sup>(١)</sup> تبعني ، فيذكره الناس من أجله ، ويظنون أنه صاحب لي ؛ فاتفق يوماً أن جعفر بن القاسم الماشي أمير البصرة أراد أن يختتن بعض أولاده ، فقلت في نفسي : كأنني برسول الأمير قد جاء ، وكأنني بهذا الرجل قد تبعني ، والله لئن تبعني لأفضحه !

فأنا على ذلك إذ جاء رسوله يدعوني ، فازدتْ أن لبست ثيابي وخرجت ، وإذا أنا بالطفيلي واقف على باب داره ، وسبقني بالتأهّب فتقدمتْ وتبعني ؟ فلما دخلنا دار الأمير جلسنا ساعة ، ودعا بالطعام ، وأحضرت الموائد وكان كل جماعة على مائدة لكثرة الناس ، فقدمت إلى مائدة والطفيلي معي ، فلما مدد يده ، وشرع في تناول الطعام قلت : حدثنا نافع عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دخل دار قومٍ بغیر اذنهم فَأَكُل طعامهم دخل شارقاً ، وخرج مغيراً ». فلما سمع ذلك قال : أنيت لك والله أبا عمرو من هذا الكلام ! فإنه ما من أحدٍ من الجماعة إلا وهو يظن أنك تعرض به دون صاحبه ، أو تستحي أن تتكلم بهذا الكلام على مائدة سيد من أطعم الطعام ، وتبخل بطعام غيرك على من سواك !

ثم لا تستحق أن تحدث بهذا الحديث وهو ضعيف ، وتحكم برأه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والسلكون على خلافه ! لأن حكم السارق القطع ، وحكم المغتصب أن يُعزَّز على ما يراه الإمام ، وأين أنت عن حديث حَدَّثَنَا أبو عاصم النبيل عن ابن جريج عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طعامُ الواحد يكفي الاثنين ، وطعام الاثنين يكفي الأربعة ، وطعام الأربعة يكفي الثمانية ». وهو إسناد صحيح ومتنٌ صحيح !

قال نصر : فأفحمني فلم يحضرني له جواب ، فلما خرجنا من الموضع للانصراف فارقني من جانب الطريق إلى الجانب الآخر بعد أن كان يمشي ورائي ، وسمعته يقول :

ومن ظنَّ مِنْ يلاقي المروءَ بِأَلَّا يصَابَ قَدْ ظنَّ عَجَزًا

١٦٣ — غِنَى وَغَفْلَةُ \*

كان بمصر شريف من ولد العباس يعرف بأبي جعفر؛ شبيه بابن الجصاص في  
الغفلة والجحود والذمة.

قال أبو القاسم بن محمد التنوخي : بعثني أبي إليه من قرية تعرف بتلا  
يستقرره عشرة أرادب قمحاً وتلاثين زوج بقر، وكتب معي بذلك رقعة، فأتيتُ  
إليه وسلمت عليه ، ودفعت إليه الرقعة ؛ فقال : ذكرتُ أباك ، فهو صاحب  
وصديق وخليط ! وأين هو الآن ؟ قلت : بقرية تلا - أعز الله سيدى الشريف !  
قال : نعم ! حفظه الله ! هو بالفسطاط معنا ، وقد انقطع عنا كذا ! ما كنت أظنه  
إلا غائباً !

قلت : لا سيدى هو بتلا ! قال : فما لك ما قلتَ لي ؟ فما كان سبile أن يؤنسنى  
برقعة من قبله ؟ قلت : يا سيدى ، قد دفعت إليك رقعته ! قال : وأين هي ؟ قلت :  
تحت البساط ! فأخذها وقرأها ، وقال : قل لي الآن ، أكان لك أخْ أعرفه حاد  
الذهن يحسن النحو والعروض والشعر ؟ فاقرأ الله به ؟ قلت : أنا هو - أعزك الله !  
قال : كبرتَ كذا ! وعهدى بك تأنيق معه ؛ قلت : نعم ! أيد الله الشريف !  
قال : وما الذي جئتَ فيه ؟ قلت له : والدي بعثني إليك برقعة يسألك فيها  
قرض عشرة أرادب قمحاً وتلاثين زوج بقر . قال : وهو الآن بالفسطاط ؟ !

قلت : لا يا سيدى هو بتلا ! قال : نم ! وإنما ذاك الفتى أخوك ؟ قلت : لا !  
أنا هو .

فصار يراجعني في الكلام وقد ضجرتُ من شدةَ غفلته ، وكثرة نسيانه لما  
أقول له ، حتى أقبل كاتبه أبو الحسين ، فقال له : سَلْ هذا الفتى ما ي يريد ؟ فسألني  
فعرفة قيته فأخبره ، فقال له : نَفْدُ له حاجته . فوقعَ لي الكتاب بما أراد ، وقال :  
تَقْنَانِي لِلْقَبْضِ بِالْدِيَوَانِ ، فشَكِّرْتُ الشَّرِيفَ وَنَهَضْتُ ! فقال : اصْبِرْ يَا بْنِي فَقَدْ حَضَرَ  
طَعَامُنَا ؛ وَقَدْ الطَّعَامُ ، وَفِيهِ طَعَامٌ غَيْرُ جَيدٍ ، فَرَفَعَ يَدِهِ ، وَقَالَ : مَثْلُ مَطْبَخِي يَكُونُ  
فِيهِ مَثْلُ هَذَا ! عَلَىٰ بِالْطَّبَاخِ ! فَأَتَىٰ ، فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْعَمَلُ ! فَقَالَ : يَا سَيِّدِي ؟  
إِنَّمَا أَنَا صَانِعٌ ، وَعَلَىٰ تَدْرِي مَا أُعْطَىٰ أَعْمَلُ ! وَقَدْ سَأَلْتُ الْمُنْفِقَ أَنْ يَشْتَرِيَ لِي مَا أَحْتَاجُ  
إِلَيْهِ فَتَأْخِرُ عَنِي ، فَعَمِلْتُ عَلَىٰ غَيْرِ تَمْكِنْ ؛ بِفَاءِ التَّقْصِيرِ كَمَا تَرَىٰ .

قال : فخر جت وأنا متعجب من غباؤته وغفلته !

(١) الجهد: التقاد المثير، ويريد القائم بالإنفاق وحفظ الأموال ..

## \* ١٦٤ - حذاء أبي القاسم \*

كان في بغداد رجل اسمه أبو القاسم الطُّبُورِيُّ، وكان له مَدَاسٌ<sup>(١)</sup>، وهو يَلْبَسُه سبعَ سنين، وكان كَلَا تقطع منه موضع جعل مكانه رقمَةً إلى أن صار في غاية النَّفَلِ، وصار الناسُ يضرُبون به المثل.

فأتفق أنه دخل يوماً سوق الزجاج، فقال له سِنَسَارٌ<sup>(٢)</sup>: يا أبا القاسم، قد قديم إلينا اليوم تاجر من حلب، ومعه خلُّ زجاجٍ مُذَهَّبٍ قد كَسَدَ، فاشترَه منه، وأنا أبيعه لك بعد هذه المدة؛ فَتَكْسِيبُ به المثلِ مِثْلَيْنِ! فضى واشتراه بستين ديناراً.

ثم إنه دخل إلى سوق العطارين؛ فصادفه سِنَسَارَ آخر، وقال له: يا أبا القاسم؛ قد قديم إلينا اليوم من نَصِيبَيْنِ<sup>(٣)</sup> تاجر، ومعه ماءٌ ورَدٌ، ولِعَجَلَةٌ سفره، يمكن أن تشتريه منه رخيصةً، وأنا أبيعه لك فيما بعد، بأقرب مدة؛ فَتَكْسِيبُ به المثلِ مِثْلَيْنِ!

فضى أبو القاسم، واشتراه أيضاً بستين ديناراً أخرى، وملأ به الزجاج المذهب وحمله، وجاء به فوضمه على رَفٍ من رفوف بيته في الصدر!

ثم إن أبا القاسم دخل الجام ينتسل؛ فقال له بعض أصدقائه: يا أبا القاسم؛

\* بحاجي الأدب: ٣ - ٢٣٢.

(١) المَدَاس كصحاب: الذي يلبس في الرجل (٢) السِّنَسَار: التوسط بين البائع والمشتري

(٣) فاعدة ديار ربيعة.

أشتئي أن تغير مدارسك هذا ! فإنه في غاية الشناعة ! وأنت ذو مال محمد الله ! فقال له أبو القاسم : الحق معك ؟ فالسَّمِعُ والطاعة .

ثم إنه خرج من الحمام ، ولبس ثيابه ، فرأى بجانب مدارسه مدارساً آخر جديداً ؛ فظن أن الرجل من كرمه اشتراه له ؛ فلبسه ، ومضى إلى بيته !

وكان ذلك المدارسُ الجديدُ للقاضي ، وقد جاء في ذلك اليوم إلى الحمام ، ووضع مدارسه هناك ، ودخل يستحم !

فما خرج فتش عن مدارسه ؟ فلم يجده ؛ فقال : أَمْنٌ لبس حذائي لم يترك عوضه شيئاً ؟ فتفتَّشوا ؛ فلم يجدوا سوى مدارس أبي القاسم ! فمرفوه ؛ لأنَّه كان يُصرَّ به المثل !

فأرسل القاضي خدمَه ، فكَبَسُوا<sup>(١)</sup> بيته ، فوجدوا مدارسَ القاضي عنده ؛ فأحضره القاضي ، وضربه تأديباً له ، وحبسه مدة ، وغرمه بعض المال وأطلقه !

فخرج أبو القاسم من الحبس ، وأخذ حذاءه ، وهو غضبان عليه ، ومضى إلى دجلة ، فألقاه فيها ؛ فنافض في الماء !

فأتى بعض الصيادين ورمي شبكته ، فطلع فيها ! فلما رأه الصياد عرفه ، وظن أنه وقع منه في دجلة ! فحمله وأتى به بيت أبي القاسم ؛ فلم يجده ! فنظر فرأى نافذة إلى صدر البيت ، فرمى منها إلى البيت ، فسقط على الرف الذي فيه الزجاج ، فوقع ، وتكسَّر الزجاج وتبدَّد ماء الورد !

---

(١) كبس داره : هجم عليها واحتاط بها .

فجاء أبو القاسم ونظر إلى ذلك فعرف الأمر ، فلطم وجهه ، وصاح يسكي ،  
وقال : وافقـاه ! أفقـنى هذا المداس الملعون !

ثم إنه قام : ليَحْفِرَ له في الليل حُفرَة ، ويدفعه فيها ، ويرتاح منه ؟ فسمع  
الجيـران حـسـ الحـفـرـ ؟ فظـنـوا أنـ أحـدـاـ يـنـقـبـ عـلـيـهـ ؟ فـرـفـعـواـ الـأـمـرـ إـلـىـ الـحاـكـمـ ؟  
فـأـرـسـلـ إـلـيـهـ ، وـأـخـضـرـهـ ، وـقـالـ لـهـ : كـيـفـ تـسـتـحـلـ ؟ أـنـ تـنـقـبـ عـلـىـ جـيـرانـكـ حـانـطـهـمـ ؟  
وـجـبـسـهـ ، وـلـمـ يـطـلـقـهـ ، حـتـىـ غـرـمـ بـعـضـ الـمـالـ !

ثم خرج من السجن ومضى وهو حـزـدانـ<sup>(١)</sup> من المداس ، وحمله إلى كنيف  
الخان ، ورمـاهـ فـيـهـ ، فـسـدـ قـصـبةـ الـكـنـيـفـ ؟ فـنـاـضـ وـضـجـرـ النـاسـ مـنـ الـرـاحـةـ  
الـكـرـيـهـ ! وـبـخـنـواـ عـنـ السـبـ ؟ فـوـجـدـواـ مـدـاسـاـ فـتـأـمـلـوهـ ؟ فـإـذـاـ هـوـ مـدـاسـ أـبـيـ الـقـاسـمـ !  
فـحـمـلـوهـ إـلـىـ الـوـالـىـ ، وـأـخـبـرـوهـ بـمـاـ وـقـعـ ؟ فـأـخـضـرـهـ الـوـالـىـ ، وـوـبـخـهـ وـجـبـسـهـ ، وـقـالـ  
لـهـ : عـلـيـكـ نـصـلـيـعـ الـكـنـيـفـ ! فـقـرـمـ بـعـلـةـ مـالـ ، وـأـخـذـ مـنـهـ الـوـالـىـ مـقـدـارـ مـاـ غـرـمـ  
تـأـدـيـبـاـ لـهـ وـأـطـلـقـهـ .

فـخـرـجـ أـبـوـ الـقـاسـمـ وـالـمـدـاسـ مـعـهـ ، وـقـالـ - وـهـوـ مـفـتـاظـ مـنـهـ : وـالـلـهـ مـاـ عـدـتـ  
أـفـارـقـ هـذـاـ الـمـدـاسـ !

ثـمـ إـنـهـ غـسـلـهـ وـجـعـلـهـ عـلـىـ سـطـحـ بـيـتهـ حـتـىـ يـجـفـ ؟ فـرـآـهـ كـلـبـ ؟ فـظـنـهـ رـمـةـ خـلـهـ  
وـعـرـبـهـ إـلـىـ سـطـحـ آـخـرـ ؟ فـسـقـطـ مـنـ الـكـلـبـ عـلـىـ رـأـسـ رـجـلـ ، فـلـمـهـ وـجـرـحـهـ جـرـحـاـ  
بـلـيـناـ ، فـنـظـرـواـ وـفـتـشـواـ مـنـ الـمـدـاسـ ، فـعـرـفـواـ أـنـهـ لـأـبـيـ الـقـاسـمـ !

---

(١) حـرـانـ : غـصـبـانـ (٢) الرـمـةـ بـالـكـسـرـ : الـمـظـاـمـ الـبـالـيـةـ .

فرفوا الأمر إلى الحاكم ؛ فألزَمَه بالعَوْض ، والقيام بلوازم المجروح مُدَّةً  
مرضه ! فنفِدَ عند ذلك جميعُ ما كان له ، ولم يبقَ عنده شَيْءٌ !

ثم إن أبا القاسم أخذ المدارس ، ومضى به إلى القاضي ، وقال له : أريد من  
مولانا القاضي أن يكتب بيني وبين هذا للدارس مبارأة شرعية على أنه ليس مني  
ولستُ منه ! وأن كلاماً منا بريء من صاحبه ، وأنه مهما يفعله هذا الدارس لا أأخذ  
أنا به ! وأخبره بجميع ما جرى عليه منه !

فضحك القاضي منه ووصله ومضى !

---

﴿ تَمَ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ ﴾

## فهرس القصص

### الباب الأول

في القصص التي تصف ما عقدوه من مجالس الطرف ، وخلافات الفنان ، وما أثاروه من أسباب المنافسة بين المفتيين ، قاصدين الترفيه عن النفوس ، وجلاء المم ، وتهذيب المشاعر ، وترقيق الوجدان :

رقم القصة	الصفحة	العنوان
١	١٠	الشعر والفنان
٢	١٢	قل لــكــرام بــبابــنا يــلــجــوا
٣	١٣	عبد الله بن جعفر ضيف طويس
٤	١٥	سقونى وقالوا لا تفن
٥	١٨	عبد الله بن جعفر عند جميلة
٦	٢٠	يتنان من الشعر
٧	٢٣	ماذا فعلت بزاهد متعبد ؟
٨	٢٤	دُعَابَةً ابن أبي عتيق
٩	٢٦	لحن جميلة
١٠	٣٠	في أيام الحج
١١	٣٥	في وادي العقيق

رقم القصة	الصفحة	العنوان
١٢	٣٧	من أين صبّك الله علىَ!
١٣	٣٩	ارجع إلى عملك راشداً
١٤	٤١	الأحوص يختال حتى تسمع سلامه غناه الغريض.
١٥	٤٤	غناء في ختان
١٦	٤٧	يضطرب حين يسمع الفنان
١٧	٤٩	في قصر الوليد بن يزيد
١٨	٥١	معبد في مكة
١٩	٥٣	معبد في السفينة
٢٠	٥٧	وفاء مالك بن أبي السمح لمعبد
٢١	٦١	مالك بن أنس يغنى
٢٢	٦٢	أفسد آخراماً أصلح أولاً!
٢٣	٦٣	ابن جامع في دار الخلافة
٢٤	٦٧	ابن جامع وأبو يوسف القاضي
٢٥	٧٤	سرقة الفنان
٢٦	٧٨	أنا والصبح كفرسي رهان
٢٧	٨٠	ما هذا بجزائي منك!
٢٨	٨٢	ما شعنى الفنان إلا ذلك اليوم
٢٩	٨٤	طفيلي ولكنه ظريف
٣٠	٨٨	زرباب وإسحاق الموصلي
٣١	٩٢	في مسجد رسول الله تغنى!

رقم القصة	الصفحة	العنوان
٣٢	٩٥	شعر رقيق
٣٣	٩٦	صوت بدرهمين
٣٤	٩٨	أم جعفر تنوح على الرشيد
٣٥	١٠٠	أما إليك سبيل غير مسدود؟
٣٦	١٠١	عند مخارق
٣٧	١٠٤	مخارق ينفي لأبي العتاهية في شعره
٣٨	١٠٦	المجنون عند الواقع
٣٩	١٠٩	في دار الواقع
٤٠	١١٣	محبوبة جارية المتوكلا
٤١	١١٥	قيمة تحن إلى بغداد

## الباب الثاني

---

في القصص التي تفضح عن رقة قلوب العرب، ورفاهة عواطفهم وسمو نفوسهم بالإخبار عن وقع الحب في قلبه وامتزاج المغاف والشرف بمحبه ، ولكن امتنع عليه أمله ، فبقي معدّاً في سبيل من أحبّ ؛ وراح شهيداً الرقة والغاف :

رقم القصة	الصفحة	العنوان
٤٢	١١٨	جني الجمال على نصر فقرّ به
٤٣	١٢١	عروة وغراء عن المدينة تبكيه ويبكيها

العنوان	الصفحة	رقم القصة
قتيل الحب	١٢٨	٤٤
قيس ولبني	١٢٩	٤٥
ما أبالي ما نيل من شَعْرى ومن بشرى	١٤٤	٤٦
فِي الْقُلُوبِ ثُمَّ هُوَ دُفِينٌ	١٤٦	٤٧
أخبرني عن ليلة الفيل	١٤٨	٤٨
أيا شبه ليلى لا تراعى	١٥٠	٤٩
استبكاني السيل إذ جرى	١٥١	٥٠
عهود جبل التوباد	١٥٢	٥١
حديث الجنون عن ليلي	١٥٣	٥٢
حلال لليلي شتمنا	١٥٤	٥٣
إن دائى ودوائى أنتِ	١٥٥	٥٤
ما رأيت مثل حزنها ووجدها عليه فقط	١٥٧	٥٥
عند الكعبة	١٥٩	٥٦
ذهول !	١٦١	٥٧
خاتمة الجنون	١٦٣	٥٨
اليوم يجتمعنا في بطئها الكفن	١٦٧	٥٩
العفة في الحب	١٧١	٦٠
حديث جميل وبثينة	١٧٣	٦١
عتاب بين بثينة وجميل	١٨١	٦٢
يَتَذَكَّرُانِ الشِّعْرُ وَالْهُوَى	١٨٢	٦٣
لا أزال أبكيه حتى الممات	١٨٣	٦٤

العنوان	الصفحة	رقم القصيدة
حى وينحك من حياك يا جل	١٨٥	٦٥
إلى الخلوات يأنس فيك قلبي	١٨٨	٦٦
من لم يقيد جوارحه أنتب قلبه	١٩٠	٦٧
غداً يكثر الباكون منا ومنكم	١٩٢	٦٨
وذو الشوق القديم وإن تعزى	١٩٤	٦٩
مشوق حين يلق العاشقينا		
قضى كل ذى دين فوق غريمها	١٩٦	٧٠
وعزة ممطولة معنى غريمها		
تغنيه فيمومت	١٩٨	٧١
فاضت نفسها عليه	٢٠١	٧٢
يموتان في وقت واحد	٢٠٤	٧٣
رحلت مية ولم يبق إلا الديار	٢٠٧	٧٤
صباة ابن الطئيرية	٢١٠	٧٥
معبد الصغير وأحد المشاق	٢١٦	٧٦
نعب الغراب بغرافهما	٢٢٠	٧٧
نخلتا حلوان	٢٢٤	٧٨
وارحمتا للعاشقينا	٢٢٦	٧٩
الله يعلم أتنى كمد	٢٢٩	٨٠
في دار المجانين	٢٣١	٨١
عتاب	٢٣٦	٨٢
يا غريب الدار عن وطنه	٢٤٠	٨٣

### الباب الثالث

---

فِي الْقُصُصِ الَّتِي تُحْتَاجُ إِلَيْهَا أَنْصَرُوا بِهِ مِنْ شَدِيدِ الْفِيَرَةِ عَلَى الْجُرْمِ ، وَبِالْعَلَمِ الْخَافِيِّ  
مِنِ التَّهْمَةِ ؛ إِغْلَاءِ بِالشَّرْفِ ، وَضَمَانًاً لِوَفْرَةِ الْعَرْضِ ، وَمَا جَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ إِزْهَاقِ  
الْأَرْوَاحِ وَسُفْكِ الدَّمَاءِ ، دَرْءًاً لِلظَّنَّةِ ، وَاتِّقاءً لِلسمْعَةِ :

رقم القصة	الصفة	العنوان
٨٤	٢٤٢	لَا أَحَدْ أَذْلُّ مِنْ جَدِيسٍ
٨٥	٢٤٥	آبِي الذَّلِّ
٨٦	٢٤٧	أَجَبَ النَّاسُ وَأَحْيَلُوهُمْ وَأَشْحَعَ النَّاسَ
٨٧	٢٥٤	خَلْ سَبِيلُ الْحَرَةِ الْمُنْبِعَةِ
٨٨	٢٥٨	عِنْدَ الْمَوْتِ
٨٩	٢٦٢	تَعْدُوا الذَّئَابَ عَلَى مَنْ لَا كَلَابَ لَهُ
٩٠	٢٦٣	الْأَحْوَصُ وَابْنُ حَزْمِ الْأَنْصَارِي

### الباب الرابع

---

فِي الْقُصُصِ الَّتِي أَرَادَ بِهَا الْكِتَابُ تَصْوِيرَ حَالَةً ، أَوْ شَخْصًاً أَوْ مَجْلِسًا ،  
وَاخْتَرُوا لَهَا مِنَ الْكَلَامِ مَا يَبْلُغُ إِرَادَتَهُمْ ، وَيُدْخِلُ فِي ذَلِكَ الْبَابِ مَا وَضَمَّوهُ عَلَى  
الْأَلْسُنَةِ الطَّيْرِ وَالْبَهَائِمِ ، وَأَنْوَاعِ الْحَيْوَانِ مِنَ الْمَحَاورَاتِ وَالْأَحَادِيثِ تَحْمِلُ فِي أَنْثَائِهَا  
الْعَبْرَةَ وَالْعَظَةَ وَالنَّصْحَ :

العنوان	الصفحة	رقم القصة
أكلت يوم أكل الثور الأبيض	٢٦٨	٩١
حديث السقيفة	٢٦٩	٩٢
من أستجير من جورك؟	٢٨٥	٩٣
خدعة لمعاوية	٢٩١	٩٤
من صدق الله بنا	٢٩٩	٩٥
عمر بن أبي ربيعة في مضرب فاطمة بنت عبد الملك	٣٠١	٩٦
عمارة	٣٠٥	٩٧
عمر بن أبي ربيعة في لبسة أعرابي	٣١١	٩٨
حديث يوم الدُّوْخَة	٣١٥	٩٩
لولا فصاحتهم لضربت أنفاقهم	٣٢٢	١٠٠
يوم دارة جلجل	٣٢٤	١٠١
دعني وربى الذي لا يدخل ولا يذهب	٣٢٧	١٠٢
أبو جعفر المنصور في المرأة	٣٣٥	١٠٣
واعظ أبي جعفر المنصور	٣٤١	١٠٤
لماذا سُلِّبُوا الملك؟	٣٤٥	١٠٥
جعفر البرمكي والرشيد	٣٤٧	١٠٦
إخوان الصفا	٣٥٠	١٠٧
لا أحب تخديش وجه الصاحب	٣٥٦	١٠٨
حكومة الغصب	٣٥٧	١٠٩
أعملت ثلاث خصال	٣٥٨	١١٠
مجير أم عامر	٣٥٩	١١١
كيف أعاودك وهذا أثر فأسك!	٣٦٠	١١٢
حكيم	٣٦١	١١٣

## الباب الخامس

---

ف القصص التي يعرف بها مذهبهم في شياطين الشعر ، وأصوات الجن في  
الفيافي وأحاديثهم عن الغول ، ورؤى من رأها منهم ، وما إلى ذلك مما يصور سعة  
أخيالهم ، وسعهم وراء المجهول بأجنحة التفكير والتصوير :

رقم القصة	الصفحة	العنوان
١١٤	٣٦٤	تأبطة شرًا يقتل الغول
١١٥	٣٦٦	رئي الأعشى
١١٦	٣٦٧	هاجس الأعشى
١١٧	٣٦٩	عَيْدَ بْنُ الْأَبْرَصِ وَالشَّجَاع
١١٨	٣٧٢	وَمَنْ عَيْدَ لَوْلَا هَيْدَ
١١٩	٣٧٥	لَفَظُ بْنُ لَاحَظ
١٢٠	٣٧٧	تَابِعٌ زَهِيرٌ بْنُ أَبِي سَلَمٍ
١٢١	٣٨٠	حَاتِمٌ يَقْرِي الصَّيْفَ بَعْدَ مَوْتِهِ
١٢٢	٣٨٢	جَارٌ مَالِكٌ بْنُ حَرِيم
١٢٣	٣٨٤	الْجَنُّ وَابْنُ الْحَارِمِ
١٢٤	٣٨٧	حَارِمٌ مَالٌ بْنُ الْخَشْرَمِ
١٢٥	٣٨٩	فِي مَوْتِ أُمِيَّةِ بْنِ أَبِي الصَّلَتِ
١٢٦	٣٩٠	فِي بَحْرِ الْخَزَرِ
١٢٧	٣٩٢	نَجْيٌ سَوَادٌ بْنُ قَارِبٍ
١٢٨	٣٩٥	لَيلٌ الْأَخْيَلِيَّةُ عَلَى قَبْرِ تَوْبَةِ
١٢٩	٣٩٦	جَانٌ يَخْتَطِفُ فَتَاهَ

رقم القصة	الصفحة	العنوان
١٣٠	٣٩٨	لا بقاء للإنسان
١٣١	٣٩٩	الفريض يتلقى غنامه عن الجن
١٣٢	٤٠١	شيطان أبي نواس
١٣٣	٤٠٣	إبليس في ضيافة إبراهيم بن المهدى
١٣٤	٤٠٧	دعبل بن علي ورجل من الجن

## الباب السادس

---

فِي الْقَصَصِ الَّتِي تَسْرِدُ بارعَ الْمَلْحِ الَّتِي أَثْرَتَ عَنِ الْحَقِّ وَالْمَجَانِينَ ، وَتَفَصَّلُ  
رَوَائِعُ النَّوَادِرِ الَّتِي فَاضَتْ بِهَا قِرَائِعُ الطَّفَلِيِّينَ وَالْمَتَبَشِّئِينَ ؛ وَمَا يُشَبِّهُ ذَلِكَ مَا فِي رَاحَةِ  
النَّفُوسِ وَنَشاطِ الْخَوَاطِرِ :

رقم القصة	الصفحة	العنوان
١٣٥	٤١٠	أنفك منك وإن كان أجدع
١٣٦	٤١٢	أبو رافع لا يكذبُ في نوم ولا يقظة
١٣٧	٤١٤	أهلك أعلم بك
١٣٨	٤١٥	المقادير تصير العي خطيباً
١٣٩	٤١٦	لثن شكرتم لأزيد نذركم
١٤٠	٤١٧	الحمد لله الذي مسخك كلباً
١٤١	٤١٨	يوم الحساب
١٤٢	٤٢١	إن أعطوا رَضْنُوا
١٤٣	٤٢٢	ما اختبار غير عبد الله بن طاهر

رقم القصة	الصفحة	العنوان
١٤٤	٤٢٤	أترى الله يعطيك وينساني ؟
١٤٥	٤٢٥	طفيلي في حضرة المأمون
١٤٦	٤٣٠	أنا أول من آمن بك
١٤٧	٤٣١	أبو دلف وجعيفان الموسوم
١٤٨	٤٣٤	رميت به في بطنك !
١٤٩	٤٣٥	لو علمت بحاله لو لجت عليه
١٥٠	٤٣٧	وعلى أبضاً !
١٥١	٤٣٩	كذب بذب
١٥٢	٤٤١	ذهب الحمار بأم عمرو
١٥٣	٤٤٣	أعجب مارأيت من المجانين
١٥٤	٤٤٧	مجنون أديب
١٥٥	٤٤٧	كدر الله من كدر العيش
١٥٦	٤٤٩	يضيف أهل الصفة ثم يضر بم
١٥٧	٤٥٠	ابن المدبر وطفيلي
١٥٨	٤٥٣	صناعتهم التطفيل
١٥٩	٤٥٤	اصبروا على إلالي الند
١٦٠	٤٥٤	هو خير الناس مهما يفعل !
١٦١	٤٥٧	طفيلي في عرس
١٦٢	٤٥٨	طفيلي محدث
١٦٣	٤٦٠	غنى وغفلة
١٦٤	٤٦٢	حذاء أبي القاسم

# فهرس الأعلام

ابن المدبر : ٤٥١	(١)
أبو الأسود الدؤلي : ٤١٤ ، ٢٦٢	إبراهيم الحراني : ٩٢
أبو بكر بن أبي قحافة(الصديق) : ٢٦٩	إبراهيم بن عبد الملك بن صالح : ٣٤٩
أبو الحسن الببغاء : ٢٣٦	إبراهيم بن المهدى : ٨٢ ، ٣٤٧
أبو حية التميري : ٤١٧	٤٢٥
أبو الخيرى : ٣٨٠	إبراهيم الموصلى : ٢٦ ، ٧٨ ، ٧٤
أبو الدرداء : ٢٩٢	٤٠٣ ، ٩٦
أبو رافع (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) : ٤١٢	ابن أبي عتيق : ١٥ ، ٢٤ ، ١٣٠
أبوريحانة ( حاجب عبد الملك بن مروان ) : ١٩٢	ابن سُخْنَر : ١٠٩
أبو صالح الفزاري : ٢٠٧	ابن جامع : ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٧٤
أبو عبيدة عامر بن الجراح : ٢٦٩	٩٦
أبو العناهية : ١٠٤	ابن دراج : ٤٥٣
أبو علي بن الأسكنر : ١١٥	ابن سريج : ٣٠ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٢
أبو العنبس الصimirي : ٢٣٣ ، ٢٢٢	٣٩٩
	ابن صياد (مغن) : ١٠
	ابن مكحول (عراف اليمامة) : ١٢٥

بنو تغلب : ٢٨١	أبو نواس : ٤٠١
بنو الحريش : ١٦٣ ، ١٥٧	أبو هريرة : ٢٩٢ ، ٢٨٤
بنو حمزة : ١٩٦	أبو يوسف القاضي : ٧٢
بنو حنظلة : ٢٠٤ ، ١٣٥	أحمد بن بشر : ٢٦٩
بنو عامر : ١٥٧ ، ١٥٢	أحمد بن حرب المهلي : ٤٤٧
بنو قشير : ٢١٠	أحمد بن يحيى (نعلب) : ٤٤٦
بنو كعب : ١٢٩	إسحاق بن إبراهيم الموصلى : ٢٦
بنو نهد : ١٨٦	١٠٠ ، ٩٨ ، ٩٦ ، ٨٨ ، ٨٤
بهلول (المجنون) : ٤٢٤	إسماعيل بن المربذ : ٩٦
(ت)	الأصمعي : ٨٠
تأبط شرا : ٣٦٤	أشعى قيس : ٣٦٧ ، ٣٦٦
تميم بن أبي تميم : ١١٥	أمرؤ القيس : ٣٢٤ ، ٢١
توبة بن الحمير : ٣٩٥	أم جحدر (عشوقة ابن ميادة) : ٢٢٠
(ج)	أمية بن أبي الصلت : ٣٨٩
الجالحظ : ٤٥١ ، ٢٢٦	(ب)
جديس (قبيلة) : ٢٤٢	ثيينة (عشوقة جميل) : ١٧١
جرم (قبيلة) : ٤١٠	١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٧٣
حرير بن عبد الله البجلي : ٣٦٦	البحترى : ٢٣٣
الحمد بن مهجم : ٣١٥	البرامكة : ٢١٦
جعفر بن يحيى : ٢١٩ ، ٧٤ ، ٦٩ ،	بشر بن مروان : ١٤٤
٣٤٧	بل (قبيلة) : ١٢٧

(د)	جعيفان الموسوس : ٤٥١
دريد بن الصمة : ٥٢٤	جبل بن عبد الله بن معمر : ١٧١ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٧٣
دعلب بن علي : ٤٣٤ ، ٤٠٧	جيالة المغنية : ١٨ ، ٢٠ ، ٢٦
(ذ)	جناد (مولى عمر بن أبي ربيعة) : ٣٠
دو الرمة : ٢٠٧	(ح)
(ر)	حاتم الطائى : ٣٨٠
الريبع بن كعب المازنى : ٤١٠	الحارث بن سعد : ٢٤٨
ربيعة بن مكدم : ٢٥٥	حيى المدينة : ٢٥٩
رزين الكاتب : ٤٠١	المجاج الثقفى : ٣٢٢ ، ٤١٥ ، ٤١٦
الرماح بن أبرد : ٢٢٠	الحسن بن الحسن بن علي : ٣٥
رملة بنت الزبير : ١٩٠	الحسين بن دحان : ٦١
ريطة بنت جذل : ٢٥٧	الحسين بن علي : ١٣٠ ، ٢٩٥
(ز)	حزرة الزييات : ٣٧٨
زریاب المغنى : ٨٨	حزرة بن عبد الله بن الزبير : ٥٧
زفر بن الحارث : ٣٢٠	(خ)
زلزل المغنى : ١٠٦	خالد الخريت : ٣١٢
زياد بن عبد الله الحارنى : ٤٤٩	خالد بن الحكم : ١٣٧
زياد بن عممان الغطفانى : ٢٢٠	خالد بن يزيد بن معاوية : ١٩٠
زياد بن النضر الحارنى : ٣٩٦	خليفة بن بوذل : ٢١٤
زياد بن زيد العنرى : ٢٥٨	

(ص)	زينب بنت إسحاق : ١٩١
صالح بن علي : ٣٤٥	(س)
(ط)	سالم بن قتيبة : ٣٢٤
طسم (قبيلة) : ٢٤٢	سبيعة (من ولد عبد الرحمن بن أبي بكرة) : ٢٨
طفيل بن عامر العبرى : ١٦٧	سعد بن خشرم : ٣٨٧
طويس المغنى : ١٣	سعيد بن العاص : ٢٥٩
(ظ)	سفيان بن عيينة : ٦٢
ظبيان بن عامر : ٤٠٧	سلام الأبرش : ٦٤
ظبية (مفنية) : ٥٣	سلامة الزرقاء (المغنية) : ٤١، ٢٤
(ع)	صلیمان بن عبد الملك : ٣٩٨
العباس بن الأحنف : ٣٥١ ، ٣٣٩	سهل بن هارون : ٤٣٤
عبشر المغنى : ٩٥	سود بن قارب : ٣٩٢
عبد الرحمن بن إبراهيم الخزروي : ٤٤٠	سوار القاضى : ٤٢١
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : ١٤	سياط المغنى : ٢٦
عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : ١٣	(ش)
عبد الرحمن بن الحكم : ٩١	شبيب بن شيبة : ٣٣٥
عبد الرحمن بن زيد العذرى : ٢٥٨	شرحبيل بن يعقوب الخزرجي : ٢٨٢
عبد قيس (قبيلة) : ٣٨٠	شميلة (زوج مجاشع بن مسعود) :
عبد الله بن جعفر : ١٣ ، ١٢ ، ١٠	١٢٠
٣٠٠ ، ٢٠ ، ١٨ ، ١٥	

- |                                   |                                   |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| عقيلة بنت الصحاك : ٢٠٦            | عبد الله بن الزبير : ٣٢٨          |
| علويه المغنى : ١٠٠                | عبد الله بن سلام : ٢٩١            |
| علي بن أبي طالب : ٢٦٩ ، ٢٦٨       | عبد الله بن طاهر : ٤٢٣ ، ١١٣      |
| علي بن الجهم : ٢٧٧ ، ١١٣          | عبد الله بن مروان : ٣٤٥           |
| علي بن الخليل : ٤٠١               | عبد الملك بن صالح : ٣٤٧           |
| علي بن محمد التوحيدى : ٢٦٩        | عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح : |
| عارة ( مغنية عبد الله بن جعفر ) : | ٩٣                                |
| ٣٠٥                               | عبد الملك بن مروان : ١٩٠ ، ١٥     |
| عمر بن أبي ربيعة : ١٩٢ ، ٣٠ ، ٢٨  | ٣٢٨ ، ١٩٢                         |
| ٣١٥ ، ٣١١ ، ٣٠١                   | عبيد بن الأبرص : ٣٧٢ ، ٣٦٩        |
| عمر بن الخطاب : ١١٨ ، ٢٤٧         | عبيد بن الحمارص : ٨٣٢             |
| ٣٩٢ ، ٢٦٩                         | عمان بن إبراهيم الخاطبى : ٣١١     |
| عمرو بن سعيد بن العاص : ٣٢٨       | عمان بن حيان المرتى : ٢٤          |
| عمر بن عبد العزيز : ٤٠            | عدي بن حاتم : ٣٨١                 |
| عمرو بن كلثوم : ٢٤٥               | مُذرة ( قبيلة ) : ١٢٨             |
| عمرو بن مالك : ٣٩٦                | عروة بن حزام : ١٢٨ ، ١٢١          |
| عمرو بن معبد يكرب : ٢٤٧           | عزبة ( معشوقة كثير ) : ١٩٦ ، ١٨٥  |
| عمرو بن هند : ٢٤٥                 | عصمة بن مالك : ٥٧                 |
| ( غ )                             | عطاء بن أبي رباح : ٤٧ ، ٤٤        |
| الفريض ( المغنى ) : ٤١ ، ٤٤       | عفراء بنت عقال : ١٢٨              |
| ٣٩٩ ، ١٧٣                         | عقال بن مالك : ١٢٨                |
|                                   | عقيل بن زياد الخارجي : ٢٨٢        |

		(ف)
	قارعة بنت ثابت : ١٤	
	قاطمة بنت عبد الملك بن مروان :	
	٣٠١	
	الفتح بن خاقان : ٣٧٧	
	الفرزدق : ١٨٥ ، ٢٠٤ ، ٣٢٤	
	فريدة (معنىَة الواشق والتوكل) : ١١٠	
	فزاراة (قبيلة) : ١٣٦	
	الفضل بن الربيع : ٦٤ ، ٦٩	
	فلبيح (المغنى) : ٩٦	
	فهم (قبيلة) : ٣٦٤	
	(ف)	
	القاسم بن عيسى العجلن : ٤٣١	
	قراد بن جرم : ٤١٠	
	قندذ بن جعونة : ٤١١	
	قيس بن ذريح : ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٦	
	١٤٨ ، ١٣٩ ، ١٣٨	
	قيس بن معد يكرب : ٣٦٧	
	قيس بن الملوح : ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠	
	١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٢ ، ١٥١	
	لليلي الأخيلية : ٣٨٧	
	لليلي العامرية : ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠	
	١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٢ ، ١٥١	
	لليلي بنت مهلهل : ٣٩٥	
	(م)	
	مالك بن أبي السمح : ٥٧	
	مالك بن أنس : ٦١	
	ملك بن حريم : ٣٨٢	
	(٤ - قصص العرب)	

- |   |   |
|---|---|
| مسكين الدارمي : ٢٣  | اللأمون (ال الخليفة العباسى ) : ٨٦                      |
| مطيع بن إبياس : ٢٢٤                                       | ٤٣٠ ، ٤٢٥ ، ٤٢٢ ، ١٠٠                                   |
| عاوية بن أبي سفيان : ١٢٧ ، ١٠٠ ،<br>٢٨٥ ، ٢٥٨ ، ١٣٨ ، ١٢٨ | التوكل (ال الخليفة العباسى ) : ١١١ ،<br>٢٣١ ، ٢٢٦ ، ١١٣ |
| ٣٠٥ ، ٢٩١   | مجاشع بن مسعود السلى : ١١٨                              |
| عبد الصفير : ٢١٦  | محبوبة ( جارية التوكىل ) : ١١٣                          |
| عبد بن وهب : ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ،<br>١٧٣ ، ٥٧                   | محمد بن إبراهيم : ٢٢٦                                   |
| ملاحظ (المقنى) : ١٠٦                                      | محمد بن سليمان : ٤٢١                                    |
| الملوح (أبو الجنون) : ١٥٩ ، ١٥٤                           | محمد بن عائشة : ٣٧ ، ٣٥ ، ٢٦                            |
| النصرور (ال الخليفة العباسى ) : ٢٦٤                       | محمد بن عبد الله (الرسول صلى الله<br>عليه وسلم ) : ٢٩٩  |
| ٣٤٥ ، ٣٤١ ، ٣٣٥   | محمد بن عمرو بن حزم الانصاري :<br>٢٦٣                   |
| المهلب بن أبي صفرة : ١٤٤                                  | محمد بن ععرو الزف (المقنى) : ٧٥                         |
| مئ بنت مقاتل المقرية : ٢٠٧                                | محمد بن القاسم : ٢٣١                                    |
| ميساد الجرمي : ٢١٠  | محمد بن قيس : ٢٠١                                       |
| (ن)   | محمد بن يزيد (المبرد) : ٢٣١ ، ٢٢٩<br>٤٤٣                |
| نجحيل اليربوعي : ٣٨٧                                      | مخارق (المقنى) : ١٠٤ ، ١٠١                              |
| نصر بن حجاج : ١٠٩   | مروان بن الحكم : ٢٨٥ ، ١٣٧                              |
| نصر بن ذبيان : ٢٨٨  | مسحل بن أمية (شيطان الأعشى) :<br>٣٦٨ ، ٣٦٦              |
| النعمان بن بشير : ٣٢٩ ، ١٢٨                               |   |
| نوفل بن مساحق : ١٦١                                       |   |

الوليد بن عبد الملك : ٢٦٣ ، ٣٧	(ه)
الوليد بن يزيد : ٤٩ ، ٣٢٧	هادر (شيطان النابة الذهبياني) : ٣٧٦
(لا)	هارون بن أحمد بن هشام : ١٠١
لافظ بن لاحظ (شيطان أمرى) القياس ) : ٣٧٥	هارون الرشيد : ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٩٥ ، ٩٢ ، ٨٨ ، ٨٢ ، ٧٨ ، ٣٦٩ ، ٣٥٢ ، ٢١٩ ، ٩٨ ، ٩٦
(ى)	٤٢٤ ، ٤٠٣
يعيى بن أكثم : ٤٣٠ ، ٣٦٩	هبيد (شيطان عبيد بن الأبرص) : ٣٦٨
يعيى بن خالد : ٣٥٢ ، ٧٢	هدبة بن خشم : ٢٥٨
يعيى بن المبارك : ٤٢٢	هشام بن عبد الملك : ١٨٦
يزيد بن الطبرية : ٢١٠	هند بنت الحارث (أم عمرو بن هند) : ٢٤٥
يزيد بن عبد الملك : ٤١ ، ٣٤	هند بنت الحارث المരية : ٣١٢
٢٢٧ ، ٢٠١ ، ١٩٨	(و)
يزيد بن مسهر : ٣٦٨	الواشق ( الخليفة العباسى) : ١٠٩ ، ١٠٦
يزيد بن معاوية : ٣٠٥ ، ٢٩١	
يزيد بن الوليد بن عبد الملك : ٣٢٧	
بونس بن محمد السكاكى : ١٨٨ ، ٢٦	

## فهرس الأماكن

(ع)	العيقين : ٢١٧ ، ١٨٨ ، ٣٥	(ا)	الأبلة : ٥٣
(ق)	القطاطول (نهر) : ٢٢٦	(ب)	أضم : ٥٣
(ك)	قرطبة : ٩١	(ت)	البصرة : ١١٩
(م)	قييقان : ٩١	(ح)	بحر الخزر : ٣٩٠
(ن)	كثيب أبي شحوة : ٣٢	(ذ)	باب محول : ٦٤
(ى)	المدينة : ٢٤ ، ١	(س)	التوBAD : ١٥٢
	مصر : ٣٤٨		حلوان : ٢٢٤
	النوبة : ٣٤٥		ذو طوى : ٤٧
	الياسيرية : ١١٦		سامرا : ٢٢٦
	المين : ٢٠٤ ، ١٥٢		

## مراجع هذا الجزء

: لأبي الفرج الأصفهاني	الأغاني
: لأبي على القاتل	الأمالى
: للزجاجى	الأمالى
: للجاحظ	البخلاء
: للألوى	بلغ الأرب
: لداود الأنطاكي	ترىin الأسواق
: للبغدادى	التطفيل
: للحموى	نمرات الأوراق
: لأبي زيد محمد بن الخطاب القرشى	جمهرة أشعار العرب
: للجاحظ	الحيوان
: للبغدادى	خزانة الأدب
: لأبي على القاتل	ذيل الأمالى
: للحضرى	ذيل زهر الأدب
: للمرصنى	رغبة الأمال
: للحضرى	زهر الأدب
: للبسكترى	شرح الأمالى

شرح مقامات الحريري	: للشريبي
شرح نهج البلاغة	: لا بن أبي الحميد
صبح الأعشى	: للقلقشندى
عصر الأمون	: للدكتور فريد رفاعى
المقد الفريد	: لابن عبد ربه
عيون الأخبار	: لابن قتيبة
غرر الخصائص الواضحة	: لأبى إسحاق الوطواط
الكامل في التاريخ	: لابن الأثير
الكامل في الأدب	: للبرد
مجانى الأدب	: للأب لويس شيخو
مجمع الأمثال	: للميدانى
المحاسن والأضداد	: للجاحظ
المحاسن والمساوى	: للبيهقى
محاضرات الأبرار	: لابن عربى
المختار من نوادر الأخبار (مخطوط)	: لحمد بن أحمد الأنبارى
مروج الذهب	: للمسعودى
المستطرف في كل فن مستظرف	: للأ بشيھى
مصارع المشاق	: لأبى جعفر بن أحمد السراج
معجم الأدباء	: لياقوت الحموى
معجم البلدان	: لياقوت الحموى

اللائق من أخبار الأصمى  
مذهب الأغاني  
فتح الطيب  
نهاية الأرب  
: للمرحوم الخضرى  
: للمقرى  
: للتورى



[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

## مراجع الضبط والشرح والتحقيق والترجم

: للزمخشري	أسماء البلاغة
: للزركلى	الأعلام
: لجورجى زيدان	تاريخ آداب اللغة العربية
: للمرحوم الخضرى	تاريخ الأمم الإسلامية
: للمرصفى	رغبة الآمل من كتاب السكام
: للتبريزى	شرح ديوان الحماسة
: للبكرى	شرح الأمالى
: لا بن الأنبارى	شرح المفضليات
: لا بن سلام	طبقات الشعراء
: لا بن قتيبة	طبقات الشعراء
: للضبى	الفاخر في الأمثال
: لأمين واصف	فهرس خريطة الملك الإسلامية
: للفيروزابادى	قاموس المحيط
: لا بن منظور	لسان العرب
: لا بن قتيبة	المعارف
: لياقوت الحموى	معجم البلدان
: لا بن خلkan	وفيات الأعيان